تفسير
حدائق الروح والريحان
في
روابي علوم القرآن

تأليف الشيخ العلامة

محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي

المدرس بدار الحديث الخيرية في مكة المكرمة

إشراف ومراجعة

الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي

خبير الدراسات برابطة العالم الإسلامي

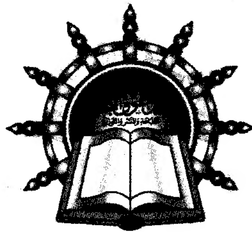
مكة المكرمة

المجلد الثالث

دار طوق النجاة

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م



دار طوق النجاة

بيروت - لبنان

تفسير

حدائق الروح والريحان

في

روابي علوم القرآن



شعر

وَعَيْنُ ٱلرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيْلَةٌ ... وَلَكِنَّ عَيْنَ ٱلسُّخْطِ تُبْدِيْ ٱلْمَسَاوِيَا

قَدَّمْتُهُ لِلإِخْوَانِ مُعْتَذِرَا ... وَٱلْعُذْرُ مِنْ شِيَمِ ٱلسَّادَاتِ مَقْبُوْلُ

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾.

المناسبة

قوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ...﴾ الآية، مناسبة[1] هذه الآية لما قبلها: أن اليهود والنصارى قالوا: إن إبراهيم ومَن ذكر معه كانوا يهوداً أو نصارى، ذكروا ذلك طعناً في الإسلام؛ لأن النسخ عند اليهود باطل، فقالوا: الانتقال عن قبلتنا باطلٌ وسفَهٌ، فرد الله تعالى ذلك عليهم بقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ...﴾ الآية، فبين ما كان هداية وما كان سفهاً.

وحاصل ما ذكر في المناسبة: أن اليهود والنصارى زعموا أن إبراهيم والأنبياء الذين ذُكروا معه كانوا يهوداً أو نصارى، وقد كانت قِبْلَةُ الأنبياء بيتَ المقدس، وكان ﷺ وهو بمكة يستقبل بيت المقدس، فلما أمر ﷺ بالتوجه إلى الكعبة المشرفة.. طعن اليهود في رسالته، واتخذوا ذلك ذريعةً للنيل من

---

(١) البحر المحيط.

الإسلام، وقالوا: لقد اشتاق محمد إلى مولده، وعن قريب يرجع إلى دين قومه، فأخبر الله رسوله الكريم ﷺ بما سيقوله السفهاء، ولقَّنه الحجة الدامغة؛ ليرد عليهم ويوطن نفسه على تحمل الأذى منهم عند مفاجأة المكروه، وكان هذا الإخبار قبل تحويل القبلة معجزةً له عليه الصلاة والسلام.

أسباب النزول

قوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ...﴾ إلى آخر الآية. قال ابن إسحاق: حدثني إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي خالد، عن أبي إسحاق، عن البراء رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلي نحو بيت المقدس ويُكثر النظر إلى السماء ينتظر أمر الله، فأنزل الله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ﴾، فقال رجال من المسلمين: وددنا لو علمنا علم من مات قبل أن نُصرف إلى القبلة، وكيف بصلاتنا قبل بيت المقدس، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ﴾، وقال السفهاء من الناس: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فأنزل الله: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ...﴾ إلى آخر الآية.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ﴾ قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا أبو نعيم، سمع زهيراً، عن أبي إسحاق، عن البراء رضي الله عنه: أن النبي ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَلَ البيت، وأنه صلى ـ أو صلاها ـ صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه، فمرَّ على أهل المسجد وهم راكعون قال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قِبَلَ مكة، فداروا كما هم قِبَلَ البيت، وكان الذي مات على القبلة قبل البيت رجال قُتلوا، فلم نَدْرِ ما نقول فيهم؛ فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ...﴾ الآية، أخرج البخاري أيضاً رحمه الله تعالى في «صحيحه» قال: حدثنا عبد الله بن

رجاء، قال: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب، قال: (كان رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يوجه إلى الكعبة، فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ فتوجه نحو الكعبة، وقال السفهاء من الناس وهم اليهود: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ فصلى مع النبي ﷺ رجل، ثم خرج بعدما صلى، فمر على قوم من الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس، فقال هو: يشهد أنه صلى مع رسول الله ﷺ، وأنه توجه نحو الكعبة، فتحرف القوم نحو الكعبة).

وأخرج هذا الحديث أيضاً الترمذي، وابن ماجه، والإمام أحمد، والدارقطني، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير»، وابن سعد في «الطبقات»، وعندهما زيادة: (وقال السفهاء من الناس: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟) فأنزل الله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾. وأخرجه مسلم أيضاً من حديث أنس.

التفسير وأوجه القراءة

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾؛ أي: الجهال الذين خفت أحلامهم، وضعفت عقولهم ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: من اليهود والمشركين والمنافقين و﴿السُّفَهَاءُ﴾: جمع سفيه، والسفيه[1]: من لا يميز ما له وما عليه، ويعدل عن طريق منافعه إلى ما يضره. ولا شك أن الخطأ في باب الدين أعظم مضرة منه في باب الدنيا، فيكون الكافر أولى بهذا الاسم، فلا كافر إلا وهو سفيه. وقيده[2] بالناس؛ لأن السفه كما يوصف به الناس يوصف به غيرهم من الحيوان والجماد، وكما ينسب القول إليهم حقيقة ينسب إلى غيرهم مجازاً، فرفع المجاز بقوله: ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ ذكره ابن عطيه وغيره.

---

(١) جمل. (٢) سمين.

وأتى[1] بسين الاستقبال في ﴿سَيَقُولُ﴾ مع مضي القول المذكور؛ لاستمرارهم عليه؛ بناءً على أن الآية متقدمة في تركيب المصحف متأخرة في النزول عن آية ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ كما ذكره ابن عباس وغيره. فمعنى ﴿سَيَقُولُ﴾: أنهم يستمرون على هذا القول إن كانوا قد قالوه. وحكمة الاستقبال أنهم كما قالوا ذلك في الماضي منهم أيضاً من يقوله في المستقبل. وقال البيضاوي كالسيوطي تبعاً لما في «الكشاف». والإتيان[2] بالسين الدالة على الاستقبال من الإخبار بالغيب هو ما عليه أكثر المفسرين.

وفائدة تقدم الإخبار به ـ أي: على المخبر عنه ـ توطين النفس، وإعداد الجواب. وقيل: فائدته أن مفاجأة المكروه أشد، والعلم به قبل وقوعه أبعد عن الاضطراب إذا وقع، وإعداد الجواب قبل الحاجة إليه أقطع للخصم، فقبل الرمي يراش السهم.

﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾؛ أي: أيُّ شيءٍ صرفَ النبي والمؤمنين وحوَّلَهم إلى الكعبة ﴿عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ﴾ أولاً وهي بيت المقدس. والقِبْلة: هي الجهة التي يستقبلها الإنسان، وإنما سميت قِبْلةً؛ لأن المصلي يقابلها وهي تقابله. والاستفهام هنا للإنكار؛ أي: أيُّ شيء، وأيُّ سبب اقتضى انصرافهم عن قبلتهم التي كانوا عليها التي هي قبلة الأنبياء والمرسلين؛ أي: لا سبب يقتضي ذلك، وإنما هو من تشهيهم وتصرفهم برأيهم. ومحصل الجواب المذكور بقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ﴾ إلخ بيان السبب المقتضي لذلك، وهو: إرادة المالك المختار.

﴿قُل﴾ لهم يا محمد: ﴿لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ﴾؛ أي: جميع الجهات من المشارق، والمغارب، وما بينهما كلها لله ملكاً، والخلق عبيده. لا يختص به مكان دون مكان، وإنما العبرة بامتثال أمره، لا بخصوص المكان، يكلف عباده أن يستقبلوا بما شاء منها، وأن تجعل قبلة لهم، فلا اعتراض عليه. ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ هدايته ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: إلى طريق قويم، موصل إلى سعادة

(١) جمل. (٢) جمل.

الدارين، وهو ما ترتضيه الحكمة، وتقتضيه المصلحة من التوجه إلى بيت المقدس تارة، وإلى الكعبة أخرى.

والظاهر: أن الصراط المستقيم هو ملة الإسلام وشرائعه، فالكعبة من بعض مشروعاته. والإشارة في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ راجعة إلى مفهوم الآية المذكورة قبله؛ أي: كما جعلناكم معديين إلى الصراط المستقيم، أو هديناكم إلى قبلة هي أوسط القبل، أو جعلنا قِبلتكم أفضل القبل ﴿جَعَلْنَٰكُمْ﴾ يا أمة محمد ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾؛ أي: أمة خياراً عدولاً ممدوحين بالعلم والعمل. ﴿لِّتَكُونُوا۟﴾؛ أي: لكي تكونوا يوم القيامة ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: على الأمم الماضية بأن رسلهم قد بلغتهم رسالات ربهم؛ وذلك[1] لأن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، ثم يقول لكفار الأمم: ألم يأتكم نذير؟ فينكرون ويقولون: ما جاءنا من نذير، فيسأل الله الأنبياء عن ذلك، فيقولون: كذبوا قد بلغناهم، فيسألهم البينة - وهو أعلم بهم - إقامة للحجة، فيقولون: أمة محمد تشهد لنا، فيؤتى بأمة محمد ﷺ، فيشهدون لهم بأنهم قد بلغوا فتقول الأمم الماضية: من أين علموا وإنما أتوا بعدنا؟ فيسأل الله تعالى هذه الأمة، فيقولون: أرسلت إلينا رسولاً، وأنزلت علينا كتاباً أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل، وأنت صادق فيما أخبرت، ثم يؤتى بمحمد ﷺ، فيُسأل عن حال أمته، فيزكيهم ويشهد بصدقهم.

وأخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجاء بنوح وأمته يوم القيامة، فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم أي رب، فيسأل أمته هل بلَّغكم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير، فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيجاء بكم، فتشهدون، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾». زاد الترمذي «وسطاً عدولاً». ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾؛ أي: يشهد بعدالتكم، وعلى صدقكم في شهادتكم على الأمم

---

(١) الخازن.

الماضية، فهو معطوف على ﴿لِتَكُونُوا﴾ يعني[1]: أن الرسول يزكيكم في شهادتكم على الأمم السابقة أن أنبياءهم بلّغوهم، وعلى هذا تكون ﴿عَلَى﴾ بمعنى اللام؛ أي: يكون شاهداً لكم؛ أي: مزكياً لكم شاهداً بعدالتكم.

وأخرت[2] صلة الشهادة أولاً، وقدمت آخراً؛ لأن المراد في الأول: إثبات شهادتهم على الأمم، وفي الآخر: اختصاصهم بكون الرسول شهيداً عليهم.

وقيل[3]: معنى قوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أنه ﷺ إذا ادعى على أمته أنه بلغهم.. تقبل منه هذه الدعوى، ولا يطالب بشهيد يشهد له، فسميت دعواه شهادة من حيث قَبولها، وعدمِ توقفها على شيء آخر، بخلاف سائر الأنبياء لا تقبل دعواهم على أممهم إلا بشهادة الشهود، وهم هذه الأمة ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ﴾؛ أي: وما صيرنا لك القبلة الآن بعد الهجرة الجهة ﴿الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾؛ أي: كنت على استقبالها أولاً في مكة قبل الهجرة، وتلك الجهة الكعبة، فـ﴿القبلة﴾: هو المفعول الثاني لـ﴿جعل﴾ مقدماً، و﴿التي﴾ صفة لموصوف محذوف؛ أي: الجهة التي كنت عليها، وهذا هو المفعول الأول مؤخراً، وجعل: بمعنى صير، والتقدير: وما صيرنا الجهة التي كنت عليها أولاً قبل الهجرة ـ وهي الكعبة ـ القبلة الآن؛ أي: بعد نسخ استقبال بيت المقدس؛ أي: وما جعلنا قبلتك الأولى قبلة لك ثانياً؛ أي: ما حولناك ورجعناك إليها ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾؛ أي: إلا لنعاملهم معاملة مَنْ يمتحنهم، ونعلم حينئذ مَنْ يتبع الرسول محمداً ﷺ في التوجه إلى ما أُمر به ـ وهو الكعبة ـ ويصدقه، ممن ينقلب ويرجع إلى الكفر مرتداً، وراجعاً على عقبيه شكّاً في الدين، وظناً منه أن النبي ﷺ في حيرة من أمره، وكان ﷺ يصلي إلى الكعبة قبل الهجرة، فلما هاجر أمر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس تألفاً لليهود، فصلى إليها سبعة عشر شهراً، ثم حول إلى الكعبة، وارتد قوم من المسلمين إلى اليهودية، وقالوا: رجعَ محمد إلى دين آبائه. وقرأ الزهري: ﴿ليُعلَم﴾ بالبناء للمفعول وقرىء: ﴿على

---

(1) كرخي بتصرف.
(2) نسفي.
(3) مراح.

عقْبيه﴾ بسكون القاف، وهي لغة تميم، وكلا القراءتين شاذتان. ﴿وَإِن﴾؛ أي: وإنها ﴿كَانَتْ﴾؛ أي: التولية إلى الكعبة ﴿لَكَبِيرَةً﴾؛ أي: لشاقة على الناس ثقيلة عليهم. وقرأ[1] اليزيدي شذوذاً: ﴿لكبيرةٌ﴾ بالرفع، وخرج ذلك الزمخشري على زيادة ﴿كَانَتْ﴾ والتقدير: وإن هي لكبيرة، وهذا ضعيف؛ لأن كان الزائدة لا عمل لها، وهنا اتصل بها الضمير فعملت فيه، ولذلك استكن فيها وقرأ الجمهور ﴿لَكَبِيرَةً﴾ بالنصب على أن تكون خبر ﴿كَانَتْ﴾.

﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ منهم؛ أي: هداهم ووفقَّهم لاتّبَاع الرسول، وهم الثابتون على الإيمان ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾؛ أي: تصديقكم بالقِبْلة الأولى المنسوخة، وصلاتكم إليها؛ أي: لا يجعل صلاتكم إليها ضائعاً غير محسوب لكم، بل يثيبكم عليها؛ لأن سبب نزولها: السؤال عمن مات قبل التحويل. وذلك[2] أن حيي بن أخطب وأصحابه من اليهود قالوا للمسلمين: أخبرونا عن صلاتكم إلى بيت المقدس، إن كانت على هدى فقد تحولتم عنه، وإن كانت على ضلالة فقد دنتم الله بها مدة، ومن مات عليها فقد مات على ضلالة، فقال المسلمون: إنما الهدى فيما أمر الله به، والضلالة فيما نهى الله عنه. قالوا: فما شهادتكم على من مات منكم على قِبْلتنا وكان قد مات قبل أن تحول القبلة إلى الكعبة: أسعد بن زرارة من بني النجار، والبراء بن مغرور من بني سلمة وكانا من النقبا ورجال آخرون؟ فانطلقت عشائرهم إلى النبي ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، قد صرفك الله إلى قبلة إبراهيم، فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾؛ يعني: صلاتكم إلى بيت المقدس. وقرأ الضحاك ﴿ليضَيِّع﴾ بفتح الضاد، وتشديد الياء، مضاعف ضاع، وهي قراءة شاذة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ﴾ أي: بالمؤمنين ﴿لَرَءُوفٌ﴾؛ أي: لمنعم لهم بجلائل النعم. ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم بدقائقها. وهذه الجملة جارية مجرى التعليل لما قبلها؛ أي: للطف رأفته، وسعة رحمته، لا يضيع إيمان من آمن، ولا عمل من عمل صالحاً.

---

(١) البحر المحيط. (٢) الخازن.

وقرأ[1] الحِرْمِيَّان وابنُ عامر وحفص ﴿لَرَءُوفٌ﴾ مهموزاً على وزن فَعُول بالمد، حيث وقع في القرآن. قال الشاعر:

نُـطِـيْـعَ رَسُـولَـنَـا وَنُـطِـيْـعُ رَبَّـاً هُـوَ ٱلـرَّحْـمَـنُ كَـانَ بِـنَـا رَؤُوْفَـا

وقرأ باقي السبعة: ﴿لرؤف﴾ مهموزاً بالقصر على وزن فعل. وقرأ أبو جعفر ابن القعقاع: ﴿لروف﴾ مثقّلاً بغير همز. و﴿الرءوف﴾: كثير الرأفة، وهي أشد من الرحمة[2]، وقيل: الرأفة أخص من الرحمة، وقيل: الرأفة الرحمة، وقيل في الفرق بين الرأفة والرحمة: أن الرأفة: مبالغة في رحمة خاصة، وهي دفع المكروه، وإزالة الضرر، وأما الرحمة: فإنها اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى، ويدخل فيه أيضاً جميع الإفضال والإنعام، فذكر الله الرأفة أولاً؛ بمعنى أنه لا يضيع أعمالهم، ثم ذكر الرحمة ثانياً؛ لأنها أعم وأشمل.

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ قال القرطبي في «تفسيره»: قال العلماء: هذه الآية مقدمة في النزول على قوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ و﴿قد﴾ هنا للتحقيق، أو للتكثير؛ أي: حقاً نرى تحول وجهك إلى السماء، وتردد نظرك في السماء طالباً قبلة غير التي أنت مستقبلها، أو كثيراً نرى تصرف نظرك في جهة السماء انتظاراً وتطلعاً للوحي؛ وذلك أن رسول الله ﷺ كان يترجى من ربه أن يحوله إلى الكعبة؛ لأنها قبلة إبراهيم أبيه، وأَدْعَىٰ للعرب إلى الإيمان؛ لأنها مفخرة لهم، ولمخالفة اليهود، فكان ينتظر نزول جبريل بالوحي بالتحويل، وذلك يدل على كمال أدبه حيث انتظر ولم يسأل ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾؛ أي: فلَنحولنك في الصلاة إلى قِبْلَةٍ تحبها وتهواها لأغراضك الصحيحة التي أضمرتها في قلبك ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾؛ أي: فاصرف جملة بدنك ﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾؛ أي: تلقاء الكعبة، وفي حرف[3] عبد الله شذوذاً: ﴿فول وجهك تلقاء المسجد الحرام﴾؛ أي: استقبل عينها بصدرك في الصلاة إن كنت قريباً، واستقبل جهتها

---

(١) البحر المحيط.
(٢) الخازن.
(٣) **حرف**: قراءة.

إن كنت بعيداً. وإنما ذكر المسجد دون الكعبة لأنه ﷺ كان في المدينة. والبعيد يكفيه مراعاة الجهة، فإن في استقبال عينها حرجاً عليه بخلاف القريب، وقد حكى القرطبي الإجماع على أن استقبال عين الكعبة فرض على المعاين، وعلى أن غير المعاين يستقبل الناحية. والمراد بالمسجد الحرام هنا: الكعبة كما هو في أكثر الروايات، وقال آخرون: المراد بالمسجد الحرام: جميع المسجد الحرام، وقال آخرون: المراد به الحرم كله.

وقال القرطبي: روى ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «البيت قبلة لأهل المسجد، والمسجد قبلة لأهل الحرم، والحرم قبلة لأهل الأرض في مشارقها ومغاربها من أمتي».

﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾؛ أي: وفي أي موضع كنتم فيه يا أمة محمد، من بر أو بحر، مشرق أو مغرب، ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾؛ أي: فاصرفوا، وحولوا وجوهكم في الصلاة جهة المسجد الحرام الذي هو بمعنى الكعبة. خص[1] الرسول أولاً بالخطاب تعظيماً له، وإيجاباً لرغبته، ثم عمم تصريحاً بعموم الحكم، وتأكيداً لأمر القبلة، وتحضيضاً للأمة على المتابعة.

وقال[2] ابن كثير: أمر تعالى باستقبال الكعبة من جميع جهات الأرض شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً، ولا يستثنى من هذا شيء سوى النافلة في حال السفر، فإنه يصليها حيث ما توجه قالبه، وقلبُه نحو الكعبة، وكذا في حال المسايفة في القتال يصلي على كل حال، وكذا مَنْ جَهِلَ جهة القبلة يصلي باجتهاده وإن كان مخطئاً في نفس الأمر؛ لأن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها. انتهى.

وأخرج الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما دخل النبي ﷺ البيت دعا في نواحيه كلها، ولم يصل حتى خرج منه، ولما خرج ركع ركعتين قبل الكعبة، وقال: «هذه القبلة؛ يعني: أن أمر القبلة قد استقر على هذا البيت، فلا ينسخ بعد اليوم، فصلوا إلى الكعبة أبداً، فهي قبلتكم».

---

(١) بيضاوي. (٢) ابن كثير.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آتٍ فقال: إن النبي ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل القبلة، فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة) متفق عليه.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ من قبلكم؛ يعني: أحبار اليهود، وعلماء النصارى ﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾؛ أي: أن التولي والتحويل إلى الكعبة هو ﴿ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: الأمر الثابت ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾ لمعاينتهم لما هو مسطور في كتبهم من أنه ﷺ يصلي إلى القبلتين، ولكن يكتمونه ﴿وَمَا ٱللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى: ﴿بِغَـٰفِلٍ﴾؛ أي: بساه ﴿عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء إما خطاباً للمؤمنين؛ أي: وما الله بساه عما تعملون أيها المسلمون من امتثال أمر القبلة. وقال[1] ابن عباس رضي الله عنهما: يريد: أنكم ـ يا معشر المؤمنين ـ تطلبون مرضاتي، وما أنا بغافل عن ثوابكم وجزائكم، فأنا أثيبكم على طاعتكم أفضل الثواب، وأجزيكم أحسن الجزاء. وإما خطاباً لأهل الكتاب؛ أي: وما الله بغافل عما تكتمون ـ يا أهل الكتاب ـ خبر الرسول، وخبر القبلة. وقرأ الباقون: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ بالياء على أنه راجع لأهل الكتاب؛ يعني: وما أنا بساه عما يفعل هؤلاء اليهود والنصارى، فأنا أجازيهم عليه في الدنيا والآخرة، فهو على هذا القول وعلى القول الثاني: وعد للكافرين، وتهديد لهم بالعقاب على الجحود والإباء، وعلى القول الأول: وعد للمؤمنين بالثواب على القبول والأداء.

الإعراب

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾.

﴿سَيَقُولُ﴾: ﴿السين﴾: حرف تنفيس واستقبال، ﴿يقول السفهاء﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾: جار ومجرور، حال من ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾. ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ...﴾: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿مَآ﴾: استفهامية في محل الرفع

(١) خازن.

مبتدأ، ﴿ولاَّهم﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَآ﴾، ﴿عَن قِبْلَتِهِمُ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بولّىٰ، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب مقول لـ﴿سَيَقُولُ﴾، ﴿ٱلَّتِى﴾: اسم موصول في محل الجر، صفة للقبلة. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿عَلَيْهَآ﴾ جار ومجرور، خبر (كان)، وجملة (كان) صلة الموصول، والعائد ضمير ﴿عَلَيْهَآ﴾.

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿قُل﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد ﷺ، والجملة مستأنفة. ﴿لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿لِّلَّهِ﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿ٱلْمَشْرِقُ﴾: مبتدأ مؤخر، ﴿وَٱلْمَغْرِبُ﴾: معطوف عليه، والجملة الاسمية في محل النصب مقول لـ﴿قُل﴾. ﴿يَهْدِى﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة في محل النصب حال من لفظ الجلالة. ﴿مَن﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول ﴿يَهْدِى﴾، ﴿يَشَآءُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة صلة ﴿مَن﴾ الموصولة، والعائد محذوف، تقديره: يشاء هدايته. ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: جار ومجرور، صفة متعلق بـ﴿يَهْدِى﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ﴿الواو﴾ استئنافية. ﴿كذلك﴾: جار ومجرور، صفة لمصدر محذوف. ﴿جَعَلْنَٰكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول. ﴿أُمَّةً﴾. مفعول ثان. ﴿وَسَطًا﴾: صفة لـ﴿أُمَّةً﴾، والتقدير: وجعلناكم أمة وسطاً جعلاً كائناً كجَعْلِنا إياكم على صراط مستقيم؛ لأن معنى ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يجعل من يشاء على صراط مستقيم.

﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾.

﴿لِّتَكُونُوا۟﴾: (اللام): لام كي. ﴿تكونوا﴾: فعل ناقص، واسمه منصوب بأن مضمرة بعد لام كي. ﴿شُهَدَآءَ﴾: خبر ﴿تكونوا﴾. ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿شُهَدَآءَ﴾، وجملة (تكونوا): صلة ﴿أن﴾ المضمرة، ﴿أن﴾ مع صلتها في

تأويل مصدر مجرور بلام كي، والجار والمجرور متعلق بـ(جعلنا)، والتقدير: جعلناكم أمة وسطاً لكونكم شهداء على الناس. ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ ﴿وَيَكُونَ﴾ ﴿الواو﴾ عاطفة. ﴿يكون﴾: معطوف على (تكونوا). ﴿ٱلرَّسُولُ﴾: اسمه. ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾: جار ومجرور متعلق بقوله: ﴿شَهِيدٗاۗ﴾، وهو خبر لـ﴿يكون﴾.

﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ﴾.

﴿وَمَا جَعَلۡنَا﴾ ﴿الواو﴾ استئنافية. ﴿ما﴾: نافية ﴿جَعَلۡنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿ٱلۡقِبۡلَةَ﴾: مفعول ثانٍ مقدم. ﴿ٱلَّتِي﴾: اسم موصول في محل النصب، صفة لمحذوف هو المفعول الأول، والتقدير: وما جعلنا الجهة التي كنت على استقبالها أولاً قبل الهجرة ـ وهي الكعبة ـ القبلة لك الآن بعد نسخ بيت المقدس إلا لنعلم.. إلخ. وجملة ﴿جَعَلۡنَا﴾ من الفعل والفاعل مستأنفة. ﴿كُنتَ﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿عَلَيۡهَآ﴾: خبر كان، وجملة (كان): صلة الموصول، والعائد ضمير ﴿عَلَيۡهَآ﴾. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿لِنَعۡلَمَ﴾: (اللام)، لام كي. ﴿نعلم﴾: منصوب بأن مضمرة، وفاعله ضمير يعود على الله، وهو بمعنى (عرف) يتعدى لمفعول واحد، والجملة صلة (أن) المضمرة، (أن) مع صلتها في تأويل مصدر مجرور باللام؛ تقديره: إلا لعلمنا من يتبع، الجار والمجرور متعلق بـ﴿جَعَلۡنَا﴾. ﴿مَن﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول ﴿لِنَعۡلَمَ﴾، ﴿يَتَّبِعُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على (مَنْ)، والجملة صلة ﴿مَنْ﴾ الموصولة، والعائد ضمير الفاعل. ﴿ٱلرَّسُولَ﴾: مفعول لـ﴿يتبع﴾. ﴿مِمَّن﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿نعلم﴾، ﴿يَنقَلِبُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَنْ﴾، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الفاعل. ﴿عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بمحذوف حال من فاعل ﴿يَنقَلِبُ﴾.

﴿وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ﴾.

﴿وَإِن﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿إن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن؛ تقديره: وإنها، أي: القصة. ﴿كان﴾ فعل ناقص واسمها ضمير يعود على

القصة أيضاً. ﴿لَكَبِيرَةً﴾: (اللام): فارقة بين (إن) المخففة والنافية، ﴿كبيرة﴾ خبر كان، والجملة مستأنفة. ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلق بكبيرة. فإن[1] قلت: لم يتقدم هنا نفي ولا شبهه، وشرط الاستثناء المفرغ تقدم شيء من ذلك.. قلت: إن الكلام وإن كان موجباً لفظاً، فإنه في معنى النفي؛ إذ المعنى إنها لا تخفُّ ولا تسهل إلا على الذين ﴿هَدَى ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف؛ تقديره: هداهم الله.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾ استئنافية. ﴿ما﴾ نافية. ﴿كَانَ ٱللَّهُ﴾ فعل ناقص واسمه. ﴿لِيُضِيعَ﴾: (اللام): حرف جر وجحود. (يضيع): فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد لام الجحود، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿إِيمَٰنَكُمْ﴾: مفعول به، ومضاف إليه. والجملة الفعلية صلة (أن) المضمرة، (أن) مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بلام الجحود، ولام الجحود متعلقة بمحذوف خبر كان؛ تقديره: وما كان الله مريداً لإضاعة إيمانكم، وجملة ﴿كَانَ﴾: مستأنفة. وهذا الإعراب على مذهب البصريين ويدل لمذهبهم التصريح بالخبر المحذوف في قوله:

سَمَوْتَ وَلَمْ تَكُنْ أَهْلاً لِتَسْمُوْ

وأما على مذهب الكوفيين: فالام وما بعدها في محل الخبر، ولا يقدِّرون شيئاً، وإنّ (اللام) للتأكيد. وقد أشبعتُ الكلام على لام الجحود بإعرابها على كلا المذهبين في كتابي «الخريدة البهية في إعراب أمثلة الأجرومية» فراجعه إن شئت.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿ٱللَّهَ﴾ اسمها. ﴿بِٱلنَّاسِ﴾: جار ومجرور تنازع فيه ما بعده. ﴿لَرَءُوفٌ﴾ (اللام): لام الابتداء. ﴿رءوف﴾: خبر أول لـ﴿إِنَّ﴾.

---

(١) جمل.

﴿رَّحِيمٌ﴾ خبر ثان لها، والجملة مستأنفة بمنزلة التعليل لما قبلها.

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق أو تكثير. ﴿نَرَىٰ﴾: فعل مضارع، وهي بصرية، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿تَقَلُّبَ﴾: مفعول به، وهو مضاف ﴿وَجْهِكَ﴾: (وجه): مضاف إليه وهو مضاف، و﴿الكاف﴾ مضاف إليه، والجملة مستأنفة وهي في المعنى علة ثانية لقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ﴾ إلخ؛ أي: إنما حولنا القبلة؛ لنعلم... الخ، ولأنا نرى... الخ. ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تَقَلُّبَ﴾، وقال أبو البقاء: ولو جعل حالاً من الوجه لجاز ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾: (الفاء): عاطفة سببية (اللام): موطئة لقسم محذوف جوازاً؛ تقديره: وعزتي وجلالي لنولينك. (نولين): فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم معطوفة على جملة قوله ﴿قَدْ نَرَىٰ﴾ و(الكاف): مفعول أول لـ(نولي) ﴿قِبْلَةً﴾: مفعول ثان. ﴿تَرْضَىٰهَا﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة الفعلية في محل النصب صفة لـ﴿قِبْلَةً﴾. ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾: (الفاء): عاطفة تفريعية. (ولّ): فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة معطوفة على جملة القسم. ﴿وَجْهَكَ﴾: مفعول أول ومضاف إليه. ﴿شَطْرَ﴾: مفعول ثان وهو مضاف. ﴿ٱلْمَسْجِدِ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلْحَرَامِ﴾: صفة له.

﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾.

﴿وَحَيْثُ﴾: ﴿الواو﴾ استئنافية. ﴿حيث﴾ اسم شرط جازم في محل النصب على الظرفية المكانية، والظرف متعلق بـ﴿كُنتُمْ﴾. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل وفاعل في محل الجزم بـ﴿حيثما﴾ على كونه فعل شرط لها. ﴿فَوَلُّوا۟﴾ ﴿الفاء﴾ رابطة لجواب حيثما وجوباً؛ لكون الجواب جملة طلبية ﴿ولوا﴾ فعل أمر وفاعل مبني على حذف النون، والجملة الفعلية في محل الجزم بـ﴿حيثما﴾ على كونها جواب شرط

لها. وجملة ﴿حيثما﴾ مِنْ فعل شرطها وجوابها مستأنفة. ﴿وُجُوهَكُمْ﴾: مفعول أول ومضاف إليه. ﴿شَطْرَهُۥ﴾: مفعول ثان ومضاف إليه.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَإِنَّ﴾: ﴿الواو﴾ استئنافية: (إن) حرف نصب. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسمها. ﴿أُوتُوا۟﴾: فعل ماض مغير ونائب فاعل، وهو بمعنى أعطى يتعدى لمفعولين والأول منهما نائب الفاعل. ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول ثان، وجملة ﴿أُوتُوا۟﴾: صلة الموصول، والعائد ضمير الغائب. ﴿لَيَعْلَمُونَ﴾: (اللام): لام الابتداء. ﴿يعلمون﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر إن، وجملة ﴿إن﴾: مستأنفة. ﴿أَنَّهُ﴾: ﴿أن﴾ حرف نصب ومصدر. و﴿الهاء﴾: اسمها. ﴿ٱلْحَقُّ﴾: خبرها، وجملة ﴿أن﴾ في تأويل مصدر سادّ مسد مفعولي علم؛ تقديره: ليعلمون حقِيَّة التولي. ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بمحذوف حال من الحق؛ تقديره: حال كونه كائناً من ربهم ﴿وَمَا ٱللَّهُ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية ﴿ما﴾: حجازية. ﴿ٱللَّهُ﴾: اسمها. ﴿بِغَٰفِلٍ﴾: (الباء) زائدة. ﴿غافل﴾: خبر ﴿ما﴾ منصوب ﴿عَمَّا﴾: ﴿عن﴾ حرف جر. ﴿ما﴾: مصدرية، أو موصولة، أو موصوفة. ﴿يَعْمَلُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة ﴿ما﴾ المصدرية، ﴿ما﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بـ(عن)؛ تقديره: عن عملهم، الجار والمجرور متعلق بـ﴿غافل﴾، أو الجملة صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة، أو صفة للموصوفة، والعائد أو الرابط محذوف؛ تقديره: يعملونه، وجملة ﴿ما﴾ الحجازية مستأنفة.

التصريف ومفردات اللغة

﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾ جمع سفيه، ككرماء جمع كريم، والسفيه: هو الكذاب البهات المعتمد خلاف ما يعلم. كذا قال بعض أهل اللغة، وقال في «الكشاف»: هم خفاف الأحلام، ومثله في «القاموس».

﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾ يقال: ولاه عن الشيء يوليه إذا صرفه وحوله عنه، من باب فعل

المضاعف، كزكى تزكية. ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ يقال: شرقت الشمس تشرق ـ من باب نصر ـ شرقاً ومشرقاً، وهذا مشرق الشمس؛ أي: مكان شروقها، بالكسر على الشذوذ في المصدر والظرف كليهما، وقياسه: فتح مصدره وظرفه جميعاً، ويقال: غربت الشمس تغرب ـ من باب نصر ـ غرباً ومغرباً، وهذا مغرب الشمس؛ أي: مكان غروبها، بالكسر على الشذوذ فيهما، وقياسه: فتح مصدره وظرفه معاً.

﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾: الوسط: الخيار أو العدل. وقد ثبت عن النبي ﷺ في حديث رواه الترمذي كما مر في مبحث المناسبة تفسير الوسط هنا بالعدل، فوجب الرجوع إلى ذلك. ومنه قول الراجز:

لاَ تَذْهَبَنَّ فِيْ الأُمُوْرِ مُفْرِطَا لاَ تَسْأَلَنَّ إِنْ سَأَلْتَ شَطَطَا
وَكُنْ مِنَ ٱلنَّاسِ جَمِيْعَاً وَسَطَا

والآية تحتمل المعنيين، ومما يحتملها قول الأخر:

هُمْ وَسَطٌ تَرْضَىٰ ٱلأَنَامُ بِحُكْمِهِمْ إِذَا نَزَلَتْ إِحْدَىٰ ٱللَّيَالِيْ بِمُعَظَّمِ

ولما كان الوسط مجانباً للغلو والتقصير.. كان محموداً؛ أي: هذه الأمة لم تغل غلو النصارى في عيسى، ولا قصّروا تقصيرَ اليهود في أنبيائهم.

﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: جمع شهيد من الشهادة. وقد اختص هذا اللفظ في عرف الشرع بمن يخبِر عن حقوق الناس بألفاظٍ مخصوصةٍ على جهات.

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: و﴿نَرَىٰ﴾: هنا مضارعٌ بمعنى الماضي، وقد ذكر بعض النحويين أن مما يصرف المضارع إلى الماضي ﴿قَدْ﴾ في بعض المواضع، ومنه ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾، ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ﴾، ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾. ويقال: تَقَلَّب تقلُّباً ـ من باب تفعَّل ـ إذا تحول عن وجهه، وتقلب على فراشه إذا تحول من جانبٍ إلى جانبٍ آخر، وتقلب في الأمور إذا تصرف فيها، وانتقل من أمرٍ إلى غيره.

﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ﴾: الشطر يكون بمعنى النصف من الشيء والجزء منه. ومنه

حديث: «الطهور شطر الإيمان»، ويكون بمعنى الجهة والنحوِ كما هنا. ويقال: شطر ـ من باب دخل ـ شطوراً إذا بَعُدَ. وشَطرت الدار إذا بَعُدت، ومنه الشاطر؛ وهو الشابّ البعيد من الجيران الغائب عن منزله يجمع على شطر، والابن الشاطر هو الذي عصى أباه، وعاش في الخلاعة بعيداً عنه، ثم عاد إليه ثانياً، والشطر أيضاً الجهة والناحية، يجمع على أشطر وشطور، ومنه شطر شطره إذا قصد قصده، ومنه: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ﴾؛ أي: تلقاءه.

﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾: وأصلُ ولُّوا: وليوا، استثقلت الضمة على الياء فحذفت، فالتقى ساكنان فحذف أولهما وهو الياء، وضم ما قبله لتجانس الضمير، فوزنه فعوا.

البلاغة

﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾؛ أي: على استقبالها، أو على اعتقادها، ففيه إيجازٌ بالحذفِ، والاستعلاء في قوله: ﴿عليها﴾ فيه مجاز بالاستعارة حيث شبه مواظبتهم على المحافظة عليها باستعلاء من استعلى على الشيء.

﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾؛ أي: خياراً عدولاً، فالوسط مستلزِم للخيار والعدول، فأطلق الملزوم وأراد اللازم، فيكونان استعارةً. وأصل الوسط: مكانٌ تستوي إليه المساحة من سائر الجوانب، ثم استعير للخصال المحمودة، ثم أطلق على المتصِف بها.

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾: والالتفات من الخطاب إلى الغيبة في قوله: ﴿ٱلرَّسُولَ﴾ مع إيراده عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة للإشعار بعلة الإتباع. قاله أبو السعود.

﴿يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾: فيه استعارةٌ تمثيليةٌ حيث مثل لمن يرتدّ عن دينه بمن ينقلب على عقبيه. أفاده الفخر الرازي.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: ولما كان نفي الجملة السابقة مبالغاً فيها من حيث لام الجحود.. ناسب إثبات الجملة الخاتمة مبالغاً فيها، فبولغ فيها بإن

وباللام، وبالوزن على فعول وفعيل، كل ذلك إشارةً إلى سَعَة الرحمة، وكثرة الرأفة، وتقدم المجرور اعتناءً بالمرؤوف بهم، وتأَخرَ الوصف بالرحمة رعاية للفاصلة؛ لأنها على الميم، والفاصلة: هي الكلمة آخرَ الآيةِ كقافيةِ الشعرِ، وقرينة السجع، وسميت بالفاصلة أخذاً من قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ وهي هنا قوله سابقاً: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، وهنا: ﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾: والوجه[1] هنا قيل: أُريد به مدلول ظاهره. قال قتادة والسدي وغيرهما: (كان رسول الله ﷺ يقلب وجهه في الدعاء إلى الله تعالى أن يحوِّله إلى قبلة مكة)، وقيل: كُنِّي بالوجه عن البصر؛ لأنه أشرف، وهو المستعمل في طلب الرغائب. تقول: بذلت وجهي في كذا، وهو من الكناية بالكل عن الجزء. وفي قوله: ﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ مجازٌ مرسل من إطلاق اسم الكل على الجزء إن قلنا المراد منه الكعبة كما علله الأكثرون.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

---

(١) البحر المحيط.

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ...﴾ الآيات، مناسبتها[1] لما قبلها: أنه تعالى لمّا ذكر لنبيه ﷺ ما يقوله السفهاء من اليهود عند تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، وأمر رسوله ﷺ بأن يتوجه في صلاته نحو الكعبة، وأعلمه أنهم يعلمون أنه الحق وهم يكتمونه، ولا يرتبون على العلم به مقتضاه.. سلاّه ﷺ عن قبولهم الحق بأنهم قد انتهوا في العناد وإظهار المعاداة إلى رتبةٍ لو جئتهم فيها بجميع المعجزات التي كل معجزة منها تقتضي قبول الحق.. ما تبعوك، ولا سلكوا طريقك، وإذا كانوا لا يتبعونك مع مجيئك لهم بجميع المعجزات.. فأحرى أن لا يتبعوك إذا جئتهم بمعجزةٍ واحدة، والمعنى بكل آيةٍ يدل على أن توجهك إلى الكعبة هو الحق.

التفسير وأوجه القراءة

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾؛ أي: وعزّتي وجلالتي لَئِن جئتَ يا محمدُ

(١) البحر المحيط بتصرف.

اليهودَ والنصارى الذين أعطوا التوراة والإنجيل ﴿بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾؛ أي: بكل حجةٍ قطعيةٍ دالةٍ على صدقك في أنَّ تحولك بأمرٍ من الله، وذلك[1] بأنّهم قالوا: ائتنا بآيةٍ على ما تقول، فأنزل الله هذه الآية: ﴿مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَۚ﴾ الكعبة، وما دخلوا في دينك، والجملة جواب القسم المحذوف، والقسم وجوابه سادٌّ مسدَّ جواب الشرط؛ وذلك لأن تركهم اتباعك ليس عن شبهةٍ تزيلها عنهم بإيراد الحجة والمعجزة عليهم، إنما هو عن مكابرةٍ وعنادٍ، مع علمهم بما في كتبهم من نعتك أنك على الحق، فهم معاندون جاحدون نبوتك مع العلم بها، ففي الآية تسليةٌ لرسول الله ﷺ عن إيمانهم، وترويحُ خاطره؛ لأنَّ هؤلاء لا تؤثر فيهم كل آية، ولا يرجعون إلى الحق وإن جاءهم بكل برهانٍ، فضلاً عن برهانٍ واحد ﴿وَمَآ أَنتَ﴾ يا محمدُ ﴿بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ﴾ وقرىء ﴿بتابعِ﴾ بالإضافةِ إلى ما بعدَه بلا تنوينٍ تخفيفاً؛ لأن اسم الفاعل المستكمِل لشروطِ العمل يجوز فيه الوجهان؛ أي: بتابعٍ قبلةِ اليهود والنصارى، وهذه الجملة خبرية، قيل معناها: النهي، وطلب الدوام على قبلته؛ أي: لا تتبع قبلتهم، ودُمْ على قبلتك التي حولناك إليها ـ وهي الكعبة ـ وإلا فهو معصومٌ عن اتِّباع قبلتهم بعدَ ورود الأمر بالتحول، وقيل معناها: بيانُ أن هذه القبلة باقيةٌ غيرَ منسوخةٍ، وقطعٌ لأطماعهم، فإنهم قالوا: لو ثَبَتَّ على قبلتنا لكنّا نرجو أنْ تكون صاحبنا الذي ننتظره تعزيراً له، وطمعاً في رجوعه إلى قبلتهم. وأفردَ القِبلة في قوله: ﴿قِبۡلَتَهُمۡۚ﴾ مع أن لهم قبلتين: قبلةً لليهود، وقبلة للنصارى مغايرةً لقبلة اليهود؛ لأنها وإن تعددت فهي في البطلان كالقبلةِ الواحدةِ. ﴿وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ﴾؛ أي: وما بعضُ أهلِ الكتاب اليهودِ والنصارى بتابعٍ قبلةَ البعضِ الآخر؛ أي: فإنهم وإن اتفقوا في التظاهر على النبي ﷺ مختلفونَ فيما بينهم، فلا اليهود تتبعُ قبلةَ النصارى، ولا النصارى تتبع قبلة اليهود، فقبلةُ اليهود بيت المقدس، وقبلة النصارى مطلع الشمس، وقبلة النبي ﷺ الكعبة، فلا يرجى توافقهم، كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلّب كلِّ حزبٍ فيما هو فيه، وذلك إشارةٌ إلى أن اليهود لا تتنصر، وإلى أنَّ النصارى لا

(١) الخازن.

تتهوَّد، وذلك لما بينهما من إفراط العداوة والتباغض، وقد رأينا اليهود والنصارى كثيراً ما يدخلون في ملة الإسلام، ولم نشاهد يهودياً تنصر، ولا نصرانياً تهود.

وفي «بدائع الفوائد» لابن القيم: قبلةُ أهل الكتاب ليست بوحي ولا توقيف من الله تعالى، بل بمشورةٍ واجتهادٍ منهم، أما النصارى: فلا ريب أنَّ الله سبحانه وتعالى لم يأمرهم في الإنجيل ولا في غيرِه باستقبالِ المشرقِ، وهم يُقرِّون بأنَّ قبلة المسيح عليه السلام قبلةُ بني إسرائيل وهي الصخرة، وإنما وضع لهم أشياخهم هذه القبلةَ وهم يعتذرون عنهم بأنَّ المسيحَ عليه السلام فوَّض إليهمُ التحليلَ والتحريم وشرع الأحكامِ، وأنَّ ما حلّلوه وحرّموه فقد حلّله هو وحرّمه في السماء، فهم واليهود متفقون على أنَ الله تعالى لم يشرع استقبال بيت المقدس على رسوله أبداً، والمسلمونَ شاهدون عليهم بذلك الأمر، وأما قبلة اليهود: فليس في التوراة الأمر باستقبالِ الصخرةِ البتة، وإنما كانوا ينصبون التابوت، ويصلون إليه حيث خرجوا، فإذا قدموا نصبوه على الصخرةِ وصلّوا إليه، فلما رُفع صلوا إلى موضعه، وهو الصخرة. انتهى.

ووقع في بعض كتب القصص[1]: أن قبلة عيسى عليه السلام كانت بيتَ المقدس، وبَعْد رَفْعِه ظهر بولس ودسَّ في دينهم دسائسَ، منها أنه قال: لقيتُ عيسى عليه السلام فقال لي: إن الشمس كوكبٌ أحبه يبلِّغ سلامي في كل يومٍ فَمُرْ قومي ليتوجهوا إليها في صلاتهم، ففعلوا ذلك.

﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم﴾؛ أي: وعزتي وجلالي لَئِن اتبعتَ يا محمدُ ـ فَرَضاً ـ أهواءهم وشهواتهم؛ أي: الأمورَ التي يهوونها، ويحبونها، ويطلبونها منك، ومنها: رجوعك إلى قبلتهم ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ والوحي من أمر القبلةِ بأنَّك لا تعود إلى قبلتهم، وأنَّ القبلةَ هي الكعبةُ، وأنَّ دينَ اللَّهِ هو الإسلامُ، وقيل[2] معناه: من بعد ما وصل إليك من العلم بأنَّ اليهود والنصارى مقيمون على باطلٍ وعنادٍ للحقِ ﴿إِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿إِذًا﴾ ولفظ ﴿إذا﴾ هنا

---

(١) جمل.

(٢) الخازن.

مؤكدة لجواب ارتبط بمتقدم، ولا عمل لها فهي زائدة بين إن وخبرها؛ أي: ﴿إنك﴾ يا محمد لو فعلتَ ذلك الاتباعَ على سبيلِ تقديرِ المُحال المستحيلِ وقوعه ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أنفسَهم بارتكابِ الظلمِ الفاحش. وأكَّد[١] تهديده وبالغ فيه تعظيماً للحث المعلومِ، وتحريضاً على اقتفائه، وتحذيراً من متابعةِ الهوى، واستفظاعاً لصدورِ الذنبِ عن الأنبياء.

ولزم الوقف على الظالمين؛ إذ لو وصل لصار ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ صفة للظالمين، وليس كذلك.

وقال الشوكاني[٢]: وفي قوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ إلى آخر الآية، من التهديد العظيم، والزجر البليغ ما تقشعر له الجلود، وترجف منه الأفئدة، وإذا كان الميل إلى أهوية المخالفين لهذه الشريعة الغراء والملة الشريفة من رسول الله ﷺ الذي هو سيد ولد آدم يوجب عليه أن يكون ـ وحاشاه ـ من الظالمين.. فما ظنك بغيره من أمته؟! وقد صان الله هذه الفرقة الإسلامية بعد ثبوت قدم الإسلام وارتفاع مناره عن أن يميلوا إلى شيء من هوى أهل الكتاب ولم تبق إلا دسيسة شيطانية، ووسيلة طاغوتية؛ وهو ميل بعض من تحمل حجج الله إلى هوى بعض طوائف المبتدعة؛ لما يرجوه من الحطام العاجل من أيديهم، أو الجاه لديهم إن كان لهم في الناس دولة، أو كانوا من ذوي الصولة، وهذا الميل ليس بدون ذلك الميل، بل اتباع أهوية المبتدعة تشبه اتباع أهوية أهل الكتاب، كما يشبه الماء الماء، والبيضة البيضة، والثمرة الثمرة، وقد تكون مَفْسدة اتباع أهوية المبتدعة أشد على هذه الملة من مفسدة اتباع أهويةِ أهل الملل، فإن المبتدعة ينتمون إلى الإسلام، ويظهرون للناس أنهم ينصرون الدين ويتبعون أحسنه، وهم على العكس من ذلك والضد لما هنالك، فلا يزالون ينقُلون مَنْ يميل إلى أهويتهم مِن بدعة إلى بدعة، ويدفعونه من شنعة إلى شنعة حتى يسلخوه من الدين، ويخرجوه وهو يظن أنه منه في الصميم، وأن الصراط الذي

---

(١) النهر.

(٢) بيضاوي.

هو عليه هو الصراط المستقيم، هذا إن كان في عداد المقصرين ومن جملة الجاهلين.

وإن كان من أهل العلم والفهم المميزين بين الحق والباطل.. كان باتباعه لأهوتيهم ممن أضله الله على علم، وختمَ على قلبه، وصار نقمةً على عباد الله، ومصيبةً صبّها الله على المقصرين؛ لأنهم يعتقدون أنه في علمه وفهمه لا يميل إلاّ إلى الحق، ولا يتبع إلاّ الصواب فيضلُّون بضلاله، فيكون عليه إثمه وإثم من اقتدى به إلى يوم القيامة. نسأل الله اللطف والسلامة والهداية. انتهى.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: أعطيناهم علم التوراة والإنجيل ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾؛ أي: يعرفون محمداً ﷺ معرفةً جليةً واضحةً، يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين الذي يجدونه في كتابهم، أو يعرفون القرآن، أو تحويل القبلة. والأول أظهر؛ لقوله: ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾؛ أي: يعرفون أنهم منهم، وأنهم من نسلهم؛ أي: يعرفونه بأوصافه كمعرفتهم أبناءهم، لا يلتبس عليهم بغيره.

روي: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لعبد الله بن سلام رضي الله عنه: كيف هذه المعرفة المذكورة في هذه الآية؟ فقال عبد الله: يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني، ومعرفتي بمحمدٍ أشد من معرفتي بابني، فقال عمر: فكيف ذلك؟ فقال: أشهد أنه رسول الله ﷺ حقاً، وقد نعته الله تعالى في كتابنا ولا أدري ما تصنع النساء، فقبّل عمر رأسه وقال: وفقك الله يا أبا سلام، فقد صدقت.

﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ﴾؛ أي: وإن جماعةً من أهل الكتاب ـ وهم علمائهم ـ ﴿لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾؛ أي: ليخفون الأمر الحق الذي هو نعتُ محمد ﷺ، ولا يعلنونه للناس، أو ما هو أعم منه ﴿وَهُمْ﴾؛ أي: والحال أنهم ﴿يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: يعرفون ذلك الحق بما يجدونه في كتابهم، أو يعلمون أن كتمان الحق معصية.

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ قرأ الجمهور: برفع ﴿ٱلْحَقُّ﴾ على أنه مبتدأ، والخبر ﴿مِن رَّبِّكَ﴾، و(اللام)[1]: إما للعهد؛ أي: الحق الذي أنت عليه يا محمد، أو الحق

(١) فتح القدير.

الذي يكتمونه كائنٌ من ربك، أو للجنس، والمعنى: أنَّ جنس الحق هو ما ثبت أنه من الله تعالى كالذي أنت عليه، لا ما لم يثبت أنه منه كالذي عليه أهل الكتاب، أو خبر مبتدأ محذوف؛ تقديره: ﴿هو﴾، والضمير عائد على الحق المكتوم؛ أي: مما كتموه هو الحق كائناً من ربك، ويكون المجرور حينئذٍ في موضع الحال، أو خبراً بعد خبر، وعلى كل التقادير فالجملة مستأنفة.

وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بالنصب على أنه بدل من ﴿الحق﴾ المكتوم وهي قراءة شاذة، والتقدير: يكتمون الحق من ربك، أو منصوب على الإغراء؛ أي: الزم الحق، أو مفعول لـ﴿يعلمون﴾ ﴿فَلَا تَكُونَنَّ﴾ يا محمدُ ﴿مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾؛ أي: من الشَّاكين في أنه الحق من ربك، أو في كتمانهم الحق عالمين به، أو في أن علماء أهل الكتاب علموا صحة نبوءتك وشريعتك. وعلى الأول فالخطاب مع الرسول، والمراد به الأمة؛ أي: لا يكن أحد من أمته من الممترين في ذلك؛ لأنه ﷺ لا يشك في كون ذلك هو الحق من الله سبحانه وتعالى.

وقال أبو العالية[1]: يقول الله سبحانه لنبيه ﷺ: فلا تكونن ـ يا محمد ـ في شكٍّ أن الكعبة هي قبلتك، وكانت قبلة الأنبياء من قبلك.

﴿وَلِكُلٍّ﴾ بحذفِ المضاف إليه؛ لدلالة التنوين عليه؛ أي: ولكل أهل دينٍ سواء كان بحقٍ أو بباطلٍ ﴿وِجْهَةٌ﴾؛ أي: جهة وقبلة يستقبلها؛ أي: أنهم لا يتبعون قبلتك، وأنت لا تتبع قبلتهم. والضمير في قوله: ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ راجعٌ إلى لفظ ﴿كل﴾، و(الهاء) في قوله: ﴿مُوَلِّيهَا﴾ عائدُ على الـ﴿وجهة﴾ وهو المفعول الأول. والمفعول الثاني محذوفٌ؛ تقديره: موليها وجهه. والمعنى: أن لكل صاحب ملة قبلةً، صاحبُ تلك القبلة موليها وجهه، أو المعنى: ولكل قومٍ من المسلمين جهة من الكعبة يصلي إليها، جنوبية أو شمالية، أو شرقية أو غربية، إذا كان الكلام في المسلمين. ويحتمل أن يكون الضمير في قوله: ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ عائداً على الله سبحانه، وإن لم يسبق له ذكر لعلمه من السياق؛ إذ من المعلوم أن الله

(١) بيضاوي.

فاعل ذلك، والمعنى حينئذٍ: أن لكل صاحب ملة قبلةٌ، الله موليها إياه؛ أي: أمر بأن يستقبلها، اتبعها من اتبعها، وتركها من تركها؛ يعني: شارعها ومكلِّفهم بها.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿وَلِكُلٍّ﴾ منوّناً: ﴿وِجْهَةٌ﴾ مرفوعاً، ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ بكسر اللام اسم فاعل.

وفي قراءة عبد الله بن عامر النخعي ﴿هوَ مُوَلَّاها﴾ بفتح اللام اسم مفعول، وهي قراءة ابن عباس، وأبي جعفر محمد بن علي الباقر، والمعنى: ﴿هو﴾؛ أي: كل قوم مولًّى لتلك الجهة؛ أي: مأمور باستقبالها، وقرىء شاذاً: ﴿ولكلِّ وجهةٍ﴾ بالإضافة؛ أي: بخفض اللام من ﴿كل﴾ بلا تنوين، ﴿وجهةٍ﴾ بالخفض منوناً على الإضافة، وقال في «الكشاف»: والمعنى عليها: وكل وجهة وقبلة الله موليها، فزيدت اللام لتقدم المفعول، كقولك لزيد ضربت. وقال ابن جرير: هي خطأ لا سيما وهي معزوة إلى ابن عامر أحد القراء السبعة، وقرأ أبي: (ولكل قبلة) وهي قراءة شاذة، وقرأ عبد الله: ﴿ولكل جعلنا قبلة﴾ وهي قراءة شاذة أيضاً.

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾؛ أي: فبادروا - يا أمة محمد - إلى الطاعات والأعمال الصالحة، وقبول أوامرها، من التوجه إلى القبلة وغيره مما تنال به سعادة الدارين. ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا﴾؛ أي: في أي موضع تكونوا من برٍّ أو بحرٍ أنتم وأعداءكم من موافق ومخالف، مجتمع الأجزاء ومفترقها ﴿يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾؛ أي: يبعثكم الله جميعاً، ويحشركم إلى المحشر يوم القيامة للمجازاة، فيجازيكم على أعمالكم خيراً أو شراً، أو[2] أينما تكونوا من أعماق الأرض، وقلل الجبال يقبض أرواحكم، أو أينما تكونوا من الجهات المتقابلة.. يأت بكم الله جميعاً، ويجعل صلواتكم كأنّها إلى جهةٍ واحدة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ شاءه مِنْ جَمْعِكم وغيره ﴿قَدِيرٌ﴾؛ أي: قادر يقدر على الإعادة بعد الموت، والإثابة لأهل الطاعة، والعقاب لمستحق العقوبة.

---

(١) شوكاني. (٢) البحر المحيط.

ومعلومٌ[1] أن مثل هذه الجملة المصدّرة بإن تجيء كالعلةِ لِما قبلَها، فكأن المعنى: إتيان الله بكم جميعاً لقدرته على ذلك.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾؛ أي: وفي أي مكانٍ خرجت إليه يا محمد لسفرٍ، أو غزو. وقرأ عبد الله بن عمير: ﴿وَمِنْ حَيْثَ﴾ بفتح المثلثة تخفيفاً، ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾؛ أي: فاصرف، وحول، ووجه ذاتك في صلاتك ﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾؛ أي: تلقاء المسجد الحرام وجهة الكعبة. ﴿وَإِنَّهُۥ﴾؛ أي: وإن التولي إلى المسجد الحرام في الصلاة ﴿لَلْحَقُّ﴾؛ أي: للأمر الموافق للحكمة الثابت الذي لا يعرض له نسخ، ولا تبديل حال كونه واقعاً ﴿مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قرأ أبو عمرو: ﴿يعملون﴾ بالياء على الغيبة، وهو راجع للكفار؛ أي: من إنكار أمر القبلة، والباقون: ﴿تعملون﴾ بالتاء على الخطاب؛ أي: ليس هو بساهٍ عن أعمالكم، ولكنه محصيها لكم وعليكم، فيجازيكم بها يوم القيامة.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ في أسفارك ومغازيك من المنازل القريبة والبعيدة ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ في الصلاة ﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾؛ أي: تلقاءه ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾؛ أي: وفي أي مكان كنتم فيه ـ يا أمة محمد ـ من أقطار الأرض مقيمين، أو مسافرين في برٍّ أو بحرٍ ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾؛ أي: فوّجهوا وجوهكم في الصلاة من محالكم ﴿شَطْرَهُۥ﴾؛ أي: شطر المسجد الحرام وتلقاءه.

وكرّر[2] الله سبحانه وتعالى أمرَ التولي لشطرِ المسجد الحرام ثلاثَ مرات؛ لتأكيد أمر القبلة، فالثالثة مؤكدةٌ للثانية لا للأولى؛ لأنّا بينّا أن الأولى: في الإقامة، والثانية: في السفر، وأما الثالثة: ففي السفر أيضاً، فهي مؤكدةٌ للثانية، وحكمة هذا التأكيد: تثبيت هذا الحكم، وتقرير نسخ استقبال بيت المقدس؛ لأن النسخ من مظانِّ الفتنة والشبهة، مع أنه تعالى علق بكل آية فائدةً. أما في الآية الأولى فبيّن أن أهل الكتاب يعلمون أن أمر نبوة محمد، وأمر هذه القبله حق؛

(١) بيضاوي.

(٢) البحر المحيط.

لأنهم شاهدوا ذلك في التوراة والإنجيل، وأما في الآية الثانية: فبين أنه تعالى يشهد أن ذلك حق، وشهادة الله بكونه حقاً مغايرةٌ لعلم أهل الكتاب بكونه حقاً، وأما في الآية الثالثة: فبين أنه تعالى قطع حجة اليهود والمشركين، وذلك قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾؛ أي: عرّفناكم وجه الصواب في قبلتكم والحجة لكم؛ لكي لا يكون لليهود والمشركين ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أيها الأمة المحمدية ﴿حُجَّةٌ﴾؛ أي: مجادلة ومعارضة في التولي، والمعنى: أن التولية عن الصخرة إلى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بأن محمداً يجحد ديننا، ويتبع قبلتنا، وذلك مدفوع بأن المنعوت في التوراة قبلته الكعبة، وتدفع احتجاج المشركين بأنه ﷺ يدّعي مِلة إبراهيم ويخالف قبلته. ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ قرأ الجمهور: ﴿إِلَّا﴾ بكسر الهمزة جعلوها أداة استثناء متصل، وقرأ ابن عامر، وزيد بن علي، وابن زيد شذوذاً ﴿ألا﴾ بفتح الهمزة وتخفيف اللام جعلوها ﴿أَلاَ﴾ التي للتنبيه والاستفتاح. فعلى قراءة هؤلاء يكون إعراب ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ مبتدأ خبره جملة ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾، ودخلت الفاء؛ لأنه سَلَكَ بـ﴿الَّذِينَ﴾ مسلك الشرط، والفعل الماضي هو مستقبل المعنى. كأنه قيل: من يظلم من الناس فلا تخافوا مطاعنتهم في قبلتكم، واخشوني فلا تخالفوا أمري، وقال أبو عبيدة: إنّ ﴿إِلَّا﴾ هنا بمعنى الواو؛ أي: و﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فهو استثناء بمعنى ﴿الواو﴾ ومنه قول الشاعر:

وَمَا بِالْمَدِينَةِ دَارٌ غَيْرُ وَاحِدَةٍ   دَارُ الْخَلِيفَةِ إِلاَّ دَارُ مَرْوَانَا

كأنه قال: إلا دار الخليفة ودار مروان، ونقل السجاوندي في قراءة شاذة عن أبي بكر بن مجاهد أنه قرأ: ﴿إلى الذين﴾ جعلها حرف جر، وتأويلها بمعنى (مع) والمعنى على قراءة الجمهور: لكي لا يكون حجة لأحد من اليهود والمشركين إلا للمعاندين منهم، القائلين ما ترك قبلتنا إلى الكعبة إلا ميلاً إلى دين قومه، وحباً لبلده، ولو كان على الحق.. للزم قبلة الأنبياء ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾؛ أي: فلا تخافوا مطاعنتهم في قبلتكم، فإنهم لا يضرونكم ﴿وَاخْشَوْنِي﴾؛ أي: واحذروا عقابي، فلا تخالفوا أمري. وقوله: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ معطوف على قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ﴾؛ أي: فهو علة ثانية، وكأن المعنى: عرّفناكم وجه الصواب في

قبلتكم، والحجة لكم لانتفاء حجج الناس عليكم ولإتمام النعمة عليكم، فيكون التعريف معللاً بهاتين العلتين. والفصل بالاستثناء وما بعده كلا فصل؛ إذ هو من متعلق العلة الأولى، وقيل: معطوف على علة مقدرة، كأنه قيل: واخشوني؛ لأوفقكم، ولأتم نعمتي عليكم. وإتمام النعمة الهداية إلى القبلة. وقيل: دخول الجنة. والمعنى: ولكي أتم نعمتي عليكم بهدايتي إياكم إلى قبلة إبراهيم لتتم لكم الملة الحنفية. وقيل: تمام النعمة الموت على الإسلام، ثم دخول الجنة، ثم رؤية الله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾؛ أي: ولكي تهتدوا من الضلالة إلى الحق، فهو علة ثالثة، فإن قلتَ: إن الله تعالى أنزل عند قرب وفاته ﷺ ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ فدلّ على أن تمام النعمة إنما حصل ذلك اليوم فكيف قال قبل ذلك بسنين كثيرة في هذه الآية: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ﴾؟

قلنا: تمام النعمة في كل وقتٍ بما يليق به، فلا معارضة بين الآيتين.

الإعراب

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾.

﴿وَلَئِنْ﴾: ﴿الواو﴾ استئنافية، أو داخلة على مقسم به محذوف، تقديره: وعزتي وجلالي ﴿اللام﴾: موطئة للقسم ﴿إن﴾: حرف شرط جازم. ﴿أَتَيْتَ﴾: فعل، وفاعل في محل الجزم بإن على كونه فعل شرط لها. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول للجمع المذكر في محل النصب مفعول به؛ لأن (أتى) هنا بمعنى جاء. ﴿أُوتُوا۟﴾: فعل ماضٍ مُغيَّر ونائب فاعل وهو المفعول الأول. ﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾: مفعول ثان؛ لأن (أتى) هنا بمعنى أعطى، والجملة من الفعل المغيَّر ونائب فاعل صلة الموصول، والعائد ضمير الغائب. ﴿بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿أَتَيْتَ﴾. ﴿مَّا تَبِعُوا۟﴾: ﴿ما﴾: نافية. ﴿تَبِعُوا۟﴾ فعل وفاعل، ﴿قِبْلَتَكَ﴾: مفعول به ومضاف إليه، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم مع جوابه ساد مسد جواب الشرط، وجملة الشرط مستأنفة استئنافاً نحوياً لا محل لها من الإعراب، وإنما جعلنا المذكور جواباً للقسم لا للشرط جرياً على القاعدة النحوية: أنه إذا اجتمع شرط وقسم فإنه يحذف جواب المتأخر

منهما، كما قال ابن مالك:

وَٱحْذِفْ لَدَىٰ ٱجْتِمَاعِ شَرْطٍ وَقَسَمْ   جَوَابَ مَا أَخَّرْتَ فَهْوَ مُلْتَزَمْ

وأيضاً لا يصلح قوله: ﴿مَّا تَبِعُوا۟﴾ أن يكون جواباً للشرط؛ لأنه فعل منفي بـ﴿مَآ﴾ فحقه دخول الفاء عليه، فوجب أن يكون جواباً للقسم لا للشرط، ولذلك جاء فعل الشرط ماضياً؛ لأنه متى حذف الجواب.. وجبَ كون فعل الشرط ماضياً إلا في ضرورةٍ، كما هو مقرر في محله.

﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾.

﴿وَمَآ﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة. ﴿ما﴾: حجازية أو تميمية. ﴿أَنتَ﴾: في محل الرفع اسمها، أو مبتدأ. ﴿بِتَابِعٍ﴾ ﴿الباء﴾: زائدة، ﴿تابع﴾: خبر ﴿ما﴾ منصوب، أو خبر المبتدأ مرفوع. ﴿قِبْلَتَهُمْ﴾: مفعول لـ﴿تابع﴾ ومضاف إليه، والجملة الاسمية معطوفة على جملة الشرط وجوابه، لا على الجواب وحده، إذ لا تحل محله؛ لأن نفي تبعيتهم مقيد بشرطٍ لا يصح أن يكون قيداً في نفي تبعيته قبلتهم.

﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾.

﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة. ﴿ما﴾: حجازية أو تميمية. ﴿بَعْضُهُم﴾: اسم ﴿ما﴾ ومضاف إليه، أو مبتدأ ﴿بِتَابِعٍ﴾ ﴿الباء﴾: زائدة ﴿تابع﴾: خبر ما، أو خبر المبتدأ. ﴿قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾: مفعول ﴿تابع﴾، ومضاف إليه، والجملة الاسمية معطوفة على جملة الشرط وجوابه في قوله: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ﴾... إلخ.

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

﴿وَلَئِنِ﴾: ﴿الواو﴾ استئنافية فيه، أو داخلة على مقسم به محذوف، وتقديره: وعزتي وجلالي. ﴿اللام﴾: موطئة للقسم، ﴿إن﴾: حرف شرط جازم. ﴿ٱتَّبَعْتَ﴾. فعل وفاعل في محل الجزم بأن على كونه فعل شرط لها. ﴿أَهْوَآءَهُم﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿مِّنۢ بَعْدِ﴾: جار ومجرور متعلق

بـ﴿ٱتَّبَعْتَ﴾، ﴿بَعْدِ﴾: مضاف. ﴿ما﴾: موصولة، أو موصوفة في محل الجر مضاف إليه ﴿جَآءَكَ﴾: فعل ومفعول به، وفاعله ضمير يعود على ما، والجملة صلةٌ لما، أو صفة لها. ﴿مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾: جار ومجرور حال من الضمير المستتر في جاء. ﴿إِنَّكَ﴾: ﴿إن﴾: حرف نصب، و﴿الكاف﴾ اسمها. ﴿إِذًا﴾: حرف جواب وجزاء زائد لتأكيد الكلام، ولا تعمل هنا شيئاً؛ لأن عملها في الفعل، ولا فعل هنا. ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء ﴿من الظالمين﴾: جار ومجرور خبر لـ﴿إن﴾، وجملة إن من اسمها وخبرها جوابُ القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم مع جوابه سادٌّ مسدَ جواب الشرط، وجملة القسم مستأنفة.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: مبتدأ. ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول. ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول ثانٍ، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الغائبين. ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿كَمَا﴾ (الكاف): حرف جر وتشبيه، ﴿ما﴾ مصدرية. ﴿يَعْرِفُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿أَبْنَآءَهُمْ﴾: مفعول به ومضاف إليه، والجملة صلة (ما) المصدرية. (ما) مع صلتها في تأويل مصدرٍ مجرور بالكاف، تقديره: كمعرفتهم أبناءهم، الجار والمجرور صفة لمصدر محذوف، تقديره: يعرفونه معرفةً كائنةً كمعرفتهم أبناءهم، وقال أبو البقاء: ويجوز أن يكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدلاً من ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ في الآية قبلها، ويجوز أن يكون بدلاً من ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فيكون ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾ حالاً من الكتاب، ويجوز أن يكون نصباً على تقدير: أعني، ورفعاً على تقديرهم: انتهى. ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ﴾: ﴿الواو﴾ استئنافية، ﴿إن﴾: حرف نصب وتوكيد. ﴿فَرِيقًا﴾: اسمها. ﴿مِّنْهُمْ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿فَرِيقًا﴾، ﴿لَيَكْتُمُونَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿يكتمون﴾: فعل وفاعل. ﴿ٱلْحَقَّ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية خبر (إن)، تقديره: وإن فريقاً منهم لكاتمون الحق، وجملة (إن) مستأنفة. ﴿وَهُمْ﴾

﴿الواو﴾ حالية، ﴿هم﴾ مبتدأ، وجملة ﴿يَعْلَمُونَ﴾: خبره، والجملة من المبتدأ والخبر في محل النصب حال من فاعل ﴿يكتمون﴾.

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾.

﴿ٱلْحَقُّ﴾: مبتدأ. ﴿مِن رَّبِّكَ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه خبر المبتدأ، والجملة مستأنفة، وقيل: خبرٌ لمبتدأ محذوف؛ تقديره: هو؛ أي: ما كتموه، وقيل: الحق. ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ جار ومجرور حال من الحق، وقيل: غير ذلك ﴿فَلَا﴾ (الفاء): عاطفة تفريعية ﴿لا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَكُونَنَّ﴾: فعل مضارع ناقص في محل الجزم بـ(لا) مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة. ﴿مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: جار ومجرور خبر (تكون)، وجملة (تكون) معطوفة على جملة المبتدأ.

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا ٱلْخَيْرَٰتِ﴾.

﴿وَلِكُلٍّ﴾: ﴿الواو﴾ استئنافية. (لكل): جار ومجرور خبر مقدم. ﴿وِجْهَةٌ﴾: مبتدأ مؤخر، وسَوَّغ الابتداء بالنكرة وصفه بما بعده، والجملة مستأنفة. ﴿هُوَ﴾: ضمير يعود على (كل) في محل الرفع مبتدأ. ﴿مُوَلِّيهَا﴾: خبر ومضاف إلى المفعول الأول، والضمير عائد على وجهة، والمفعول الثاني محذوف، تقديره: وَجْهَهُ، والجملة من المبتدأ والخبر في محل الرفع صفةٌ لوجهة. ﴿فَٱسْتَبِقُوا﴾ (الفاء): فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر؛ تقديره: إذا عرفتم ما ذكرته لكم، وأردتم بيان ما هو الأصلح لكم فأقول ﴿استبقوا﴾ فعل وفاعل، ﴿ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: منصوب بنزع الخافض تقديره: إلى الخيرات والجملة الفعلية في محل النصب مفعول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة.

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿أَيْنَ﴾: اسم شرط جازم في محل النصب على الظرفية مبنية على الفتح، والظرف متعلق بـ﴿تَكُونُوا﴾. ﴿مَا﴾: زائدة. ﴿تَكُونُوا﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿أَيْنَ﴾ على كونه فعل شرط لها، وهو من كان التامة، ﴿يَأْتِ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿أَيْنَ﴾ على كونه فعل شرط لها. ﴿بِكُمُ﴾: جار ومجرور متعلق به.

﴿ٱللَّهُ﴾: فاعل. ﴿جَمِيعًاۚ﴾: حال من ضمير المخاطبين، وجملة ﴿أَيۡنَ﴾ من فعل شرطها وجوابها مستأنفة. ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب وتوكيد. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿قَدِيرٞ﴾، وهو خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل الجر بلام التعليل المقدرة المتعلقة بجواب ﴿أَيۡنَ﴾.

﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾.

﴿وَمِنۡ﴾: ﴿الواو﴾ استئنافية. ﴿من حيث﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿ولِّ﴾ الآتي. ﴿خَرَجۡتَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿حَيۡثُ﴾. ﴿فَوَلِّ﴾: ﴿الفاء﴾: زائدة، ﴿ولِّ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد. ﴿وَجۡهَكَ﴾: مفعول أول ومضاف إليه. ﴿شَطۡرَ﴾: مفعول ثانٍ وهو مضاف. ﴿ٱلۡمَسۡجِدِ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلۡحَرَامِۖ﴾: صفة له، والجملة الفعلية مستأنفة.

﴿وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ ﴿الواو﴾ استئنافية، ﴿إن﴾: حرف نصب، و﴿الهاء﴾: اسمها ﴿لَلۡحَقُّ﴾: اللام حرف ابتداء، ﴿الحق﴾: خبرها، والجملة مستأنفة. ﴿مِن رَّبِّكَۗ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بمحذوف حال من الحق. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة، ﴿ما﴾ نافية ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ. أو: ﴿ما﴾: حجازية، ﴿ٱللَّهُ﴾: اسمها. ﴿بِغَٰفِلٍ﴾: ﴿الباء﴾ زائدة، ﴿غافل﴾: خبر المبتدأ، أو خبر ﴿ما﴾، والجملة صلة لما أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف؛ تقديره: تعملونه، أوصلة ﴿ما﴾ المصدرية؛ تقديره: عن عملكم، الجار والمجرور متعلق بـ﴿غافل﴾.

﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾: تقدم إعرابه آنفاً، فلا عود ولا إعادة، فراجعه إن شئت.

﴿وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾.

﴿وَحَيۡثُ مَا﴾ ﴿الواو﴾ عاطفة. ﴿حيث ما﴾: اسم شرط جازم في محل النصب على الظرفية المكانية، والظرف متعلق بالجواب الآتي. ﴿كُنتُمۡ﴾: فعل وفاعل؛ لأنه من كان التامة في محل الجزم بـ﴿حيث ما﴾ على كونها فعل شرط

لها. ﴿فَوَلُّوا﴾ ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب الشرط، ﴿ولُّوا﴾: فعل وفاعل في محل الجزم بـ﴿حيث ما﴾ على كونها جواباً لها، وجملة ﴿حيث ما﴾ معطوفة على جملة قوله: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾. ﴿وُجُوهَكُمْ﴾ مفعول أول ومضاف إليه. ﴿شَطْرَهُۥ﴾: مفعول ثانٍ ومضاف إليه.

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾.

﴿لِئَلَّا﴾: ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل، ﴿أن﴾ حرف مصدري ونصب ﴿لا﴾: نافية. ﴿يَكُونَ﴾ فعل مضارع منصوب بأن المذكورة في ﴿لِئَلَّا﴾. ﴿لِلنَّاسِ﴾: جار ومجرور خبر مقدم ﴿لِيَكُونَ﴾. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: جار ومجرور حال من ﴿حُجَّةٌ﴾؛ لأنه نعت نكرة قُدِّم عليها. ﴿حُجَّةٌ﴾: اسم ﴿يَكُونَ﴾: مؤخر، وجملة ﴿يَكُونَ﴾ من اسمها وخبرها صلة ﴿أن﴾ المصدرية، ﴿أن﴾ مع صلتها في تأويل مصدرٍ مجرور بلام التعليل؛ تقديره: لعدم كون حجة ثابتة للناس عليكم، الجار والمجرور متعلق بمحذوف؛ تقديره: عرفناكم وجه الصواب في قبلتكم وكيفية الاحتجاج في القبلة بما بيَّنا في قولنا: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ لإعدام كون حجة للناس عليكم ونفيها.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء من الناس متصل؛ لأن ما قبل إلا ظالمون أيضاً، والمعنى: لئلا تكون حجةٌ لأحد من الناس - أي: اليهود والمشركين - عليكم إلا المعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا إلى الكعبة إلا ميلاً إلى دين قومه وحباً لبلده، ولو كان على الحق.. للزم قبلة الأنبياء قَبْله عليهم السلام. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول في محل النصب على الاستثناء. ﴿ظَلَمُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول. ﴿مِنْهُمْ﴾: جار ومجرور حال من فاعل ﴿ظَلَمُوا﴾.

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾.

﴿فَلَا﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرطٍ مقدر؛ تقديره: إذا عرفتم أنما فعلنا بكم ذلك لقطع حجة الناس عنكم، وأردتم بيان ما يلزمكم.. فأقول لكم ﴿لا تخشوهم﴾ ﴿لا﴾: ناهية جازمة، ﴿تَخْشَوْهُمْ﴾ فعل وفاعل ومفعول

مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، والجملة في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة معترضة. ﴿وَٱخۡشَوۡنِي﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة، ﴿اخشوا﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، والنون للوقاية، والياء مفعول به، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ﴾.

﴿وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾.

﴿وَلِأُتِمَّ﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل، ﴿أتم﴾: منصوب بـ﴿أن﴾ مضمرة جوازاً بعد لام كي، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿نِعۡمَتِي﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أتم﴾، أو حال من (نعمتي)، والجملة الفعلية صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور باللام؛ تقديره: ولإتمام نعمتي عليكم، الجار والمجرور معطوف على الجار والمجرور في قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ﴾، والتقدير: عرفناكم وجه الصواب في قبلتكم لقطع حجة الناس عنكم، ولإتمام نعمتي عليكم بتحويلكم إلى أشرف القبل، قبلة أبيكم إبراهيم عليه السلام. ﴿وَلَعَلَّكُمۡ﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة ﴿لعل﴾: حرف نصب وتعليل بمعنى كي، (الكاف): اسمها، وجملة ﴿تَهۡتَدُونَ﴾ في محل الرفع خبرها، وجملة (لعل) في محل الجر بـ﴿لام﴾ التعليل المقدرة؛ تقديره: ولإرادتي هدايتكم إلى الحق، الجار والمجرور معطوف على الجار والمجرور في قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ﴾، وتقدير الكلام: عرفناكم وجه الصواب في قبلتكم لقطع حجة الناس عنكم، ولإتمام نعمتي عليكم، ولإرادتي هدايتكم إلى الحق، والله أعلم بمعنى كلامه.

التصريف ومفردات اللغة

﴿بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾ الآية: الحجة والعلامة. قيل: أصلها أَيَيَة كتمرة، قلبت عينها ألفاً على غير قياس، وقيل: أصلها آئية كقائلة، حذفت همزتها تخفيفاً، وقيل: غير ذلك.

﴿مَّا تَبِعُواْ﴾؛ أي: لا يتبعوا، فهو ماض في معنى المستقبل، ودخلت ﴿مَّا﴾ حملاً على لفظ الماضي، وحذفت الفاء في الجواب مع كونه منفياً بها؛ لأن فعل

الشرط ماض غير مجزوم لفظاً.

﴿أَهْوَآءَهُم﴾: جمع هوى مقصوراً، والهوى: كل ما تحبه النفس وتميل إليه طبعاً. ﴿إِذًا﴾: حرف، والنون فيه أصل، ولا تستعمل إلا في الجواب، ولا تعمل هنا شيئاً؛ لأن عملها في الفعل، ولا فعل هنا، فهي هنا مؤكدةٌ لجواب ارتبط بمتقدم، ولا عمل لها إذا كانت مؤكدة.

﴿مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: اسم فاعل من الامتراء؛ وهو الشك، يقال: امترى في الشيء - من باب افتعل - إذا شك فيه، ومثله: المراء والمرية.

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾: وعبارة «السمين» هنا: وفي ﴿وِجْهَةٌ﴾ قولان:

أحدهما: اسم للمكان المتوجه إليه كالكعبة، وعلى هذا يكون إثبات ﴿الواو﴾ قياساً؛ إذ هي غير مصدر.

والثاني: أنها مصدر بوزن فِعْلَةٌ، وعلى هذا يكون ثبوت ﴿الواو﴾ شاذاً منبهّاً على الأصل المتروك في عدة ونحوها. انتهت.

وقال أبو البقاء: ﴿وِجْهَةٌ﴾ مصدر جاء على الأصل، والقياس: جهة مثل (عِدَة) و(زِنَه)، و﴿الوجهة﴾: مصدر في معنى المتوجه إليه، كالخلق بمعنى المخلوق، وهي مصدر محذوف الزوائد؛ لأن الفعل تَوجّه أو اتجه، والمصدر التوجه أو الاتجاه؛ لأنه لم يستعمل منه وَجْهٌ كَوْعدٌ.

﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ بكسر اللام على قراءة الجمهور اسم فاعل من ولّى يولّي تولية من باب فَعّل المضاعف المعتل، وأما بفتح اللام: فاسم مفعول منه.

﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: والخيرات جمع خيرة، وفيها احتمالان:

أحدهما: أن تكون مخففة من خيرّة بالتشديد بوزن فيعلة، نحو ميِّت في ميْت.

والثاني: أن تكون غير مخففة من خَيِّرة، بل ثبتت على فَعْلَة بوزن جَفْنَة. يقال: رجل خَيْر وامرأة خَيْرَة، وعلى كلا التقديرين فليستا للتفضيل، والسبق: الوصول إلى

الشيء أولاً، وأصله: التقدم في السير، ثم تجّوز به في كل تقديم. اهـ.

البلاغة

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾: فيه وضع اسم الموصول موضع الضمير؛ للإيذان بكمال سوء حالهم من العناد؛ يعني: أنهم قد انتهوا في العناد، وإظهار المعاداة إلى رتبةٍ لو جئتهم فيها بجميع المعجزات.. ما تبعوك، ولا سلكوا طريقك.

﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾: وهذه الجملة أبلغ في النفي من قوله: ﴿مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾ من وجوه: كونها اسميةً، وتكرر الاسم فيها، وكون نفيها مؤكداً بالباء.

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾: هذا من باب التهييج والإلهاب للثبات على الحق.

﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾: فيه تشبيه مرسل مفصل؛ أي: يعرفون محمداً ﷺ معرفةً واضحةً كمعرفة أبنائهم الذين من أصلابهم، وخصَّ الأبناء دون البنات أو الأولاد؛ لأن الذكور أعرف وأشهر، وهم لصحبة الآباء ألزم، وبقلوبهم ألصق. والالتفات عن الخطاب إلى الغيبة؛ للإيذان بأن المراد ليس معرفتهم له ﷺ من حيث ذاته ونسبه الزاهر، بل من حيث كونه مسطوراً في الكتاب منعوتاً بالنعوت التي من جملتها أنه ﷺ يصلي إلى القبلتين، كأنه قيل: الذين آتيناهم الكتاب يعرفون من وصفناه فيه، وبهذا تظهر جزالة النظم الكريم وبلاغة القرآن العظيم

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ
ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ
رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ...﴾ الآيات، لمّا ذكر الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة النعم التي أنعمها على بني إسرائيل التي قابلوها بالجحود والكفران فيما يزيد على ثلث السورة، وعدد جرائمهم؛ ليعتبر ويتعظ بها المؤمنون، وأنهى الكلام عليهم.. بدأ هنا بمخاطبة المؤمنين وتذكيرهم بنعمةِ الله العظمى عليهم ببعثة خاتم المرسلين محمد ﷺ، وبالتشريعات الحكيمة التي بها سعادتهم في الدارين قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ قال أبو حيان: مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة؛ لأنهم سمعوا من طعن الكفار على التوجه إلى الكعبة والصلاة إليها أذى كثيراً، فأمروا عند ذلك بالاستعانة بالصبر والصلاة. انتهى.

أسباب النزول

قوله تعالى(١): ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ...﴾ الآية، أخرج ابن منده في «**المعرفة**» من طريق السُّدِّي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قتل تميم بن الحمام ببدر، وفيه وفي غيره نزلت: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ...﴾ الآية. قال أبو نعيم: اتفقوا على

---

(١) مراح.

أنه عمير بن الحمام، وأنَّ السُدِّي صَحَّفه.

التفسير وأوجه القراءة

والكاف في قوله: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ﴾ التشبيه المستفاد منها؛ إما عائد[1] إلى ما قبلها، والتقدير: ولأتم نعمتي عليكم في أمر القبلة، أو في الآخرة كما أتممتها عليكم في الدنيا بإرسال رسول من جنسكم ونسبكم فيكم يا معشر العرب، قاله الفراء، ورجّحه ابن عطيه، أو عائد إلى ما بعدها، والتقدير: فاذكروني بالطاعة كما ذكرتكم بإرسال رسولٍ منكم فيكم أذكركم بالثواب والمغفرة، قاله الزجاج. والخطاب[2] في الآية لأهلِ مكة ولجميع العرب، وفي إرساله رسولاً منهم نعمة عظيمة عليهم؛ لما فيه من الشرف لهم، ولأن المعروف من حال العرب الأنفة الشديدة من الانقياد للغير، فكان بعثه الرسول منهم وفيهم أقرب إلى قبولِ قوله والانقياد له.

والمعنى: كما أرسلنا فيكم يا معشر العرب رسولاً منكم محمداً ﷺ. ﴿يَتۡلُواْ﴾: أي يقرأ ﴿عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا﴾ القرآنية المشتملة على الأوامر والنواهي؛ لتتعبدوا بتلاوتها، وهي من أعظم النعم؛ لأنها معجزة باقية مستمرة على ممر الدهور، وفي هذا احتجاج عليهم؛ لأنهم عرفوا أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، فلما قرأ عليهم القرآن تبين صدقه في النبوة ﴿وَيُزَكِّيكُمۡ﴾؛ أي: يطهركم من دنس الشرك والمعاصي بالتوحيد والطاعات والصدقات، وقيل: معناه يحملكم على ما إذا فعلتموه صرتم أزكياء مثل محاسن الأخلاق ومكارم الأفعال، وقدّمه[3] هنا باعتبار القصد، وأخره في دعوة إبراهيم عليه السلام باعتبار الفعل. ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾؛ أي: يفهمكم معاني القرآن وأحكامه لتعملوا بها، فالتعليم غير التلاوة، فليس بتكرار. ﴿وَ﴾ يعلمكم ﴿الحكمة﴾؛ أي: السنة والفقه في الدين. ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾؛ أي: يعلمكم أموراً لم تكونوا عالمين بها قبل بعثه ﷺ من

---

(١) لباب النقول.
(٢) بيضاوي وشوكاني.
(٣) خازن.

أخبار الأمم الماضية، والقرون الخالية، وقصص الأنبياء، وأخبار الحوادث المستقبلة والمغيبات في الآخرة، وكرر الفعل ليدل على أنه جنس آخر.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ باللسان والقلب والجوارح، فالصلاة مشتملة على الثلاثة:

فالأول: كالتسبيح والتكبير.

والثاني: كالخشوع وتدبر القراءة.

والثالث: كالركوع والسجود.

﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالإحسان والرحمة والنعمة في الدنيا والآخرة ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ بالطاعة ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾؛ أي: لا تتركوا شكرها بكفرانها وجحدها، وعصيان الأمر، فمن أطاع الله فقد شكره، ومن عصاه فقد كفره.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، يقول الله عز وجل: «أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه». متفق عليه. وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت» متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «سبق المفردون» قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات» أخرجه مسلم، المفردون[1]: الذين ذهب القرن الذي كانوا فيه وبقوا، وهم يذكرون الله تعالى، ويقال: تفرد الرجل إذا تفقه واعتزل.

ثم نادى تبارك وتعالى عباده المؤمنين بلفظ الإيمان؛ ليستنهض هممهم إلى امتثال الأوامر الإلٰهية، وهو النداء الثاني الذي جاء في هذه السورة الكريمة، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ أي: صدقوا بما جاء به محمد ﷺ ﴿اسْتَعِينُوا﴾؛ أي: أطلبوا المعونة من الله على أمور دنياكم وآخرتكم ﴿بِالصَّبْرِ﴾ على مشقة أداء فرائض الله، وترك المعاصي، وحظوظ النفس وعلى المرازي والمصائب وإذاية الكفار ﴿و﴾ بـ﴿الصلاة﴾؛ أي: وبإكثار صلاة التطوع في الليل والنهار، إنما[2]

---

(١) بيضاوي. (٢) الخازن.

خصهما بذلك لما فيهما من المعونة على العبادات، أما الصبر: فهو حبس النفس على احتمال المكاره في ذات الله، وتوطينها على تحمل المشاق في العبادات، وسائر الطاعات، وتجنب الجزع، وتجنب المحظورات، ومنهم من حمل الصبر على الصوم، وفسره به، ومنهم من حمله على الجهاد. وأما الاستعانة بالصلاة: فلأنها يجب أن تفعل على طريق الخضوع والتذلل للمعبود، والإخلاص له. وقيل: استعينوا بالصبر على طلب الآخرة، وبالصلوات الخمس في مواقيتها على تمحيص الذنوب.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ على مشاق التكاليف، والمصائب بالعون والنصر والتأييد؛ أي: معين وحافظ وناصر للصابرين على ذلك. وفي ذلك ترغيب لعباده سبحانه إلى لزوم الصبر على ما ينوب من الخطوب، فمن كان الله معه لم يخش من الأهوال وإن كانت كالجبال.

ولمَّا قال المنافقون وبعض الناس لشهداء أحد وبدر: مات فلان وفلان، وذهب عنهم نعيم الدنيا ولذاتها.. أنزل الله هذه الآية فقال: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟﴾ أيها الناس ﴿لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: في طاعة الله في قتال المشركين وجهادهم لإعلاء كلمة الله؛ أي: لا تقولوا للشهداء: إنهم ﴿أَمْوَٰتٌۢ﴾ كسائر الأموات ﴿بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَآءٌ﴾ كأحياء أهل الجنة في الجنة يرزقون من التحف؛ أي: بل هم أحياء تصل أرواحهم إلى الجنان، كما ورد: (أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة). أخرجه أحمد، والترمذي وصححه، والنسائي، وابن ماجه، فهم أحياء من هذه الجهة وإن كانوا أمواتاً من جهة خروج الروح من أجسادهم ﴿وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾؛ أي: لا تعلمون بحياتهم وحالهم، وما هم فيه من النعيم والكرامة.

وعن الحسن: أن الشهداء أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم، فيصل إليهم الروح والفرح، كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدواً وعشياً، فيصل إليهم الوجع. وعن مجاهد: يرزقون ثمر الجنة، ويجدون ريحها، وليسوا فيها.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾؛ أي: وعزتي وجلالي لنصيبنكم أيها المؤمنون إصابه من يختبر أحوالكم، أتصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء أم لا؟ ﴿بِشَيْءٍ﴾ قليل ﴿مِّنَ الْخَوْفِ﴾؛ أي: خوف العدو. وقرأ الضحاك ﴿بأشياء﴾ فلا حذف على هذه القراءة، وأما على قراءة الجمهور: فلا بد من تقدير حذفٍ؛ أي: شيء من الخوف، وشيءٍ من الجوع، وشيء من نقص الثمراتِ والأنفسِ، والخوف: توقع مكروه يحصل منه ألم في القلب.

وإنما[1] قلله بالإضافة والنسبة إلى ما وقاهم منه؛ ليخفف عليهم ويريهم أن رحمته لا تفارقهم، أو بالنسبة إلى ما يصيب به معانديهم في الآخرة، وإنما أخبرهم به قبل وقوعه؛ ليوطنوا عليه أنفسهم ﴿و﴾ شيء من ﴿الجوع﴾ بسبب القحط وتعذر حصول القوت ﴿و﴾ شيء من ﴿نقص من الأموال﴾ والمواشي بسبب النقصان والخسران الحاصل في النقود والهلاك في المواشي ﴿و﴾ بشيء من نقص ﴿الأنفس﴾ بالقتل والموت، أو بالمرض والشيب ﴿و﴾ شيء من نقص ﴿الثمرات﴾ والحبوب بالجوائح والآفات.

وقال[2] الشافعي رحمه الله تعالى: الخوف خوف الله، والجوع صيام شهر رمضان، والنقص من الأموال الزكاة والصدقات، والنقص من الأنفس الأمراض، ومن الثمرات موت الأولاد ﴿وَبَشِّرِ﴾ يا محمد ﴿الصَّابِرِينَ﴾ على تجرع غصص هذه المصائب والبلايا بجنات النعيم، والأجر الجسيم.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته أقبضتم ولد عبدي؟ قالوا: نعم قال: أقبضتم ثمرةَ فؤاده؟ قالوا: نعم، قال: فماذا قال؟ قالوا: حمدك واسترجع، قال: ابنوا له بيتاً في الجنة، وسمّوه بيت الحمد» أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن. ثم وصف تعالى الصابرين الذين يستحقون تلك البشارة وبيّنهم بقوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا

---

(١) الخازن.

(٢) بيضاوي.

﴿أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ﴾؛ أي: نائبة وشدة مما ذكر، وحلت بهم؛ أي: بشر الصابرين الذين إذا نزل بهم كرب أو بلاء أو مكروه ﴿قَالُوٓاْ﴾ باللسان والقلب جمعاً، لا باللسان فقط، فإن التلفظ بذلك مع الجزع قبح وسخط للقضاء، وذلك بأن يتصور بقلبه ما خلق لأجله، وأنه راجع إلى ربه، ويتذكر نعم الله تعالى عليه؛ ليرى أن ما أبقى الله تعالى عليه أضعاف ما استرده منه، فهون عليه، ويستسلم ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبداً؛ أي: نحن عبد الله وأموالنا له، يفعل فينا ما يشاء، لا يسئل عما يفعل ﴿وَإِنَّآ إِلَيۡهِ﴾؛ أي: إلى لقائه ﴿رَٰجِعُونَ﴾ بالبعث والنشور بعد الموت، وإن لم نرض بقضائه لا يرضى منا أعمالنا. قال أبو بكر الوراق ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ إقرارٌ منا بالملك له تعالى ﴿وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ إقرار على أنفسنا بالهلاك.

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبدٍ تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجُرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها.. إلا أجره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها» أخرجه مسلم. وعن عائشة رضي الله عنها: أن مصباح النبي ﷺ طفىء فاسترجع، فقلت: إنما هو مصباح. فقال: «كل ما ساء المؤمن فهو مصيبة» رواه أبو داود في مراسله.

قيل: ما أعطي أحد مثل ما أعطيت هذه الأمة يعني الاسترجاع عند المصيبة، ولو أعطيه أحد لأعطي يعقوب عليه السلام، ألا تسمع إلى قوله عند فقد يوسف: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ قيل: وفي قول العبد ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ تفويض منه إلى الله وأنه راض بكل ما نزل به من المصائب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الصابرون المسترجعون عند المصيبة ﴿عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ﴾ ومغفرة ﴿مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٌ﴾؛ أي: نعمة وإنما جمع الصلوات للتنبيه على كثرتها وتنوعها؛ لأنه أراد مغفرة بعد مغفرة، والرحمة من الله إنعامه وإحسانه وإفضاله، وذكر الرحمة بعد الصلاة للتأكيد. وقيل: ﴿عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ﴾؛ أي: مغفرة من ربهم في الدنيا، ﴿وَرَحۡمَةٌ﴾؛ أي: مغفرة من ربهم في الدنيا، ورحمة؛ أي: سلامة من العذاب في الآخرة ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ إلى الحق والصواب؛ حيث استرجعوا لمصيبتهم واستسلموا لقضاء الله تعالى، وقيل: المهتدون إلى الجنة الفائزون بالثواب.

فصل

في ذكر أحاديث وردت في ثواب أهل البلاء، وأجر الصابرين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً.. يصب منه» يعني: يبتليه بالمصائب حتى يأجره على ذلك. أخرجه البخاري.

وعن أبي سعيد، وأبي هريرة رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المؤمن من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ، ولا حزَنٍ ولا أذىً ولا غمٍ، حتى الشوكة يشاكها.. إلا كفر الله عنه بها خطاياه» متفق عليه.

وعن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يصيبه أذى، من مرض فما سواه.. إلا حط الله به عنه من سيئاته كما تحط الشجرة ورقها» متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن كمثل الزرع، لا تزال الريح تفيئه، ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء. ومثل المنافق كمثل شجرة الأرزة لا تهتز حتى تحصد» متفق عليه. الأرزة: شجرٍ معروف بالشام، ويعرف في العراق ومصر بالصنوبر، والصنوبر ثمر الأرزة، وقيل: الأرزة الثابتة في الأرض.

وعن أنسٍ رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أراد الله بعبدٍ خيراً.. عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبد شراً.. أمسك عنه حتى يوافى يومِ القيامة» أخرجه الترمذي.

وعن أنس أيضاً رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً.. ابتلاهم، فمن رضي.. فله الرضا، ومن سخط.. فله السخط» أخرجه الترمذي.

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا

بالمقاريض» أخرجه الترمذي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة» أخرجه الترمذي. وقال: حديث حسن.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم أحتسبه إلا الجنة» أخرجه البخاري.

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، أيّ الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلباً.. اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة(١).. هون عليه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة» أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن.

الإعراب

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾.

﴿كَمَآ﴾: ﴿الكاف﴾: حرف جر وتشبيه، ﴿ما﴾: مصدرية. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿فِيكُمْ﴾: جار ومجرور متعلق بأرسلنا. ﴿رَسُولًا﴾: مفعول به. ﴿مِّنكُمْ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿رَسُولًا﴾، والجملة الفعلية صلة ما المصدرية، (ما) مع صلتها في تأويل مصدرٍ مجرور بالكاف؛ تقديره: كإرسالنا فيكم رسولاً ﴿مِّنكُمْ﴾، الجار والمجرور متعلق بواجب الحذف؛ لوقوعه صفة لمصدر محذوف؛ تقديره: ولأتم نعمتي عليكم في أمر القبلة إتماماً كائناً كإرسالنا رسولاً؛ أي: إتماماً كائناً كإتمامها عليكم بإرسال رسول منكم ﴿يَتْلُوا۟﴾: فعل مضارع معتل بالواو، وفاعله ضمير يعود على ﴿رَسُولًا﴾. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: جار ومجرور متعلق

(١) **الرقة** ـ بكسر الراء وتشديد القاف ـ: الدقة ورقة الجانب، كناية عن الضعف. اهـ.

بـ﴿يتلوا﴾، ﴿ءَايَٰتِنَا﴾: مفعول به ومضاف إليه، والجملة الفعلية في محل النصب صفة لـ﴿رَسُولًا﴾. ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة، ﴿يزكيكم﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على رسولاً، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿يَتْلُوا۟﴾ على كونها صفة لـ﴿رَسُولًا﴾.

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة ﴿يعلمكم﴾: مضارع معطوف على يتلوا. ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ مفعول به ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: معطوفة على الكتاب ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ﴾ الواو: عاطفة، ﴿يعلمكم﴾: فعل مضارع ومفعول أول، وفاعله ضمير يعود على ﴿رَسُولًا﴾، والجملة الفعلية في محل النصب معطوفة على جملة ﴿يَتْلُوا۟﴾ على كونها صفة لـ﴿رَسُولًا﴾. ﴿مَّا﴾: موصولة، أو موصوفة، في محل النصب مفعول ثان لـ﴿علم﴾، ﴿لم﴾ حرف نفي. ﴿تَكُونُوا۟﴾: فعل مضارع ناقص، واسمه مجزوم بـ﴿لم﴾. ﴿تَعْلَمُونَ﴾: فعل وفاعل، وهو بمعنى (عرف) يتعدى إلى واحد؛ تقديره: تعلمونه، والجملة الفعلية في محل النصب خبر ﴿تَكُونُوا۟﴾ تقديره: ما لم تكونوا عالمين، وجملة ﴿تَكُونُوا۟﴾: صلة لـ﴿ما﴾ أوصفة لها، والعائد أو الرابط الضمير المحذوف من ﴿تَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾.

﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفتم إتمام نعمتي عليكم بما ذكر، وأردتم بيان ما هو الواجب عليكم.. فأقول لكم: ﴿اذكروني﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل النصب مفعول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾: ﴿أذكر﴾: فعل مضارع مجزوم بالطلب السابق، وفاعله ضمير مستتر يعود على الله، و﴿الكاف﴾: مفعول به، والجملة جملة جوابية لا محل لها من الإعراب. ﴿وَٱشْكُرُوا۟﴾: الواو: عاطفة، ﴿اشكروا﴾: فعل وفاعل. ﴿لِى﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾، ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة، ﴿لا﴾: ناهية جازمة، ﴿تَكْفُرُونِ﴾: فعل مضارع

مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعل، والنون للوقاية؛ لأنها تقي الفعل عن الكسرة، وياء المتكلم المحذوفة لرعاية الفاصلة في محل النصب مفعول به، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة قوله ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِى﴾ على كونها مقولاً لجواب إذا المقدرة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾: ﴿يا﴾: حرف نداء؛ ﴿أي﴾: منادى نكرة مقصودة ﴿ها﴾: حرف تنبيه زائد تعويضاً عما فات؛ أي: من الإضافة. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول في محل الرفع صفة لـ﴿أي﴾، تابع للفظه، وجملة النداء مستأنفة. ﴿ءَامَنُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الفاعل. ﴿ٱسْتَعِينُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة جواب النداء لا محل لها من الإعراب. ﴿بِٱلصَّبْرِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿ٱسْتَعِينُوا۟﴾. ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾: معطوف عليه. ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب وتوكيد. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: ظرف ومضاف إليه والظرف متعلق بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾ تقديره: كائن مع الصابرين، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل الجر بـ﴿لام﴾ التعليل المقدرة.

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

﴿وَلَا تَقُولُوا۟﴾: ﴿الواو﴾ استئنافية، ﴿لا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَقُولُوا۟﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، والجملة مستأنفة. ﴿لِمَن﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تَقُولُوا۟﴾. ﴿يُقْتَلُ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على ﴿من﴾، والجملة صلة لـ﴿من﴾ الموصولة. ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿يُقْتَلُ﴾. ﴿أَمْوَٰتٌۢ﴾: خبر مبتدأ محذوف؛ تقديره: هم أموات، والجملة من المبتدأ المحذوف وخبره في محل النصب مقول لـ﴿تَقُولُوا۟﴾. ﴿بَلْ﴾ حرف ابتداء. ﴿أَحْيَآءٌ﴾: خبر مبتدأ محذوف؛ تقديره: بل هم أحياء، والجملة مستأنفة. ﴿وَلَٰكِن﴾ ﴿الواو﴾ عاطفة. ﴿لكن﴾: حرف استدراك. ﴿لا﴾: نافية. ﴿تَشْعُرُونَ﴾ فعل وفاعل، ومفعوله محذوف؛ تقديره: ولكن لا تشعرون ما هم فيه من الكرامة والنعيم، والجملة الفعلية معطوفة على جملة قوله

﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ﴾ على كونها مستأنفة.

﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥﴾.

﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم﴾: ﴿الواو﴾ استئنافية، أو حرف جر وقسم داخلة على مقسم به محذوف تقديره: وعزتي وجلالي، ﴿اللام﴾: موطئة للقسم، (نبلون): فعل مضارع مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وفاعله ضمير يعود على الله، و﴿الكاف﴾: مفعول به، والجملة جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم المحذوف مع جوابه مستأنفة لا محل لها من الإعراب. ﴿بِشَيۡءٖ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿نبلونكم﴾. ﴿مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لـ﴿شيء﴾؛ تقديره: بشيء كائن من الخوف، ﴿وَٱلۡجُوعِ﴾: معطوف على الخوف. ﴿وَنَقۡصٖ﴾: معطوف على شيء. ﴿مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لمحذوف؛ تقديره: وبنقص شيء كائن من الأموال؛ لأن النقص مصدر نقصت؛ وهو متعد إلى مفعول، وقد حذف المفعول، تقديره: وبنقص شيء من الأموال، ﴿وَٱلۡأَنفُسِ﴾: معطوف على الأموال. ﴿وَٱلثَّمَرَٰتِۗ﴾: معطوف على الأموال أيضاً، عطف خاص على عام. ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: ﴿الواو﴾ استئنافية، ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول في محل النصب صفة للصابرين، أو منصوب بـ(أعني) ﴿إِذَآ﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ﴾: فعل ومفعول وفاعل، والجملة في محل الخفض بإضافة إذا إليها على كونها فعل شرط لها. ﴿قَالُوٓاْ﴾ فعل وفاعل، والجملة جواب إذا لا محل لها، وجملة إذا صلة الموصول لا محل لها من الإعراب ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ مقول محكي لـ﴿قَالُوٓاْ﴾، وإن شئت قلت ﴿إن﴾: حرف نصب، و﴿نا﴾: اسمها، ﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور خبر إن، والجملة في محل النصب مقول القول ﴿وَإِنَّآ﴾ ﴿الواو﴾ عاطفة، ﴿إنّا﴾ حرف واسمها. ﴿إِلَيۡهِ﴾: متعلق بـ﴿رَٰجِعُونَ﴾؛ وهو خبر إن، والجملة في محل النصب

معطوفة على الجملة التي قبلها على كونها مقول القول.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: مبتدأ أول. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور خبر مقدم للمبتدأ الثاني. ﴿صَلَوَٰتٌ﴾: مبتدأ ثان. ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾: صفة لـ﴿صَلَوَٰتٌ﴾، والجملة من المبتدأ الثاني وخبره في محل الرفع خبر للمبتدأ الأول، والجملة من المبتدأ الأول وخبره مستأنفة استئنافاً بيانياً لا محل لها من الإعراب، كأنه قيل: ما الذي بشروا به؟ فقيل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾. ﴿وَرَحْمَةٌ﴾: معطوف على ﴿صَلَوَٰتٌ﴾: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة، ﴿أولئك﴾ مبتدأ. ﴿هُمُ﴾ ضمير فصل. ﴿ٱلْمُهْتَدُونَ﴾: خبره، والجملة معطوفة على الجملة التي قبلها على كونها مستأنفة.

التصريف ومفردات اللغة

﴿وَٱشْكُرُواْ لِي﴾ وشكرٌ يتعدى تارةً بنفسه، وتارةً بحرف جرٍ على حدٍّ سواء على الصحيح، وقال بعضهم: إذا قلت: شكرت لزيدٍ: فمعناه: شكرت لزيد صنيعه، فجعلوه متعدياً لاثنين: **أحدهما**: بنفسه، **والآخر**: بحرف الجر، ولذلك فسر الزمخشري هذا الموضع بقوله: واشكروا لي ما أنعمت عليكم.

وقال ابن عطية: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِي﴾ واشكروني بمعنى واحد، و﴿لي﴾ أفصح وأشهر مع الشكر، ومعناه: اشكروا نعمتي وأياديَّ، وكذلك إذا قلت: شكرتك فالمعنى: شكرت لك صنيعك وذكرته. فَحَذَف المضاف؛ إذ معنىٰ الشكر: ذكر اليد وذكر مسديها معاً، فما حذف من ذلك فهو اختصار لدلالة ما بقي على ما حذف انتهى «سمين» وقيل: معنى الشكر هنا: الاعتراف بحق المنعم والثناء عليه، ولذلك قابله بقوله: ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾.

﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ هو من كفر النعمة، وهو على حذف مضاف؛ أي: ولا تكفروا نعمتي، ولو كان من الكفر ضد الإيمان لقال: ولا تكفروا، أو: ولا تكفروا بي، وهذه النون نون الوقاية حذفت ياء المتكلم بعدها تخفيفاً لتناسب الفواصل، وقيل: المعنى واشكروا لي بالطاعة، ولا تكفرون بالمعصية.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ جمع صابر، اسم فاعل من صبر على الأمر ـ من باب ضرب ـ إذا جرأ وشجع وتجلد، فهو صابر وصبر وصبور، والصبر من خواص الإنسان؛ لأنه يتعارض فيه العقل والشهوة وهو بدني، وهو إما فعلي كتعاطي الأعمال الشاقة، وإما احتمالي كالصبر على الضرب الشديد، ونفسي وهو قمع النفس عن مشتهيات الطبع فإن كان من شهوة الفرج والبطن سمي عِفَّة، وإن كان من احتمال مكروه اختلفت أساميه باختلاف المكروه ففي المصيبة يقتصر عليه باسم الصبر ويضاده الجزع، وإن كان في الغنى سُميَ ضبط النفس ويضاده البطر، وإن كان في حربٍ سُمي شجاعةً ويضاده الجبن، وإن كان في نائبة مُضجرة سُمي سعة صدر ويضاده الضجر، وإن كان في إخفاء كلام سُمي كتماناً ويضاده الإعلان، وإن كان في فضول الدنيا سُمي زهداً ويضاده الحرص، وإن كان على يسير من المال سمِّي قناعةً ويضاده الشره.

قال القفال: ليس الصبر أن لا يجد الإنسان ألم المكروه، ولا أن لا يكره ذلك، إنما هو حمل النفس على ترك إظهار الجزع وإن ظهر دمع عين أو تغير لون ولو ظهر منه أولاً ما لا يُعد معه صابراً ثُمّ صبر لم يعد ذلك إلا سلواناً.

﴿مُّصِيبَةٌ﴾: اسم فاعل من أصابت، والمصيبة: كل ما أذى المؤمن في نفسٍ أو مالٍ أو أهلٍ، صغرت أو كبرت حتى انطفاء المصباح لمن يحتاجه يُسمى: مصيبة.

البلاغة

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾: والتعبير بصيغة التكلم الدالّة على العظمة بعد التعبير بالصيغة التي لا دلالة لها عليها من قبيل التفنن، وجرياً على سَنَنِ الكبراء. أفاده أبو السعود.

وبين كلمتي ﴿أَرْسَلْنَا﴾ و﴿رَسُولًا﴾ من المحسنات البديعية جناس الاشتقاق؛ وهو توافق الكلمتين في الحروف والأصول مع الاتفاق في أصل المعنى.

قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾: ذكره بعد قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ من باب ذكر العام بعد الخاص لإفادة الشمول والعموم، ويسمى مثل هذا عند البلغاء بالإطناب.

﴿أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾: فيه إيجاز بالحذف؛ أي: لا تقولوا: هم أموات، بل هم أحياء وبينهما طباق.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ﴾: والإتيان بالجملة الخبرية مقسماً عليها تأكيدٌ لوقوع الابتلاء، وإسناد الفعل إليه صريح في إضافه أسباب البلايا إليه، وأن هذه المحن من الله تعالى. ﴿بِشَيْءٍ﴾ الباء فيه للإلصاق، وأفرده ليدل على التقليل؛ أي: بشيءٍ قليلٍ؛ إذ لو جمعه فقال: بأشياء.. لاحتمل أن تكون ضروباً من كل واحدٍ مما بعده.

قوله: ﴿وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾: ذكره بعد ذكر الأموال من ذكر الخاص بعد العام اهتماماً به؛ لاندراجها تحت الأموال.

قوله: ﴿إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾: فيه من المحسنات البديعية التجنيس المغاير؛ وهو أن تكون إحدى الكلمتين اسماً، والأخرى فعلاً، ومنه قوله تعالى: ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ﴾، ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾، وفي «المنتخب» ما ملخَّصه: إن إسناد الإصابة إلى المصيبة لا إلى الله تعالى؛ ليعم ما كان من الله وما كان من غيره، فما كان من الله فهو داخل تحت قوله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾؛ لأن في الإقرار بالعبودية تفويضاً للأمور إليه، وما كان في غيره فتكليفه أن يرجع إلى الله في الإنصاف منه، ولا يتعدى. كأنه في الأول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ يدبر كيف يشاء، وفي الثاني: ﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ﴾ ينصف لنا كيف يشاء انتهى.

﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾: التنوين فيهما للتفخيم، وجمع صلوات؛ ليدل على أن ذلك ليس مطلق صلاة، بل صلاة بعد صلاة، ووصفها بكونها ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ ليدل بـ﴿من﴾ على ابتدائها من الله؛ إذ تنشأ تلك الصلوات وتبتدىء من الله تعالى، ويحتمل أن تكون ﴿من﴾ تبعيضية، فيكون ثَمَّ حذف مضاف؛ أي: صلوات من صلوات ربهم، وأتى بلفظ الرب مع إضافته إلى ضميرهم؛ لما فيه من

دلالة التربية والنظر للعبد فيما يصلحه ويربِّيه به.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾: أكّد بقوله: ﴿هُمُ﴾ وبالألف واللام؛ لإفادة الحصر، كأن الهدايةَ انحصرت فيهم، وهو من قَصْرِ الصفة على الموصوف، وأتى باسم الفاعل؛ ليدل على الثبوت؛ لأن الهداية ليست من الأفعال المتجددة وقتاً بعد وقت فيخبر عنها بالفعل، بل هي وصف ثابتٌ.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾.

المناسبة

لما أمر الله سبحانه وتعالى بذكره وشكره، ودعا المؤمنين إلى الاستعانة بالصبر والصلاة، وأثنى على الصابرين، وكان الحج من الأعمال الشاقة المفنية للمال والبدن، وكان أحد أركان الإسلام.. أعقب ذلك ببيان أهمية الحج، وأنه من شعائر دين الله، ثم نبه تعالى على وجوب نشر العلم، وعدم كتمانه، وذكر خطر كتمان ما أنزل الله من البينات والهدى، كما فعل اليهود والنصارى في كتبهم، فاستحقوا اللعنة والغضب من الله تعالى ومن عباده.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ...﴾ قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى في «صحيحه» (ج ٤ ص ٢٤٤): حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري قال عروة: سألت عائشة رضي الله عنها، فقلت لها: أرأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ فوالله ما على أحد جناح ألا يطّوف بالصفا والمروة؟ فقالت: بئس ما قلت يا ابن أختي، إن هذه الآية لو كانت كما أوّلتها عليه كانت لا جناح عليه ألا يتطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأنصار؛ كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها بالمشلل[١]، فكان مَنْ أهلَّ يتحرج أن

(١) **مشلل**: موضع بين مكة والمدينة.

يطوف بالصفا والمروة، فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، قالوا: يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة، فأنزل الله تعالى عز وجل ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ...﴾ الآية. قالت عائشة رضي الله عنها: وقد سنّ رسول الله ﷺ الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما، ثم أخبرت أبا بكر بن عبد الرحمٰن، فقال: إن هذا العلم ما كنت سمعته، ولقد سمعت رجالاً من أهل العلم يذكرون: أن الناس ـ إلا من ذكرت عائشة ممن كان يهل بمناة ـ كانوا يطوفون كلهم بالصفا والمروة، فلما ذكر الله تعالى الطواف بالبيت، ولم يذكر الصفا والمروة في القرآن.. قالوا: يا رسول الله كنا نطوف بالصفا والمروة، وإن الله أنزل الطواف بالبيت، فلم يذكر الصفا والمروة، فهل علينا من حرج أن نطوف بالصفا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ...﴾ الآية. قال أبو بكر: فأسمع هذه الآية نزلت في الفريقين كليهما؛ في الذين كانوا يتحرجون أن يطوفوا في الجاهلية بالصفا والمروة، والذين يطوفون ثم يتحرجوا أن يطوفوا بهما في الإسلام؛ من أجل أن الله تعالى أمر بالطواف بالبيت ولم يذكر الصفا والمروة حتى ذكر ذلك بعد ما ذكر الطواف بالبيت. والحديث أخرجه مسلم والترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأبو داود، وأحمد ابن حنبل، ومالك في «الموطأ».

وأخرج البخاري في «صحيحه» ومسلم والترمذي، وصححه عن أنس رضي الله عنه؛ أنه سئل عن الصفا والمروة، فقال: كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية، فلما كان الإسلام أمسكنا عنهما، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ...﴾ الآية. ولا مانع من أن الآية نزلت في الجميع.

وأخرج الحاكم(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت الشياطين في الجاهلية تطوف الليل أجمع بين الصفا والمروة، وكان بينهما أصنام لهم، فلما جاء الإسلام قال المسلمون: يا رسول الله لا نطوف بين الصفا والمروة، فإنه

---

(١) لباب النقول.

شيء كنا نصنعه في الجاهلية، فأنزل الله هذه الآية.

قوله تعالى[1]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا...﴾ الآية. أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم من طريق سعيد، أو عكرمة عن ابن عباس قال: سأل معاذ بن جبل، وسعد بن معاذ، وخارجة بن زيد نفراً من أحبار اليهود عن بعض ما في التوراة، فكتموهم إياه، وأبوا أن يخبروهم، فأنزل الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ...﴾ الآية.

التفسير وأوجه القراءة

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ﴾: اسمان للجبلَيْنِ المعروفين بمكة في طرفي المسْعى. ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ لا من شعائر الجاهلية؛ أي: من علامات مواضع عبادة الله تعالى الحج والعمرة، جمع شعيرة وهي العلامة؛ لأن الصفا والمروة كانا حدين وغايتين لطرفي المسعى، أو الكلام على حذف مضافٍ تقديره: إن الطواف والسعي بين الصفا والمروة من شعائر الله؛ أي: من أحكام دين الله وعبادته[2]، ولما كان الطواف بينهما ليس عبادة مستقلة، بل إنما يكون عبادةً إذا كان بعض حج أو عمرة، بين تعالى ذلك بقوله: ﴿فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ﴾؛ أي: قصد الكعبة لعبادة مخصوصة معروفة في الشرع ﴿أَوِ ٱعۡتَمَرَ﴾؛ أي: أو زار الكعبة لعبادة مخصوصة معروفة في الشرع؛ لأن الحج لغة: القصد، والعمرة كذلك الزيارة، وفي الشرع: عبادتان معروفتان. ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ﴾؛ أي: فلا ذنب، ولا إثم على ذلك الحاج أو المعتمر ﴿أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾؛ أي: أن يدور ويسعى بينهما؛ أي: فلا إثم عليهِ في سعيه بين الصفا والمروة سبعة أشواط.

قال ابن عباس: كان على الصفا صنم اسمه: إساف، وعلى المروة صنم آخر اسمه: نائلة، وكان أهل الجاهلية يطوفون بهما، ويتمسحون بهما، فلما جاء

(١) لباب النقول.
(٢) البحر المحيط.

الإسلام كره المسلمون الطواف بينهما لأجل الصنمين، فأذن الله تعالى فيه، وأخبر أنه من شعائر الله، لا من شعائر الجاهلية.

وأخرج مسلم[1] عن جابر رضي الله عنه في حديثه الطويل في صفة حجة الوداع قال: ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ «ابدأ بما بدأ الله به»، فبدأ بالصفا، الحديث. فإذا ثبت أن النبي ﷺ سعى وجب علينا السعي؛ لقوله تعالى: ﴿فاتَّبِعُوْه﴾، ولقوله ﷺ: «خذوا عني مناسككم» والأمر للوجوب.

وأخرج مسلم[2]، وغيره عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لعمري ما أتم الله حج من لم يسع بين الصفا والمروة ولا عمرته؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾.

وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سئل رسول الله ﷺ فقال: «إن الله كتب عليكم السعي فاسعوا».

فائدة[3]: اختلف العلماء في حكم السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة، فذهب جماعة إلى وجوبه؛ وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة رضي الله عنهم، وبه قال الحسن، وإليه ذهب مالك والشافعي.

وذهب قوم إلى أنه تطوع؛ وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما، وبه قال ابن سيرين، وذهب الثوري وأبو حنيفة إلى أنه ليس بركن، وعلى من تركه دم. وروي عن ابن الزبير، ومجاهد، وعطاء أنّ من تركه فلا شيء عليه، واختلفت الرواية عن أحمد في ذلك، فروي عنه أن من ترك السعي بين الصفا والمروة لم يُجْزِه حجه ولا عمرته، وروي عنه أنه لا شيء في تركه عمداً ولا سهواً، ولا

---

(١) الخازن.

(٢) شوكاني.

(٣) الخازن.

ينبغي أن يتركه. ونقل الجمهور عنه أنه تطوع.

وسبب هذا الاختلاف أن قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ يصدق عليه أنه لا إثم عليه في فعله، فدخل تحته الواجب والمندوب والمباح، فظاهر هذه الآية لا يدل على أن السعي بين الصفا والمروة واجب، أو غير واجب. فحجة الشافعي ومن وافقه في أن السعي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة.. ما روى الشافعي وغيره عن حبيبة بنت أبي تَجْرَأَة قالت: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بين الصفا والمروة والناس بين يديه، وهو وراءهم يسعى حتى أرى ركبتيه من شدة السعي، يدور به إزاره، وهو يقول: «اسعوا فإن الله عز وجل كتب عليكم السعي» ويؤيد ذلك حديث: «خذوا عني مناسككم».

وقرأ الجمهور[1]: ﴿أَن يَطَّوَّفَ﴾ أصله: يتطوف، فأدغمت التاء في الطاء، ماضيه تطوف، وقرأ أنس، وابن عباس، وابن سيرين، وشُهِر ﴿أن لا﴾ وكذلك في مصحف أُبي، وعبد الله، وخرج ذلك على زيادة ﴿لا﴾ نظير: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ فتتحد معنى القراءتيين، وقرأ أبو حمزة: ﴿أن يطوُف بهما﴾ مِن طاف، يطوف الثلاثي، وهي قراءة ظاهرة، وقرأ ابن عباس، وأبو السمال ﴿يَطَّاف بهما﴾ أصله يطتوف بوزن يفتعل، وماضيه اطتوف بوزن افتعل، تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، وأدغمت الطاء في التاء بعد قلب التاء طاء، فصارا اطّاف، وجاء مضارعه يطّاف، ومصدره اطيافاً وكل القراءات المذكورة شاذة عدا قراءة الجمهور.

﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾؛ أي: تبرع وزاد على ما فرض الله عليه من حج وعمرة تطوعاً ونفلاً، فطاف بين الصفا والمروة في ضمن حج تطوع وعمرته، لا استقلالاً، لأن السعي لا يتنفل به. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿شَاكِرٌ﴾ له على طاعته، وقابل منه، ومجازٍ له عليها. ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيته، ويعلم قدر الجزاء، فلا يبخس المستحق حقه، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين.

---

(١) البحر المحيط.

وقرأ ابن كثير[1]، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر ﴿تَطَوَّعَ﴾ فعلاً ماضياً هنا، وفي قوله: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾. وقرأ حمزة والكسائي في المتواتر: ﴿يطَّوَّع﴾ مضارعاً مجزوماً بـ﴿من﴾ الشرطية، وقرأ ابن مسعود: (يتطوع بخير) ويطوع أصله: يتطوع كقراءه عبد الله، وهذه قراءة شاذة.

ونزل في أحبار اليهود قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾؛ أي: يخفون الناس ﴿مَآ أَنزَلْنَا﴾ في التوراة، وهم علماء اليهود. ﴿مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾؛ أي: من العلامات الواضحة الدالة على صدق محمد ﷺ ونبوته، من نعوته وأخلاقه وأفعاله. ﴿وَٱلْهُدَىٰ﴾؛ أي: ومن الأحكام التي هدى الله الخلق إليها، ودعاهم لها، وشرعها لهم من الأوامر والنواهي كآية الرجم. ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ﴾ وأوضحناه. ﴿لِلنَّاسِ﴾؛ أي: لبني إسرائيل ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: في التوراة، والمراد بالكتم هنا: إزالة ما أنزل الله، ووضع غيره في موضعه؛ فإنهم محوا آية الرجم، ونعته ﷺ، وكتبوا مكان ذلك ما يخالفه. ومعلوم أن الكتم والكتمان: ترك إظهار الشيء قصداً مع مسيس الحاجة إليه، وتحقق الداعي إلى إظهاره؛ لأنه متى لم يكن كذلك لا يعد من الكتمان، وذلك قد يكون بمجرد ستره وإخفائه، ويكون بإزالته ووضع شيء آخر مكانه.

وقرأ الجمهور: ﴿بَيَّنَّٰهُ﴾ مطابقة لقوله: ﴿أنزلنا﴾، وقرأ طلحة بن مصرف شذوذاً: ﴿بينة﴾ بضمير مفرد غائب، ففيه حينئذٍ التفات من التكلم إلى الغيبة. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الكاتمون لما أنزلنا. ﴿يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: يبعدهم الله من رحمته ﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ من الملائكة والمؤمنين، أو جميع الخلائق؛ أي: يسألون الله أن يلعنهم ويطردهم من رحمتهم، ويقولون: اللهم العنهم. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾؛ أي: ندموا على ما فعلوا، فرجعوا عن الكفر إلى الإسلام ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ ما بينهم وبين الله تعالى بالتوحيد والطاعات ﴿وَبَيَّنُوا۟﴾؛ أي: أوضحوا للناس ما كتموا من العلم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ التائبون المصلحون المبيِّنون ﴿أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: أقبل منهم

(١) البحر المحيط.

توبتهم، وأتجاوز عن سيئاتهم وكتمانهم ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ﴾؛ أي: القابل لتوبة من تاب ﴿الرحيم﴾ المبالغ في نشر الرحمة لمن مات على التوبة، وفي قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟﴾ إشارة إلى أركان التوبة الثلاثة؛ لأن معنى تابوا: ندموا، ومعنى أصلحوا: بالعزم على عدم العود إلى المعصية، ومعنى بينوا: بالإقلاع عن الكتمان؛ لأن الإقلاع مفارقة المعصية؛ وهي هنا الكتمان ومفارقتها حاصلة بالبيان.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لولا آيتان أنزلهما الله في كتابه ما حدثت شيئاً أبداً وهما قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾، وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ إلى آخر الآيتين. متفق عليه.

وهل[1] إظهار علوم الدين فرض كفاية أو فرض عين؟ فيه خلاف، والأصح أنه إذا ظهر للبعض بحيث يتمكن كل واحد من الوصول إليه لم يبق مكتوماً، وقيل: متى سئل العالم عن شيءٍ يعلمه من أمر الدين يجب عليه إظهاره، وإلا فلا. وفي «الكرخي»: وهذه الآية: تدل على أن من أمكنه بيان أصول الدين بالدلائل العقلية لمن كان محتاجاً إليها، ثم تركها أو كتمها، وكتم شيئاً من أحكام الشرع مع الحاجة إليه لحقه هذا الوعيد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالكتمان وغيره ﴿وَمَاتُوا۟﴾؛ أي: واستمروا على ذلك حتى داهمهم الموت. ﴿وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ بالله ورسوله. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ المستمرون على كفرهم حتى ماتوا عليه. ﴿عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ﴾ وطرده لهم من رحمته ﴿و﴾ لعنة ﴿الملائكة والناس﴾ كلهم ﴿أجمعين﴾ حتى أهل دينهم، فإنهم يوم القيامة يلعن بعضهم بعضاً، وقرأ الجمهور: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ بالجر عطفاً على لفظ الجلالة، وقرأ الحسن: ﴿والملائكة والناس أجمعون﴾ بالرفع، وخرج على أنه مبتدأ حذف خبره تقديره: والملائكة والناس أجمعون يلعنونهم حالة كونهم

---

(١) الخازن.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾؛ أي: مستمرين في اللعنة، أو في النار، وفي إضمارها قبل الذكر تفخيم لشأنها، وتهويل منها، أو أضمرها لدلالة اللعنة عليها ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ طرفة عين ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾؛ أي: لا يمهلون ولا يؤجلون من العذاب، فإذا استمهلوا لا يمهلون، وإذا استغاثوا لا يغاثون، وقيل: لا ينظرون ليعتذروا، وقيل: لا يُنظر إليهم نظر رحمة، وفي «الفتوحات الإلهية» قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ إشارة إلى كم العذاب، وأنه كثير لا ينقطع، وقوله ﴿لَا يُخَفَّفُ...﴾ إلخ إشارة إلى كيفه وشدته.

الإعراب

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾.

﴿إِنَّ﴾ حرف نصب. ﴿ٱلصَّفَا﴾: اسمها. ﴿وَٱلْمَرْوَةَ﴾: معطوف عليه. ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بمحذوف خبر إن؛ تقديره: كائنان من شعائر الله، وجملة إنّ مستأنفة.

﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾.

﴿فَمَنْ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر؛ تقديره: إذا عرفتم أن الصفا والمروة من شعائر الله، وأردتم بيان حكم السعي بينهما.. فأقول لكم: ﴿مَن حج البيت﴾: ﴿مَن﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط أو الجواب، أو هما على الخلاف المذكور في محله. ﴿حَجَّ﴾: فعل ماض في محل الجزم بـ﴿مَن﴾ على كونه فعل الشرط لها، وفاعله ضمير يعود على (مَن). ﴿ٱلْبَيْتَ﴾: مفعول به. ﴿أَوِ﴾: حرف عطف وتفصيل ﴿ٱعْتَمَرَ﴾: فعل ماضٍ في محل الجزم معطوف على ﴿حَجَّ﴾، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَن﴾. ﴿فَلَا﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿مَن﴾ الشرطية وجوباً؛ لكون الجواب جملة اسمية ﴿لا﴾: نافية تعمل عمل إن. ﴿جُنَاحَ﴾: في محل النصب اسمها. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر لا، وجملة ﴿لا﴾ من اسمها وخبرها في محل الجزم بـ﴿مَن﴾ الشرطية على كونها جواباً لها،

وجملة (مَن) الشرطية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿يَطَّوَّفَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ﴿أن﴾، وفاعله ضمير يعود على (مَن). ﴿بِهِمَا﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة الفعلية صلة ﴿أَن﴾ المصدرية، ﴿أن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بحرف جر محذوف؛ تقديره: فلا جناح عليه في طوافه بهما، والجار المحذوف متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الجار والمجرور قبله.

﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾.

﴿وَمَن﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة ﴿مَن﴾ اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط. ﴿تَطَوَّعَ﴾: فعل ماضٍ في محل الجزم بـ﴿مَن﴾ على كونه فعل الشرط لها، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَن﴾، ﴿خَيْرًا﴾: منصوب؛ إما على[1] إسقاط حرف الجر؛ أي: تطوع بخيرٍ، فلما حذف الحرف انتصب على حد قوله:

تَـمُـرُّوْنَ ٱلـدِّيَـارَ فَـلَـمْ تُـعَـوِّجُـوا

أو على أن يكون نعت مصدر محذوف؛ أي: تطوعاً خيراً، أو على أن يكون حالاً من ذلك المصدر المقدر معرفةً، وهذا مذهب سيبويه. اهـ «سمين».

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿مَن﴾ الشرطية وجوباً، ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿شَاكِرٌ﴾: خبر أول لها. ﴿عَلِيمٌ﴾: خبر ثان. وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل الجزم بـ﴿مَن﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿مَن﴾ الشرطية في محل النصب معطوفة على جملة ﴿مَن﴾ الأولى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾.

---

(١) جمل.

﴿إِنَّ﴾: حرف نصب وتوكيد. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول في محل النصب اسمها: ﴿يَكْتُمُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الفاعل. ﴿مَآ﴾: موصولة، أو موصوفة في محل النصب مفعول به. ﴿أَنزَلْنَا﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة لـ﴿مَآ﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط ضمير المفعول المحذوف؛ تقديره: ما أنزلناه. ﴿مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: جار ومجرور حال من ضمير المفعول المحذوف من ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أو حال من ﴿مَآ﴾ ويصح أن يتعلق بـ﴿أَنزَلْنَآ﴾ كما ذكره أبو البقاء. ﴿وَٱلْهُدَىٰ﴾: معطوف على البينات. ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يَكْتُمُونَ﴾ ﴿بَعْدِ﴾: مضاف. ﴿مَا﴾ مصدرية. ﴿بَيَّنَّٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والضمير عائد على ﴿مَآ أَنزَلْنَا﴾، والجملة الفعلية صلة ﴿مَآ﴾ المصدرية، ﴿ما﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بإضافة الظرف إليه؛ تقديره: من بعد تبييننا إياه ﴿لِلنَّاسِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿بَيَّنَّٰهُ﴾. ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: جار ومجرور متعلق أيضاً بـ﴿بَيَّنَّٰهُ﴾، فإن تعلق جارين بفعل واحد عند اختلاف المعنى أو اللفظ مما لا خلاف في جوازه. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: مبتدأ. ﴿يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾: فعل ومفعول وفاعل، والجملة في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة من المبتدأ والخبر في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾، وجملة إن من اسمها وخبرها جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب، ويصح أن يكون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ بدلاً من اسم إن، وجملة ﴿يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾: خبرها. ﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة، ﴿يلعنهم اللاعنون﴾: فعل ومفعول وفاعل، والجملة في محل الرفع معطوفة على جملة ﴿يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾ على كونها خبر إن.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول في محل النصب مستثنى من المفعول في قوله: ﴿يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾. ﴿تَابُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الفاعل. ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على ﴿تَابُوا۟﴾ على كونها صلة الموصول، وكذا جملة قوله: ﴿وَبَيَّنُوا۟﴾:

معطوفة على ﴿تَابُوا﴾. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: ﴿الفاء﴾: تعليلية؛ لوقوعها بعد الاستثناء. ﴿أولئك﴾: مبتدأ. ﴿أَتُوبُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل الجر بلام التعليل المقدرة المدلول عليها بالفاء التعليلية المتعلقة بمعلول محذوف؛ تقديره: وإنما استثنيتهم لتوبتي عليهم. ﴿وَأَنَا﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة، ﴿أنا﴾: مبتدأ ﴿ٱلتَّوَّابُ﴾: خبر أول. ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ خبر ثان، والجملة الاسمية في محل النصب حال من فاعل ﴿أتوب﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾.

﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول في محل النصب اسمها. ﴿كَفَرُواْ﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول. ﴿وَمَاتُواْ﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة، ﴿ماتوا﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة قوله ﴿كَفَرُواْ﴾ على كونها صلة الموصول. ﴿وَهُمْ﴾ ﴿الواو﴾ حالية، ﴿هم﴾ مبتدأ. ﴿كُفَّارٌ﴾: خبره، والجملة في محل النصب حال من فاعل ﴿ماتوا﴾. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: مبتدأ أول. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار مجرور خبر مقدم. ﴿لَعْنَةُ ٱللَّهِ﴾: مبتدأ ثان ومضاف إليه، والجملة من المبتدأ الثاني وخبره في محل الرفع خبر للمبتدأ الأول، والجملة من المبتدأ الأول وخبره في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ من اسمها وخبرها: مستأنفة استئنافاً نحوياً. ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: معطوف على لفظ الجلالة، وكذا قوله ﴿وَٱلنَّاسِ﴾: معطوف على لفظ الجلالة. ﴿أَجْمَعِينَ﴾: توكيد للملائكة والناس.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾.

﴿خَٰلِدِينَ﴾: حال من الضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿خَٰلِدِينَ﴾. ﴿لا﴾: نافية. ﴿يُخَفَّفُ﴾: فعل مضارع مغيَّر الصيغة. ﴿عَنْهُمُ﴾: متعلق به. ﴿ٱلْعَذَابُ﴾: نائب فاعل، والجملة الفعلية في محل النصب حال من الضمير المستتر في ﴿خَٰلِدِينَ﴾ أو مستأنفة. ﴿وَلَا هُمْ﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة، ﴿لَا﴾

نافية ﴿هم﴾ مبتدأ ﴿يُنظَرُونَ﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة في محل الرفع خبر المبتدأ؛ تقديره: ولا هم منظرون، والجملة الاسمية في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿ولا يخفف﴾ على كونها حالاً من الضمير المستتر في ﴿خَٰلِدِينَ﴾ أو على كونها مستأنفة.

التصريف ومفردات اللغة

﴿ٱلصَّفَا﴾: جمع صفاة، وهي الصخرة الصلبة الملساء، وعبارة «السمين»: وألف الصفا منقلبة عن واو؛ بدليل قلبها في التثنية واواً، فإنهم قالوا في تثنيته: صفوان، والاشتقاق يدل عليه أيضاً؛ لأنه من الصفو، وهو الخلوص، والصفا الحجر الأملس، وقيل: الذي لا يخالطه غيره من طين أو تراب، ويفرق بين واحده وجمعه بتاء التأنيث نحو: صفا كثيرة وصفاة واحدة، وقد يجمع الصفا على فعول وأفعال، فإنهم قالوا: صُفِي بكسر الصاد وضمها كعِصي وأصفاء، والأصل صفوو وأصفاو، فقلبت الواوان في صفوو يائين، والواو في أصفاو همزةً ككساء وبابه.

﴿وَٱلْمَرْوَةَ﴾: الحجارة الصغار، فقيل: اللينة، وقيل: الصلبة، وقيل: البيض، وقيل: السود. انتهت. وجمعها: مرو ومروات، وهذا بالنظر إلى أصلهما وإلا فهما عَلَمان للجبلين المعروفين في مكة.

﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ والشعائر: جمع شعيرة؛ وهي العلامة؛ أي: من أعلام مناسكه، والمراد بها مواضع العبادة التي أشعرها الله تعالى أعلاماً للناس من الموقف والمسعى والمنحر.

﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ﴾ يقال: حج يحج حجاً ـ من باب رَدَّ ـ فهو حاجّ، والحج لغةً: القصد، وشرعاً: قصد مكة لنسك مخصوص.

﴿أَوِ ٱعْتَمَرَ﴾: من باب افتعل، والمصدر الاعتمار، وهو الزيارة، والعمرة مأخوذة منه؛ وهي زيارة مكة لنسك معلوم.

﴿فَلَا جُنَاحَ﴾: والجناح: الميل إلى الإثم، ثم أطلق على الإثم نفسه، يقال: جنح إلى كذا جنوحاً ـ من بابي قَعَدَ وفَتَحَ ـ إذا مال إليه، ومنه جُنْحُ الليل؛ أي: ميله.

﴿وَمَن تَطَوَّعَ﴾: تطوع ـ من باب تفعَّل ـ من الطوع؛ وهو الانقياد، ولكن المراد هنا: التبرع بأي طاعة كانت، أو بالحج والعمرة بعد قضاء الواجب عليه.

البلاغة

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾: في هذا التركيب مجازٌ بالحذف؛ إما من الأول تقديره: إن السعي بين الصفا والمروة من أحكام شرع الله التي شرعها لعباده، أو من الآخر تقديره: إن الصفا والمروة من أعلام عباده الله وحدودها.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾: وشكرُ اللّهِ العبدَ بأحد معنيين: إما بالثواب، وإما بالثناء عليه.

قال أبو السعود: عبر عن ذلك بالشكر مبالغةً في الإحسان على العباد، فأطلق الشكر، وأراد به الجزاء بطريق المجاز. وعلمه[1] هنا؛ هو علمه بقدر الجزاء الذي للعبد على فعل الطاعة، أو بنيته وإخلاصه في العمل، وقد وقعت الصفتان الموقَع الحسن؛ لأن التطوع بالخير يتضمن الفعل والقصد، فناسب ذكر الشكر باعتبار الفعل، وذكر العلم باعتبار القصد، وأخرت صفة العلم وإن كانت متقدمة على الشكر، كما أن النية مقدمة على الفعل؛ لتواخي رؤوس الآي. ذكره أبو حيان.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا﴾: فيه خروج من ظاهر إلى ضمير متكلم.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ﴾ وتبيينه[2] لهم تلخيصه وإيضاحه، بحيث يتلقاه كل واحد منهم من غير أن يكون له فيه شبهة، وهذا عنوان مغاير؛ لكونه بيناً في

---

(١) البحر المحيط.

(٢) أبو السعود.

نفسه، وهدى مؤكد؛ لقبح الكتم أو تفهيمه لهم بواسطة موسى عليه السلام.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ﴾ وأبرز[1] الخبر في صورة جملتين: توكيداً وتعظيماً، وأتى بالفعل المضارع المقتضي التجدد؛ لتجدد مقتضيه، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾، ولذلك أتى بصلة ﴿ٱلَّذِينَ﴾ فعلاً مضارعاً ليدل أيضاً على التجدد؛ لأن بقاءهم في الكتمان هو تجدد كتمانٍ، وجاء بالجملة المسند فيها الفعل إلى الله؛ لأنه هو المجازي على ما اجترحوه من الذنب، وجاءت الجملة الثانية؛ لأن لعنة اللاعنين مترتبة على لعنة الله للكاتمين، وأبرز اسم الجلالة بلفظ الله على سبيل الالتفات؛ إذ لو جرى على نسق الكلام السابق.. لكان أولئك نلعنهم، لكن في إظهار هذا الاسم الشريف من الفخامة، وإلقاء الروعة والمهابة في القلب ما لا يكون في الضمير، وفي قوله: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ﴾ من المحسنات البديعية التجنيس المغاير؛ وهو أن يكون إحدى الكلمتين اسماً والأخرى فعلاً.

وقوله[2]: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾: اعتراض تذييلي محقق لمضمون ما قبله، والالتفات إلى التكلم؛ للتفنن في النظم الكريم، مع ما فيه من التلويح والرمز إلى ما مر من اختلاف المبدأ في فعليه تعالى: السابق وهو اللعن، واللاحق وهو الرحمة.

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: من الإنظار لا من النظر، فإيثار الجملة الاسمية لإفادة دوام النفي واستمراره. ذكره الكرخي.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

---

(١) البحر المحيط.

(٢) جمل.

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ...﴾ الآية، مناسبتها لما قبلها: أنه لما كان كفر معظم الكفار المستحقين اللعنة والخلود في النار؛ لاتخاذهم آلهة مع الله... أخبر تعالى أن الإله واحد لا يتعدد، ولا يتجزأ، ولا مثيل له في صفاته، وحصر الإلهية فيه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ الآية، مناسبة[1] هذه الآية لما قبلها: أنه تعالى لمّا ذكر أنه واحد، وأنه منفرد بالإلهية.. لم يكتف بالإخبار حتى أورد دلائل الاعتبار، واستدل على وحدانيته واختصاصه بالإلهية بهذا الخلق الغريب، والبناء العجيب استدلالاً بالأثر على المؤثر، وبالصنعة على الصانع، وعرفهم طريق النظر، وفيم ينظرون، فبدأ أولاً بذكر العالم العلوي فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ﴾، ثم بالعالم السفلي، ثم بتعاقب الليل والنهار، ثم بالسفن التي تمخر أمواج البحار، ثم بالأمطار التي فيها حياة الزروع والنفوس، ثم بما بثّ في الأرض من أنواع الحيوانات العجيبة، ثم بالرياح والسحب التي سخرها الله تعالى

---

(١) البحر المحيط.

لفائدة الإنسان، وختم ذلك بالأمر بالتفكير في بدائع صنع الله، وإعمال العقل في عجيب خلقه؛ ليستدل العاقل بالأثر على وجود المؤثر، وبالصنعة على عظمة الخالق المدبر الحكيم، ثم ذكر تعالى بعد ذكر هذه الآيات البينات الواضحات أنّ من الناس متخذي أنداداً، وأنهم يحبونهم مثل محبة الله، ثم ذكر أن من المؤمنين من هو أشد حباً لله من هؤلاء لأصنامهم، ثم خاطب من خاطب بقوله: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟...﴾ حين عاينوا نتيجة اتخاذهم الأنداد لرأيت أمراً عظيماً.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ...﴾ سبب[1] نزول هذه الآية: أن كفار قريش قالوا: يا محمد صف، لنا ربك، وانسبه؟ فأنزل الله هذه الآية وسورة الإخلاص.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ سبب نزولها: ما روي عن[2] عطاء قال: نزل على النبي ﷺ بالمدينة: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ...﴾ الآية. فقال كفار قريش بمكة: كيف يسع الناس إله واحد؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

التفسير وأوجه القراءة

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ روي: أنه كان للمشركين ثلاث مئة صنم يعبدونها من دون الله، فبين الله أنه إلههم، وأنه واحد، فقال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾؛ أي: معبودكم الذي يستحق العبادة منكم أيها العباد ﴿إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾؛ أي: إله منفرد في ألوهيته وربوبيته، ليس له شريك فيهما، ومنفرد في ذاته وصفاته وأفعاله ليس له نظير فيها[3]، وظاهر الخطاب أنه لجميع المخلوقات المُتصوّر منهم العبادة؛ فهو إعلام لهم بوحدانية الله تعالى، ويحتمل أن يكون خطاباً للمشركين الذين قالوا لرسول الله ﷺ:

---

(١) الخازن.

(٢) لباب النقول.

(٣) البحر المحيط.

صف لنا ربك؟ أو خطاباً لمن يعبد مع الله غيره من صنم ووثن ونار.

وقال في «المنتخب»: لمّا قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ..﴾ أمكن أن يخطر ببال أحد أن يقول: هب أن إلهنا واحد، فلعل إله غيرنا مغاير لإلهنا، فلا جرم أن يزيل ذلك الوهم ببيان التوحيد المطلق، فقال: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فقوله: ﴿لَّا إِلَٰهَ﴾: يقتضي النفي العام الشامل، فإذا قال بعده: ﴿إلا الله﴾ أفاد التوحيد التام المطلق المحقق. انتهى.

﴿لا إلٰه﴾؛ أي: لا معبود بحق في الوجود ﴿إِلَّا هُوَ﴾؛ أي: إلا الله الواحد الفرد الصمد، وهذه[1] الجملة توكيدٌ لمعنى الوحدانية، ونفي الإلهية عن غيره، وهي جملة جاءت لنفي كل فرد فرد من الإلهية، ثم حصر ذلك المعنى فيه تبارك وتعالى، فدلت الجملة الأولى على نسبة الوحدانية إليه تعالى، ودلت الثانية على حصر الإلهية فيه.

والمعنى[2]: إلهكم الحقيق بالعبادة إلٰه واحد، فلا تشركوا به أحداً، والشرك به ضربان.

الأول: شرك في الألوهية والعبادة: بأنْ يعتقد المرء أن في الخلق من يشارك الله، أو يعينه في أفعاله، أو يحمله على بعضها، ويصده عن بعض، فيتوجه إليه في الدعاء عندما يتوجه إلى الله ويدعوه معه، أو يدعوه من دون الله؛ ليكشف عنه ضراً، أو يجلب له نفعاً.

الثاني: شرك به في الربوبية: بأنْ يسند الخلق والتدبير إلى غيره معه، أو أخذ أحكام الدين من عبادة وتحليل وتحريم من غير كتبه ووحيه الذي بلغه عنه الرسل استناداً إلى أن من يؤخذ عنهم الدين هم أعلم بمراد الله؛ وهذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

فواجب على علماء الدين أن يبينوا للناس ما نزله الله ولا يكتموه، لا أن يزيدوا فيه، أو ينقصوا منه كما فعل مَنْ قبلَهم من أهل الكتب المنزلة حين زادوا

---

(١) البحر المحيط.
(٢) مراغي.

على الوحي أحكاماً كثيرةً من تلقاء أنفسهم، وخالفوا ما نزل بتأويلاتٍ وتعسفات بعيدةٍ عن روح الدين وسره.

وقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ خبران آخران للمبتدأ؛ أي: وإلهكم هو الرحمٰن؛ أي: كثير الرحمة والإنعام لعباده بحلائل النعم، الرحيم؛ أي: كثير الرحمة والإحسان لعباده بدقائق النعم.

فالله تعالى[1] هو الرحمٰن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، فحسب المرء أن يرجوها، ولا يعتمد على رحمة سواه ممن يظن أنهم مقربون إليه؛ إذ كل ما يعتمد عليه من دونه، فليس أهلاً للاعتماد عليه، بل الاعتماد عليه من قبيل الشرك.

والإلٰه الذي بيده أزمة المنافع، والقادر على دفع المضار؛ واحدٌ لا سلطان لأحد على إرادته، ولا مبدل لكلماته، ولا أوسع من رحمته.

وإنما ذكر الوحدة والرحمة دون غيرهما من صفاته؛ لأن الوحدة تذكر أولئك الكافرين الكاتمين للحق بأنهم لا يجدون ملجأ غيرَ الله يقيهم عقوبته ولعنته، والرحمة بعدها ترغبهم في التوبة، وتحول بينهم وبين اليأس من فضله بعد أن اتخذوا الوسطاء والشفعاء عنده.

وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ وفاتحة آل عمران ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾» أخرجه أبو داود والترمذي، وقال حديث صحيح.

ثم ذكر الله سبحانه وتعالى بعض ظواهر الكون الدالة على وحدانيته ورحمته؛ لتكون برهاناً على ما ذكر في الآية قبلها فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ. . .﴾ إلى آخر الآية، فذكر من عجائب مخلوقاته ودلائل قدرته ووحدانيته

---

(١) مراغي.

تسعة أنواع، إن جعلنا قوله: ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾ معطوفاً على ما أنزل، وهو الظاهر كما قاله في «الكشاف» وإن عطفناه على قوله: ﴿فَأَحْيَا﴾ فتكون الدلائل ثمانية؛ لأنهما أمران متسببان عن إنزال المطر:

الأول والثاني منها ذكره بقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: إن في إيجادهما على غير مثال سبق مع عظمهما وكثرة أجزائهما، وقيل: الخَلْقُ هنا بمعنى المخلوق؛ إذ الآيات التي تشاهد إنما هي في المخلوق الذي هو السموات والأرض، وحينئذ فإضافته بيانية، وإنما جمع السموات؛ لأنها أجناس مختلفة كل سماء من جنس غير جنس الأخرى، وأفرد الأرض؛ لأنها جنس واحد وهو التراب.

والآيات في السماء هي: سمكها، وارتفاعها بغير عمد ولا علاَّقة، وما يُرى فيها من الشمس والقمر والنجوم، وفي ذلك كله ما يدل على أنه صادر من إله واحد لا شريك له في الخلق والتقدير، والحكمة والتدبير.

وَفِـي كُـلِّ شَـيْءٍ لَـهُ آيَـةٌ   تَـدُلُّ عَـلَـىٰ أَنَّـهُ ٱلْـوَاحِـدُ

والآيات في الأرض: مدها، وبسطها على الماء، وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والأنهار والأشجار والثمار ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾.

وذكر الثالث منها بقوله: ﴿و﴾ في ﴿اختلاف الليل والنهار﴾؛ أي: في تعاقبهما بمجيء أحدهما، وذهاب الآخر، واختلافهما في الطول والقصر، والزيادة والنقصان، والنور والظلمة، وإنما قُدِّم الليل على النهار؛ لأن الظلمة أقدم، والآيات في الليل والنهار تعاقبهما بالمجيء والذهاب واختلافهما فيما ذكر، واختلاف انتظام أحوال العباد في معاشهم بالراحة في الليل، والسعي والكسب في النهار.

وذكر الرابع منها بقوله: ﴿و﴾ في ﴿الفلك﴾ والسفن ﴿ٱلَّتِي تَجْرِي﴾ وتسير ﴿فِي ٱلْبَحْرِ﴾ والماء العميق.

والآياتُ في السفن: جريانها على وجه الماء؛ وهي موقرة بالأثقال والرجال فلا ترسب[1]، وجريانها بالريح مقبلة ومدبرة، وتسخير البحر لحمل السفن، مع قوة سلطان الماء وهيجان البحر، فلا يُنجي منه إلا الله تعالى.

فدلالتها[2] على الوحدانية يحتاج إلى معرفة طبيعة الماء، وقانون الثقل في الأجسام، وطبيعة الهواء والريح والبخار والكهرباء التي هي العمدة في سير السفن الكبرى في هذا العصر، وكل ذلك يجري على سنن مطردة تدل على أنها صادرة عن قوة بديعة النظام؛ هي قدرة الإله الواحد العليم كما قال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾.

النوع الخامس منها: ركوب السفن، والحمل عليها في التجارة. وذكره بقوله: ﴿بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾؛ أي: ينفعهم في أسفارهم وتجارتهم؛ فهي تحمل أصناف المتاجر من إقليم إلى إقليم، ومن قطر إلى قطر آخر، فتجعل العالم كله مشتركاً في المطاعم والمشارب والملابس وأصناف الأدوية وغيرها، والآيات في ذلك أن الله تعالى لو لم يقوِّ قلوب من يركب هذه السفن.. لما تم الغرض في تجاراتهم ومنافعهم، وأيضاً فإن الله تعالى خص كل قطر من أقطار العالم بشيءٍ معين فصار ذلك سبباً يدعوهم إلى اقتحام الأخطار في الأسفار من ركوب السفن، وخوض البحر، وغير ذلك.

والنوع السادس منها: نزول المطر من السماء، وذكره بقوله: ﴿و﴾ في ﴿ما أنزل الله من السماء﴾؛ أي: من السحاب ﴿مِن مَّآءٍ﴾؛ أي: من المطر الذي به حياة البلاد والعباد، فـ﴿من﴾ الأولى للابتداء، والثانية للبيان. قيل: أراد بالسماء السحاب، سُمي سماء لأن كل ما علاك فأظلك فهو سماء؛ لأنه خلق الله الماء في السحاب، ومنه ينزل إلى الأرض، وقيل: أراد السماء بعينها؛ لأنه خلق الله الماء في السماء، ومنه ينزل إلى السحاب، ثم منه إلى الأرض، ثم عطف على

---

(١) **لا ترسب**: أي لا تذهب سافلة إلى قاع البحر. اهـ.
(٢) مراغي.

أنزل قوله: ﴿فَأَحْيَا بِهِ﴾؛ أي: بذلك الماء ﴿الْأَرْضَ﴾ وأنبتها، وأظهر نضارتها، وحسنها ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ ويبسها وجدبها سماه: موتاً مجازاً؛ لأنها إذا لم تنبت شيئاً، ولم يصبها المطر.. فهي كالميتة، والمعنى: أحيا بهذا الماء الزروع والأشجار بعد أن كانت يابسة مجدبة ليس فيها حبوب ولا ثمار.

والآيات في ذلك: أنّ الله جعل الماء سبباً لحياة جميع الموجودات من حيوان ونبات، وأنه ينزله عند الحاجة إليه بمقدار المنفعة، وعند الاستسقاء، وينزله بمكان دون مكان.

والسابع منها: انتشار كل دابةٍ في الأرض، وذكره بقوله: ﴿و﴾ في ﴿بث﴾ وفرق ﴿فِيهَا﴾؛ أي: في الأرض ﴿مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾؛ أي: من كل حيوان. قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد كل ما دبّ على وجه الأرض من جميع الخلق من الناس وغيرهم، فقوله: ﴿بث﴾ إما معطوف على ﴿أنزل﴾ فتقدر ﴿ما﴾ الموصولة قبلها، فتكون الآيات حينئذ تسعة أنواع، أو معطوف على ﴿أحيا﴾، فتكون الآيات ثمانية كما أشرنا إليه فيما مر، والآيات في ذلك: أن جنس الإنسان مثلاً يرجع إلى أصل واحد وهو آدم، مع ما فيهم من الاختلاف في الصور، والأشكال، والألوان والألسنة، والطبائع، والأخلاق، والأوصاف إلى غير ذلك، ثم يقاس على بني آدم سائر الحيوان.

والثامن منها: الريح وذكره بقوله: ﴿يَعْقِلُونَ﴾؛ أي: وفي تقليب الرياح وتحويلها، وتوجيهها مرة جنوباً ومرة شمالاً، وباردةً وحارةً، ولينةً وعاصفةً.

والآيات فيها: أنها جسم لطيف لا يمسك ولا يرى؛ وهي مع ذلك في غاية القوة بحيث تقلع الشجر والصخر، وتخرب البنيان، وهي مع ذلك حياة الوجود، فلو أمسكها طرفة عين.. لمات كل ذي روح، وأنتن ما على وجه الأرض.

والنوع التاسع منها: السحاب وذكره بقوله: ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ﴾؛ أي: وفي الغيم المذلل لقدرة الله تعالى يسير ﴿بَيْنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ﴾ بواسطة الرياح حيث شاء الله تعالى، وهو يحمل الماء الغزير، ثم يصبه على الأرض قطرات قطرات.

قال كعب الأحبار[1]: السحاب غربال المطر، ولولا السحاب.. لأفسد المطر ما يقع عليه من الأرض، وتسخيره بعثه من مكان إلى مكان، وقيل: تسخيره ثبوته بين السماء والأرض بلا علاقة تمسكه، والآيات في ذلك: أن السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها الأدوية الكبيرة يبقى معلقاً بين السماء والأرض بلا علاقة تمسكه، ولا دعامة تسنده.

﴿لَآيَـٰتٍ﴾؛ أي: إن في جميع ما ذكر من خلق السموات والأرض إلى هنا لدلائل وبراهين عظيمة دالة على وحدانية الرب الحكيم، ودالة على القدرة القاهرة، والحكمة الباهرة، والرحمة الواسعة. قيل: وإنما جمع آيات؛ لأن في كل واحد مما ذكر من هذه الأنواع آيات كثيرة تدل على أن لها خالقاً مدبراً مختاراً ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾؛ أي: يتفكرون فيها وينظرون إليها بعيون عقولهم، فيعرفون بأن هذه الأمور من صنع إلٰه قادرٍ حكيم، وفيه تعريضٌ بجهلِ المشركين الذين اقترحوا على النبي ﷺ آية تصدقه، وفي الحديث[2]: «ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها»؛ أي: لم يتفكر فيها.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن سوء عاقبة المشركين الذين عبدوا غير الله تعالى فقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: ومن الكفار أهل الكتاب، وعبدة الأوثان ﴿مَن يَتَّخِذُ﴾؛ أي: يعبد ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: من غير الله ﴿أَندَادًا﴾؛ أي: أصناماً وأحباراً أنداداً؛ أي: أمثالاً وأشباه يشبه بعضها بعضاً في العجز، وعدم النفع والضر، والأحسن[3] حمل ﴿ٱلنَّاسِ﴾ على الطائفتين: من أهل الكتاب وعبدة الأوثان، فالأنداد باعتبار أهل الكتاب هم رؤساؤهم وأحبارهم اتبعوا ما رتبوه وشرعوه لهم من أمر ونهي، وإن خالف أمر الله ونهيه، قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ والأنداد باعتبار عبدة الأوثان هي الأصنام اتخذوها آلهةً، وعبدوها من دون الله.

---

(١) الخازن.

(٢) البحر المحيط.

(٣) بيضاوي.

وقال المراغي: الأنداد قسمان: قسم: يتخذ شارعاً، يؤخذ رأيه في التحليل والتحريم من غير أن يكون بلاغاً من الله ورسوله، وقسمٌ: يعتمد عليه في دفع المضار، وجلب المنافع من طريق السلطة الغيبية، لا من طريق الأسباب.

﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾؛ أي: يود العابدون المعبودين، ويعظمونهم، ويخضعون لهم ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يحبونهم حباً كائناً كحب الله؛ أي: كحبهم الله تعالى؛ أي: يسوون[1] بينه تعالى وبين الأصنام في الطاعة والتعظيم، ويتقربون إليهم كما يتقربون إليه تعالى إذ هم لا يرجون من الله شيئاً إلا وقد جعلوا لأندادهم ضرباً من التوسط الغيبي فيه، فهم مشركون بهذا الحب الذي لا يصدر من مؤمنٍ موحدٍ، وللمشركين أندادٌ متعددون وأرباب متفرقون، فإذا حزبه أمر، أو نزل به ضرٌّ. . لجأ إلى بشرٍ، أو حجر، فهو دائماً مبلبل البال، لا يستقر من القلق على حال.

وقيل المعنى[2]: يحبون الأصنام كما يحب المؤمنون ربهم عز وجل، ومن قال بالقول الأول. . فقد أثبت للكفار محبةَ اللّهِ تعالى، لكن جعلوا الأصنام شركاء له في الحب، ومن قال بالثاني. . لم يثبت للكفار محبةَ الله تعالى. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾؛ أي: أكثر وأثبت وأدوم على محبتهم لله تعالى من الكفار لأصنامهم؛ لأنهم لا يختارون مع الله غيره والمشركون قد اتخذوا صنماً، ثم رأوا آخر أحسن منه، طرحوا الأول واختاروا الثاني.

وقيل: إن الكفار يعدلون عن أصنامهم في الشدائد، ويقبلون إلى الله تعالى كما أخبر عنهم. ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ والمؤمنون لا يعدلون عن الله تعالى في السرّاء ولا في الضّراء، ولا في الشدة ولا في الرخاء.

وقيل: إن المؤمنين يوحدون ربهم، والكفار يعبدون أصناماً كثيرة؛ فتنقص المحبة لصنم واحد، قال أبو حيان: والمفضل عليه محذوف؛ وهم المتخذون الأنداد، وهذه الجملة كالاستدراك[3]؛ لما يفيده التشبيه من التساوي؛ أي: لكن

---

(١) البحر المحيط.
(٢) المراغي.
(٣) الخازن.

إن حب المؤمنين لله أشد من حب الكفار للأنداد؛ لأن المؤمنين يخصون الله سبحانه بالعبادة والدعاء، والكفار لا يخصون بذلك بل يشركون الله معهم، ويعترفون بأنهم إنما يعبدون أصنامهم؛ ليقربوهم إلى الله تعالى.

﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ قرأ الجمهور: بالياء التحتانية، و﴿إذ﴾ في قوله: ﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ بمعنى إذا الدالة على المستقبل، وقرأ الجمهور أيضاً قوله: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ بفتح همزة ﴿أن﴾ في الموضعين، و﴿يَرَى﴾ بصرية، وجواب ﴿لو﴾ محذوف، وجملة ﴿أن﴾ معمولة لجواب ﴿لو﴾ المحذوف؛ والمعنى: ولو رأى وشاهد الذين ظلموا أنفسهم بالشرك، واتخاذ الأنداد في الدنيا وقت رؤيتهم العذاب يوم القيامة.. لعلموا أن القوة لله جميعاً، وأن الله شديد العذاب، وأن الأنداد عاجزة لا تنفع ولا تضر. وعلى قراءة بعض القراء، غير السبع ـ أي في الشواذة ـ بكسر الهمزة من ﴿أن﴾؛ والمعنى حينئذ: ولو يرى الذين ظلموا بعبادة الأصنام عجزها حال مشاهدتهم عذاب الله.. لقالوا: إن القوة لله جميعاً.

وقرأ نافع وابن عامر في المتواتر: ﴿ترى﴾ بالتاء الفوقية مع فتح الهمزة في ﴿أن﴾ على الخطاب للرسول ﷺ، أو لكل من يصلح للخطاب؛ والمعنى: ولو ترى يا محمد الذين ظلموا حالهم إذ يرون العذاب.. لعلمت أن القوة لله جميعاً، ولو كسرت الهمزة.. كان المعنى: ولو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب.. لقلت: إن القوة لله جميعاً، وقرأ ابن عامر: ﴿إذ يُرون﴾ بضم الياء.

وقال أبو حيان(١): قال عطاء: المعنى: ولو يرى الذين ظلموا يوم القيامة إذ يرون العذاب حين تخرج إليهم جهنم من مسيرة خمس مئة عام، تلتقطهم كما يلتقط الحمام الحبة.. لعلموا أن القوة لله والقدرة لله جميعاً.

وقيل المعنى: لو يعلمون في الدنيا ما يعلمونه إذ يرون العذاب.. لأقروا

---

(١) شوكاني.

بأن القوة لله جميعاً؛ أي: لتبرؤا من الأنداد، و﴿يرى﴾ الثانية: من رؤية العين. انتهى.

﴿إِذْ﴾ في قوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا﴾ بدل من قوله: ﴿إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾؛ أي: ولو يرى الذين ظلموا حالهم إذ يتبرأ ويتخلص الرؤساء الذين اتبعوا، وأضلوا أتباعهم لعلموا أن القوة لله جميعاً، وأن الله شديد العذاب. ﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾؛ أي: من السفلة والأتباع الذين اتبعوهم في الضلال، كما قال تعالى: ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾، ﴿و﴾ قد ﴿رأوا العذاب﴾؛ أي: والحال أن الرؤساء والسلفة كلهم قد رأوا العذاب ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾؛ أي: وقد انقطعت عنهم الأسباب والمواصلات التي كانت بينهم في الدنيا من الأرحام والمودة على الكفر، وأنكر المتبوعون إضلال الأتباع، وانقلبت مودتهم عداوة.

وقرأ الجمهور: ﴿اتُّبِعُوا﴾ الأول مبنياً للمفعول والثاني مبنياً للفاعل، وقرأ مجاهد في الشواذ: بالعكس، ومعنى تبرأ المتبوعين: قولهم إنا لم نضل هؤلاء، بل كفروا بإرادتهم، وعقاب كفرهم عليهم لا علينا، ومعنى تبرأ التابعين: هو انفصالهم عن متبوعيهم، والندم على عبادتهم وطاعتهم.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾؛ أي: الأتباع ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾؛ أي: ليت لنا رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾؛ أي: نتخلص من المتبوعين في الدنيا إذا رجعنا إليها، فنتبع سبيل الحق، ونأخذ بالتوحيد الخالص، ونهتدي بكتاب الله وسنة رسوله، ثم نعود إلى موضع الحساب، فنتبرأ من هؤلاء الضالين ﴿كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾؛ أي: كما تبرأ المتبوعون منا في هذا اليوم العصيب، ونسعد بعملنا حيث هم أشقياء بأعمالهم ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما أراهم شدة عذابه ﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ السيئة من الشرك وغيره حالة كونها ﴿حَسَرَاتٍ﴾؛ أي: ندامات شديدة ﴿عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: على تفريطهم فيها؛ لأنهم أيقنوا بالهلاك والعذاب الشديد عليها، والحسرة[1] الغم على ما فاته، وشدة الندم عليه، كأنه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما

---

(١) البحر المحيط.

ارتكبه. والمعنى: أن الله تعالى يريهم السيئات التي عملوها وارتكبوها في الدنيا، فيتحسرون لِمَ عملوها، وقيل: يريهم ما تركوا من الحسنات، فيندمون على تضييعها، وقيل: يرفع لهم منازلهم في الجنة، فيقال لهم: تلك مساكنكم لو أطعتم الله، ثم تقسم بين المؤمنين، فذلك حين يتحسرون ويندمون على ما فاتهم، ولا ينفعهم الندم ﴿وَمَا هُم﴾؛ أي: وما القادة والسفلة ﴿بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ بعد دخولها، بل هم فيها دائمون. أصله[1]: وما يخرجون، فعدل به إلى هذه العبارة؛ للمبالغة في الخلود والإقناط عن الخلاص، والرجوع إلى الدنيا.

الإعراب

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾: ﴿الواو﴾ استئنافية ﴿إلٰهكم﴾: مبتدأ ومضاف إليه. ﴿إِلَٰهٌ﴾: خبر. ﴿وَٰحِدٌ﴾: صفة له، والجملة مستأنفة. ﴿لَّآ﴾: نافية. ﴿إِلَٰهَ﴾: في محل النصب اسمها، وخبر (لا) محذوف جوازاً، تقديره: موجود، وجملة ﴿لَّآ﴾ من اسمها وخبرها في محل الرفع خبر ثان لـ﴿إلهكم﴾، ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل في محل الرفع بدل من الضمير المستكن في خبر لا.

وعبارة «السمين» هنا: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن يكون بدلاً من ﴿هُوَ﴾ بدل ظاهر من مضمر، إلا أن هذا يؤدي إلى البدل بالمشتقات وهو قليل، ويمكن الجواب عنه: بأن هاتين الصفتين جريا مجرى الجوامد، ولا سيما عند من يجعل الرحمٰن عَلَماً.

الثاني: أن يكون خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو الرحمٰن، وحسّن حذفه توالي اللفظ بـ﴿هُوَ﴾ مرتين.

الثالث: أن يكون خبراً ثالثاً لقوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾ أخبر عنه بقوله: ﴿إِلَٰهٌ

---

(١) الخازن.

﴿وَٰحِدٌ﴾، وبقوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وبقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ وذلك عند من يرى تعدد الخبر.

الرابع: أن يكون صفة لـ﴿هُوَ﴾ وذلك عند الكسائي؛ فإنه يجيز وصف ضمير الغائب بصفة المدح، فاشترط في وصف الضمير هذين الشرطين: أن يكون غائباً، وأن تكون الصفة صفة مدح. انتهت.

والأرجح أن يكون ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾: خبراً ثالثاً لقوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ﴾، و﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ خبراً رابعاً.

﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾.

﴿إِنَّ﴾: حرف نصب وتوكيد. ﴿فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بمحذوف خبر مقدم لـ﴿إِنَّ﴾ ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾: معطوف على السموات. ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ﴾: معطوف على ﴿خَلۡقِ﴾، وهو مضاف. ﴿ٱلَّيۡلِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَٱلنَّهَارِ﴾: معطوف على ﴿ٱلَّيۡلِ﴾. ﴿وَٱلۡفُلۡكِ﴾: معطوف على ﴿خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾. ﴿ٱلَّتِي﴾: صفة للفلك. ﴿تَجۡرِي﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الفلك، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الفاعل. ﴿فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تَجۡرِي﴾. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تَجۡرِي﴾ أيضاً، أو حال من الضمير المستتر في ﴿تَجۡرِي﴾؛ تقديره: حالة كونها مصحوبة بالأعيان التي تنفع الناس. ﴿يَنفَعُ﴾: فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على ﴿ما﴾ ﴿ٱلنَّاسَ﴾: مفعول به، والجملة صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها.

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

﴿وَمَآ﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة، ﴿ما﴾ موصولة، أو موصوفة في محل الجر معطوفة على ﴿خلق السموات﴾ ﴿أَنزَلَ﴾: فعل ماضٍ. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعل. ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أنزل﴾، وجملة ﴿أَنزَلَ﴾ صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة

لها، والعائد أو الرابط محذوف؛ تقديره: وما أنزله الله. ﴿مِن مَّآءٍ﴾: جار ومجرور حال من ضمير المفعول المحذوف.

﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.

﴿فَأَحْيَا﴾ ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتعقيب، ﴿أحيا﴾: فعل ماض. ﴿بِهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿فَأَحْيَا﴾. ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: مفعول به، والجملة معطوفة على جملة ﴿أَنزَلَ﴾ على كونها صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها.

﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَبَثَّ﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة. ﴿بث﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿بث﴾، والجملة من الفعل والفاعل معطوفة على جملة ﴿أَنزَلَ﴾ على كونها صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط ضمير محذوف؛ تقديره: وما بث به، وفي «السمين» ما حاصله: أن بعضهم أجاز حذف العائد المجرور بالحرف وإن لم يجر الموصول بمثله كما هنا، وذكر شواهد على ذلك. انتهى. ﴿مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه حال من العائد المحذوف. ﴿وَتَصْرِيفِ﴾: معطوف على ﴿خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، وهو مضاف. ﴿ٱلرِّيَٰحِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَٱلسَّحَابِ﴾: معطوف على ﴿خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾. ﴿ٱلْمُسَخَّرِ﴾: صفة للسحاب. ﴿بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿المسخر﴾. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿آيات﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر منصوب بالكسرة، وجملة ﴿إِنَّ﴾ من اسمها وخبرها مستأنفة استئنافاً نحوياً. ﴿لِّقَوْمٍ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة ﴿لَءَايَٰتٍ﴾. ﴿يَعْقِلُونَ﴾: جملة فعلية في محل الجر صفة لـ﴿قَوْمٍ﴾، والرابط ضمير الفاعل.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾.

﴿وَمِنَ﴾: ﴿الواو﴾ استئنافية، ﴿من الناس﴾ جار ومجرور خبر مقدم. ﴿مَن﴾: اسم موصول في محل الرفع مبتدأ مؤخر، والجملة مستأنفة. ﴿يَتَّخِذُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَن﴾، والجملة صلة الموصول، وأفرد الضمير في ﴿يَتَّخِذُ﴾ حملاً على لفظ ﴿مَّن﴾. ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿يتخذ﴾، و﴿دُونِ﴾ هنا: بمعنى (غير)، وأصلها أن يكون ظرف مكان، وهي نادرة التصرف. ﴿أَندَادًا﴾: مفعول به لـ﴿يَتَّخِذُ﴾، وهو يتعدى لمفعول واحد. ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، وأتى هنا بواو الجمع نظراً لمعنى ﴿مَّن﴾، والجملة في محل النصب صفة لـ﴿أنداد﴾. ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بمحذوف؛ صفة لمصدر محذوف؛ تقديره: حباً كائناً كحب الله.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة، ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مبتدأ. ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الفاعل. ﴿أَشَدُّ﴾: خبر المبتدأ، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾. ﴿حُبًّا﴾: تمييز محول عن المبتدأ منصوب بـ﴿أشد﴾. ﴿لِّلَّهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿حبا﴾ و﴿من﴾ الداخلة على المفضل عليه محذوفة؛ تقديره: أشد حباً لله من حب هؤلاء لأندادهم.

﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾.

﴿وَلَوْ﴾: ﴿الواو﴾ استئنافية. ﴿لو﴾: حرف شرط غير جازم. ﴿يَرَى ٱلَّذِينَ﴾: فعل وفاعل، والجملة فعل شرط لـ﴿لو﴾. ﴿ظَلَمُوٓاْ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الفاعل، و﴿يَرَى﴾ هنا بصرية تتعدى لواحد. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان، ولكنها مضمنة معنى ﴿إذا﴾ الدالة على المستقبل. ﴿يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذْ﴾، والظرف متعلق بـ﴿يَرَى﴾، ومفعول ﴿يَرَى﴾ محذوف؛ تقديره: ولو رأى الذين ظلموا في الدنيا حالَهم وقت رؤيتهم العذاب في الآخرة، وجواب

﴿لو﴾ محذوف؛ تقديره: لعلموا أن القوة لله جميعاً، وجملة ﴿لو﴾ مستأنفة. ﴿أَنَّ﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿ٱلْقُوَّةَ﴾: اسمها. ﴿لِلَّهِ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر ﴿أن﴾، وجملة ﴿أن﴾ من اسمها وخبرها في تأويل مصدر منصوب على المفعولية للجواب المحذوف؛ تقديره: لعلموا كون القوة لله وحده، ﴿جَمِيعًا﴾: حال من الضمير المستكن في خبر ﴿أن﴾؛ أعني الجار والمجرور. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾: ﴿أن﴾: حرف نصب ومصدر، ولفظ الجلالة: اسمها. ﴿شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾: خبرها ومضاف إليه، وجملة ﴿أن﴾ معطوفة على جملة ﴿أن﴾ الأولى على كونها مفعولاً للجواب المحذوف.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾.

﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان، ولكنها بمعنى ﴿إذا﴾. ﴿تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الجر مضاف إليه، و﴿إِذْ﴾ بدل من ﴿إِذْ﴾ في قوله: ﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾، ﴿ٱتُّبِعُوا۟﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير نائب. ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تَبَرَّأَ﴾. ﴿ٱتَّبَعُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول.

﴿وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾.

﴿وَرَأَوُا۟﴾: ﴿الواو﴾ حالية، ﴿رأوا العذاب﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل النصب حال من الموصولين؛ تقديره: حالة كون المتبوعين والأتباع رائين العذاب. ﴿وَتَقَطَّعَتْ﴾: الواو: عاطفة، ﴿تقطع﴾: فعل ماضٍ. ﴿بِهِمُ﴾: متعلق به، والباء بمعنى (عن). ﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾: فاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿رأوا﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا﴾.

﴿وَقَالَ﴾: الواو: استئنافية، ﴿قال الذين﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿ٱتَّبَعُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول. ﴿لَوْ﴾ مقول محكي لـ﴿قال﴾ وإن شئت قلت ﴿لَوْ﴾: حرف تمن. ﴿أَنَّ﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿لَنَا﴾: جار

ومجرور خبر مقدم لـ﴿أن﴾. ﴿كَرَّةً﴾: اسمها مؤخر، وجملة ﴿أَنَّ﴾ من اسمها وخبرها في تأويل مصدر منصوب على المفعولية لفعلٍ محذوف دل عليه حرف التمني؛ تقديره: وقال الذين اتبعوا: نتمنى كون كرة لنا. ﴿فَنَتَبَرَّأَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة سببية، ﴿نتبرأ﴾: فعل مضارع منصوب بـ﴿أن﴾ مضمرة وجوباً بعد الفاء السببية الواقعة في جواب التمني، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً؛ تقديره: نحن ﴿منهم﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿نتبرأ﴾، والجملة من الفعل والفاعل صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر معطوف على مصدر متصيد من الجملة التي قبلها من غير سَابِقٍ لإصلاح المعنى؛ تقديره: نتمنى كون كرة لنا، فتبرأ منهم. ﴿كَمَا﴾: ﴿الكاف﴾: حرف جر، ﴿ما﴾: مصدرية. ﴿تَبَرَّءُوا﴾: فعل وفاعل. ﴿مِنَّا﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة صلة ﴿ما﴾ المصدرية، ﴿ما﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بالكاف؛ تقديره: كتبرؤهم منا، والجار والمجرور صفة لمصدر محذوف؛ تقديره: فنتبرأ منهم تبرؤاً كائناً كتبرئهم منا.

﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور صفة لمصدر محذوف؛ تقديره: يريهم الله أعمالهم إراءةً كائنة كإراءتهم العذاب الشديد. ﴿يُرِيهِمُ﴾: فعل ومفعول أول، وهو من (رأى) البصرية تعدى بالهمزة إلى مفعولين. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعل. ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾: مفعول ثان ومضاف إليه، والجملة مستأنفة. ﴿حَسَرَٰتٍ﴾: حال من أعمالهم. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿حَسَرَٰتٍ﴾ ﴿وَمَا هُم﴾: الواو: عاطفة. ﴿ما﴾ حجازية، أو تميمية. ﴿هُم﴾ اسمها، أو مبتدأ. ﴿بِخَٰرِجِينَ﴾: ﴿الباء﴾: زائدة، ﴿خارجين﴾: خبر ما، أو خبر المبتدأ. ﴿مِنَ ٱلنَّارِ﴾: متعلق بـ﴿خارجين﴾، وجملة ﴿ما﴾ من اسمها وخبرها، أو جملة المبتدأ والخبر معطوفة على جملة ﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ على كونها مستأنفة.

التصريف ومفردات اللغة

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ والليل: اسم جنس يفرق بينه وبين واحده بالتاء، فيقال: ليل وليلة كتمر وتمرة، والصحيح: أنه مفرد ولا يحفظ له جمع، ولذلك

خطأ الناس مَنْ زعم أن الليالي جمع ليل، بل الليالي جمع ليلة، وقدم الليل على النهار؛ لأنه سابقه. قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ وهذا أصح القولين، وقيل: النور سابق الظلمة، ونبني على هذا الخلاف فائدة وهي: أن الليلة هل هي تابعة لليوم قبلها، أو لليوم بعدها؟ فعلى القول الصحيح: تكون الليلة لليوم بعدها، فيكون اليوم تابعاً لها، وعلى القول الثاني: تكون لليوم قبلها، فتكون الليلة تابعة له، فيوم عرفة على القول الأول: مستثنى من الأصل، فإنه تابع لليلة بعده، وعلى الثاني: جاء على الأصل: ذكره «السمين».

﴿وَٱلْفُلْكِ﴾ ولفظ الفلك يكون مفرداً كقوله تعالى: ﴿فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ فهو حينئذٍ مذكر، ويكون جمعاً؛ أي: جمع تكسير كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ فإن قيل: إن جمع التكسير لابد فيه من تغيرٍ ما، وهنا لا تغير.. فالجواب أن تغيره مقدر، فالضمة في حالة كونه جمعاً كالضمة في حُمر وبُدن، وفي حالة كونه مفرداً كالضمة في قُفل، وهو هنا جمع بدليل قوله: التي تجري في البحر.

﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ تصريف: مصدر صرّف المضاعف، ويجوز أن يكون مضافاً للفاعل، والمفعول محذوف؛ أي: وتصريف الرياح السحاب، فإنها تسوق السحاب، وأن يكون مضافاً للمفعول، والفاعل محذوف؛ أي: وتصريف الله الرياح، والرياح: جمع ريح جمع تكسير، وياء الريح والرياح منقلبة من واو، والأصل روح ورواح؛ لأنه من راح يروح، وإنما قلبت في ريح؛ لسكونها وانكسار ما قبلها، وفي رياح؛ لأنها عين في جمع بعد كسرة، وبعدها ألف، وهي ساكنة في المفرد، وهو إبدال مطرد، ولذلك لمّا زال موجب قلبها.. رجعت إلى أصلها، فقالوا: أرواح.

﴿مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ يتخذ: يفتعل من الأخذ، وهي متعدية إلى واحد، وهو أنداداً، والأنداد: جمع ند كأرطال جمع رطْل، والنِّد بكسر النون: الشبيه والمثل.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا﴾ وأتى بأشد متوصلاً به إلى أفعل التفضيل من مادة الحب؛ لأن حب مبني للمفعول، والمبني للمفعول لا يُتعجب منه، ولا يبنى منه أفعل التفضيل؛ فلذلك أتى بما يجوز ذلك منه، وأما قولهم: ما أحبه إلي.. فشاذٌ. ذكره الكرخي.

قال الراغب: الحب أصله من المحبة، يقال: أحببته، أصبت حبة قلبه، وأصبته بحبة القلب، وهي في اللفظ فعل، وفي الحقيقة انفعال، وإذا استعمل في الله.. فالمعنى: أصاب حبه قلب عبده، فجعلها مصونةً عن الشيطان والهوى وسائر أعداء الله انتهى. وقال عبد الجبار: حب العبد لله تعظيمه والتمسك بطاعته، وحب الله. العبد إرادة الثناء عليه وإثابته. انتهى.

﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ وجميع: في الأصل فعيل من الجميع، وكأنه اسم جمع، فلذلك يتبع تارة بالمفرد، قال تعالى: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾، وتارة بالجمع، قال تعالى: ﴿جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ وينتصب حالاً، ويؤكد به بمعنى (كل)، ويدل على الشمول كدلالة (كل) عليه.

﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾: جمع سبب، وأصله الحبل، والمراد به: ما يكون بين الناس من الروابط كالنسب والصداقة.

﴿كَرَّةً﴾ الكرة: الرجعة والعودة، وفعلها كر يكر كراً، وفي المختار الكر: الرجوع، وبابه: رَدّ.

﴿حَسَرَٰتٍ﴾: جمع حسرة، وهي أشد الندم على شيء فائت، وفي المصباح: حسرت على شيء حسراً من باب تعب، والحسرة اسم منه، وهي التلهف والتأسف، وحسَّرته بالتشديد أوقعته في الحسرة. انتهى.

البلاغة

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ ورد الخبر خالياً من التأكيد تنزيلاً للمنكر منزلة غير المنكر، وذلك لأن بين أيديهم من البراهين الساطعة والحجج القاطعة ما لو

تأملوه.. لوجدوا فيه غاية الإقناع. ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ ﴿إِلَٰهٌ﴾ خبر المبتدأ؛ ﴿وَٰحِدٌ﴾: صفته، وهو ـ أعني لفظ ﴿وَٰحِدٌ﴾ ـ الخبر في الحقيقة؛ لأنه محط الفائدة، ألا ترى أنه لو اقتصر على ما قبله لم يفسد، وهو ذا يشبه الحال الموطئة، نحو: مررت بزيد رجلاً صالحاً، فرجلاً حال، وليست مقصودة، إنما المقصود وصفها.

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ هذه الجملة تقرير للوحدانية؛ لأن الاستثناء هنا إثبات من نفي، فهو بمنزلة البدل، والبدل هو المقصود بالنسبة، وإزاحة لأن يتوهم أن في الوجود إلهاً، ولكن لا يستحق منهم العبادة، ذكره الكرخي.

﴿لَأَيَٰتٍ﴾ التنكير في آيات للتفخيم؛ أي: آيات عظيمة دالة على قدرة قاهرة، وحكمة باهرة.

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ﴿إِنَّ﴾: حرف توكيد ونصب، والجار والمجرورات به خبرها مقدم، واسمها قوله: ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ بزيادة لام الابتداء فيه، والتقدير: إن آيات لكائنة في خلق السموات... الخ فيفيد هذا التركيب أن في كل واحد من هذه المجرورات آيات متعددة، وهو كذلك كما بيناه فيما مر.

﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾: فيه تشبيه مرسل مجمل حيث ذكرت الأداة، وحذف وجه الشبه.

﴿أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ التصريح بالأشدِّية أبلغ أن يقال: أحب لله، كقوله: ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ مع صحة أن يقال: أو أقسى.

﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر، والظاهر أن يقال: ﴿ولو يرون﴾ لإحضار الصورة في ذهن السامع، وتسجيل لسبب في العذاب الشديد، وهو الظلم الفادح.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟...﴾ إلخ في هذه الجمل من أنواع البديع نوع يسمى الترصيع؛ وهو أن يكون الكلام مسجوعاً، كقوله تعالى: ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾ وهو في القرآن كثير، وهو في هذه الآية في موضعين:

أحدهما: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ وهو محسن الحذف

لضمير الموصول في قوله: ﴿اتبعوا﴾ إذ لو جاء اتبعوهم.. لَفاتَ هذا النوع من البديع.

والموضع الثاني: ﴿وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ وفي استعمال السبب في المواصلة مجازٌ، فإن السبب في الأصل الحبل الذي يُرتقى به للشجرة، ثم أطلق على ما يتوصل به إلى شيء عيناً كان أو معنى.

﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ الجملة اسمية وإيرادها بهذه الصيغة؛ لإفادة دوام الخلود.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ
عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ
بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن
كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ
لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا
ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ
ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾.

المناسبة

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا...﴾ مناسبة[1] هذه الآية لما قبلها: أنه سبحانه وتعالى لمّا بين التوحيد، ودلائله، وما للمؤمنين المتقين والكفرة العاصمين.. أردف ذلك بذكر إنعامه على الكافر والمؤمن؛ ليدل على أن الكفر لا يؤثر في قطع الإنعام؛ لأنه سبحانه وتعالى عام إحسانه لجميع الأنام دون تمييز بين مؤمن وكافر، وبر وفاجر، ثم دعا المؤمنين إلى شكر المنعم جل وعلا، والأكل من الطيبات التي أباحها الله تعالى، واجتناب ما حرمه الله من أنواع الخبائث.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ...﴾ مناسبته[2] لما قبله: أنه

(١) بيضاوي.

(٢) البحر المحيط.

تعالى لمّا أخبر أنه عدو.. أخذ بذكر ثمرة العداوة وما نشأ عنها؛ وهو أمره - عليه لعائن الله - لمن اتبعه بالسوء والفحشاء.

قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً...﴾ مناسبة[1] هذه الآية لما قبلها: أنه سبحانه وتعالى لمّا ذكر أن هؤلاء الكفار إذا أُمروا باتباع ما أنزل الله.. أعرضوا عن ذلك، ورجعوا إلى ما ألفوه من اتباع الباطل الذي نشؤوا عليه، ووجدوا عليه أباءهم، ولم يتدبروا ما يقال لهم، وصموا عن سماع الحق، وخرسوا عن النطق به، وعموا عن أبصار النور الساطع النبوي.. ذكر هذا التشبيه العجيب في هذه الآية منبهاً على حالة الكافر في تقليده أباه، ومحقراً نفسه إذ صار هو في رتبة البهيمة، أو في رتبة داعيها على الخلاف المذكور في هذا التشبيه.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ...﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه تعالى لمّا أباح لعباده أكل ما في الأرض من الحلال الطيب، وكانت وجوه الحلال كثيرة.. بين لهم ما حرّم عليهم لكونه أقل، فلما بين ما حرم بقي ما سوى ذلك على التحليل حتى يرد منع آخر، وهذا مثل قوله ﷺ لما سئل عمّا يلبس المُحْرِم؟ فقال: «لا يلبس القميص ولا السراويل» فعدل عن ذكر المباح إلى ذكر المحظور: لكثرة المباح، وقلة المحظور، وهذا من الإيجاز البليغ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ...﴾ مناسبته[2] لما قبله: أنه تعالى لمّا أمر بأكل الحلال في الآية السابقة.. فصل هنا أنواع الحرام، وأسند التحريم إلى الميتة وما نسق بعدها وفي المقام حذف، والظاهر أن المحذوف هو الأكل؛ لأن التحريم لا يتعلق بالعين، ولأن السابق المباح هو الأكل في قوله: ﴿كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ فالممنوع هنا هو الأكل، وكذا غيره من سائر الانتفاعات على الراجح.

---

(١) البحر المحيط.   (٢) البحر المحيط.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ هذه[1] الآية مناسبتها لما قبلها: أنه تعالى ذكر في الآية قبلها إباحة الطيبات، ثم فصل أشياء من المحرمات، فناسب أن يذكر جزاء من كتم شيئاً من دين الله، وما أنزله على أنبيائه، فكان ذلك تحذيراً أن يقع المؤمنون فيما وقع فيه أهل الكتاب مِن كتمِ ما أنزل الله عليهم، واشترائهم به ثمناً قليلاً.

أسباب النزول

قوله[2] تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟..﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد، أو عكرمة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: (دعا رسول الله ﷺ اليهود إلى الإسلام، ورغبهم فيه، وحذرهم عذاب الله ونقمته، فقال رافع بن حريطة ومالك بن عون: بل نتبع ـ يا محمد ـ ما وجدنا عليه آباءنا، فهم كانوا أعلم وخيراً منا، فأنزل الله في ذلك: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ...﴾ الآية).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ ...﴾ الآية، أخرج[3] ابن جرير عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ والتي في آل عمران: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ نزلتا جميعاً في اليهود، وأخرج الثعلبي من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية في رؤساء اليهود وعلمائهم، كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والفضل، وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم، فلما بعث محمد ﷺ من غيرهم.. خافوا ذهاب مأكلتهم وزوال رياستهم، فعمدوا إلى صفة محمد ﷺ، فغيروها، ثم أخرجوها إليهم، وقالوا: هذا نعت النبي الذي يخرج في آخر الزمان لا يشبه نعت هذا النبي، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ...﴾ الآية.

---

(١) لباب النقول.

(٢) لباب النقول.

(٣) المراغي والخازن.

التفسير وأوجه القراءة

﴿يَتَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ قال ابن عباس[1]: نزلت هذه الآية في قومٍ من ثقيف، وبني عامر بن صعصعة، وخزاعة، وبني مدلج، حرموا على أنفسهم ما حرموا من لحرث والبحائر والسوائب والوصائل والحام، ولكن الاعتبار بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب ﴿كُلُوا مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: كلوا بعض ما في الأرض من أصناف المأكولات التي من جملتها ما حرمتموه افتراءً على الله من الحرث والأنعام، فـ﴿كُلُوا﴾ أمرُ إباحةٍ وتسويغ؛ لأنه تعالى هو الموجد للأشياء، فهو المتصرف على ما يريد؛ أي: كلوا أكلاً ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾، أو حال كونه حلالاً؛ أي: مباحاً طيباً يستطيبه الشرع، أو الطبيعة السليمة، فالحلال[2]: هو المباح الذي أحله الشرع، وانحلت عنه عقدة الحظر، وأصله من الحل الذي هو نقيض العقد. والطيب ما يُستلذ، والمسلم لا يستطيب إلا الحلال، ويعاف الحرام، وقيل: الطيب هو الطاهر؛ لأن النجس تكرهه النفس وتعافه، وقال الحسن: الحلال الطيب هو ما لا يسئل عنه يوم القيامة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الحلال الذي لا تبعة فيه في الدنيا، ولا وَبَال عليه في الآخرة.

وقد بين الله سبحانه وتعالى[3] ما حرّم من المأكل في الآية الكريمة: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ الآية. فما عدا هذا مباح بشرط أن يكون طيباً، وهو ما لا يتعلق به حق الغير؛ وبيانه أن المحرم قسمان:

الأول: محرم لذاته لا يحل إلا للمضطر.

والثاني: محرم لعارض، وهو ما يؤخذ بغير وجه صحيح كما يأخذه الرؤساء من المرؤوسين بلا مقابل، أو يأخذه المرؤوسون بجاه الرؤساء، وكأخذ الربا والرشوة والغصب والسرقة والغش، فكل هذا خبيث غير طيب.

---

(١) الخازن.

(٢) المراغي.

(٣) البحر المحيط.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾؛ أي: لا تسلكوا ولا تقتدوا طرق وساوس الشيطان في تحريم الحرث والأنعام، أو لا تقتدوا به في اتباع الهوى، فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام، أو لا تتبعوا سيرته في الإغواء ووسوسته في الأمر بالسوء والفحشاء، والمعنى: احذروا أن تتعدوا ما أحل لكم إلى ما يدعوكم إليه الشيطان ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾؛ أي: بيِّن العداوة وظاهرها عند ذوي البصيرة؛ إذ هو منشأ الخواطر الرديئة، والمحرض على ارتكاب الجرائم والآثام. قال تعالى: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾.

فهذا نهي عن اتباع وحي الباطل والشر؛ لأنه من إغواء الشيطان، فإذا عرض للإنسان داعي البذل لمعاونة البائس الفقير، فهمت نفسه بالعمل، ثم جاش في صدره خاطر الاقتصاد والتوفير.. فليعلم أن هذا من وحي الشيطان، ولا ينخدع لما يسّوله له من إرجاء هذا العطاء، ووضعه في موضع أنفع أو بذله لفقير أحوج.

وقرأ ابن عامر[1]، والكسائي، وقنبل، وحفص، وعباس عن أبي عمرو، والبرجمي عن أبي بكر: ﴿خُطُوَاتِ﴾ بضم الخاء والطاء وبالواو، وقرأ باقي السبعة بضم الخاء، وسكون الطاء، وبالواو، وقرأ أبو السمال شذوذاً: ﴿خُطَوات﴾ بضم الخاء وفتح الطاء وبالواو، ونقل ابن عطية، والسجاوندي أن أبا السمال قرأ شذوذاً: ﴿خَطَوات﴾ - بفتح الخاء والطاء وبالواو - جمع خطوة، وهي المرة من الخطو، وقرأ علي، وقتادة، والأعمش، وسلام شذوذاً ﴿خُطُؤات﴾ بضم الخاء والطاء والهمزة.

وقد أظهر الله عدواته بآية السجود لآدم، وبيَّن هنا كيفية عداوته، وفنون شره وإفساده، فقال: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم﴾ الشيطان ﴿بِالسُّوءِ﴾؛ أي: القبيح من الذنوب التي لا حد فيها، ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾؛ أي: المعاصي التي فيها حد، وقيل: العطف فيه لاختلاف الوصفين؛ فإنه سوء لاغتمام العاقل به، وفحشاء باستقباحه إياه، وقيل:

---

(١) المراغي.

السوء يعم القبائح، والفحشاء ما يجاوز الحد في القبح من الكبائر ﴿و﴾ يأمركم ﴿أن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾؛ أي: بأن تفتروا على الله ما لا تعلمون أن الله تعالى حرمه، أو حلله كقولكم هذا حلال، وهذا حرام بغير علم ويقين.

والمعنى(١): ويأمركم أن تقولوا على الله في دينه ما لا تعلمون علم اليقين أنه شرّعه لكم من عقائد، وشعائر دينية، أو تحليل ما الأصل فيه التحريم، أو تحريم ما الأصل فيه الإباحة، ففي كل ذلك اعتداء على حق الربوبية بالتشريع، وهذا أقبح ما يأمر به الشيطان، فإنه الأصل في إفساد العقائد وتحريف الشرائع.

ألا ومن هذا زعم الرؤساء أن لله وسطاء بينه وبين خلقه لا يفعل شيئاً إلا بوساطتهم، فحولوا قلوب عباده عنه وعن سنته في خلقه، وهو يقول: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾.

فالذين يتركون الأسباب الطبيعية التي قضت سنة الله بربط المسببات بها اعتماداً على أشخاص من الموتى أو الأحياء يظنون أنَّ لهم نصيباً من السلطة الغيبية، والتصرف في الأكوان بدون اتخاذ الأسباب قد ضلوا ضلالاً بعيداً، واتبعوا أمر الشيطان، ومثلهم من اتخذ رأي الرؤساء حجةً في الدين من غير أن يكون بياناً، أو تبليغاً لما جاء عن الله، فهؤلاء قد أعرضوا عن سنن الله، وأهملوا نعمة العقل، واتخذوا من دون الله الأنداد: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

ثم بين الله سبحانه وتعالى كمال ضلالهم، وعدد جناياتهم فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾؛ أي: لمن اتبع خطوات الشيطان من المشركين ﴿ٱتَّبِعُوا﴾ وتمسكوا ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ على رسوله من الوحي، ولا تتبعوا من دونه أولياء.. جنحوا إلى التقليد و﴿قَالُوا﴾ لا نتبع ما أنزل الله ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا﴾؛ أي: وجدنا ﴿عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ وكبرائنا، وأسلافنا من عبادة الأصنام، وتحريم الطيبات، ونحو ذلك من العقائد

---

(١) البيضاوي.

الزائفة، والمذاهب الفاسدة ﴿أ﴾ يتبعون ما ألفوا عليه آباءهم في كل حال، وفي كل شيء ﴿ولو كان أباؤهم﴾؛ أي: وإن كان أباؤهم الذين يتبعونهم ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾؛ أي: لا يعلمون شيئاً من أمر الدين وعقائده وعباداته، ولفظ ﴿شَيْئًا﴾ عام ومعناه خاص، وذلك أنهم كانوا يعقلون أمر الدنيا، ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى الحق والصواب؛ أي: أيتبعونهم ولو تجردوا من دليل عقلي أو نقلي في عقائدهم وعباداتهم، فالهمزة فيه للإنكار والتوبيخ، وتعجيب غيرهم من حالهم؛ أي: لا ينبغي ولا يليق أن يتبعوهم، وهم جهلة لا يعقلون شيئاً، ولا يهتدون.

وقال البيضاوي: وجواب[1] ﴿لو﴾ محذوف؛ أي: لو كان أباؤهم جهلة لا يتفكرون في أمر الدين ولا يهتدون.. لاتبعوهم، وقال أبو السعود: أن ﴿لو﴾ في مثل هذا المقام لا تحتاج إلى جواب؛ لأن القصد منها تعميم الأحوال، وهو دليل على المنع من التقليد في أمر الدين لمن قدر على النظر والاجتهاد، وأما إذا اتبع المرء غيره في الدين ممن علم أنه على الحق كالأنبياء والمجتهدين في الأحكام، فهذا ليس بتقليد، بل اتباعٌ لما أنزل الله، كما قال تعالى: ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَمَثَلُ﴾؛ أي: وصفة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وداعيهم إلى الهدى؛ وهو محمد ﷺ ﴿كَمَثَلِ﴾ كصفة الراعي وبهيمته من الإبل والبقر والغنم مثلاً. ﴿ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾ ويصيح ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾؛ أي: كالبهيمة التي لا تفهم معنى ما يقول: ﴿إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾؛ أي: إلا مجرد سماع صوته بلا فهم معناه، شبه راعي الكفار براعي الغنم في مخاطبته من لا يفهم عنه، وشبه الكفار بالغنم في كونهم لا ينتفعون بما دُعوا إليه إلا مجرد سماع صوت، ففيه الحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني؛ وهو الذي ينعق، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول؛ وهو المنعوق به، وقيل التقدير: ومثل الذين كفروا في عدم فهمهم عن الله ورسوله كمثل المنعوق به من البهائم التي لا تفهم من الأمر والنهي غير الصوت، فيراد بـ﴿ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾ الذي

---

(١) البيضاوي.

ينعق به؛ أي: المنعوق به، وعلى هذا التقدير فلا حذف.

والفرق بين الدعاء والنداء[١]: أن الدعاء للقريب، والنداء للبعيد، والفرق بين الكافر والضال: أنّ الكافر يرى الحق، ويعرض عنه، ويصرف نفسه عن دلائله؛ فهو كالبهائم يرضى بأن يقوده غيره، ويصرفه كيف يشاء. والضالّ يخطىء الطريق مع طلبه، أو جهله بمعرفته بنفسه، أو بدلالة غيره.

وحاصل المعنى: أن مثل الكافرين في تقليدهم لآبائهم ورؤساهم، وإخلادهم إلى ما هم عليه من الضلال، وعدم تأملهم فيما يُلقى إليهم من الأدلة مثل البهائم التي ينعق عليها الراعي، ويسوقها إلى المرعى، ويدعوها إلى الماء، ويزجرها عن الحمى، فتستجيب دعوته، وتنزجر بزجره، وهي لا تعقل مما يقول شيئاً ولا تفهم له معنى، وإنما تسمع أصواتاً تقبل لسماع بعضها، وتدبر لسماع بعض آخر بالتعود، ولا تعقل سبباً للإقبال والإدبار.

فهم ﴿صُمٌّ﴾ عن سماع الحق سماع قبول وانتفاع به. ﴿بُكْمٌ﴾ عن النطق به. ﴿عُمْيٌ﴾ عن رؤيته؛ أي: يتصامون عن الحق، ويتباكمون عنه، ويتعامون عنه. ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾؛ أي: لا يفقهون أمر الله، ودعوة النبي ﷺ، كما لا تعقل الإبل والغنم كلام الراعي، قيل: المراد به العقل الكسبي؛ لأن العقل الطبيعي كان حاصلاً فيهم، ثم بيّن أن ما حرّمه المشركون حلال. فقال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾؛ أي: كلوا من حلالات ما أعطيناكم من الحرث والأنعام. قيل[٢]: إن الأمر في ﴿كُلُواْ﴾ يكون للوجوب كالأكل لحفظ النفس، ودفع الضرر عنها، وقد يكون للندب كالأكل مع الضيف، وقد يكون للإباحة إذا خلا من هذه العوارض.

وهذا الذي[٣] ذكره هنا تأكيدٌ للأمر السابق في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا

---

(١) المراغي.
(٢) الخازن.
(٣) شوكاني.

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ وإنما خص المؤمنين هنا؛ لكونهم أفضل أنواع الناس وقيل: المراد بالأكل الانتفاع، وقيل: المراد به الأكل المعتاد، وهو الظاهر.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله طيب ولا يقبل إلا الطيب، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر المرسلين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ ثم ذكر رجلاً يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام فأنى يستجاب له»؟ أخرجه مسلم. أَشْعَثُ: هو البعيد العهد بالدهن، أَغْبَرَ: هو البعيد العهد بالغسل والنظافة، ويستفاد من هذا الحديث أن المراد بالطيبات الحلالات.

﴿وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ﴾ الذي رزقكموها على جميع نعمه ﴿إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾؛ أي: إن صح أنكم تخصونه بالعبادة، وتقرون أنه إلهكم لا غيره، وأنه هو مولى جميع النعم لا غيره.. فإن الشكر رأس العبادات، وقيل: معناه: إن كنتم عارفين بالله وبنعمه.. فاشكروه عليها.

وعن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه[1]: «يقول الله تعالى: إنّي والإنس والجن في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر غيري».

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ﴾ لمّا[2] أباح الله تعالى لعباده أكل ما في الأرض من الحلال الطيب، وكانت وجوه الحلال كثيرة لا تنحصر.. بيّن لهم في هذه الآية ما حرم عليهم؛ لكونه أقل، فلما بيّن ما حرم.. بقي ما سوى ذلك على التحليل حتى يرد منع آخر: وهذا مثل قوله ﷺ لما سئل عما يلبس المُحْرِم فقال: «لا يلبس القميص ولا السراويل». فعدل عن ذكر المباح إلى ذكر المحظور؛ لكثرة المباح، وقلة المحظور، وهذا من الإيجاز البليغ. كما مر أنفاً في محل المناسبة.

---

(١) البيضاوي.

(٢) البحر المحيط.

و﴿إِنَّمَا﴾ كلمة موضوعة؛ للدلالة على إثبات المذكور، ونفي غيره، فهي بمعنى ﴿ما﴾ النافية، و﴿إلا﴾ المثبته؛ أي: ما حرم عليكم شيئاً من الأشياء إلا الميتة؛ أي: إلا أكل الميتة، والانتفاع بها بأي وجهٍ كان؛ وهي التي زالت حياتها بغير ذكاة شرعية، وأُلحق بها بالسُّنة: ما أُبينَ من حيٍّ. رواه أبو داود والترمذي وحسنه بلفظ: «ما قُطع من البهيمة وهي حية فهو ميتة» وإنما حرم الميتة لما يتوقع من ضررها؛ لأنها إما أن تكون قد ماتت بمرض سابق، أو بعلمة عارضة، وكلاهما لا يؤمن ضرره، ولأن الطباع تستقذرها، وخص منها السمك والجراد في خبر: «أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال» رواه ابن ماجه والحاكم. ﴿و﴾ إلا ﴿الدم﴾ السفوح كما في سورة الأنعام؛ أي: الجاري، وكانت العرب تجعل الدم في المصارين، ثم تشويه وتأكله، فحرم الله الدم. وخص منه بالقيد المذكور الكبد والطحال، وإنما حُرم الدم؛ لأنه قذر وضارّ كالميتة ﴿و﴾ إلا ﴿لحم الخنزير﴾ وجميع أجزائه، وإنما خص اللحم بالذكر؛ لأنه المقصود بالأكل، وإنما حرم لحم الخنزير؛ لأنه ضار، ولا سيما في البلاد الحارة كما دلت على ذلك التجربة. ﴿و﴾ إلا ﴿ما أهل به لغير الله﴾؛ أي: وما حرم عليكم شيئاً من الأشياء إلا ما رفع به الصوت عند ذبحه لغير الله، من صنم أو غيره مما يعبد من دون الله؛ لأنه من أعمال الوثنيين، فـ﴿ما﴾[1] موصولة و﴿به﴾: نائب فاعل لـ﴿أهل﴾ و﴿الباء﴾ بمعنى (في) مع حذف مضاف، والمعنى: وما صيح في ذبحه لغير الله، والمشركون يرفعون الصوت لآلهتهم عند الذبح، فجرى ذلك مجرى أمرهم وحالهم حتى قيل لكل ذابح مهل وإن لم يجهر بالتسمية، وقال الربيع بن أنس، وابن زيد: المعنى: وذكر عليه غير اسم الله، وعلى هذا فـ﴿غير الله﴾ نائب الفاعل، واللام صلة.

وقد نص الفقهاء[2] على أن كل ما ذكر عليه اسم غير الله، ولو مع اسم الله؛ فهو محرم، ومثل ذلك ما يفعله العامة في القرى؛ إذ يقولون عند الذبح: باسم الله، الله أكبر، يا سيد، يا بدوي، يريدون بذلك أن يتقبل منهم النذر، ويقضي حاجة صاحبه.

---

(١) المراح. (٢) المراغي.

وقال العلماء[١]: لو أن مسلماً ذبح ذبيحة، وقصد بذبحها التقرب إلى غير الله صار مرتداً، وذبيحته ذبيحة مرتد لا يحل أكلها.

وإنما قدّم[٢] لفظة ﴿بِهِۦ﴾ هنا على قوله: ﴿لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ وأخره عنه في المائدة والأنعام والنحل؛ لأن ﴿الباء﴾ للتعدية كالهمزة والتشديد، فهي كالجزء من الفعل، فكان الموضع الأول أولى بها وبمدخولها، وأخّر في بقية المواضع نظراً للمقصود فيها من ذكر المستنكر؛ وهو الذبح لغير الله. ذكره الكرخي.

وقرأ الجمهور[٣]: ﴿حَرَّمَ﴾ مبنياً للفاعل مسنداً إلى ضمير اسم الله، وما بعده منصوب، و﴿ما﴾ في ﴿إِنَّمَا﴾ مهيئة هيأت ﴿إنّ﴾ لدخولها على الجملة الفعلية، وقرأ ابن أبي عبلة شذوذاً: برفع ﴿الميتة﴾ وما بعدها، فتكون ﴿ما﴾ موصولة اسم إن، والعائد عليها محذوف؛ تقديره: إن الذي حرمه الله الميتة، وما بعدها خبر إن، وقرأ أبو جعفر في الشاذ ﴿حُرِّم﴾ مشدداً مبنياً للمفعول، و﴿ما﴾ تحتمل كونها موصولة، أو مهيئة. وقرأ أبو عبد الرحمٰن السلمي في رواية شاذة: ﴿إنما حَرُمَ﴾ بفتح الحاء وضم الراء مخففة جعله لازماً ﴿الميتة﴾ وما بعدها مرفوع، وتحتمل ﴿ما﴾ للوجهين من التهيئة والوصل، و﴿الميتة﴾ فاعل بـ﴿حَرُم﴾ إن كانت ﴿ما﴾ مهِّيئة، وخبر إنّ إنْ كانت ﴿ما﴾ موصولة، وقرأ أبو جعفر في المتواتر: ﴿الميّتة﴾ - بتشديد الياء - في جميع القرآن.

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾؛ أي: أُلجىء وأُحوج إلى أكل شيء مما ذكر بأن أصابه جوع شديد، ولم يجد حلالاً يسد به الرمق، أو أكره على تناول ذلك، وقرأ[٤] أبو جعفر في المتواتر: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ بضم النون للاتباع، وبكسرها على أصل حركة التقاء الساكنين، وقرأ ابن محيص شذوذاً بإدغام الضاد في الطاء، وقرأ أبو السمال بكسر الطاء وهي قراءة شاذة أيضاً، والمراد: مَنْ صيرةُ الجوع والعدم إلى

---

(١) المراح.
(٢) الجمل.
(٣) البحر المحيط.
(٤) شوكاني.

الاضطرار والاحتياج إلى الميتة حالة كونه غير مباح؛ أي: غير طالب للذة ﴿وَلَا عَادٍ﴾؛ أي: متجاوز سد الجوعة، كما نقل عن الحسن، وقتادة، والربيع، ومجاهد، وابن زيد. وقيل: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ على الوالي وخارج عن طاعته. ﴿وَلَا عَادٍ﴾؛ أي: غير متعد على المسلمين بقطع الطريق، فأكله - ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾؛ أي: فلا حرج ولا ذنب على المضطر المذكور في أكل جميع ما ذكر، لترخيص الله سبحانه وتعالى له في ذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ تعالى ﴿غَفُورٌ﴾ لمن أكل في حال الاضطرار ﴿رَّحِيمٌ﴾ له حيث أباح له في تناول قدر الحاجة.

فخرج بذلك الباغي والعادي، فمن[1] خرج يقطع الرحم، أو يقطع السبيل، أو يفسد في الأرض، أو مفارقاً للجماعة والأئمة، أو خرج في معصية الله كالناشزة والآبق، فاضطر إلى أكل الميتة ونحوها.. لم تحل له ما لم يتب؛ لأن الرخص لا تفعل مع المعصية.

أما الباغي والعادي[2] المقيمان المضطران إلى أكل ما ذكر: فيحل لهما أكله؛ وذلك لأن الترخيص لا يمتنع في حق المقيم العاصي إلا إذا كان مراقَ الدم، وقادراً على توبة نفسه كالمرتد، وتارك الصلاة بشرطه، أما غيره: فتحل له سائر الرخص التي من جملتها أكل الميتة، هكذا يقتضي كلام الرملي في باب الأطعمة.

قلتُ: والظاهر من إطلاق الآية أن الباغي والعادي لا يحل لهما أكل الميتة ونحوها عند الاضطرار مطلقاً؛ أي: سواء كانا مقيمين أو مسافرين.

وعبارة المراغي هنا[3]: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ﴾؛ أي: فمن ألجىء إلى أكل شيء مما حرم الله عليه بأن لم يجد غيره، وخاف على نفسه الهلاك إن لم يأكل منه، ولم يكن راغباً فيه لذاته، ولم يتجاوز قدر الحاجة.. فلا

---

(١) شوكاني.

(٢) جمل.

(٣) مراغي.

إثم عليه؛ لأن الإلقاء بنفسه إلى التهلكة بالموت جوعاً أشد ضرراً من أكل الميتة أو الدم، بل الضرر في ترك الأكل محقق، وهو في فعله مظنون، كما أن من أكل مما أهل به لغير الله مضطراً لم يقصد إجازةَ عمل الوثنية ولا استحسانه.

وإنما ذكر قوله: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾؛ لئلا يتبع الناس أهواءهم في تفسير الاضطرار إذا وكل إليهم تحديده، فيزعم هذا أنه مضطر وليس بمضطر، ويذهب ذلك بشهواته إلى ما وراء الضرورة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: إن الله يغفر لعباده خطأهم في تقدير الضرورة إذ وكل ذلك إلى اجتهادهم، رحيم بهم إذ رخص لهم في تناولها، ولم يوقعهم في الحرج والعسر، وجعل الضرورة تقدر بقدرها. انتهت.

وظاهر قوله[1]: ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ نفي كل فرد فرد من الإثم عنه إذا أكل، لا وجوب الأكل. وقال الطبري: ليس الأكل عند الضرورة رخصة، بل ذلك عزيمة واجبة، ولو امتنع من الأكل كان عاصياً.

وقال مسروق: بلغني أنه من اضطر إلى الميتة، فلم يأكل حتى مات.. دخل النار، كأنه أشار إلى أنه قاتل نفسه بتركه ما أباح الله له.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ لما بين سبحانه وتعالى فيما سلف إباحة أكل الطيبات على خلاف ما عليه أهل الملل الأخرى وأوجب عليهم شكر ربهم على نعمه التي أسداها إليهم.. ذكر في هذه الآيات أن بعض الرؤساء الذين حرموا على الناس ما لم يحرمه الله وشرعوا لهم ما لم يشرعه، قد كتموا ما شرعه الله بالتأويل أو بالترك، فاليهود والنصارى ومن حذا حذوهم كتموا أوصاف النبي ﷺ، وأوجبوا التقشف في المآكل والمشارب ونحو ذلك مما لهم فيه منفعة، كما قال في آية أخرى: ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ فقال: إن الذين يخفون ما أنزل الله على رسله من الكتاب المشتمل على الأحكام من المحللات والمحرمات، وعلى نعت محمد ﷺ، أو يؤولونه ويحرفونه ويضعونه في غير

---

(١) البحر المحيط.

موضعه برأيهم واجتهادهم ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ﴾؛ أي: ويأخذون بسبب كتمانه من سفلتهم ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾؛ أي: عوضاً حقيراً يسيراً من حطام الدنيا كالرشوة على الكتمان المذكور، أو الجعل؛ أي: الأجر على الفتاوى الباطلة، أو نحو ذلك مما يستفيده الرؤساء من المرؤوسين، وسمي قليلاً وإن كان كثيراً في ذاته؛ لأن كل عوض عن الحق.. فهو قليل في جنب ما يفوت آخذه من سعادة الحق الدائمة بدوام المحافظة عليه، و المبطل وإن تمتع بثمن الباطل.. فذاك إلى أمد الحياة القصير كما قال: ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الكاتمون لكتاب الله المتجرون به ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ﴾ من ثمنه ﴿إِلَّا ٱلنَّارَ﴾؛ أي: إلا الحرام الذي يكون سبباً لدخولهم النار يوم القيامة، وقد يكون[1] المعنى: إنه لا تملأ بطونهم إلا النار؛ أي: لا يشبع جشعهم إلا النار التي يصيرون إليها، على نحو ما جاء في الحديث: «ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب».

وهذا الحكم عام يصدق على علماء المسلمين الذين يعرضون عن السنن، ويظهرون البدع كما يصدق على غيرهم، فسنة الله مطردة في تأييد أنصار الحق، وخذلان أهل الباطل. ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ بكلام لطف ورحمة ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؛ أي: إن الله تعالى يعرض عنهم ويغضب عليهم، وقد جرت عادة الملوك إذا غضبوا.. أعرضوا عن المغضوب عليهم، ولم يكلموهم، كما أنّهم حين الرضا يلاطفون من يرضون عنه، ويقابلونه بالبشاشة والبشر.

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾؛ أي: ولا يطهرهم من دنس الذنوب بالمغفرة، والصفح عنهم إذا ماتوا وهم مصرون على كفرهم وكتمانهم ﴿وَلَهُمْ﴾؛ أي: ولهؤلاء الكاتمين ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: شديد الألم والإيجاع، يخلص ألمه إلى قلوبهم.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الكاتمون الذين جزاؤهم ما تقدم، هم ﴿ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾؛ أي: أخذوها واختاروها لأنفسهم في الدنيا ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾؛ أي: بدل الهدى ﴿وَ﴾

---

(١) المراغي.

اختاروا ﴿العذاب﴾ في الآخرة الذي سببه كتمان الحق؛ للأغراض الدنيوية ﴿بِٱلْمَغْفِرَةِۚ﴾؛ أي: بدل المغفرة والجنة التي سببها إظهار ما أنزل الله تعالى، والمعنى: إنهم اختاروا الضلالة على الهدى، واختاروا العذاب على المغفرة؛ لأنهم كانوا عالمين بالحق، ولكن كتموه، وأخفوه، وكان في إظهاره الهدى والمغفرة، وفي كتمانه الضلالة والعذاب، فلما أقدموا على إخفاء الحق وكتمانه.. كانوا بائعين الهدى بالضلالة، والمغفرة بالعذاب.

﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾؛ أي: فما[1] الذي صَبَّرهم، وأيُّ شيءٍ جسرهم وأجرأهم وأدومهم على عمل أهل النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل؟ فهو استفهام بمعنى التوبيخ لهم، وقيل: إنه بمعنى التعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم، فلما أقدموا على ما يوجب النار مع علمهم بذلك.. صاروا كالراضين بالعذاب، والصابرين عليه، فتعجب من حالهم بقوله: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ والمراد[2] تعجيب المخلوقين من حال هؤلاء الذين باشروا الأسباب الموجبة لعذاب النار، فكأنهم بهذه المباشرة للأسباب صبروا على العقوبة في نار جهنم.

﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب المذكور مستحق لهم ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾؛ أي: بسبب أن الله سبحانه وتعالى ﴿نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّۗ﴾؛ أي: أنزل كتابه ـ التوراة ـ ببيان الحق الذي منه نعت محمد ﷺ، فكتموا وحرفوا ما فيه، وأرادوا ستر الحق وغلبته، والحق لا يغالب، فمن غالبه غُلِب.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: اختلفوا في تأويله ومعانيه، فحرفوها وبدلوها، وقيل: آمنوا ببعض وكفروا ببعض. ﴿لَفِى شِقَاقٍۭ﴾؛ أي: خلاف ومنازعة ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحق والصواب مستوجب لهم أشد العذاب.

---

(١) الخازن.

(٢) شوكاني.

أو المعنى[1]: أن الذين اختلفوا في الكتاب الذي نزله الله لجمع الكلمة على اتباع الحق، وإزالة الاختلاف ـ وهو القرآن ـ لفي شقاق بعيد عن سبيل الحق، فلا يهتدون إليه، إذ كل منهم يخالف الآخر بما ابتدعه من رأي ومذهب، وينأى بجانبه عن الآخر، فيكون الشقاق بينهما بعيداً.

وهذا وعيد آخر بعد الوعيد الأول على كتمان الحق، فالمختلفون لا يسلكون سبيلاً واحدة كما يدعو إلى ذلك القرآن الكريم حيث قال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ فلا يجوز لأهل الكتاب الإلهي أن يكونوا شِيَعاً ومذاهب شتى كما قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ فإذا وجد خلاف في الفهم ـ وهو ضروري في طباع البشر ـ وجب التحاكم إلى الكتاب والسنة حتى يزول كما قال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ وليس هناك عذر للمسلمين في الاختلاف في دينهم حيث جعلوه مذاهب وطرائق شتى؛ لأن الله أوجد لكل مشكل مخرجاً على أنّ ما تختلف فيه الأفهام لا يقتضي الشقاق والنزاع، بل يسهل على جماعة المسلمين من أهل العلم أن ينظروا فيما اختلفوا فيه، وما يرون أنه الراجح يعتمدون عليه إذا تعلق بمصلحة الأمة والأحكام المشتركة بينها.

الإعراب

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾: ﴿يا﴾: حرف نداء، ﴿أيّ﴾: منادى نكرة مقصودة، ﴿ها﴾: حرف تنبيه زائد زيدت تعويضاً عما فات؛ أي: من الإضافة. ﴿ٱلنَّاسُ﴾: صفة لـ﴿أيّ﴾ تابع للفظه، وجملة النداء مستأنفة. ﴿كُلُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة جواب النداء لا محل لها من الإعراب. ﴿مِمَّا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿كُلُوا۟﴾، أو بمحذوف حال من ﴿حَلَٰلًا﴾؛ لأنه صفة نكرة قدمت عليها، فأعربت حالاً. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: جار ومجرور صلة لـ﴿مَآ﴾، أو صفة لها. ﴿حَلَٰلًا﴾: مفعول به

---

(١) المراغي.

لـ﴿كُلُوا﴾. ﴿طَيِّبًا﴾: صفة مؤكدة لـ﴿حَلَالًا﴾؛ لأن معناهما واحد، وهو قول ابن مالك، أو مخصصة له؛ لأن معناه مغاير لمعنى الحلال، وهو المستلذ؛ وهو قول الشافعي وغيره، ولذلك يمنع أكل الحيوان القذر، وكل ما هو خبيث.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

﴿وَلَا﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة، ﴿لا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَتَّبِعُوا﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، ﴿خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: مفعول به ومضاف إليه، والجملة معطوفة على جملة ﴿كُلُوا﴾. ﴿إِنَّهُ﴾ ﴿إن﴾: حرف نصب وتوكيد، والهاء اسمها، وإنما كَسَرَ[1] همزة ﴿إن﴾؛ لأنه تعالى أراد الإعلام بحاله، وهو أبلغ من الفتح؛ لأنه لو فتح الهمزة.. لكان التقدير: لا تتبعوه؛ لأنه عدو لكم، واتباعه ممنوع وإن لم يكن عدواً لنا، ومثله: لبيك إن الحمد لك والنعمة لك، فكسر الهمزة أجود فيه لدلالة الكسر على استحقاقه الحمد في كل حال، والمراد بالشيطان هنا الجنس، فيشمل جميع شياطين الإنس والجن، وليس المراد به واحداً. قاله أبو البقاء. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿عدو﴾. ﴿عَدُوٌّ﴾: خبر إن. ﴿مُبِينٌ﴾: صفة لـ﴿عدو﴾، وجملة إن في محل الجر بـ﴿لام﴾ التعليل المقدرة.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصر. ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾: فعل ومفعول به، وفاعله ضمير يعود على ﴿الشَّيْطَانِ﴾، والجملة مستأنفة مسوقة لتعليل النهي في قوله ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾. بـ﴿السُّوءِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾. ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾: معطوف على ﴿بِالسُّوءِ﴾. ﴿وَأَنْ﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة، و﴿أن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿تَقُولُوا﴾: فعل وفاعل، ومنصوب بأن. ﴿عَلَى اللَّهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تَقُولُوا﴾، والجملة الفعلية صلة أن المصدرية، أن مع صلتها في تأويل مصدر معطوف على ﴿بِالسُّوءِ﴾ تقديره: إنما يأمركم بالسوء والفحشاء، وبقولكم على الله.

---

(١) البحر المحيط.

﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة في محل النصب مفعول به لـ﴿تَقُولُوا﴾. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تَعْلَمُونَ﴾: فعل وفاعل، وعلم هنا بمعنى عرف، يتعدى لمفعول واحد، وهو محذوف؛ تقديره: ما لا تعلمونه، والجملة الفعلية صلة لـ﴿مَا﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط الضمير المحذوف.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾.

﴿وَإِذَا﴾ ﴿الواو﴾ استئنافية، ﴿إذا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان مضمنة معنى الشرط. ﴿قِيلَ﴾: فعل ماضٍ مغيَّر الصيغة. ﴿لَهُمُ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿قِيلَ﴾. ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾: مقول محكي في محل الرفع نائب فاعل لـ﴿قِيلَ﴾، وجملة ﴿قِيلَ﴾: في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إذا﴾ على كونها فعل شرط لها، والظرف متعلق بالجواب الآتي، وإن شئت قلت ﴿اتَّبِعُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة من الفعل والفاعل في محل الرفع نائب فاعل لـ﴿قِيلَ﴾. ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة في محل النصب مفعول. ﴿أَنزَلَ اللَّهُ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف؛ تقديره: أنزل الله. ﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية جواب الشرط لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إذا﴾ من فعل شرطها وجوابها مستأنفة لا محل لها من الإعراب. ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾: مقول محكي لـ﴿قَالُوا﴾، وإن شئت قلت: ﴿بَلْ﴾: حرف عطف وإضراب. ﴿نَتَّبِعُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الكفار، والجملة الفعلية في محل النصب معطوفة على جملة محذوفة؛ تقديرها: قالوا لا نتبع ما أنزل الله، بل نتبع ما ألفينا عليه أباءنا. ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة في محل النصب مفعول ﴿نَتَّبِعُ﴾. ﴿أَلْفَيْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور في محل النصب مفعول ثان لـ﴿ألفى﴾. ﴿آبَاءَنَا﴾: مفعول أول ومضاف إليه، والجملة الفعلية صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط ضمير عليه.

﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

﴿أَوَلَوْ﴾: ﴿الهمزة﴾ للاستفهام الإنكاري التوبيخي، والواو عاطفة على محذوف؛ تقديره: أيتبعونهم ولو كان أباؤهم، أو حالية كما قاله الزمخشري ﴿لو﴾: غائية لا جواب لها، وقال أبو السعود: إن ﴿لو﴾ في مثل هذا التركيب لا تحتاج إلى جواب؛ لأن القصد منها تعميم الأحوال، فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة، بدلالة ما قبلها عليه. ﴿كَانَ﴾: فعل ماضٍ ناقص. ﴿ءَابَآؤُهُمْ﴾: اسم كان ومضاف إليه. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَعْقِلُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿شَيْئًا﴾: مفعول به. ﴿وَلَا﴾ ﴿الواو﴾ عاطفة، ﴿لا﴾: زائدة، زيدت لتأكيد نفي ما قبلها. ﴿يَهْتَدُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿يَعْقِلُونَ﴾، وجملة ﴿يَعْقِلُونَ﴾ مع ما عطف عليها في محل النصب خبر ﴿كَانَ﴾، وجملة ﴿كَانَ﴾ من اسمها وخبرها معطوفة على جملة محذوفة؛ على كونها مستأنفة لا محل لها من الإعراب، أو في محل النصب حال من مفعول الجملة المحذوفة؛ تقديره: أيتبعون أباءهم حالة كون أبائهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾.

﴿وَمَثَلُ﴾: ﴿الواو﴾ استئنائية، ﴿وَمَثَلُ﴾: مبتدأ. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مضاف إليه. ﴿كَفَرُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الفاعل. ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، ولكنه على حذف مضاف؛ إما من الأول تقديره: ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق، أو من الثاني تقديره: ومثل الذين كفروا كمثل مواشي الذي ينعق، كما مرت الإشارة إليه في قسم التفسير. ﴿يَنْعِقُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الموصول، والجملة صلة الموصول ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يَنْعِقُ﴾ ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَسْمَعُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿ما﴾، والجملة صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿دُعَآءً﴾: مفعول به. ﴿وَنِدَآءً﴾: معطوف عليه. ﴿صُمٌّۢ﴾: خبر مبتدأ محذوف؛ تقديره: هم صمّ. ﴿بُكْمٌ﴾: خبر ثان. ﴿عُمْىٌ﴾: خبر ثالث، والجملة الاسمية في محل الجر باللام

المقدرة المعللة للتشبيه المذكور. ﴿فَهُمْ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة تفريعية، ﴿هم﴾ مبتدأ، وجملة ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾: خبر المبتدأ، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾: ﴿يا﴾: حرف نداء، ﴿أيُّ﴾: منادى نكرة مقصودة، ﴿ها﴾: حرف تنبيه زائد. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: في محل الرفع صفة لـ﴿أي﴾ تابع للفظه، وجملة النداء مستأنفة. ﴿ءَامَنُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الفاعل. ﴿كُلُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة جواب النداء. ﴿مِن طَيِّبَٰتِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿كُلُوا﴾ وهو مضاف. ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة في محل الجر مضاف إليه. ﴿رَزَقْنَٰكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول؛ لأن رَزَقْنا بمعنى: أعطيْنا، يتعدى لمفعولين، والثاني محذوف تقديره: رزقناكموه، والجملة صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط الضمير المحذوف. ﴿وَٱشْكُرُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿كُلُوا۟﴾. ﴿لِلَّهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿اشكروا﴾، ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ناقص، واسمه في محل الجزم بـ﴿إنْ﴾ على كونه فعل شرط لها. ﴿إِيَّاهُ﴾: مفعول مقدم لـ﴿تَعْبُدُونَ﴾، وجملة ﴿تَعْبُدُونَ﴾: في محل النصب خبر كان، وجواب ﴿إن﴾ معلوم مما قبلها؛ تقديره: إن كنتم إياه تعبدون.. فاشكروا له، وجملة الشرط جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾.

﴿إِنَّمَا﴾ كافة ومكفوفة؛ لا عمل لها، وهي أداة حصر. ﴿حَرَّمَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة مستأنفة. ﴿عَلَيْكُمُ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿حرم﴾. ﴿ٱلْمَيْتَةَ﴾: مفعول به. ﴿وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾: معطوفان عليه. ﴿وَمَآ﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة. ﴿ما﴾: موصولة، أو موصوفة في محل النصب معطوف على ﴿ٱلْمَيْتَةَ﴾. ﴿أُهِلَّ﴾: فعل ماض مغيَّر الصيغة:

﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور في محل الرفع نائب فاعل لـ﴿أهل﴾، والجملة صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط ضمير ﴿بِهِۦ﴾. ﴿لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿أهل﴾.

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾.

﴿فَمَنِ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر؛ تقديره: إذا عرفتم أن الله حرم عليكم الميتة وما بعدها، وأردتم بيان حكم من اضطر إليها.. فأقول لكم. ﴿من﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب، أو هما. ﴿ٱضْطُرَّ﴾: فعل ماضٍ مغيَّر الصيغة في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونه فعل شرط لها، ونائب فاعله ضمير يعود على ﴿من﴾. ﴿غَيْرَ﴾: منصوب على الحالية من نائب فاعل ﴿ٱضْطُرَّ﴾ ﴿غيرَ﴾: مضاف. ﴿بَاغٍ﴾: مضاف إليه. ﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، ﴿لا﴾: زائدة. ﴿عَادٍ﴾: معطوف على باغٍ. ﴿فَلَآ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿مَنْ﴾ الشرطية وجوباً، ﴿لا﴾ نافية تعمل عمل إن. ﴿إِثْمَ﴾: في محل النصب اسمها. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر ﴿لا﴾، وجملة ﴿لا﴾ في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونها جواباً لها، وجملة ﴿من﴾ الشرطية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة استئنافاً بيانياً لا محل لها من الإعراب.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿غَفُورٌ﴾: خبر أول لها. ﴿رَّحِيمٌ﴾: خبر ثان لها، وجملة ﴿إن﴾ في محل الجر بلام التعليل المقدرة؛ لأن هذه الجملة سيقت لتعليل ما قبلها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾.

﴿إِنَّ﴾: حرف نصب وتوكيد. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: في محل الرفع اسمها. ﴿يَكْتُمُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول. ﴿مَآ﴾: اسم موصول، أو

نكرة موصوفة في محل النصب مفعول به. ﴿أَنزَلَ﴾: فعل ماض. ولفظ الجلالة ﴿اللَّهُ﴾: فاعل، والجملة صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط ضمير المفعول المحذوف؛ تقديره: أنزله الله. ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾: جار ومجرور حال من الضمير المحذوف في ﴿أَنزَلَ﴾. ﴿وَيَشْتَرُونَ﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة، ﴿يشترون﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿يَكْتُمُونَ﴾ على كونها صلة الموصول. ﴿بِهِ﴾: جار ومجرور متعلق به. ﴿ثَمَنًا﴾: مفعول به. ﴿قَلِيلًا﴾: صفة له. ﴿أُولَٰئِكَ﴾: مبتدأ. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿يَأْكُلُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿فِي بُطُونِهِمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿يَأْكُلُونَ﴾. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿النَّارَ﴾: مفعول ﴿يَأْكُلُونَ﴾، وجملة يأكلون في محل الرفع خبر المبتدأ، وجملة المبتدأ والخبر في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة.

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَا﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة. ﴿لا﴾: نافية. ﴿يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾: فعل ومفعول وفاعل، والجملة في محل الرفع معطوفة على جملة قوله: ﴿مَا يَأْكُلُونَ﴾ على كونها خبر المبتدأ. ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿يُكَلِّمُهُمُ﴾. ﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، ﴿لا﴾: زائدة لتأكيد نفي ما قبلها. ﴿يُزَكِّيهِمْ﴾: فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهُ﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿يَأْكُلُونَ﴾. ﴿وَلَهُمْ﴾: الواو: عاطفة، ﴿لهم﴾ جار ومجرور خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿أَلِيمٌ﴾: صفة له، والجملة الاسمية في محل الرفع معطوفة على جملة ﴿يَأْكُلُونَ﴾ على كونها خبر المبتدأ.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾.

﴿أُولَٰئِكَ﴾ مبتدأ. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة مستأنفة. ﴿اشْتَرَوُا﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول. ﴿الضَّلَالَةَ﴾: مفعول به. ﴿بِالْهُدَىٰ﴾: متعلق بـ﴿اشْتَرَوُا﴾. ﴿وَالْعَذَابَ﴾: معطوف على ﴿الضَّلَالَةَ﴾. ﴿بِالْمَغْفِرَةِ﴾: متعلق بـ﴿اشْتَرَوُا﴾ أيضاً. ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء

الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفتم صنيعهم القبيح وعقوبتهم القبيحة، وأردتم بيان ما يقال فيهم.. فأقول لكم: ﴿ما اصبرهم على النار﴾: (ما) استفهامية، أو تعجبية في محل الرفع مبتدأ. ﴿أصبر﴾: فعل ماض، أو فعل تعجب، وفاعل ضمير يعود على ﴿ما﴾، والهاء مفعول به ﴿عَلَى ٱلنَّارِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أصبر﴾، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة استئنافاً بيانياً.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ. ﴿بِأَنَّ﴾: ﴿الباء﴾: حرف جر، ﴿أَنَّ﴾ حرف نصب وتوكيد. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿نَزَّلَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهَ﴾ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول به. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلق بـ﴿نَزَّلَ﴾، أو حال من ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾، وجملة ﴿نَزَّلَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿أن﴾، وجملة أن في تأويل مصدر مجرور بالباء المتعلقة بواجب الحذف؛ لوقوعه خبر المبتدأ، تقديره: ذلك العذاب مستحق لهم بسبب تنزيل الله الكتاب، واختلافهم فيه، والجملة الاسمية مستأنفة.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾.

﴿وَإِنَّ﴾: ﴿الواو﴾ استئنافية، أو عاطفة، ﴿إن﴾: حرف نصب وتوكيد. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول في محل النصب اسم إن ﴿ٱخْتَلَفُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الفاعل. ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿ٱخْتَلَفُوا۟﴾. ﴿لَفِى شِقَاقٍۭ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿في شقاق﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر إن. ﴿بَعِيدٍ﴾: صفة لـ﴿شِقَاقٍۭ﴾، والتقدير: لكائنون في شقاق بعيد، وجملة ﴿إن﴾ من اسمها وخبرها مستأنفة استئنافاً نحوياً، أو معطوفة على جملة قوله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ على كونها مستأنفة.

التصريف ومفردات اللغة

﴿خُطُوَٰتِ﴾: الخُطوات ـ بضم الخاء والطاء ـ: جمع خُطوة بضم الخاء، وأما على قراءة فتحهما: فجمع خَطوة بفتح الخاء، والفرق بين الخُطوة بالضم،

والخَطوة بالفتح: أن المضموم اسم لما بين القدمين، كأنه اسم للمسافة، كالغرفة اسم لما يغترف، والمفتوح مصدر دال على المرة، من خطا يخطو إذا مشى، وقيل: إنهما لغتان بمعنى واحد. ذكره أبو البقاء.

﴿أَلْفَيْنَا﴾: من ألفى يلفي الرباعي، ولامه واو لا ياء؛ لأن الأصل فيما جهل من اللامات أن يكون واواً؛ لأنه أوسع وأكثر، فالرد إليه أولى. ذكره السمين.

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾ يقال: نَعَق ـ بفتح العين ـ ينعِق ـ بكسرها ـ نعيقاً، ونُعاقاً بالضم، ونَعَقَاناً بفتحتين، والنعيق: نداء الراعي وتصويته بالغنم ليزجرها، ولا يقال: نعق إلا لراعي الغنم وحدها، وأما نعق الغراب: فبالمعجمة، وحكى بعضهم بالمهملة.

﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ جمع أصم وأبكم وأعمى، كحمر جمع أحمر.

﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ الأصل في كلوا: أأكلوا، فالهمزة الأولى همزة وصل، والثانية فاء الكلمة، إلا أنهم حذفوا الفاء، فاستغنوا عن همزة الوصل لتحرك ما بعدها، والحذف هنا شاذ ليس بقياس، ولم يأت إلا في (كل) و(خذ) و(مر)، كما قال ابن مالك في لامية الأفعال:

وَشَذَّ بِٱلْحَذْفِ مُرْ وَخُذْ وَكُلْ وَفَشَا   وَأْمُرْ وَمُسْتَنْدَرٌ تَتْمِيْمُ خُذْ وَكُلَا

﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ﴾ يقال: أهل يهل إهلالاً إذا صرخ ورفع صوته، ومنه الهلال؛ لأنه يصرخ عند رؤيته، واستهلّ الصبي إذا صرخ عند خروجه.

﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ والباغي: اسم فاعل من بغى يبغي فهو باغٍ، كقاضي فهو ناقص يائي، وهو من البغي وهو الظلم، والعادي: اسم فاعل من عدا يعدو إذا تجاوز الحد، والأصل: عادو، فقلبت ﴿الواو﴾ ياء لانكسار ما قبلها، كغاز من الغزو، فهو ناقص واوي، وهو من العدوان؛ وهو مجاوزة الحد.

﴿فِى بُطُونِهِمْ﴾ البطن معروف، وجمعه على فعول قياس، ويجمع أيضاً على بطنان، ويقال: بطن الأمر يبطن إذا خفي، وبطن الرجل، فهو بطين إذا كبر بطنه، والبطنة امتلاء البطن بالطعام، ويقال: البطنة تذهب الفطنة.

﴿خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ استعارة[1] عن الاقتداء به واتباع آثاره؛ وهي أبلغ عبارة عن التحذير من طاعته فيما يأمر به، وقبول قوله فيما يدعو إلى فعله.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم﴾ فيه استعارة تصريحية تبعية، وتقريرها أن يقال: شُبِّه تزيِّنه وبعثه لهم على الشر تسفيهاً لرأيهم وتحقيراً لشأنهم، يأمر من يأمر بشيءٍ، ثم اشتق من الأمر بمعنى التزيين، يأمر بمعنى يزين على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

﴿بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ﴾ هو من باب عطف الخاص على العام؛ لأن السوء يتناول جميع المعاصي، والفحشاء أقبح وأفحش المعاصي.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيه تشبيه مرسل لذكر الأداة فيه، ومجمل لحذف وجه الشبه فيه، فقد شبه الكفار بالبهائم التي تسمع صوت المنادي من غير أن تفقه كلامه وتفهم مراده.

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ فيه تشبيه بليغ حذف فيه أداة التشبيه ووجه الشبه؛ أي: هم كالصم في عدم سماع الحق، وكالبكم والعمي في عدم الانتفاع بالقرآن.

﴿وَٱشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ فيه التفات من ضمير المتكلم إلى الغيبة؛ إذ لو جرى على الأسلوب الأول.. لقال: واشكرونا.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾ فيه قصر قلب للرد على من استحل هذه الأربعة، وحرم الحلال غيرها كالسوائب، ومع ذلك هو، أي: ما حرم عليكم إلا هذه الأربعة لا غيرها من البحيرة.

وفي قوله: ﴿فِى بُطُونِهِمْ﴾ زيادة تشنيع وتقبيح لحالهم، وتصويرهم بمن يتناول رضف جهنم، وذلك أفظع سماعاً وأشد إيجاعاً.

﴿ٱشْتَرَوُا ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ فيه استعارة تصريحية تبعية، وتقريرها أن يقال:

---

(١) عكبري.

شبه استبدال الضلالة عن الهدى باشتراء من اشترى شيئاً بشيءٍ، ثم اشتق من الاشتراء بمعنى الاستبدال، اشتروا بمعنى: استبدلوا على طريقة الاستعارة التصريحية.

﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ فيه مجاز بالحذف؛ أي: على عمل أهل النار.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿۞ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ
السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا
وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ
شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ
عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩) كُتِبَ عَلَيْكُمْ
إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ
(١٨٠) فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨١) فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ
جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨٢)﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ...﴾ الآية، وجه(١) مناسبتها لما قبلها: أنه تعالى لمّا أمر في الآيات السابقة بتحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة، طال خوض أهل الكتاب في ذلك، وأنكروا على المسلمين التحول إلى الكعبة، ووقع الجدال بينهم وبين المسلمين، حتى بلغ أشده، وادعى كل من اليهود والنصارى أن الهدى مقصور على قبلته، وكانوا يرون أن الصلاة إلى غير قبلتهم لا يقبلها الله تعالى، ولا يكون صاحبها متبعاً دين الأنبياء، كما كان المسلمون يرون أن الصلاة لا يقبلها الله إلا إذا كانت إلى المسجد الحرام قبلة إبراهيم أبي الأنبياء جميعاً.. فلأجل هذا بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أنّ تولية الوجوه قبلة مخصوصة ليس هو البر المقصود من الدين؛ لأنه إنما شرع لتذكير المصلي بأنه يناجي ربه ويدعوه وحده، ويعرض عن كل ما سواه، وليكون شعاراً لاجتماع الأمة على مقصد واحد، فيكون في ذلك تعويدهم في سائر

(١) تلخيص البيان.

شؤونهم وأغراضهم، وتوحيد جهودهم.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ﴾ سيأتي لك إن شاء الله تعالى بيان مناسبتها لما قبلها في محل تفسيرها.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ...﴾ الآية، قال عبد[1] الرزاق: أنبأنا معمر، عن قتادة قال: كانت اليهود تصلي قِبل المغرب، والنصارى قِبل المشرق، فنزلت: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ...﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم، عن أبي العالية مثله. وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، عن قتادة قال: ذكر لنا أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن البر؛ فأنزل الله هذه الآية: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ﴾، فدعا الرجل، فتلاها عليه، وكان في ابتداء الإسلام قبل نزول الفرائض، إذا شهد الرجل أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وصلى إلى أي ناحية كانت، ثم مات على ذلك يرجى له، ويطمع له في خير، فأنزل الله: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾، وكانت اليهود توجهت قِبَلَ المغرب، والنصارى قِبَلِ المشرق.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ...﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: إن حيَّين من العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الإسلام بقليل، وكان بينهم قتل وجراحات حتى قتلوا العبد والنساء، فلم يأخذ بعضهم من بعض حتى أسلموا، فكان أحد الحيين يتطاول على الآخر في العُدد والأموال، فحلفوا أن لا يرضوا حتى يقتل بالعبد منا الحرُّ منهم، وبالمرأة منا الرجل منهم؛ فنزل فيهم: ﴿ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ﴾.

التفسير وأوجه القراءة

﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾ قرأ حمزة وحفص بنصب

---

(١) المراغي بتصرف وزيادة.

﴿ٱلۡبِرَّ﴾ على جعله خبر ﴿لَّيۡسَ﴾ مقدماً على الاسم، و﴿أَن تُوَلُّواْ﴾ في موضع الرفع اسم ﴿لَّيۡسَ﴾ مؤخر، والمعنى: ليس توليةُ وجوهكم جهة المشرق والمغرب البرَ كله، وهذه القراءة أولى من وجه، وهو أنه جعل فيها اسم ليس أن تولوا، وجعل الخبر البر، وأن وصلتها أقوى في التعريف من المعرف بالألف واللام، وقرأ الجمهور برفع البر، والمعنى: ليس البرُ والخير الكامل توليةَ وجوهكم إلى المشرق والمغرب، والوجه أن يلي المرفوع لـ﴿لَّيۡسَ﴾؛ لأنها بمنزلة الفعل المتعدي، وقراءة الجمهور أولى من وجه، وهو أن توسط خبر ليس بينها وبين اسمها قليل.

وفي مصحف أُبي وعبد الله ﴿ليس البر بأن تولوا﴾ وخرج على زيادة الباء في خبر ﴿ليس﴾ وقال الأعمش في مصحف عبد الله أيضاً: ﴿لا تحسبن البر﴾ وكلاهما شاذ.

وهذا الخطاب[1] لأهل الكتاب؛ لأن النصارى تصلي قبل مشرق بيت المقدس، واليهود قبل مغربه، وادعى كل واحد من الفريقين أن البر هو التوجه إلى قبلته، فرد الله تعالى عليهم، وقال: ليس البر ما أنتم عليه فإنه منسوخ، ولكن البر ما بينه الله، واتبعه المؤمنون، وقيل: الخطاب عام لهم وللمسلمين، أي: ليس البر مقصوراً بأمر القبلة، أو ليس البر العظيم الذي يحسن أن تذهلوا بشأنه عن غيره أمرها. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾: والبر اسم جامع لكل الطاعات وأعمال الخير المقربة إلى الله الموجبة للثواب، والمؤدية إلى الجنة، فهو معنى من المعاني، فلا يصح الإخبار عنه بالذوات إلا بتجوز، إما بحذف مضاف من الأول تقديره: ولكن ذا البر وصاحبه من آمن بالله، ويؤيده قراءة من قرأ شذوذاً: ﴿ولكن البار﴾ بالألف بعد الباء الموحدة، أو من الثاني تقديره: ولكن البر الذي ينبغي أن يهتم به بر من آمن بالله، وهذا أوفق وأحسن، ويحتمل[2] كون البر اسم فاعل، يقال: بررت أبر، فأنا برّ وبارّ، فبنى اسم فاعله

(١) لباب النقول. (٢) البيضاوي.

تارة على فعل، نحو كهل وصعب، وتارة على فاعل، والأولى ادعاء حذف الألف من البر، ومثله سرّ وقرّ وربّ، أي: سار وقار وراب.

وقرأ نافع وابن عامر: ﴿ولكن﴾ بسكون النون خفيفة، ورفع ﴿البرُّ﴾، وقرأ الباقون بفتح النون مشددةً، ونصب ﴿ٱلْبِرَّ﴾، ومضمون الآية: أن البر لا يحصل باستقبال المشرق والمغرب، بل بمجموع هذه الأمور المذكورة في هذه الآية.

ومعنى الآية: ليس البر والخير العظيم الذي يجب أن تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر أمر القبلة، ولكن البر العظيم الذي يجب الاهتمام به بر من آمن بالله فالمراد بالبر هنا الإيمان بالله، والتقوى من الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

والحاصل: أن البر لا يحصل إلا عند مجموع أمور ثمانية.

أحدها: الإيمان بالله، وذكره بقوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: صَدَّق بوجوده، وقدمه وبقائه، وربوبيته وألوهيته، وسائر صفاته، وإنما قدم الإيمان بالله؛ لأنه أساس كل بر، فأهل الكتاب أخلُّوا بذلك؛ لأن اليهود تقول: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، فالإيمان[1] بالله لا يكون إلا إذا كان متمكناً من النفس مصحوباً بالإذعان والخضوع، واطمئنان القلب بحيث لا تبطره نعمة، ولا تؤيسه نقمة كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ والإيمان بالله يرفع النفوس عن الخضوع والاستعباد للرؤساء الذين استذلوا البشر بالسلطنة الدينية، ودعوى الوساطة عند الله ودعوى التشريع، والقول على الله بلا إذنه، فلا يرضى مؤمن أن يكون عبداً ذليلاً لأحد من البشر، وإنما يخضع لله وشرعه.

وثانيها: الإيمان باليوم الآخر، وذكره بقوله: ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾؛ أي: ولكن البرَّ برُّ مَنْ آمن باليوم الآخر؛ أي: صدق بمجيء يوم البعث والجزاء بعلم الموت

---

(١) البحر المحيط.

مع ما فيه من الحساب والميزان، والجنة والنار، فاليهود أخلوا بهذا الإيمان حيث قالوا: لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة، والنصارى أنكروا المعاد الجسماني.

والإيمان باليوم الآخر يعلم الإنسان أن له حياة أخرى في عالم غيبي غير هذا العالم، فلا يقصر سعيه وعمله على ما يصلح الجسد، ولا يجعل أكبر همه لذات الدنيا وشهواتها فحسب.

وثالثها: الإيمان بالملائكة، وذكره بقوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾؛ أي: ولكن البرَّ برُّ من آمن بالملائكة؛ أي: صدق بوجودهم، وأنهم عباد الله لا يعصون ما أمرهم، فاليهود أخلوا بذلك حيث أظهروا عدواة جبريل عليه السلام، فالإيمان بالملائكة أصل للإيمان بالوحي، والنبوة، واليوم الآخر، فمن أنكرهم أنكر كل ذلك؛ لأن ملك الوحي هو الذي يفيض العلم بإذن الله على النبي بأمور الدين، كما قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾. وقال أيضاً: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾.

ورابعها: الإيمان بكتب الله، وذكره بقوله: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: ولكن البرَّ برُّ من آمن وصدق بكتب الله المنزلة من السماء، فاليهود والنصارى قد أخلوا بذلك حيث لم يقبلوا القرآن، فالإيمان بالكتب السماوية التي جاءت بها الأنبياء يستدعي امتثال ما فيها من أوامر ونواه؛ إذ من أيقن أن هذا الشيء حسن نافع.. توجهت نفسه إلى قبوله والعمل به، ومن اعتقد أنه ضار.. ابتعد عنه ونفرت نفسه منه.

وخامسها: الإيمان بالنبيين، وذكره بقوله: ﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾؛ أي: ولكن البرَّ برُّ من آمن بالنبيين؛ أي: صدق بنبوتهم وصحة ما جاؤوا به عن الله من الشرائع، فاليهود أخلوا بذلك حيث قتلوا الأنبياء، وطعنوا في نبوة محمد ﷺ.

والإيمان بالنبيين يستدعي الاهتداء بهديهم، والتخلق بأخلاقهم، والتأدب بآدابهم.

وقد جاء في «الصحيحين»: أن جماعة من أمته ﷺ يردون الحوض يوم القيامة، فيذادون عنه؛ أي: يطردون دونه، فيقول: «أمتي»، فيقال: إنك لا تدري

ما أحدثوا بعدك، فيقول: «سحقاً لمن بدل بعدي».

وإنما خص الإيمان[1] بهذه الأمور الخمسة؛ لأنه يدخل تحت كل واحد منها أشياء كثيرة مما يلزم المؤمن أن يصدق بها.

وقدم الإيمان[2] بالله واليوم الآخر على الإيمان بالملائكة والكتب والرسل؛ لأن المكلف له مبدأ ووسط ومنتهى، ومعرفة المبدأ والمنتهى هو المقصود بالذات، وهو المراد بالإيمان بالله واليوم الآخر، وأما معرفة مصالح الوسط: فلا تتم إلا بالرسالة؛ وهي لا تتم إلا بأمور ثلاثة: الملائكة الآتين بالوحي، والموحى به، وهو الكتاب، والموحى إليه، وهو الرسول.

وقدم الإيمان على أفعال الجوارح، وهو إيتاء المال والصلاة والزكاة؛ لأن أعمال القلوب أشرف من أعمال الجوارح، ولأن أعمال الجوارح النافعة عند الله تعالى إنما تنشأ عن الإيمان، وبهذه الخمسة التي هي متعلق الإيمان حصلت حقيقة الإيمان.

فإن قلتَ: لِمَ قدم هنا ذكر اليوم الآخر وأخَّره في قوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾؟

قلتُ: إنما قدمه هنا وأخره هناك؛ لأجل أن الكافر لا يعرف الآخرة ولا يعتني بها، وهي أبعد الأشياء عن الحقائق عنده، فلذلك أخره هناك، ولما ذكر هنا حال المؤمنين، والمؤمن أقرب الأشياء إليه أمر الآخرة، وكل ما يفعله ويتحراه فإنه يقصد به وجه الله تعالى، ثم أمر الآخرة قدم ذكره هنا تنبيهاً على أن البر مراعاة الله، ومراعاة الآخرة، ثم مراعاة غيرهما.

وسادسها: بذل الأموال على وفق أمر الله تعالى، واليهود أخلوا بذلك؛

---

(١) المراغي.

(٢) الخازن.

لأنهم يلقون الشبهات لطلب المال القليل، وذكره بقوله: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾؛ أي: ولكن البرَّ برُّ من أعطى المال على حبه؛ أي: لأجل حب الله ورضاه، أو أعطى مع حب المال، أو أعطى مع حب الإيتاء، يريد أن يعطيه، وهو طيب النفس بالإيتاء، فالضمير إما راجع إلى الله، أو إلى المال، أو إلى المصدر المفهوم من الفعل.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: «أن تصدق وأنت صحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان» متفق عليه؛ أي: أعطى المال في حال صحته ومحبته إياه ﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾؛ أي: أصحاب قرابة المعطي؛ المحاويج منهم، وآثرهم به على نفسه، وإنما قيدناهم بالفقراء والمحاويج منهم؛ إذ الإعطاء للأغنياء هدية لا صدقة، كما ذكره الكرخي.

وإنما قدمهم على من بعدهم؛ لأنهم أحق بالإعطاء، وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذوي الرحم ثنتان صدقة وصلة» أخرجه النسائي.

وعن ميمونة زوج النبي ﷺ رضي الله عنها أنها أعتقت وليدة ـ أي: جارية ـ ولم تستأذن النبي ﷺ، فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت: أشعرت يا رسول الله أني أعتقت وليدتي؟ قال: «أوقد فعلت»؟ قالت: نعم. قال: «أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك» متفق عليه.

والمراد بذوي القربى كل من بينه وبين المعطي قرابة بولادة، ولو كان غير محرم. ﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾؛ أي: وأعطى يتامى المسلمين؛ يعني: الصغار الفقراء الذين لا والد لهم ولا كاسب؛ لأنهم في حاجة إلى معونة ذوي اليسار من المسلمين كيلا تسوء حالهم، وتفسد تربيتهم، فيكونوا ضرراً على أنفسهم وعلى الناس. ﴿وَٱلْمَسَـٰكِينَ﴾؛ أي: وأعطى المحاويج الذين أقعدهم العجز عن طلب ما يكفيهم،

فيجب على المسلمين أن يساعدوهم، ويقدموا لهم المعونة؛ إذ هم أعضاء من جسم الأمة، ومن مصلحة أفرادها التعاون والتآزر؛ حفظاً لكيانها، وإبقاءً على بنيانها من التداعي إلى الهدم والزوال، وهو جمع مسكين سمي بذلك؛ لأنه دائم السكون إلى الناس؛ لأنه لا شيء له. ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾؛ أي: وأعطى المسافر المنقطع عن أهله؛ أي: المنقطع به السفر دون وطنه؛ لذهاب نفقته أو وقوف دابته سمي المسافر ابن السبيل؛ أي: الطريق، لملازمته إياها في السفر، أو لأن الطريق تبرزه، فكأنها ولدته، وفي أمر الشارع بمواساته وإعانته في سفره ترغيب منه في السياحة والضرب في الأرض. ﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾؛ أي: وأعطى الطالبين للإحسان الذين اضطروا إلى تكفف الناس لشدة عوزهم، ولو كانوا أغنياء. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اعطوا السائل ولو جاء على فرس» أخرجه أبو داود.

وعن زيد بن أسلم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أعطوا السائل ولو جاء على فرسٍ» أخرجه مالك في «الموطأ»، وعن أم نجيد رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، إن المسكين ليقوم على بابي فلم أجد شيئاً أعطيه إياه. قال: «إن لم تجدي إلا ظلفاً محرقاً فادفعيه إليه في يده» أخرجه أبو داود، والترمذي وقال حديث حسن صحيح.

﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾: معطوف على المفعول الأول، وهو ﴿ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾؛ أي: وأعطى المال ودفعه في فك الرقاب وتحريرها وعتقها، ويشمل ذلك ابتياع الأرقاء وعتقهم، ومساعدة الأسرى على الافتداء، وإعانة المكاتبين على أداء نجومهم. والمكاتَب: هو الرقيق الذي يشتري نفسه من مولاه بثمنٍ يجعله منجماً بنجمين فأكثر.

والبذل لهذه الأصناف لا يتقيد بزمن معين، ولا بملك نصاب محدود من المال، ولا بتقدير المال المبذول بمقدار معين كالزكاة الواجبة، بل هو موكول إلى طاقة المعطي وحال المعطى، وقد أغفل الناس أداء هذه الحقوق التي حثَّ عليها الكتاب الكريم، مع ما فيها من التكافل العام بين المسلمين، ولو أدوها. .

لكانوا في معايشهم من خير الأمم، ولدخل كثير من الناس في الإسلام؛ لما يرون فيه من جميل العناية بالفقراء، وأن لهم حقوقاً في أموال الأغنياء، فتتوثق الصلة بين الطوائف المختلفة من المسلمين.

وسابعها: إقامة الصلاة وأداء الزكاة، فاليهود كانوا يمنعون الناس منهما، وذكره بقوله: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضة؛ أي: أداها في أوقاتها المحدودة لها. ﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾؛ أي: وأعطى الزكاة المفروضة في مصارفها المبينة شرعاً، وقوله: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ معطوف على ﴿ءَامَنَ﴾ على كونها صلة لـ﴿مَنْ﴾؛ أي: ولكن البرَّ برُّ من آمن بالله، وبر من أقام الصلاة وآتى الزكاة.

والمرادُ بإقامة الصلاة: أداؤها على أقوم وجه، ولا يستحق ذلك بأداء أفعال الصلاة وأقوالها فحسب، بل إنما يكون ذلك بوجود سرِّ الصلاة وروحها، ومن آثاره تحلي المصلي بالأخلاق الفاضلة، وتباعده من الرذائل، فلا يفعل فاحشةً ولا منكراً.

وقلما تجيء[(١)] الصلاة في القرآن الكريم إلا وهي مقترنة بالزكاة، وذلك لأن الصلاة تهذب الروح، والمال قرين الروح، فبذله ركن عظيم من أعمال البر، ومن ثم أجمع الصحابة على محاربة مانعي الزكاة من العرب بعد وفاة رسول الله ﷺ؛ لأن مانعها يهدم ركناً من أركان الإسلام، وينقض أساس الإيمان، وقد ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه سبعين مرة.

وثامنها: الوفاء بالعهد، واليهود نقضوا العهد، وذكره بقوله: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾ معطوف على ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ على كونه خبر ﴿لَٰكِنِ﴾؛ أي: ولكن البرَّ المؤمنون بالله، واليوم الآخر، والموفون بعهدهم؛ أي: ولكن البرَّ برُّ المؤمنين بالله، وبر الموفين بعهدهم؛ أي: المتمِّين بعهدهم فيما بينهم وبين الله، وفيما بينهم وبين الناس. ﴿إِذَا عَٰهَدُواْ﴾ الله أو الناس، يعني: إذا وعدوا أنجزوا، وإذا نذروا أوفوا، وإذا حلفوا برّوا في أيمانهم، وإذا قالوا صدقوا في أقوالهم، وإذا ائتمنوا أدوا.

---

(١) البحر المحيط.

وفي الوفاء بالعهود[١] والعقود حفظ كيان المجتمع من أن ينحل عقده، كما أن الغدر والإخلاف فيها هادم للنظام مفسد للعمران، فما من أمة فقدت الوفاء بالعهد ـ وهو ركن الأمانة، وقوام الصداق ـ إلا حل بها العقاب الإلهي، فانتزعت الثقة من بين أفرادها حتى بين الأهل والعيال، فيعيشون متخاذلين، وكأنهم وحوش مفترسة ينتظر كل واحد وثبة الآخر عليه إذا أمكن يده أن تصل إليه، ومن ثم يضطر أفرادها إلى الاستيثاق في عقودهم بكلٍّ ما يقدرون عليه، ويحترس كل منهم من غدر الآخر، فلا يكون هناك تعاون ولا تناصر، بل تباغض وتحاسد، ولا سيما بين الأقارب، ولو شمل الناس الوفاء.. لسلموا من هذا البلاء.

وفي مصحف عبد الله[٢]: ﴿والموفين﴾ نصباً على المدح وهي قراءة شاذ شذوذاً، وقرأ الجحدري ﴿بعهودهم﴾ على الجمع، ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾: مفعول لفعل محذوف؛ تقديره: وأمدح الصابرين. ﴿فِى ٱلْبَأْسَآءِ﴾؛ أي: عند الشدة والفقر والفاقة. ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾؛ أي: وعند الضر من مرض، وفقد أهل وولد ومال. ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾؛ أي: وفي وقت شدة القتال في سبيل الله، وكثرة الضرب والطعان، ومنازلة الأقران.

وإنما خص هذه المواطن الثلاثة مع أن الصبر محمود في جميع الأحوال؛ لأن من صبر فيها.. كان في غيرها أصبر، وهذا من باب الترقي في الصبر من الشديد إلى أشد، فذكر أولاً الصبر على الفقر، ثم الصبر على المرض؛ وهو أشد من الفقر، ثم الصبر على القتال، وهو أشد من الفقر والمرض.

وقرأ الحسن، والأعمش، ويعقوب شذوذاً: ﴿والصابرون﴾ عطفاً على ﴿الموفون﴾، وعن البراء رضي الله عنه قال: كنا والله إذا احمر البأس.. نتَّقي به، وإن الشجاع منّا الذي يُحاذي به؛ يعني: النبي ﷺ. متفق عليه، قوله: احمر البأس؛ أي: اشتد الحرب، ونتقي به؛ أي: نجعله وقاية لنا من العدو. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾

(١) المراغي.

(٢) المراغي.

الموصوفون بهذه الصفات السابقة من الاتصاف بالإيمان وما بعده. ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُوٓاْ﴾ في دعواهم الإيمان، دون الذين قالوا: آمنا بأفواههم، ولم تؤمن قلوبهم. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ عن الكفر؛ أي: وأولئك هم الذين جعلوا بينهم وبين سخط الله وقايةً بالبعد عن المعاصي التي توجب خذلان الله في الدنيا، وعذابه في الآخرة.

وقال بعض العلماء: مَنْ عمل بهذه الآية.. فقد كمل إيمانه، ونال أقصى مراتب إيقانه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾ مناسبة[1] هذه الآية لما قبلها: أنه لما حلل ما حلل من قبل، وحرم ما حرم، ثم أتبع بذكر من أخذ مالاً من غير وجهه، وأنه ما يأكل في بطنه إلا النار، واقتضى ذلك انتظام جميع المحرمات من الأموال، ثم أعقب ذلك بذكر من اتصف بالبر، وأثنى عليهم بالصفات الحميدة التي انطووا عليها.. أخذ يذكر تحريم الدماء، ويستدعي بحفظها وصونها، فنبه بمشروعية القصاص على تحريمها، ونبه على جواز أخذ مالٍ بسببها، وأنه ليس من المال الذي يؤخذ من غير وجهه، وكان تقديم تبيين ما أحل الله وما حرم من المأكول على تبيين مشروعية القصاص؛ لعموم البلوى بالمأكول؛ لأن به قوام البنية، وحفظ صورة الإنسان، ثم ذكر حكم متلف تلك الصورة؛ لأن من كان يندر منه وقوع القتل.. فهو بالنسبة لمن اتصف بالأوصاف السابقة بعيد منه وقوع ذلك، وكان تقديم ذكر ما تعم به البلوى أهم، ونبه أيضاً على أنه وإن عرض مثل هذا الأمر الفظيع لمن اتصف بالبر، فليس ذلك مخرجاً له عن البر، ولا عن الإيمان، ولذلك ناداهم بوصف الإيمان فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾؛ أي: يا أيها الذين آمنوا، وصدقوا بما جاء به محمد ﷺ كتب عليكم القصاص في اللوح المحفوظ، وفرض عليكم في سابق علمي استيفاء القصاص من القاتل: ﴿فِي ٱلْقَتْلَى﴾؛ أي: بسبب قتل، القتلى: جمع قتيل بمعنى: مقتول بغير

(١) البحر المحيط.

حق، ويكون الخطاب موجهاً إلى الإمام، أو من ينوب منابه؛ أي: كتب عليكم أيها الأئمة استيفاء القصاص من القاتل إذا أراد ولي الدم استيفائه، أو يكون[1] الخطاب موجهاً إلى القاتل، والتقدير: يا أيها القاتلون كتب عليكم تسليم النفس عند مطالبة الولي بالقصاص، وذلك أنه يجب على القاتل إذا أراد الولي قتله أن يستسلم لأمر الله، وينقاد لقصاصه المشروع، وليس له أن يمتنع، بخلاف الزاني والسارق؛ فإن لهما الهرب من الحد، ولهما أن يستترا بستر الله، ولهما أن لا يعترفا، والقصاص: المساواة والمماثلة في القتل والدية والجراح، من قص الأثر إذا اتبعه، فالمفعول به يتبع ما فعل به، فيفعل به مثل ذلك، والمعنى: فرض عليكم المساواة والعدل في القصاص بسبب القتل عند مطالبة الولي بالقصاص، لا كما يفعله الأقوياء مع الضعفاء من المغالاة في قتل الكثير بالقليل، ثم فسر المساواة بقوله: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ﴾؛ أي: يؤخذ الحر ويقتل بقتل الحر بلا إبطاء ولا جور، فإذا قتل حرٌّ حراً.. قتل هو به لا غيره من سادة القبيلة، ولا عدد كثير منها، ولا يقتل الحر بالعبد. ﴿وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ﴾؛ أي: يؤخذ العبد ويقتل بالعبد، وبالحر من باب أولى، وبينت الأحاديث: أنه يقتل أحد النوعين الذكر والأنثى بالآخر، ويعتبر أن لا يفضل القاتل القتيل بالدين، والأصلية، والحرية.

ومعنى الآية[2]: أنه إذا تكافأ الدمان من الأحرار المسلمين، أو العبيد من المسلمين، أو الأحرار من المعاهدين، أو العبيد منهم: فيُقتل كل صنف إذا قَتَل بمثله؛ الذكر بالذكر وبالأنثى، والأنثى بالأنثى وبالذكر، ولا يقتل مؤمن بكافر، ولا حر بعبد، ولا والد بولد، ويقتل الذمي بالمسلم، والعبد بالحر، والولد بالوالد، هذا مذهب مالك، والشافعي، وأحمد، ويدل عليه ما روى البخاري في «صحيحه» عن جحيفة قال: سألت علياً رضي الله عنه: هل عندكم من النبي ﷺ شيء سوى القرآن؟ قال: لا والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إلا أن يؤتي الله عبداً فهماً في القرآن، وما في هذه الصحيفة. قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفك

---

(١) البحر المحيط.

(٢) الخازن.

الأسير، وأن لا يقتل مؤمن بكافر. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تقام الحدود في المساجد، ولا يقتل الوالد بالولد» أخرجه الترمذي.

والخلاصة[1]: أن القصاص على القاتل أياً كان، لا على أحد من قبيلته، ولا على فرد من أفراد عشيرته.

قال البيضاوي في «تفسيره»: كان بين حيّين من العرب دماء في الجاهلية، وكان لأحدهما طول ـ أي فضل وشرف ـ على الآخر، فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد منا، والذكر بالأنثى، فلما جاء الإسلام تحاكموا إلى رسول الله ﷺ؛ فنزلت الآية، وأمرهم أن يتباروا؛ أي: يتساووا.

وقد جرى العمل من لدن رسول الله ﷺ على قتل الرجل بالمرأة، وبعد أن ذكر وجوب القصاص؛ وهو أساس العدل.. ذكر هنا العفو؛ وهو مقتضى التراحم والفضل، فقال: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ﴾؛ أي: فالقاتل الذي ترك له ﴿مِنْ﴾ دم ﴿أَخِيهِ﴾ المقتول ﴿شَيْءٌ﴾ من العفو، ولو يسيراً، كأن عفى بعض أولياء الدم ـ ولو واحد. فيما إذا تعددوا.. سقط عنه القود ووجبت الدية إن حصل العفو عليها ﴿فـ﴾ حينئذٍ وجب على العافي الذي هو ولي الدم ﴿اتباع﴾ القاتل ومطالبته ﴿بـ﴾ الدية على الوجه ﴿المعروف﴾ شرعاً؛ وهو أن يطالبه بالمال من غير تشديد عليه ولا عنف، ولا يطالبه بأكثر من حقه، ويأخذه منه في ثلاث سنين إن كانت دية تامة، أو في سنتين إن كان ثلثي الدية أو نصفاً، وإن كان ثلثها ففي عامه، ﴿و﴾ على القاتل المطلوب بالمال ﴿أداء﴾؛ أي: تأدية المال ﴿إِلَيْهِ﴾؛ أي: إلى الولي العافي ﴿بِإِحْسَٰنٍ﴾؛ أي: بسهولة من غير مماطلة ولا تسويف ولا بخس، بل بطيب نفس، وطلاقة وجه، وقول جميل. ﴿ذَٰلِكَ﴾ الحكم الذي شرعناه لكم من جواز العفو على الدية ﴿تَخْفِيفٌ﴾؛ أي: تسهيل ورخصة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ منه للقاتل بسلامته من القتل؛ أي: إن الله سبحانه وتعالى شرع لهذه الأمة المحمدية

---
(١) المراغي.

العفو من غير عوض أو بعوض، ولم يضيق عليهم كما ضيق على اليهود؛ فإنه أوجب عليهم القصاص ولا عفو، وكما ضيق على النصارى؛ فإنه أوجب عليهم العفو ولا دية، وهذه الأمة خيِّرت بين القصاص وبين العفو والدية تخفيفاً من الله؛ إذ فيه انتفاع الولي بالدية، وحصول الأجر بالعفو، واستبقاء مهجة القاتل، وبذل ما سوى النفس هيِّنٌ في استبقائها، وأضاف هذا التخفيف إلى الرب؛ لأنه المصلح لأحوال عباده الناظر لهم في تحصيل ما فيه سعادتهم الدينية والدنيوية، وعطف ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ على ﴿تَخْفِيفٌ﴾؛ لأن من استبقى مهجتك بعد استحقاق إتلافها.. فقد رحمك، وأي رحمة أعظم من استبقاء المهجة.

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾ على القاتل من أولياء الدم، وظلمه باقتصاصه منه ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: بعد عفوه، وأخذه الدية ﴿فَلَهُۥ﴾؛ أي: فلذلك المعتدي ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: شديد الألم في الآخرة بالنار، أو في الدنيا بأن يقتل لا محالة، ولا يقبل منه الدية، كما روي[1] عنه ﷺ أنه قال: «لا أعافي أحداً قتل بعد أخذه الدية».

وبعد أن ذكر سبحانه وتعالى حكمة العفو والرغبة فيه، وذكر الوعيد على الغدر.. أرشد إلى بيان الحكمة في القصاص؛ لأن ذلك أدعى إلى ثبات الحكم في النفس، وأدعى إلى الرغبة في العمل به، فقال: ﴿وَلَكُمْ فِى﴾ مشروعية ﴿ٱلْقِصَاصِ﴾ والقتل بقاءٌ و﴿حَيَوٰةٌ﴾ هنيئة لكم وصيانة لأنفسكم من اعتداء بعضكم على بعض؛ لأن من علم أنه إذا قتل نفساً يُقتل بها.. يرتدع عن القتل، فيحفظ حياة من أراد قتله وحياة نفسه، والاكتفاء بالدية لا يردع كل أحد عن سفك دم خصمه إن استطاع؛ إذ من الناس من يبذل المال الكثير للإيقاع بعدوه، وعبارة «الخازن»: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ هذا الحكم غير مختص بالقصاص الذي هو القتل، بل يدخل فيه جميع الجروح، والشجاج، وغير ذلك؛ لأن الجارح إذا علم أنه إذا جَرَحَ جُرِح.. لم يَجْرح، فيصير ذلك سبباً لبقاء الجارح، وربما أفضت الجراحة إلى الموت؛ فيقتص من الجارح. انتهى.

---

(١) البيضاوي.

﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾؛ أي: يا أصحاب العقول الكاملة الذين يعرفون المصالح من المفاسد، وخص أرباب العقول بالنداء، للدلالة على أن الذي يفهم قيمة الحياة، ويحافظ عليها هم العقلاء، كما أنهم هم الذين يفقهون سر هذا الحكم وما اشتمل عليه من المصلحة والحكمة، فعليكم أن تستعملوا عقولكم في فهم دقائق الأحكام.

ولما كان القصاص حياةً لكم.. كتبناه عليكم، وشرعناه لكم ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾؛ أي: لكي تتقون الاعتداء، وتكفون عن سفك الدماء، وتنتهون عن القتل مخافةَ القصاص؛ لأن العاقل يحرص على الحياة، ويحترس من غوائل القصاص، ولا يريد إتلاف نفسه بإتلاف غيره.

ولما كان الكلام في الآية السابقة في القصاص في القتل؛ وهو ضَرْبٌ من ضروب الموت.. ناسب أن يذكر ما يطلب ممن يحضره الموت من الوصية، فقال: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ﴾؛ أي: فرض عليكم يا معشر المؤمنين ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾؛ أي: إذا حضرته ونزلت به أسباب الموت، وعلله، ومقدماته، والأمراض المخوفة ﴿إِن تَرَكَ خَيۡرًا﴾؛ أي: مالاً كثيراً كان، أو قليلاً ﴿ٱلۡوَصِيَّةُ﴾ مرفوع بـ﴿كُتِبَ﴾؛ أي: كتب عليكم الإيصاء ﴿لِلۡوَٰلِدَيۡنِ﴾؛ أي: للأبوين وإن عليا ﴿و﴾ لو ﴿الأقربين﴾ غيرهما، وهو من عطف العام على الخاص.

كانت الوصية في ابتداء الإسلام فريضة للوالدين والأقربين على من مات وله مال، وسبب ذلك أن أهل الجاهلية كانوا يوصون للأبعدين طلباً للفخر والشرف والرياء، ويتركون الأقربين فقراء، فأوجب الله تعالى الوصية للأقربين، ثم نسخت هذه الآية بآية المواريث، وبما روي عن عمرو بن خارجة رضي الله عنه قال: كنت أخذ بزمام ناقة النبي ﷺ وهو يخطب فسمعته يقول: «إن الله أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث» أخرجه النسائي، وللترمذي نحوه.

وهي مستحبة في حق من لا يرث، ويدل على استحباب الوصية، والحث عليها ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ما حُقّ لامرىء مسلم له شيء يوصي فيه ـ وفي رواية: له شيء يريد أن يوصي به ـ أن

يبيت ليلتين ـ وفي رواية: ثلاثة ليال ـ إلا ووصيته مكتوبة عنده». قال نافع: سمعت عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ يقول: ما مرت عليَّ ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك إلا ووصيتي مكتوبة عندي. أخرجه الجماعة.

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: بالعدل الذي لا وكس فيه ولا شطط، فلا يزيد على الثلث، ولا يوصي للغني ويدع الفقير. وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جاءني رسول الله ﷺ يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي، فقلت: يا رسول الله إن بلغ بي من الوجع ما ترى، وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة لي، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: «لا»، قلت: فالشطر يا رسول الله؟ قال: «لا»، قلت: فالثلث؟ قال: الثلث والثلث كثير ـ أو قال والثلث كبير ـ إنك أن تذر ذريتك أغنياء خيرٌ من أن تذرهم عالة يتكففون الناس» متفق عليه. والعالة: الفقراء.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال في الوصية: لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع فإن النبي ﷺ قال لسعد: والثلث كثير. متفق عليه.

وقال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: لأن أوصي بالخمس أحب إلي من أو أوصي بالربع، ولأن أوصي بالربع أحب إلي من أن أوصي بالثلث، فمن أوصى بالثلث.. فلم يترك. وقيل: يوصي بالسدس أو بالخمس أو بالربع.

﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: حق ذلك الإيصاء حقاً على المؤمنين الذين يتقون الشرك، ويمتثلون أوامري، وثبت ذلك عليهم ثبوت ندب لا ثبوت فرض ووجوب، أو ثبوت وجوب، لكنه منسوخ.

﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ﴾؛ أي: فمن غيّر ذلك الإيصاء من الأولياء، أو الأوصياء، أو الشهود؛ إما بإنكار الوصية من أصلها، أو بالنقص فيها، أو بتبديل صفتها، أو بكتمان الشهادة، وإنما ذكر الضمير في ﴿بَدَّلَهُۥ﴾ مع أن الوصية مؤنث؛ لأن الوصية بمعنى الإيصاء كقوله: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ﴾؛ أي: وعظ؛ أي: فمن بدل قول الميت الموصي، أو ما أوصى به ﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ﴾؛ أي: بعدما سمع ذلك

الإيصاء من الموصي، وعلمه، وحققه ﴿فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ﴾؛ أي: إثم ذلك التبديل وذنبه ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾؛ أي: على من بدله وغيَّره أياً كان لا يعود إلا على المبدل. والموصي والموصى له بريئان منه؛ يعني برئت منه ذمة الموصي، وثبت له الأجر عند ربه. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿سميع﴾ لأقوال المبدلين والموصين ﴿عَلِيمٌ﴾ بنياتهم فيجازي كلاً على وفق عمله، فيثيب الميت، ويعاقب المبدِّل، ولا يخفى ما في هذه الجملة من الوعيد الشديد للمبدلين، والوعد الحسن للموصين.

ثم استثنى من إثم التبديل حالة ما إذا كان للإصلاح، وإزالة التنازع، فقال: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ﴾ قرأه شعبة وحمزة والكسائي ﴿مُوَصٍّ﴾ بفتح ﴿الواو﴾ وتشديد الصاد من وصَّى المضعَّف، وقرأ الباقون: ﴿مُّوصٍ﴾ من أوصى، وهما لغتان؛ أي: فمن علم من ميت موص ﴿جَنَفًا﴾؛ أي: خطأ في الوصية من غير عمد، وميلٍ عن الحق فيها جهلاً كأن يوصي لبعض ورثته، أو يوصي بماله كله خطأ، وقرأ الجمهور ﴿جَنَفًا﴾ بالجيم والنون، وقرأ علي مشذوذاً ﴿حيفا﴾ بالحاء والياء ﴿أَوْ إِثْمًا﴾؛ أي: ميلاً عن الحق في الوصية عمداً وعلِماً ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ بعد موت الموصي معطوف على محذوف؛ تقديره: أي فتنازعت الورثة والموصى لهم في المال الموصى به، فتوسط بينهم من علم ذلك، وأصلح بينهم؛ أي: فعل ما فيه الصلاح بينهم بتبديل هذا الجنف أو الأثم برده الوصية إلى الثلث مثلاً. ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾؛ أي: فلا حرج ولا ذنب على هذا المصلح الذي أزال الجنف أو الأثم في هذا التبديل؛ لأنه تبديل باطل بحق، وإزالة مفسدة بمصلحة، فهو ليس بمبدل آثم، بل هو متوسط للإصلاح، وليس عليه إثم بخلاف الأول، وقلما يكون الإصلاح إلا بترك بعض الخصوم شيئاً مما يرونه حقاً لهم، والظاهر(١) أن هذا المصلح هو الوصي والشاهد، ومن يتولى بعد موته ذلك من وال، أو ولي، أو من يأمر بالمعروف، فكل هؤلاء يدخل تحت قوله: ﴿فَمَنْ خَافَ﴾ إذا ظهرت لهم أمارات الجنف أو الأثم، ولا وجه لتخصيص الخائف بالوصي، ودلت(٢)

---

(١) البحر المحيط.
(٢) الفخر الرازي.

الآية على جواز الصلح بين المتنازعين إذا خاف من يريد الصلح إفضاء تلك المنازعة إلى أمر محذور في الشرع ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للميت إن أخطأ أو جار، أو للوصي إن بدل للإصلاح ﴿رَّحِيمٌ﴾ للوصي حيث رخص له الرد إلى الثلث، والعدل والإصلاح؛ أي: فمن خالف وبدل للإصلاح.. فإن الله يغفر له، ويثيبه على عمله.

ومعنى الآية[1]: أن الميت إذا أخطأ في وصيته، أو جار فيها متعمداً.. فلا إثم على من علم ذلك أن يغيره، ويرده إلى الصلاح بعد موته، وهذا قول ابن عباس، وقتادة، والربيع.

وقيل هذا[2]: في حال حياة الموصي، فالمعنى حينئذ: فمن حضر وصيته فرآه على خلاف الشرع، فنهاه عن ذلك، وحمله على الصلاح.. فلا إثم على هذا الموصي بما قال أولاً.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل والمرأة ليعملان بطاعة الله ستين سنة، ثم يحضرهما الموت، فيضاران في الوصية، فتجب لهما النار»، ثم قرأ أبو هريرة: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾: إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾: أخرجه أبو داود والترمذي، قوله: فيضاران[3] المضارة: إيصال الضرر إلى شخص، ومعنى المضارة: الوصية أن لا تمضي، أو ينقص بعضها، أو يوصي لغير أهلها، أو يحيف في الوصية، ونحو ذلك.

الإعراب

﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾.

﴿لَّيۡسَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿ٱلۡبِرَّ﴾: بالنصب خبر ﴿لَّيۡسَ﴾ مقدم على

---

(١) مراح.
(٢) نسفي.
(٣) الخازن.

اسمها. ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿تُوَلُّوا۟﴾: فعل وفاعل منصوب بـ﴿أن﴾. ﴿وُجُوهَكُمْ﴾. مفعول به ومضاف إليه. ﴿قِبَلَ﴾: منصوب على الظرفية المكانية. ﴿ٱلْمَشْرِقِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَٱلْمَغْرِبِ﴾: معطوف عليه، والجملة الفعلية صلة ﴿أن﴾ المصدرية، ﴿أن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مرفوع على كونه اسم ﴿لَّيْسَ﴾ مؤخراً عن خبرها؛ تقديره: ليس تولية وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كله، وجملة ﴿لَّيْسَ﴾ مستأنفة استئنافاً نحوياً لا محل لها من الإعراب.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾.

﴿وَلَٰكِنَّ﴾ ﴿الواو﴾ عاطفة، ﴿لكن﴾: حرف نصب واستدراك. ﴿ٱلْبِرَّ﴾: اسمها. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول في محل الرفع خبر ﴿لكن﴾، ولكنه على حذف مضاف كما سبق في محل التفسير. ﴿ءَامَنَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَنْ﴾، والجملة الفعلية صلة ﴿مَنْ﴾ الموصولة، والعائد ضمير الفاعل وجملة ﴿لكن﴾ معطوفة على جملة ﴿لَّيْسَ﴾ على كونها مستأنفة استئنافاً بيانياً. ﴿بِٱللَّهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿ءَامَنَ﴾. ﴿وَٱلْيَوْمِ﴾: معطوف على الجلالة ﴿ٱلْءَاخِرِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ معطوفات على ﴿اليوم﴾.

﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾.

﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ﴾ ﴿الواو﴾ عاطفة ﴿آتى المال﴾: فعل ومفعول أول، أو ثان مقدم على الأول، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَنْ﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿ءَامَنَ﴾ على كونها صلة ﴿مَنْ﴾ الموصولة. ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿آتى﴾، أو بمحذوف حال من فاعل ﴿آتى﴾. ﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: مفعول ثانٍ، أو أول، ومضاف إليه. ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾، وكذا ﴿وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ﴾: معطوفات على ﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾: جار ومجرور في محل النصب معطوف على ﴿ذَوِى﴾؛ أي[1]: وآتى المال في الرقاب؛ أي: دفعه

---

(١) الفتوحات الإلهية.

في فكها من الرق، أو الأسر؛ أي: لأجله وسببه، فضمن آتى بالنسبة لهذا المعطوف معنى دفع، فيكون متعدياً لواحد، كما عرفت في محل التفسير.

﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

﴿وَأَقَامَ﴾ ﴿الواو﴾ عاطفة، ﴿أقام﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَنْ﴾ ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿ءَامَنَ﴾ على كونها صلة ﴿مَنْ﴾ الموصولة. ﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَنْ﴾، والجملة معطوفة أيضاً على جملة ﴿ءَامَنَ﴾.

﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟﴾.

﴿وَٱلْمُوفُونَ﴾ ﴿الواو﴾ عاطفة، ﴿الموفون﴾: معطوف على ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ على كونه خبر ﴿لكن﴾؛ أي: ولكن البر المؤمنون بما ذكر. ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾: خبر لمبتدأ محذوف؛ تقديره: وهم الموفون ﴿بِعَهْدِهِمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿الموفون﴾. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان مجرد عن معنى الشرط في محل النصب على الظرفية. ﴿عَٰهَدُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذَا﴾، والظرف متعلق بـ﴿الموفون﴾ والتقدير: والموفون بعهدهم وقت معاهدتهم مع الله، أو مع الناس.

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾.

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾: الواو: استئنافية، ﴿الصابرين﴾: منصوب على المدح بفعل محذوف؛ تقديره: وأمدح الصابرين، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة مستأنفة. ﴿فِى ٱلْبَأْسَآءِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿الصابرين﴾. ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: معطوف على ﴿ٱلْبَأْسَآءِ﴾. ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ﴾. ظرف ومضاف إليه، والظرف معطوف على الجار والمجرور قبله على كونه متعلقاً بـ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: مبتدأ. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: خبر، والجملة مستأنفة. ﴿صَدَقُوا۟ ۖ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الفاعل. ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾: الواو: عاطفة، ﴿أولئك﴾: مبتدأ. ﴿هُمُ﴾: ضمير

فصل. ﴿ٱلْمُتَّقُونَ﴾: خبر، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة التي قبلها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾ ﴿يا﴾: حرف نداء، ﴿أي﴾: منادى نكرة مقصودة، ﴿ها﴾ حرف تنبيه زائدة. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: في محل الرفع صفة لـ﴿أَيّ﴾، وجملة النداء مستأنفة. ﴿ءَامَنُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الفاعل، ﴿كُتِبَ﴾: فعل ماضٍ مغيَّر الصيغة. ﴿عَلَيْكُمُ﴾: متعلق به. ﴿ٱلْقِصَاصُ﴾: نائب فاعل، والجملة الفعلية جواب النداء لا محل لها من الإعراب. ﴿فِى ٱلْقَتْلَى ۖ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿كُتِبَ﴾. ﴿ٱلْحُرُّ﴾: مبتدأ. ﴿بِٱلْحُرِّ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدأ؛ تقديره: الحر مأخوذ بالحر، والجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً. ﴿وَٱلْعَبْدُ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿ٱلْعَبْدُ﴾: مبتدأ. ﴿بِٱلْعَبْدِ﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ؛ تقديره: العبد مأخوذ بالعبد، والجملة معطوفة على جملة قوله ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ﴾. ﴿وَٱلْأُنثَىٰ﴾: مبتدأ. ﴿بِٱلْأُنثَىٰ ۚ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدأ؛ تقديره: والأنثى مأخوذة بالأنثى، والجملة معطوفة على جملة قوله ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ﴾.

﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾.

﴿فَمَنْ﴾: ﴿الفاء فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر؛ تقديره: إذا عرفتم أن القصاص مكتوب عليكم، وأردتم بيان حكم ما إذا عفي عنه.. فأقول لكم ﴿من عفي له﴾، ﴿من﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب، أو هما على الخلاف المذكور في محله، ويصح كونها موصولة. ﴿عُفِىَ﴾: فعل ماضٍ مغيَّر الصيغة في محل الجزم بـ﴿من﴾ الشرطية. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿عُفِىَ﴾. ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بمحذوف حال مقدم على صاحبها، وهو ﴿شَىْءٍ﴾؛ لأنه نعت نكرة قدمت عليها، فينصب حالاً. ﴿شَىْءٌ﴾: نائب فاعل لـ﴿عُفِىَ﴾.

﴿فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٍۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٌۗ﴾.

﴿فَٱتِّبَاعٌۢ﴾ ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿مَنْ﴾ الشرطية وجوباً، أو رابطة الخبر بالمبتدأ جوازاً إن كانت ﴿من﴾ موصولة ﴿اتباع﴾: خبر لمحذوف جوازاً؛ تقديره: فالواجب اتباع. ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾: متعلق بـ﴿ٱتِّبَاعٌ﴾، والجملة الاسمية في محل الجزم بـ﴿مَنْ﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿من﴾ الشرطية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿وَأَدَآءٌ﴾: معطوف على ﴿اتباع﴾. ﴿إِلَيۡهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أداء﴾. ﴿بِإِحۡسَٰنٍۗ﴾: متعلق أيضاً بـ﴿أداء﴾، ويجوز أن يكون حالاً من الهاء كما ذكره العكبري. ﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ. ﴿تَخۡفِيفٌ﴾ خبر، والجملة مستأنفة. ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بمحذوف صفة لـ﴿تَخۡفِيفٌ﴾. ﴿وَرَحۡمَةٌۗ﴾: معطوف على ﴿تَخۡفِيفٌ﴾.

﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿فَمَنِ﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر؛ تقديره: إذا عرفتم حكم ما إذا عفي عن القصاص، وأردتم بيان حكم من اعتدى بعد ذلك.. فأقول لكم: ﴿من اعتدى﴾: ﴿من﴾: اسم شرط جازم، أو موصولة في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط على الراجح، أو الجملة الآتية إن كانت موصولة. ﴿ٱعۡتَدَىٰ﴾: فعل ماضٍ في محل الجزم بـ﴿من﴾، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾. ﴿بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿ٱعۡتَدَىٰ﴾. ﴿فَلَهُۥ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿مَنْ﴾ الشرطية، ﴿له﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿أَلِيمٌ﴾: صفة له، والجملة الاسمية في محل الجزم بـ﴿مَنْ﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، أو خبر ﴿من﴾ الموصولة، وجملة ﴿من﴾ الشرطية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة.

﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾.

﴿وَلَكُمۡ﴾ الواو: استئنافية، ﴿لكم﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿فِي ٱلۡقِصَاصِ﴾: جار ومجرور متعلق بما تعلق به الجار والمجرور قبله. ﴿حَيَوٰةٌ﴾:

مبتدأ مؤخر سوغ الابتداء بالنكرة.. تقدم الخبر الظرفي عليه، والجملة الاسمية مستأنفة استئنافاً بيانياً. وقال أبو حيان[1]: وهذه الجملة مبتدأ وخبر، و﴿فِي ٱلْقِصَاصِ﴾: متعلق بما تعلق به قوله ﴿لكم﴾، وهو في موضع الخبر، وتقديم هذا الخبر مسوغ؛ لجواز الابتداء بالنكرة، والمعنى: أنه يكون لكم في القصاص حياةٌ. انتهى.

﴿يَٰٓأُوْلِي﴾: ﴿يا﴾: حرف نداء، ﴿أولي﴾: منادى مضاف بالياء المحذوفة. ﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: مضاف إليه. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: ﴿لعل﴾: حرف نصب وتعليل بمعنى كي، و﴿الكاف﴾: اسمها، وجملة ﴿تَتَّقُونَ﴾ خبرها، وجملة ﴿لعل﴾ في محل الجر بلام التعليل المقدرة المتعلقة بمعلول محذوف؛ تقديره: وإنما شرعنا لكم القصاص لكي تتقون القتل والاعتداء.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾.

﴿كُتِبَ﴾: فعل ماضٍ مغير الصيغة. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: جار ومجرور متعلق به. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان مجرد عن معنى الشرط، أو شرطية وجوابها معلوم مما قبلها. ﴿حَضَرَ﴾: فعل ماضٍ. ﴿أَحَدَكُمُ﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿ٱلْمَوْتُ﴾: فاعل ﴿حَضَرَ﴾، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذَا﴾، والظرف متعلق بـ﴿كُتِبَ﴾؛ تقديره: كتب عليكم أن يوصي أحدكم وقت حضور الموت له ﴿إِن تَرَكَ﴾ ﴿إِن﴾: حرف شرط. ﴿تَرَكَ﴾: فعل ماضٍ في محل الجزم بـ﴿أن﴾: على كونه فعل شرط لها، وفاعله ضمير يعود على ﴿أَحَدَكُمُ﴾. ﴿خَيْرًا﴾: مفعول به، وجواب ﴿إن﴾ معلوم مما قبلها؛ تقديره: إن ترك خيراً.. كتب عليكم الوصية، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية جملة معترضة لا محل لها من الإعراب؛ لاعتراضها بين الفعل ونائبه. ﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾: نائب فاعل لـ﴿كُتِبَ﴾، وجملة ﴿كُتِبَ﴾ من الفعل المغيّر ونائب فاعله. مستأنفة استئنافاً نحوياً لا محل لها من

---

(١) البحر المحيط.

الإعراب. ﴿لِلْوَالِدَيْنِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿الْوَصِيَّةُ﴾ لأنه اسم مصدر لأوصى. ﴿وَالْأَقْرَبِينَ﴾: معطوف على الوالدين. ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿الْوَصِيَّةُ﴾: أيضاً، أو بمحذوف حال من ﴿الْوَصِيَّةُ﴾؛ تقديره: حالة كونها متلبسة بالمعروف، لا جور فيها. ﴿حَقًّا﴾: منصوب على المفعولية المطلقة بعامل محذوف؛ تقديره: حق ذلك الإيصاء حقاً، ويجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف؛ أي: كتباً حقاً، أو إيصاء حقاً. ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿حَقًّا﴾.

﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨١)﴾.

﴿فَمَنْ﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر؛ تقديره: إذا عرفتم أنه كتب عليكم الإيصاء، وأردتم بيان حكم من بدله.. فأقول لكم ﴿من﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط على الراجح كما مر مراراً ﴿بَدَّلَهُ﴾: فعل ومفعول في محل الجزم بـ﴿مَنْ﴾ على كونه فعل الشرط لها، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾ ﴿بعد﴾: منصوب على الظرفية متعلق بـ﴿بَدَّل﴾. ﴿ما﴾ مصدرية، أو موصولة في محل الجر مضاف إليه. ﴿سَمِعَهُ﴾ فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَن﴾ والجملة صلة ﴿ما﴾ المصدرية، و﴿ما﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بإضافة الظرف إليه؛ تقديره: فمن بدل ذلك الإيصاء بعد سماعه ذلك الإيصاء، أو صلة ﴿ما﴾ الموصولة؛ تقديره: فمن بدل ذلك الإيصاء بعد الإيصاء الذي سمعه ﴿فَإِنَّمَا﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿من﴾ الشرطية وجوباً ﴿إنما﴾: أداة حصر. ﴿إِثْمُهُ﴾: مبتدأ ومضاف إليه. ﴿عَلَى الَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل الجزم بـ﴿من﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿من﴾ الشرطية في محل النصب، مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة: مستأنفة استئنافاً بيانياً. ﴿يُبَدِّلُونَهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الفاعل. ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب وتوكيد. ﴿اللَّهَ﴾: اسمها. ﴿سَمِيعٌ﴾: خبر أول. ﴿عَلِيمٌ﴾: خبر ثانٍ وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾.

﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر؛ تقديره: إذا عرفتم أن من بدله آثم، وأردتم بيان حكم من خاف من موص جنفاً.. فأقول لكم: ﴿من خاف﴾ ﴿مَنْ﴾: اسم شرط في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط. ﴿خَافَ﴾: فعل ماض في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونه فعل شرط لها، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾ ﴿مِن مُّوصٍ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿خاف﴾ ﴿جَنَفًا﴾: مفعول به. ﴿أَوْ إِثْمًا﴾: معطوف عليه. ﴿فَأَصْلَحَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة ﴿أصلح﴾: فعل ماضٍ في محل الجزم، معطوف على خاف، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بأصلح. ﴿فَلَا﴾: ﴿الفاء﴾ رابطة لجواب ﴿من﴾ الشرطية وجوباً ﴿لا﴾: نافية تعمل عمل إن. ﴿إِثْمَ﴾: في محل النصب اسمها. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر ﴿لا﴾، وجملة ﴿لا﴾ من اسمها وخبرها في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونها جواباً لها، وجملة ﴿من﴾ الشرطية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة استئنافاً بيانياً.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾. ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب وتوكيد. ﴿اللَّهَ﴾: اسمها. ﴿غَفُورٌ﴾: خبر أول لها. ﴿رَّحِيمٌ﴾: خبر ثان لها، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

التصريف ومفردات اللغة

﴿قِبَلَ الْمَشْرِقِ﴾: قِبَل ظرف مكان، تقول: زيد قِبَلَك؛ أي: في المكان الذي هو مقابلك، وقد يتوسع فيه، فيكون بمعنى العندية المعنوية، تقول: لي قبل زيد دين؛ أي: عنده.

﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ﴾ وفي «السمين»[1]: في هذه الجملة أربعة أوجه:

---

(١) جمل.

أحدها: أن ﴿البر﴾ اسم فاعل مِنْ بَرَّ يَبَرُّ، من باب فرح، والأصل بَرِرَ - بكسر الراء الأولى - بوزن بَطِن وفَرِح، فلما أريد الإدغام.. نقلت كسرة الراء إلى الباء بعد سلب حركتها، فعلى هذا لا يحتاج الكلام إلى حذف وتأويل، فكأنه قيل: ولكن الشخص البرّ من آمن، ويؤيد هذا القراءة الشاذة بصيغة اسم الفاعل الصريح.

الثاني: أن الكلام على حذف مضاف من الأول؛ تقديره: ولكن ذا البرِّ مَنْ آمن.

الثالث: أن الكلام على حذف مضاف من الثاني؛ تقديره: ولكن البرَّ برُّ مَنْ آمن.

الرابع: أن المصدر الذي هو البر - بالكسر - بمعنى اسم الفاعل الصريح الذي هو ﴿البار﴾، ويؤيده القراءة الشاذة أيضاً.

﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ والحب: مصدر حَبه يحِبه - بفتح الباء وكسر الحاء - حباً لغة في أحبه يُحِبه بضم الياء وكسر الحاء، ويجوز أن يكون مصدراً للرباعي على حذف الزوائد، ويجوز أن يكون اسم مصدر لأحب الرباعي، ومصدره الأحباب.

﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾[1] والرقاب: جمع رقبة، والرقبة مؤخر العنق، واشتقاقها من المراقبة، وذلك أن مكانها من البدن مكان الرقيب المشرف على القوم، ولهذا المعنى يقال: أعتق الله رقبته، ولا يقال أعتق الله عنقه؛ لأنها لما سميت رقبة كانت كأنها تراقب العذاب، ومن هذا يقال للتي لا يعيش لها ولد: رقوب لأجل مراعاتها موت ولدها. قال في «المنتخب»: وفِعال جمعٌ يطَّرد في فَعَلَة سواء كانت اسماً نحو رقبة ورقاب، أو صفة نحو حسنة وحسان، وقد يعبر بالرقبة عن الشخص بجملته.

﴿فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ اسمان مشتقان من ﴿البُؤس﴾ بضم الباء و﴿الضُر﴾

---

(١) البحر المحيط.

بضم الضاد وألفهما للتأنيث، و﴿البؤس﴾ بالضم و﴿البأساء﴾ بالمد: الفقر، يقال: بَئِس الرجل ـ بكسر الهمزة ـ يبأس بالفتح على القياس، ويبئِس بالكسر على الشذوذ بؤساً، وبئيساً، وبؤوساً، وبؤس إذا اشتدت حاجته وافتقر ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ﴾ يقال: بَؤُسَ الرجل ـ من باب كَرُم ـ بأساً بسكون الهمزة إذا شجع.

﴿ٱلْقِصَاصُ﴾: مصدر قاصّ يُقاصّ مُقَاصَّةً وقِصَاصاً، نحو قاتل يقاتل مقاتلةً وقتالاً، والقصاص: مقابلة الشيء بمثله، ومنه قتل من قُتِل بالمقتول. ﴿فِى ٱلْقَتْلَىۖ﴾: جمع ﴿قتيل﴾ بمعنى: ﴿مقتول﴾ يستوي فيه المذكر والمؤنث، كجَرْحَىٰ جمع (جريح)، وفعلى ينقاس في جمع فعيل بمعنى مفعول. ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ﴾: ﴿ٱلْحُرُّ﴾: معروف، تقول: حر الغلام يحر حرية ـ من باب منع ـ إذا عتق، يجمع على أحرار كمر وأمرار، وهو غير مقيس، والأنثى حرة، وتجمع على حرائر.

﴿الأنثى﴾: معروف، وهي فعلى، والألف فيه للتأنيث، وهو مقابل الذكر الذي هو مقابل المرأة، ويقال للخصيتين: أنثيان، وهذا البناء لا تكون ألفه إلا للتأنيث، ولا تكون للإلحاق؛ لفقد فعلل في كلامهم. ﴿وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ﴾ و(الأداء): اسم مصدر بمعنى التأدية، يقال: أديت الدين ـ أداء وتأدية ـ إذا قضيته. ﴿أولوا الألباب﴾: ﴿أولو﴾ هو من الأسماء التي هي في الرفع بالواو، وفي الجر والنصب بالياء، ومعنى ﴿أولو﴾: ﴿أصحاب﴾، ومفرده من غير لفظه؛ وهو (ذو) بمعنى صاحب. ﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: جمع لُبّ؛ وهو العقل الخالي من الهوى، سمي بذلك؛ إما لبنائه من قولهم: ألب بالمكان ولب به إذا أقام، وإما من اللباب؛ وهو الخالص، وهذا الجمع مطرد، أعني أن يجمع فعل ما على أفعال.

﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾ والوصية: تبرع مضاف لما بعد الموت، وهي: إما مصدر سماعي، أو اسم مصدر لوصى توصيةً ووصية، أو أوصى إيصاءً ووصيةً. ﴿جَنَفًا﴾ الجنف: الجور، وهو مصدر لجنف بكسر النون ـ من باب فَرِح ـ يَجْنَف جَنَفاً، فهو جَنِف وجانف، ويقال: أجنف الرجل إذا جاء بالجنف، كما يقال: ألاَمَ الرجل إذا أتى بما يلام عليه، وأخَسَّ الرجل إذا أتى بخسيس.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ﴾ جعل البر نفس من آمن على طريق المبالغة، وهذا معهود في كلام البلغاء، كقولهم السَّخاءُ حاتم، والشِّعرُ زهير؛ أي: إن السخاءَ سخاءُ حاتمٍ، والشعرَ شعرُ زهير.

﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ فيه إيجاز بالحذف؛ أي: وفي فك الرقاب؛ أي: في فداء الأسرى والمكاتبين، وفي لفظ ﴿الرقاب﴾ مجاز مرسل حيث أطلق الرقبة، وأراد به النفس، وهو من إطلاق الجزء وإرادة الكل.

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ﴾ منصوب على الاختصاص؛ أي: وأخص الصابرين بالذكر، وإنما لم يؤت به مرفوعاً كقوله: والموفون بأن يقال: والصابرون تنبيهاً على فضيلة الصبر، وهو في الحقيقة معطوف على ما قبله من حيث المعنى. قال أبو علي: إذا ذكرت صفات للمدح أو الذم، وخولف الإعراب في بعضها.. فذلك تفنن، ويسمى قطعاً؛ لأن تغيير المألوف يدل على زيادة ترغيب في استماع المذكور، ومزيد اهتمام بشأنه.

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾: مبتدأ وخبر، وأتى بخبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الأول موصولاً، وصل بفعل ماضٍ، إشعاراً بتحقق اتصافهم بالصدق، وإن ذلك قد وقع منهم واستقر، وأتى بخبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الثاني موصولاً، وصل بجملة اسمية ليدل على الثبوت، وأنه ليس متجدداً، بل صار كالسجية لهم، ومراعاة للفاصلة أيضاً. ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾ من باب الإلهاب والتهييج.

﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ قال أبو السعود: فيه بيان لمحاسن الحكم المذكور على وجه بديع لا تنال غايته، حيث جعل الشيء؛ وهو القصاص محلاً لضده؛ وهو الحياة، ونكر الحياة ليدل على أن في هذا الجنس نوعاً من الحياة عظيماً، لا يبلغه الوصف.

وبَيْنَ قوله: ﴿اتباع﴾ و﴿أداء﴾ وكذا بين قوله: ﴿الحر﴾ و﴿العبد﴾ الطباق.

﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ﴾؛ أي: علم؛ وهو مجاز مرسل، والعلاقة السببية، وهو أن الإنسان لا يخاف شيئاً حتى يعلم أنه مما يخاف منه، فهو من باب التعبير عن السبب بالمسبب.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾.

المناسبة

مناسبة[١] هذه الآيات لما قبلها: أنه تعالى أخبر أولاً بكتب القصاص؛ وهو إتلاف النفوس، وهو من أشق التكاليف، فيجب على القاتل إسلام نفسه للقتل، ثم أخبر ثانياً بكتب الوصية؛ وهو إخراج المال الذي هو عديل الروح، ثم انتقل ثالثاً إلى كتب الصيام؛ وهو منهك للبدن مضعف له، مانع وقاطع ما ألفه الإنسان من الغذاء بالنهار؛ فابتدأ بالأشق ثم بالأشقّ بعده ثم بالشاق، فهذا انتقال فيما كتبه الله على عباده في هذه الآية، وكان فيما قبل ذلك قد ذكر أركان الإسلام ثلاثة الإيمان والصلاة والزكاة فأتى بهذا الركن الرابع؛ وهو الصوم، ونادى

(١) البحر المحيط.

المؤمنين عند إعلامهم بهذا المكتوب الثالث الذي هو الصيام؛ لينبههم على استماع ما يلقى إليهم من هذا التكليف، ولم يحتج إلى نداء في المكتوب الثاني؛ لانسلاكه مع الأول في نظام واحد؛ وهو حضور الموت بقصاص أو غيره، وتباين هذا التكليف الثالث منها.

أسباب النزول

قوله[1] تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ...﴾ الآية، أخرج ابن سعد في «طبقاته» عن مجاهد قال: هذه الآية نزلت في مولاي قيس بن السائب: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾: فأفطر وأطعم لكل يوم مسكيناً.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى ...﴾ الآية، عن الصلت بن حكيم بن معاوية بن حيدة، عن أبيه، عن جده قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فقال: أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه، فسكت عنه؛ فأنزل الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ...﴾ الآية.

وأخرج عبد الرزاق عن الحسن قال: سأل أصحاب محمد ﷺ النبي ﷺ أين ربنا؟ فأنزل الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ...﴾ الآية. مرسل، وله طرق أخرى.

وأخرج ابن عساكر عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تعجزوا عن الدعاء فإن الله أنزل علي: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾» فقال رجل: يا رسول الله، ربنا يسمع الدعاء، أم كيف ذلك؟ فأنزل الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى ...﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾.

روى البخاري رحمه الله عن البراء رضي الله عنه قال: كان أصحاب

---

(١) لباب النقول.

محمد ﷺ إذا كان الرجل صائماً، فحضر الإفطار، فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وأن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً، فلما حضر الإفطار أتى امرأته، فقال لها: أعندك طعام؟ قالت: لا ولكن أنطلق، فأطلب لك، وكان يومه يعمل، فغلبته عيناه، فقالت: خيبة لك، فلما انتصف النهار أُغشي عليه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ ففرحوا بها فرحاً شديداً، ونزلت: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾.

وفي لفظ له في كتاب «التفسير»: لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله وكان رجال يخونون أنفسهم؛ فأنزل الله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ الآية.

وظاهر الروايتين التغاير، لكن لا مانع من أن تكون نزلت في هؤلاء وفي هؤلاء.

وروى أبو داود، وأحمد، والحاكم من طريق عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كانوا يأكلون ويشربون، ويأتون النساء ما لم يناموا، فإذا ناموا امتنعوا، ثم إن رجلاً من الأنصار ـ يقال له: قيس بن صرمة ـ صلى العشاء، ثم نام، فلم يأكل، ولم يشرب حتى أصبح، فأصبح مجهوداً، وكان عمر قد أصاب من النساء بعد ما نام، فأتى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، فأنزل الله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ هذا الحديث مشهور عن ابن أبي ليلى، عن معاذ لكنه لم يسمع من معاذ، وله شواهد كما أخرجه البخاري عن البراء.

وأخرجه أحمد، وابن جرير، وابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه قال: كان الناس في رمضان إذا صام الرجل فأمسى، فنام.. حرم عليه الطعام والشراب والنساء حتى يفطر من الغد، فرجع عمر من عند النبي ﷺ، وقد سمر عنده، فأراد امرأته، فقالت: إني قد نمت، قال: ما نمت، ووقع عليها، وصنع كعب مثل ذلك، فغدا عمر إلى النبي ﷺ فأخبره، فنزلت الآية.

قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ روى البخاري عن سهل بن سعيد قال: أنزلت ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ ولم ينزل ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ وكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود، فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله بعد ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ فعلموا أنما يعني الليل والنهار.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ..﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن قتادة قال: كان الرجل إذا اعتكف، فخرج من المسجد: جامع إن شاء، فنزلت: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾.

التفسير وأوجه القراءة

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وصدَّقوا بما جاء به محمد ﷺ، وناداهم بالإيمان تنبيهاً لهم على استماع ما يلقى إليهم من هذا التكليف. ﴿كُتِبَ﴾؛ أي: فرض ﴿عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾؛ أي: صيام شهر رمضان ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾؛ أي: كتب عليكم كتابته على الذين سبقوا من قبلكم من الأنبياء وأممهم، من لدن آدم إلى عهدكم هذا، لكن لا كصومنا من كل وجه، فالتشبيه في الفرضية لا الكيفية والثواب.

والمعنى: أن الصوم عبادة قديمة؛ أي: في الزمن الأول ما أخلى الله أمة لم يفرضه عليهم كما فرضه عليكم، وأنتم متعبدون بالصيام في أيام كما تَعَبَّد من كان قبلكم به. وحكمة ذكر التشبيه: التأكيد في الأمر والتسلي بمن كان قبلنا، وذلك لأن الصوم عبادة شاقة، والشيء الشاق إذا عمَّ سهل عمله.

والصومُ لغةً: الإمساك عن الشيء، ولو عن الكلام كما في قول مريم: ﴿إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾؛ أي: صمت، وشرعاً: الإمساك عن المفطرات من الأكل والشرب وغيرهما في وقت مخصوص، وهو من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية مخصوصة؛ وهي نية التقرب إلى الله تعالى. قال[1] الراغب: للصوم

(١) البحر المحيط.

فائدتان: رياضة الإنسان نفسه عما تدعوه إليه من الشهوات، والاقتداء بالملأ الأعلى على قدر الوسع.

وقيل[1]: إن صيام شهر رمضان كان واجباً على النصارى كما فرض علينا، فصاموا رمضان زماناً، فربما وقع في الحر الشديد والبرد الشديد، وكان يشق ذلك عليهم في أسفارهم ويضرهم في معايشهم، فاجتمع رأي علمائهم ورؤسائهم أن يجعلوه في فصل من السنة معتدل بين الصيف والشتاء، فجعلوه في فصل الربيع، ثم زادوا فيه عشرة أيام كفارةً لما صنعوا، فصاموا أربعين يوماً، ثم بعد زمان اشتكى ملكهم فمه، فجعل لله عليه إن هو برأ من وجعه أن يزيد في صومهم أسبوعاً، فبرأ، فزاد فيه أسبوعاً، ثم مات ذلك الملك بعد زمان ووليهم ملك آخر، فقال: ما شأن هذه الثلاثة أيام؟ أتموها خمسين يوماً، فأتموه، وقيل: أصابهم موتان، فقالوا: زيدوا في صيامكم، فزادوا عشراً قبله وعشراً بعده.

وقيل: كان النصارى أولاً يصومون، فإذا أفطروا فلا يأكلون ولا يشربون ولا يطؤون إذا ناموا ثم انتبهوا، وكان ذلك في أول الإسلام، ثم نسخ بسبب عمر وقيس بن صرمة كما مر. واختلف[2] المفسرون في وجه التشبيه ما هو، فقيل: هو قدر الصوم ووقته، فإن الله كتب على اليهود والنصارى صوم رمضان، فغيروا، وقيل: هو الوجوب فإن الله أوجب على الأمم الصيام، وقيل: هو الصفة؛ أي: ترك الأكل والشرب، ونحوهما في وقت، فعلى الأول معناه: أن الله كتب على هذه الأمة صوم رمضان كما كتبه على الذين من قبلهم، وعلى الثاني: أن الله أوجب على هذه الأمة الصيام كما أوجبه على الذين من قبلهم وعلى الثالث: أن الله سبحانه أوجب على هذه الأمة الإمساك عن المفطرات كما أوجبه على الذين من قبلهم.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾؛ أي: لكي تخافون عقاب الله بصومكم وترككم للشهوات، فالرغبة في المطعوم والمنكوح أشد من الرغبة في غيرهما، والاتقاء

---

(١) خازن.

(٢) شوكاني.

عنهما أشق، فإذا سهل عليكم اتقاء الله بتركهما.. كان اتقاء الله بترك غيرهما أسهل وأخف، وقيل: لعلكم تتقون المعاصي بالمحافظة على عبادة الصوم؛ فإنه يكسر الشهوة ويضعف دواعي المعاصي، كما ورد في الحديث «ومن لم يستطع - يعني الباءة - فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء»؛ أي: قاطع لشهوته كما تنقطع بالخصي، وقيل معناه: لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين؛ لأن الصوم من شعارهم.

صوموا ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾؛ أي: أياماً مقدرات بعدد معلوم ثلاثين يوماً، وهي شهر رمضان، ويقال[1]: إن فريضة رمضان نزلت في السنة الثانية من الهجرة، وذلك قبل غزوة بدر بشهر وأيام، وكانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة، وشرط وجوبه الإطاقة بأن كان صحيحاً مقيماً.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم﴾ أيها الأمة المحمدية ﴿مَّرِيضًا﴾ مرضاً يشق معه الصوم ويضره، أو يزيد بالصوم ولو في أثناء النهار ﴿أَوْ﴾ كان عازماً ﴿عَلَىٰ﴾ إتمام ﴿سَفَرٍ﴾ ومتلبساً به ولو قصيراً، فلا يبيح[2] السفر الفطر إذا طرأ في أثناء النهار، وهذا سر التعبير بـ﴿عَلَىٰ﴾ في السفر دون المرض؛ أي: فمن كان مريضاً أو عازماً على إتمام السفر، ومتمكناً منه بأن كان متلبساً به وقت طلوع الفجر إن لم يشق معه الصوم، فإن المسافر يباح له الفطر، وإن لم يجهده الصوم، ولا فرق في السفر بين كونه براً أو بحراً أو جواً، والحق[3] أن ما صدق عليه مسمى السفر؛ فهو الذي يباح عنده الفطر، وكذا ما صدق عليه مسمى المرض؛ فهو الذي يباح عنده الفطر، وقد وقع الإجماع على الفطر في سفر الطاعة، واختلفوا في الأسفار المباحة، والحق أن الرخصة ثابتة فيه، وكذا اختلفوا في سفر المعصية؛ أي: فمن كان منكم مريضاً أو مسافراً، فأفطر في رمضان.. فعليه عدة؛ أي: فواجب عليه

(١) خازن.

(٢) جمل.

(٣) شوكاني.

صيام عدد ما أفطر من رمضان للمرض أو للسفر ﴿مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾؛ أي: من أيام غير رمضان قضاءً عما أفطر في رمضان، وقرىء ﴿عدةً﴾ بالنصب؛ أي: فليصم عدة من أيام أخر، ولو مفرقاً. وعن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه أنه قال: إن الله تعالى لم يرخص لكم في فطره وهو يريد أن يشق عليكم في قضائه إن شئت فَوَاتِر، وإن شئت فَفَرق، وروي أن رجلاً قال للنبي ﷺ: علي أيام من رمضان فيجزيني أن أقضيها متفرقة، فقال له: «أرأيت لو كان عليك دين فقضيته الدرهم والدرهمين أما كان يجزيك»؟ قال: نعم، قال: «فالله أحق أن يعفو ويصفح».

وعن عائشة أن حمزة الأسلمي سأل النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، هل أصوم على السفر؟ فقال: «صم إن شئت، وأفطر إن شئت» وروى الشافعي أن عطاء قال لابن عباس: أقصر إلى عرفة؟ فقال: لا، فقال: إلى مر الظهران؟ فقال: لا، لكن أقصر إلى جدة وعسفان والطائف. قال مالك: بين مكة وجدة وعسفان أربعة برد.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾؛ أي: يقدرون على الصوم بأن لم يكن لهم عذر مرضٍ ولا سفر؛ أي: القادرين على الصوم إن أفطروا ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾؛ أي: جزاء وضمان قدر ما يأكله مسكين واحد في يوم واحد، يعطيه للمسكين بدل كل يوم من رمضان؛ وهو مدٌّ من غالب قوت بلده.

وقد اختلف أهل العلم في هذه الآية[1]، هل هي محكمة أو منسوخة؟ فقيل: إنها منسوخة، وإنما كانت رخصة عند ابتداء فرض الصيام؛ لأنه شق عليهم؛ لأنهم لم يتعودوا الصيام، فرخص لهم في الافطار، فكان من أطعم كل يوم مسكيناً.. ترك الصوم وهو يطيقه، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ وهذا قول الجمهور.

وعن سلمة بن الأكوع ـ رضي الله عنه ـ قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَعَلَى

---

(١) شوكاني.

﴿ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ..﴾ كان من أراد أن يفطر ويفتدي فعل، حتى نزلت هذه الآية التي بعدها فنسختها، وفي رواية حتى نزلت هذه الآية ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾. متفق عليه.

وروي عن بعض أهل العلم أنها لم تنسخ، وأنها رخصة للشيوخ والعجائز خاصةً إذا كانوا لا يطيقون الصوم إلا بمشقة.

والمعنى على هذا: وعلى الذين يقدرون على الصوم مع المشقة فدية. وعن عطاء أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ: ﴿وعلى الذين يطوقونه فدية طعام مسكين﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما، فيطعمان مكان كل يوم مسكيناً، وهو حديث آحاد؛ أي لا يحتج به في إثبات القرآن الكريم.

وقراءة[1] الجمهور: ﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾ - بكسر الطاء وسكون الياء - من أطاق، وأصله: يطوقونه، نقلت الكسرة إلى الطاء، وانقلبت ﴿الواو﴾ ياء؛ لانكسار ما قبلها. وقرأ أحمد ﴿يطوقونه﴾ على الأصل من غير إعلال، من أطوق، كقولهم أطول في أطال. وقرأ ابن عباس ﴿يطَوّقونه﴾ بفتح الطاء مخففة وتشديد ﴿الواو﴾ المفتوحة؛ أي: يكلفونه. وروى ابن الأنباري عن ابن عباس ﴿يَطّيَقونه﴾ بفتح الياء وتشديد الطاء والياء المفتوحتين بمعنى: يطيقونه، وما عدا قراءة الجمهور شاذ لا يقرأ به.

وقرأ أهل المدينة والشام: ﴿فديةُ طعامِ﴾ مضافاً إضافة بيانيةً؛ أي: بإضافة فدية إلى طعام، وعليها يتعين جمع المساكين، وأما على عدم الإضافة: فيصح الجمع والإفراد، فالقرآت ثلاث، وقرؤوا أيضاً: ﴿مساكين﴾ بالجمع، وقرأ ابن عباس: ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾؛ وهي قراءة أبي عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وكله في المتواتر.

و﴿الفدية﴾ الجزاء؛ وهو القدر الذي يبذله الإنسان يقي به نفسه من تقصيرٍ

(١) شوكاني.

وقَعَ منه في عبادة ونحوها، وقد اختلفوا في مقدار الفدية، فقيل: كل يوم صاع من غير البر ونصف صاع منه، وقيل: مُدّ فقط؛ وهو قول فقهاء الحجاز، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يعطي كل مسكين عشاءه وسحوره.

﴿فَمَن تَطَوَّعَ﴾؛ أي: تبرع ﴿خَيْرًا﴾ فزاد في الفدية على القدر الواجب، أو صام مع إخراج الفدية، أو أطعم مع المسكين مسكيناً آخر، وقرأ عيسى ابن عمرو، ويحيى بن ثابت، وحمزة، والكسائي ﴿يَطَّوَّع﴾ مشدداً مع جزم الفعل على معنى يتطوع، وقرأ الباقون: بتخفيف الطاء على أنه فعل ماضٍ: ﴿فَهُوَ﴾؛ أي: فذلك التطوع ﴿خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ بالثواب، ﴿وَأَن تَصُومُواْ﴾ أيها المرخصون لكم في الإفطار من المرضى والمسافرين والذين يقدرون على الصوم مع المشقة ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الإفطار والفدية، أو تطوع الخير، أو منهما ومن التأخير للقضاء. وقرأ أبي: ﴿والصوم خير لكم﴾ وهي قراءة شاذة. ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما في الصوم من الفضيلة، ومن المعاني المورثة للتقوى، وبراءة الذمة، فإن العبادة كلما كانت أشق.. كانت أكثر ثواباً، وجواب ﴿لو﴾ محذوف دل عليه ما قبله؛ تقديره: اخترتموه. وقد ورد في فضل الصوم أحاديث كثيرة.

وأخرج[1] عبد بن حميد، وابن جرير، والدارقطني، وصححه عن ابن عباس أنه قال لأم ولد له حامل أو مرضعة: أنت بمنزلة الذين لا يطيقون الصوم، عليك الطعام، لا قضاء عليك. وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والدارقطني عن ابن عمر أن إحدى بناته أرسلت إليه تسأله عن صوم رمضان، وهي حامل؟ قال: تفطر وتطعم كل يوم مسكيناً، وقد روي نحو هذا عن جماعة من التابعين.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾؛ أي: تلك الأيام المعدودات التي فرضت صومها عليكم أيها المؤمنون؛ هي شهر رمضان الذي ابتدي فيه إنزال القرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في محل من تلك السماء يسمى:

---

(١) شوكاني.

بيت العزة، ثم نزل جبريل بالقرآن على رسول الله ﷺ نجوماً في ثلاث وعشرين سنة ـ مدة النبوة ـ بحسب الحاجة يوماً بيوم، آية وآيتين وثلاثاً، وسورة، وقرأ الجمهور: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ بالرفع. وقرأه بالنصب شاذاً مجاهد وغيره، وفي «القرطبي»[1] ما نصه: قال ابن عباس: أنزل القرآن من اللوح المحفوظ جملة واحدة إلى الكتبة في سماء الدنيا، ثم نزل به جبريل عليه السلام نجوماً؛ يعني: الآية والآيتين في إحدى وعشرين سنة. اهـ.

أو المعنى: أنزل في شأنه القرآن، وهو قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ ورمضان مأخوذ من رمض الصائم يرمض إذا احترق جوفه من شدة العطش، و﴿القرآن﴾ اسم لهذا الكتاب الذي أنزل على رسول الله ﷺ حالة كونه. ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾؛ أي: هادياً للناس من الشرك والضلالة إلى التوحيد والإيمان ﴿و﴾ حالة كونه آيات ﴿بينات من الهدى﴾؛ أي: آيات واضحات من أمر الدين، من الحرام والحلال، والحدود والأحكام، فالهدى الأول: محمول على أصول الدين، والهدى الثاني: على فروع الدين ﴿و﴾ من ﴿الفرقان﴾؛ أي: ومن الفرق بين الحق والباطل، والمعنى: حالة كونها آيات واضحات كائنات مما يهدي إلى الحق، ومما يفرق بين الحق والباطل، وعطف ﴿الفرقان﴾ على ﴿الْهُدَىٰ﴾ من عطف الخاص على العام، فكل أخص مما قبله ﴿الهدى﴾ صادق بالواضح وغيره كان معه دليل أم لا، والـ﴿بينات﴾ من الهدى صادقة بوجود الحجج معها أم لا، ﴿وَالْفُرْقَانِ﴾ هو الآيات البينات التي معها حجج، ﴿فَمَن شَهِدَ﴾؛ أي: حضر ﴿مِنكُمُ﴾ أيها المؤمنون هذا ﴿الشَّهْرَ﴾ يعني شهر رمضان ولم يكن في سفر، بل كان مقيماً صحيحاً؛ أي: فمن كان حاضراً مقيماً غير مسافر، فأدركه الشهر ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾؛ أي: فليصم في هذا الشهر، فالخطاب للمكلف القادر غير المعذور.

وقال جماعة من السلف والخلف[2]: أن من أدركه شهر رمضان مقيماً غير مسافر.. لزمه صيامه سافر ذلك أو أقام؛ استدلالاً بهذه الآية. وقال الجمهور:

---

(١) قرطبي.

(٢) شوكاني.

إنه إذا سافر أفطر؛ لأن معنى الآية: إذا حضر الشهر من أوله إلى آخره، لا إذا حضر بعضه وسافر، فإنه لا يتحتم عليه إلا صوم ما حضره، وهذا هو الحق، وعليه دلت الأدلة الصحيحة من السنة، وقد كان يخرج ﷺ في رمضان فيفطر.

وشهود الشهر[1]: إما بالرؤية، وإما بالسماع، فإذا رأى إنسان هلال رمضان، وقد انفرد بتلك الرؤية، ورد الإمام شهادته.. لزمه أن يصوم؛ لأنه قد حصل شهود الشهر في حقه فوجب عليه الصوم، وإذا شهد عدلان على رؤية الهلال.. حكم بهما في الصوم والفطر جميعاً، وإذا شهد عدل واحد على رؤية هلال شوال.. لا يحكم به، أما إذا شهد على هلال رمضان: فيحكم به احتياطاً لأمر الصوم؛ أي: يقبل قول الواحد في إثبات العبادة، ولا يقبل في الخروج منها إلا قول اثنين؛ لكي يصوموا ولا يفطروا احتياطاً.

﴿وَمَن كَانَ﴾ منكم ﴿مَرِيضًا﴾ في شهر رمضان، وإن كان مقيماً ﴿أَوْ﴾ كائناً ﴿عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ ومتلبساً به وقت طلوع الفجر، وإن كان صحيحاً ﴿فَعِدَّةٌ﴾؛ أي: فعليه صيام قدر ما أفطر من رمضان ﴿مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾؛ أي: من أيام غير رمضان، وهذا الكلام تقدم مثله، وإنما كرره[2]؛ لأن الله تعالى ذكر في الآية الأولى تخيير المريض والمسافر والمقيم الصحيح، ثم نسخ تخيير المقيم الصحيح بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ فلو اقتصر على هذا.. لاحتمل أن يشمل النسخ الجميع، فأعاد بعد ذكر الناسخ الرخصة للمريض والمسافر؛ ليعلم أن الحكم باق على ما كان عليه.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾؛ أي: يريد الله سبحانه وتعالى التسهيل عليكم أيها المؤمنون بترخيص الإفطار لكم بعذر المرض والسفر ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾؛ أي: ولم يرد التشديد عليكم بإيجاب الصوم في السفر والمرض، وقرىء بإسكان السينين في اليسر والعسر، وبضمهما.

---

(١) مراح.

(٢) خازن.

ولكون ذلك في معنى العلة عطف عليه قوله: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ٱلْعِدَّةَ﴾؛ أي: عدة صوم رمضان، والتقدير: وإنما[1] أرخص لكم في الإفطار للمرض والسفر ونحوهما من الأعذار؛ لإرادته بكم اليسر، وإنما أمركم بالقضاء لتكملوا عدة شهركم بتدارك ما فات منها بالقضاء ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: ولتذكروا الله بالتكبير وغيره عند انقضاء عبادتكم شكراً ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾؛ أي: على هدايته إياكم إلى معالم دينكم وإرشاده إياكم إلى هذه العبادة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: حقٌّ على المسلمين إذا رأوا هلال شوال أن يكبروا، وقال الشافعي: وأحب إظهار التكبير في العيدين، وبه قال مالك، وأحمد، وإسحاق، وأبو يوسف، ومحمد. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على رخصه بالمحافظة على ما أمركم الله به من أداء فرائضه، وترك محارمه، وحفظ حدوده.

وإنما ختمت هذه الآية[2] بترجي الشكر؛ لأن قبلها تيسيراً وترخيصاً، فناسب ختمها بذلك، وختمت الآيتان قبلها بترجي التقوى، وهما قوله: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ وقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾؛ لأن القصاص والصوم من أشق التكاليف، فناسب ختمها بذلك، وهذا مطرد في القرآن، فحيث ورد ترخيص عقب بترجي الشكر غالباً، وحيث جاء عدم ترخيص عقب بترجي التقوى وشبهها، وهذا من محاسن علم البيان.

ولما سأل الناس رسول الله ﷺ أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ نزل قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ﴾ يا محمد ﴿عِبَادِى عَنِّى﴾؛ أي: عن قربي أو بعدي ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾؛ أي: فقل لهم يا محمد: أني قريب منهم، بالعلم والإجابة والإنعام، والقرب هنا عبارة عن سماعه لدعائهم، وقال في «الكشاف»: إنه تمثيل لحاله في سهولة إجابته لمن دعاه، وسرعة إنجاحه حاجة من سأله بمن قرب مكانه، فإذا دعي أسرعت تلبيته. ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾؛ أي: أسمع وأقبل دعاء عبدي الداعي

---

(١) ابن كثير.
(٢) جمل.

إذا ﴿دَعَانِۖ﴾: وهذا تقرير للقرب ووعد للداعي بالإجابة.

ثم إجابة الدعاء[1] وعد صدق من الله لا خلف فيه، غير أن إجابة الدعاء تخالف قضاء الحاجة، فإجابة الدعوة أن يقول العبد: يا رب، فيقول الله: لبيك عبدي، وهذا أمر موعود موجود لكل مؤمن، وقضاء الحاجة إعطاء المراد، وهذا قد يكون ناجزاً، وقد يكون بعد مدة، وقد يكون في الآخرة، وقد تكون الخيرة له في غيره.

وقيل[2]: المراد من الدعاء التوبة من الذنوب؛ لأن التائب يدعو الله تعالى عند التوبة، وإجابة الدعاء هو قبول التوبة، وقيل: المراد من الدعاء العبادة، قال ﷺ: «الدعاء هو العبادة» ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾: وقرأ أبو عمرو، وقالون عن نافع: ﴿الداعي إذا دعاني﴾ بإثبات الياء فيهما مع الوصل، والباقون بحذفها على الوصل في الأولى، وعلى التخفيف في الثانية.

﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾؛ أي: فليجيبوا إلى دعوتي إذا دعوتهم إلى الإيمان والطاعة، كما أني أجيبهم إذا دعوني لحوائجهم ومهماتهم، ولينقادوا لي وليستسلموا لأوامري، فالإجابة من العبد الطاعة، ومن الله الإثابة والعطاء ﴿وَلْيُؤْمِنُواْ بِي﴾؛ أي: وليواظبوا على الإيمان بي وبرسولي، وهذا الترتيب يدل على أن العبد لا يصل إلى نور الإيمان وقوته إلا بتقدم الطاعات والعبادات ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ ويهتدون؛ أي: لكي يهتدوا إلى مصالح دينهم ودنياهم إذا استجابو لي، وآمنوا بي وبرسولي.

ثم إنه كانت الشريعة صدرَ الإسلام أنَّ الرجل إذا أمسى.. حلَّ له الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلي العشاء الآخرة، أو يرقد، فإذا صلاها، أو رقد ولم يفطر.. حَرُمَ عليه الطعام والشراب والنساء إلى القابلة، ثم إن عمر رضي الله

---

(١) نسفي.

(٢) مراح.

عنه واقع أهله بعد صلاة العشاء الآخرة، فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه، فأتى النبي ﷺ وأخبره بما فعل، فقال عليه السلام: «ما كنت جديراً بذلك»؛ فنزلت هذه الآية الآتية ناسخة لتلك الشريعة.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾؛ أي: أبيح لكم أيها الصائمون ﴿لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾؛ أي: ليالي الصيام ﴿ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾؛ أي: إلى حلائلكم من زوجة وأمة؛ أي: المجامعة مع نسائكم والإفضاء إليها بالمباشرة ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾؛ أي: النساء سكن وستر لكم عن الحرام، وهذا الكلام مستأنف سيق تعليلاً لما قبله من الإحلال ﴿وَأَنتُمْ﴾ أيها الرجال ﴿لِبَاسٌ﴾ وستر ﴿لَّهُنَّ﴾ عن الحرام.

قيل[1]: لا يسكن شيء إلى شيء كسكون أحد الزوجين إلى الآخر، وسمي كل واحد من الزوجين لباساً؛ لتجردهما عن النوم واجتماعهما في ثوب واحد، وقيل: اللباس اسم لما يواري، فيكون كل واحد منهما ستراً لصاحبه عما لا يحل، كما جاء في الحديث: «من تزوج فقد أحرز ثلثي دينه».

وإنما قدم[2] قوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ على قوله: ﴿وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ تنبيهاً على ظهور احتياج الرجل إلى المرأة، وعدم صبره عنها، ولأنه هو البادىء بطلب ذلك، فحاجة الرجل إليها أكثر، لما في الحديث: «لا خير في النساء ولا صبر عنهن، يغلبن كريماً ويغلبهن لئيم، وأحب أن أكون كريماً مغلوباً، ولا أحب أن أكون لئيماً غالباً». وكني باللباس عن شدة المخالطة.

﴿عَلِمَ ٱللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿أَنَّكُمْ كُنتُمْ﴾ أيها الصائمون قبل هذا الإحلال لكم ﴿تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾؛ أي: تظلمون أنفسكم بالجماع في ليالي رمضان وتنقصون حظها من الخير، والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب، فيدل على زيادة الخيانة من حيث كثرة مقدمات الجماع؛ لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى غالباً.

---

(١) خازن.

(٢) سمين.

ففي هذه الجملة إشارة إلى سبب النزول. ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: قبل توبتكم حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور، ﴿وَعَفَا عَنكُمْ﴾؛ أي: محا ذنوبكم وما فعلتموه قبل النسخ ولم يعاقبكم على خيانتكم ﴿فَٱلْـَٰٔنَ﴾؛ أي: ففي هذا الزمن الحاضر الذي أحل الله لكم فيه الرفث إلى نسائكم ﴿بَٰشِرُوهُنَّ﴾: جامعوهن في ليالي الصوم؛ فهو حلال لكم لنسخ التحريم، وهو أمر إباحة، وسميت الجماع مباشرة؛ لالتصاق بشرتيهما عنده. ﴿وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾؛ أي: واطلبوا بالمباشرة ما قدر الله وقسمه لكم، وأثبته في اللوح المحفوظ من الولد، وفيه إشارة إلى أنه ينبغي للمباشر أن يكون غرضه الولد، فإنه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح: لإقضاء الوطر والشهوة، وقيل: فيه إشارة إلى النهي عن العزل.

قال الشافعي: لا يعزل الرجل عن المرأة إلا بإذنها، ولا بأس أن يعزل من الأمة.

وقيل: معنى ذلك ابتغوا هذه المباشرة من الزوجة والمملوكة، فإن ذلك هو الذي كتب الله لكم؛ أي: قسم الله لكم ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾ الليل كله من أوله ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ﴾ ويتضح ﴿لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾؛ أي: كلوا واشربوا الليل كله من أوله إلى أن يتبين ويظهر لكم بياض النهار من سواد الليل حال كون الخيط الأبيض بعضاً ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ الصادق، وسمي الصبح الصادق فجراً؛ لأنه يتفجر وينتشر منه النور.

وهذا أمر إباحة، وسُمِّيَا[1] خيطين؛ لأن كل واحد منهما يبدو في الأفق ممتداً كالخيط، قال الشاعر:

فَلَمَّا أَضَاءَتْ لَنَا سَدْفَةٌ ... وَلاَحَ مِنَ ٱلصُّبْحِ خَيْطٌ أَنَارَا

السدف: اختلاط الظلام، وأسدف الفجر: أضاء.

واعلم: أن الفجرَ الذي يُحرِّمُ على الصائم الطعامَ والشرابَ والجماعَ هو الفجر الصادق المستطير المنتشر في الأفق سريعاً، لا الفجر الكاذب المستطيل.

---

(١) خازن.

فإن قلتَ: كيف شبه الصبح الصادق بالخيط والخيط مستطيل، والصبح الصادق ليس بمستطيل؟

قلت: إن القدر الذي يبدو من البياض؛ وهو أول الصبح يكون رقيقاً صغيراً ثم ينتشر؛ فلهذا شبه بالخيط، والفرق بين الفجر الصادق والفجر الكاذب: أن الفجر الكاذب يبدو في الأفق فيرتفع مستطيلاً، ثم يضمحل ويذهب، ثم يبدو الفجر الصادق بعده منتشراً في الأفق مستطيراً.

وروى مسلم عن سمرة بن جندب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يغرنكم من سحوركم أذان بلال، ولا بياض الأفق المستطيل هكذا حتى يستطير هكذا». وحكاه حماد بيديه. قال: يعني معترضاً. وفي رواية الترمذي: «لا يمنعكم من سحوركم أذان بلال، ولا الفجر المستطيل، ولكن الفجر المستطير في الأفق».

فإذا تحقق طلوع الفجر الثاني وهو الصادق.. حرم على الصائم الطعام والشراب، والجماع إلى غروب الشمس، وهو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾؛ أي: ثم بعد تبين الفجر الصادق أتموا الصيام والإمساك عن المفطرات في جميع النهار إلى دخول أول الليل بغروب الشمس، وهذا أمر إيجابٍ في صوم الفرض، وبيان لآخر وقت الصوم، ولإخراج الليل عنه، فينتفي صوم الوصال، ولمّا بين الله تعالى أن الجماع يحرم على الصائم نهاراً، ويباح ليلاً، فكان يحتمل أن حكم الاعتكاف كذلك؛ لأنه يشارك الصوم في غالب أحكامه.. بين الله بتحريمه على المعتكف ليلاً ونهاراً بقوله: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ﴾؛ أي: لا تجامعوهن ليلاً ولا نهاراً ﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ﴾؛ أي: ماكثون ﴿فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ بنية الاعتكاف للتقرب إلى الله تعالى، ولا تقربوهن ما دمتم معتكفين فيها ليلاً ونهاراً حتى تفرغوا من الاعتكاف. ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة في آيات الصيام من أولها إلى هنا ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أوامره وزواجره، وأحكامه التي شرعها لكم؛ فلا تخالفوا الأوامر منها و﴿لَا تَقْرَبُوهَا﴾ الزواجر والممنوعات ﴿منها﴾؛ أي: من تلك الحدود كالأكل والشرب والجماع في الصوم، والمباشرة في حال الاعتكاف،

والنهي عن القربان بالنظر إلى الزواجر منها، وإلا فالحدود تطلق على الأوامر أيضاً والله أعلم.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما بين الله سبحانه وتعالى أوامره وزواجره في الصوم والاعتكاف ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾؛ أي: معالم دينه وأحكام شريعته من الأوامر والزواجر في غير الصوم ﴿لِلنَّاسِ﴾ كافة على لسان رسوله ﷺ بياناً شافياً وإيضاحاً وافياً ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾؛ أي: لكي يتقوا مخالفة الأوامر والنواهي، فينجوا من العذاب.

قيل[1]: نزلت هذه الآية في حق نفر من أصحاب النبي ﷺ: علي بن أبي طالب، وعمار بن ياسر وغيرهما، فكانوا معتكفين في المسجد، فيأتون إلى أهاليهم إذا احتاجوا، ويجامعون نساءهم ويغتسلون، فيرجعون إلى المسجد، فنهاهم الله عن ذلك.

الإعراب

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾.

﴿يا﴾: حرف نداء. ﴿أي﴾: منادى نكرة مقصودة. ﴿ها﴾: حرف تنبيه زائد. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول في محل الرفع، أو في محل النصب صفة لـ﴿أي﴾، وجملة النداء مستأنفة. ﴿ءَامَنُواْ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الفاعل. ﴿كُتِبَ﴾ فعل ماض مغيَّر الصيغة. ﴿عَلَيْكُمُ﴾: جار ومجرور متعلق به. ﴿ٱلصِّيَامُ﴾: نائب فاعل، والجملة جواب النداء، لا محل لها من الإعراب.

﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

﴿كَمَا﴾: ﴿الكاف﴾: حرف جر وتشبيه، ﴿ما﴾: مصدرية، أو موصولة في محل الجر بالكاف، ﴿كُتِبَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود

---

(١) مراح.

على ﴿ٱلصِّيَامُ﴾. ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿كُتِبَ﴾، والجملة صلة لما المصدرية، لـ﴿ما﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بالكاف؛ تقديره: ككتبه على الذين ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾، الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لمصدر محذوف؛ تقديره: كتب عليكم الصيام كتباً كائناً ككتبه على الذين من قبلكم، أو الجملة صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة، والعائد ضمير الغائب، والجار والمجرور متعلق بواجب الحذف حال من ﴿ٱلصِّيَامُ﴾؛ تقديره: كتب عليكم الصيام حالة كونه كائناً كالصيام الذي كتب على الذين من قبلكم. ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بواجب الحذف؛ لوقوعه صلة الموصول؛ تقديره: كما كتب على الذين استقروا من قبلكم ﴿لَعَلَّكُمْ﴾. ﴿لعل﴾: حرف ترج وتعليل ونصب، و﴿الكاف﴾ اسمها، وجملة ﴿تَتَّقُونَ﴾: خبرها؛ تقديره: لعلكم متقون، وجملة ﴿لعل﴾ في محل الجر بلام التعليل المقدرة.

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾.

﴿أَيَّامًا﴾: منصوب على الظرفية الزمانية. ﴿مَّعْدُودَاتٍ﴾: صفة لـ﴿أياماً﴾، والظرف متعلق بمحذوف جوازاً؛ تقديره: صوموا أياماً، والجملة المحذوفة مستأنفة استئنافاً بيانياً. ﴿فَمَن﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر؛ تقديره: إذا عرفتم وجوب الصيام عليكم، وأردتم بيان حكم من كان معذوراً بمرض أو سفر.. فأقول لكم: من كان ﴿من﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط على الراجح، أو جملة الجواب، أو هما. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص في محل الجزم بـ﴿من﴾، واسمها ضمير يعود على ﴿من﴾. ﴿مِنكُم﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من اسم ﴿كَانَ﴾؛ تقديره: فمن كان حالة كونه كائناً منكم. ﴿مَّرِيضًا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾ ﴿أَوْ﴾: حرف عطف وتقسيم. ﴿عَلَىٰ﴾: حرف جر. ﴿سَفَرٍ﴾: مجرور بـ﴿عَلَىٰ﴾، الجار والمجرور متعلق بمحذوف معطوف على ﴿مَّرِيضًا﴾؛ تقديره: فمن كان منكم مريضاً أو عازماً على إتمام سفر. ﴿فَعِدَّةٌ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿من﴾ الشرطية وجوباً؛ لكون الجواب جملة اسمية ﴿عدة﴾: مبتدأ، والخبر محذوف؛ تقديره: فصيام **عدة**

واجب عليه، والجملة الاسمية في محل الجزم بـ﴿من﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿من﴾ الشرطية في محل النصب مقول لجواب ﴿إذا﴾ المقدرة، وجملة ﴿إذا﴾ المقدرة مستأنفة. ﴿مِّنْ أَيَّامٍ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لـ﴿عدة﴾؛ تقديره: فعدة كائنة من أيام. ﴿أُخَرَ﴾: صفة لـ﴿أَيَّامٍ﴾ مجرور بالفتحة؛ لأنه اسم لا ينصرف، والمانع له من الصرف: الوصف والعدل؛ لأنه معدول عن الآخر؛ لأن الأصل في فعلى صفة أن تستعمل في الجمع بالألف واللام.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ﴾ الواو: استئنافية. ﴿على الذين﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الفاعل. ﴿فِدْيَةٌ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف. ﴿طَعَامُ﴾: مضاف إليه، وهو مضاف. ﴿مِسْكِينٍ﴾: مضاف إليه إذا قرىء بلا تنوين، وأما على قراءة التنوين فـ﴿طَعَامٍ﴾: بدل من ﴿فِدْيَةٌ﴾: بدل كل من كل؛ والتقدير: وفدية طعام مسكين واجب على الذين يطيقونه.

﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾.

﴿فَمَن﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة بمعنى الواو. ﴿من﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط على الراجح. ﴿تَطَوَّعَ﴾: فعل ماض في محل الجزم بـ﴿من﴾، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَن﴾. ﴿خَيْرًا﴾: منصوب بنزع الخافض؛ أي: بخير، أو صفة لمصدر محذوف؛ تقديره: تطوعاً خيراً. ﴿فَهُوَ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿من﴾ الشرطية وجوباً. ﴿هو﴾: متبدأ. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر. ﴿لَّهُۥ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿خَيْرٌ﴾، والجملة الاسمية في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونها جواباً لها، وجملة ﴿مَنْ﴾ الشرطية معطوفة على جملة قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾.

﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَأَن﴾الواو: عاطفة. ﴿أن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿تَصُومُوا۟﴾: فعل

وفاعل منصوب بـ﴿أن﴾ المصدرية، والجملة من الفعل والفاعل صلة ﴿أن﴾ المصدرية، ﴿أن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مرفوع على الابتداء؛ تقديره: وصومكم. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر له. ﴿لَّكُمْ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿خَيْرٌ﴾، والجملة الاسمية معطوفة على جملة قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾. ﴿إِن كُنتُمْ﴾. ﴿إن﴾: حرف شرط، أو غائية لا جواب لها. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ناقص، واسمه في محل الجزم بـ﴿إن﴾ ﴿تَعْلَمُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب، خبر ﴿كان﴾؛ تقديره: إن كنتم عالمين، ومفعول العلم محذوف، وجواب ﴿إن﴾ معلوم مما قبله إن قلنا شرطية لها جواب؛ تقديره: إن كنتم تعلمون خيريته.. فافعلوه، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية مستأنفة.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾: خبر لمبتدأ محذوف جوازاً؛ تقديره: تلك الأيام المعدودات شهر رمضان، والجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً. و﴿شَهْرُ﴾ مضاف. ﴿رَمَضَانَ﴾: مضاف إليه مجرور بالفتحة للعلمية وزيادة الألف والنون. ﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول في محل الرفع صفة لـ﴿شَهْرُ﴾. ﴿أُنزِلَ﴾ فعل ماض مغير الصيغة ﴿فِيهِ﴾ جار ومجرور متعلق بأنزل ﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾: نائب فاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير فيه. ﴿هُدًى﴾: حال من ﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾. ﴿لِّلنَّاسِ﴾: متعلق بـ﴿هُدًى﴾ ﴿وَبَيِّنَٰتٍ﴾: معطوف على ﴿هُدًى﴾. ﴿مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لـ﴿بينات﴾ تقديره: كائنات من الهدى. ﴿وَٱلْفُرْقَانِ﴾: معطوف على ﴿ٱلْهُدَىٰ﴾.

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾.

﴿فَمَن﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر إذا عرفتم أن الأيام المعدودات شهر رمضان، وأردتم بيان حكم من شهده.. فأقول لكم: ﴿من﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط على

الراجح. ﴿شَهِدَ﴾: في محل الجزم بـ﴿من﴾، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾. ﴿مِنكُمُ﴾: جار ومجرور، حال من فاعل ﴿شَهِدَ﴾؛ تقديره: حال كونه كائناً منكم ﴿الشَّهْرَ﴾: منصوب على الظرفية الزمانية، والظرف متعلق بـ﴿شَهِدَ﴾ ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿من﴾ الشرطية وجوباً؛ لكون الجواب جملة طلبية. ﴿اللام﴾: لام الأمر. ﴿يصم﴾: فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، و﴿الهاء﴾: مفعول به، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾، والجملة الفعلية في محل الجزم بـ﴿من﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿من﴾ الشرطية في محل النصب مقول لجواب ﴿إذا﴾ المقدرة، وجملة ﴿إذا﴾ المقدرة مستأنفة استئنافاً بيانياً، ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا﴾. الواو: عاطفة. ﴿من﴾: اسم شرط في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط. ﴿كَانَ﴾: فعل ناقص في محل الجزم بـ﴿من﴾، واسمها ضمير يعود على ﴿من﴾. ﴿مَرِيضًا﴾: خبرها. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف وتقسيم ﴿عَلَىٰ سَفَرٍ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف معطوف على ﴿مَرِيضًا﴾؛ تقديره: أو عازماً على إتمام سفر. ﴿فَعِدَّةٌ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿من﴾ الشرطية. ﴿عدة﴾: مبتدأ، خبره محذوف؛ تقديره: فعدة ما أفطر واجب عليه. ﴿مِّنْ أَيَّامٍ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لـ﴿عدة﴾؛ تقديره: فعدة كائنة من أيام أخر. ﴿أُخَرَ﴾: صفة لـ﴿أَيَّامٍ﴾ مجرور بالفتحة للوصفية والعدل، والجملة من المبتدأ والخبر المحذوف في محل الجزم بـ﴿من﴾ الشرطية، وجملة ﴿من﴾ الشرطية معطوفة على جملة ﴿من شهد منكم الشهر﴾.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿بِكُمُ﴾: جار ومجرور متعلق به. ﴿الْيُسْرَ﴾: مفعول به. ﴿وَلَا يُرِيدُ﴾: الواو: عاطفة. ﴿لا﴾ نافية. ﴿يُرِيدُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾. ﴿بِكُمُ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يُرِيدُ﴾. ﴿الْعُسْرَ﴾: مفعول به. ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾: الواو: عاطفة. ﴿لتكملوا﴾: ﴿اللام﴾: لام كي. ﴿تكملوا﴾: فعل وفاعل منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام

كي. ﴿ٱلۡعِدَّةَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية صلة أن المضمرة، ﴿أن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بلام كي تقديره: ولإكمالكم العدة الجار والمجرور معطوف على علة محذوفة لمعلول محذوف؛ تقديره: وإنما أرخص لكم في الإفطار للمرض والسفر وأمركم بالقضاء؛ لإرادته بكم اليسر، ولإكمالكم عدة شهر رمضان.

﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾.

﴿وَلِتُكَبِّرُواْ﴾ الواو: عاطفة. ﴿لتكبروا﴾: ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل. ﴿تكبِّروا﴾: فعل وفاعل منصوب بأن مضمرة جوازاً. ﴿ٱللَّهَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية صلة أن المصدرية، و﴿أن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل؛ تقديره: ولتكبيركم الله، والجار والمجرور معطوف على الجار والمجرور في قوله: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ﴾. ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾: ﴿عَلَىٰ﴾: حرف جر وتعليل. ﴿مَا﴾: مصدرية. ﴿هَدَىٰكُمۡ﴾: فعل ومفعول به، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهَ﴾، والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾ المصدرية، ﴿مَا﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بـ﴿عَلَىٰ﴾ التعليلية تقديره: لهدايته إياكم، الجار والمجرور متعلق بـ﴿كبروا﴾. ﴿وَلَعَلَّكُمۡ﴾: الواو: عاطفة. ﴿لعل﴾: حرف ترج ونصب ﴿الكاف﴾: في محل النصب اسمها، وجملة ﴿تَشۡكُرُونَ﴾: في محل الرفع خبرها تقديره: ولعلكم شاكرون، وجملة ﴿لعل﴾: في محل الجر معطوفة على جملة؛ قوله: ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ﴾؛ تقديره: ولتكبيركم إياه لهدايته إياكم، ولشكركم إياه على رخصته.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾.

﴿وَإِذَا﴾: ﴿الواو﴾ اعتراضية. ﴿إذا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿سَأَلَكَ﴾: فعل ومفعول ﴿عِبَادِي﴾: فاعل ومضاف إليه. ﴿عَنِّي﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿سأل﴾، والجملة في محل الجر بإضافة ﴿إذا﴾ إليها على كونها

فعل شرط لها، والظرف بمتعلق بالجواب ﴿فَإِنِّي﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إذا﴾ وجوباً. ﴿إن﴾: حرف توكيد ونصب و﴿الياء﴾: اسمها. ﴿قَرِيبٌ﴾: خبر أول لها، وجملة ﴿إن﴾ من اسمها وخبرها في محل النصب مقول لمحذوف هو جواب؛ تقديره: فقل لهم: إني قريب أجيب وجملة ﴿إذا﴾ جملة معترضة لا محل لها من الإعراب لاعتراضها بين مباحث الصيام. ﴿أُجِيبُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿الله﴾، والجملة في محل الرفع خبر ثان لـ﴿إني﴾؛ تقديره: مجيب. ﴿دَعْوَةَ﴾: مفعول به وهو مضاف. ﴿ٱلدَّاعِ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره كسرة مقدرة على الياء المحذوفة للتخفيف منع من ظهورها الثقل؛ لأنه اسم منقوص. ﴿إِذَا دَعَانِۖ﴾: ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان مجرد عن معنى الشرط في محل النصب على الظرفية. ﴿دَعَانِۖ﴾: ﴿دعا﴾: فعل ماض. و﴿النون﴾: للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة للتخفيف في النصب مفعول به، وفاعله ضمير يعود إلى ﴿ٱلدَّاعِ﴾، والجملة من الفعل والفاعل في محل الجر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها، والظرف متعلق بـ﴿أُجِيبُ﴾؛ تقديره: أجيب دعوة الداعي وقت دعوته إياي. ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر؛ تقديره: إذا عرفت أني أجيب دعوتهم، وأردت بيان ما هو اللازم لهم.. فأقول لك: ﴿اللام﴾: لام الأمر. ﴿يستجيبوا﴾: فعل وفاعل مجزوم بلام الأمر. ﴿لِي﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة. ﴿وَلْيُؤْمِنُواْ﴾: الواو: عاطفة. ﴿اللام﴾: لام الأمر. ﴿يؤمنوا﴾: فعل وفاعل مجزوم بلام الأمر. ﴿بِي﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة معطوفة على جملة ﴿يستجيبوا﴾. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾: ﴿لعل﴾: حرف نصب وتعليل. و﴿الهاء﴾: اسمها، وجملة ﴿يَرْشُدُونَ﴾: خبرها؛ تقديره: لعلهم راشدون، وجملة ﴿لعل﴾: في محل الجر بلام التعليل المقدرة؛ تقديره: وليؤمنوا بي لرشادهم؛ أي: لنيل رشادهم وفوز هدايتهم.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ﴾.

﴿أُحِلَّ﴾: فعل ماضٍ مغيَّر الصيغة. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلق به. ﴿لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾: ظرف ومضاف إليه، والظرف متعلق بـ﴿أُحِلَّ﴾. ﴿ٱلرَّفَثُ﴾: نائب فاعل، والجملة مستأنفة. ﴿إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿ٱلرَّفَثُ﴾: ﴿هُنَّ﴾: مبتدأ. ﴿لِبَاسٌ﴾: خبر، والجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً. ﴿لَّكُمْ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة ﴿لِبَاسٌ﴾. ﴿وَأَنتُمْ﴾ الواو: عاطفة. ﴿أنتم﴾: مبتدأ. ﴿لِبَاسٌ﴾: خبر، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾. ﴿لَّهُنَّ﴾: جار ومجرور صفة ﴿لِبَاسٌ﴾. ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿أنكم﴾: ﴿أنّ﴾: حرف نصب ومصدر و﴿الكاف﴾ في محل النصب اسمها. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿تَخْتَانُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿أَنفُسَكُمْ﴾: مفعول ومضاف إليه، والجملة من الفعل والفاعل في محل النصب خبر ﴿كان﴾؛ تقديره: مختانين أنفسكم، وجملة كان في محل الرفع خبر ﴿أن﴾ تقديره: أنكم مختانون أنفسكم، وجملة ﴿أنَّ﴾ من اسمها وخبرها في تأويل مصدر سادٍّ مسد مفعولي علم تقديره: علم الله اختيانكم؛ أي: خيانتكم أنفسكم. ﴿فَتَابَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة ﴿تاب﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة معطوفة على جملة ﴿عَلِمَ﴾، أو معطوفة على محذوف؛ تقديره: فتبتم فتاب عليكم. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تاب﴾، ﴿وَعَفَا﴾: الواو: عاطفة. ﴿عَفَا﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة معطوفة على جملة ﴿تاب﴾ ﴿عَنكُمْ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿عفاً﴾.

﴿فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾.

﴿فَٱلْـَٰٔنَ﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر؛ تقديره: إذا عرفتم أن الله تاب عليكم وعفا عنكم، وأردتم بيان ما هو الأصلح لكم.. فأقول: الآن باشروهن. ﴿الآن﴾: ظرف للزمان الحاضر في محل النصب على الظرفية متعلق بـ﴿بَٰشِرُوهُنَّ﴾. ﴿بَٰشِرُوهُنَّ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿وَٱبْتَغُوا۟﴾: الواو: عاطفة. ﴿وَٱبْتَغُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿بَٰشِرُوهُنَّ﴾.

﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة في محل النصب مفعول به. ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل. ﴿لَكُمْۚ﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف؛ تقديره: ما كتبه الله لكم.

﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾.

﴿وَكُلُواْ﴾: الواو: عاطفة. ﴿كلوا﴾ فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿بَٰشِرُوهُنَّ﴾. ﴿وَٱشۡرَبُواْ﴾: الواو: عاطفة. ﴿اشربوا﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿بَٰشِرُوهُنَّ﴾. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جر وغاية بمعنى ﴿إلى﴾. ﴿يَتَبَيَّنَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ﴿أن﴾ مضمرة وجوباً بعد حتى بمعنى ﴿إلى﴾. ﴿لَكُمُ﴾: جار ومجرور متعلق به. ﴿ٱلۡخَيۡطُ﴾: فاعل. ﴿ٱلۡأَبۡيَضُ﴾: صفة له. ﴿مِنَ ٱلۡخَيۡطِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يَتَبَيَّنَ﴾. ﴿ٱلۡأَسۡوَدِ﴾: صفة للخيط. ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من ﴿ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ﴾؛ تقديره: حالة كون الخيط الأبيض كائناً من الفجر، وجملة ﴿يَتَبَيَّنَ﴾ صلة أن المضمرة، ﴿أن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بـ﴿حَتَّىٰ﴾ بمعنى ﴿إلى﴾؛ تقديره: إلى تبين الخيط الأبيض من الفجر من الخيط الأسود، الجار والمجرور تنازع فيه كلوا واشربوا.

﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ﴾.

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وترتيب. ﴿أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على جملة ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾. ﴿إِلَى ٱلَّيۡلِۚ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أَتِمُّواْ﴾. ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ﴾: الواو: استئنافية. ﴿لا﴾: ناهية. ﴿تُبَٰشِرُوهُنَّ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة مستأنفة. ﴿وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ﴾ الواو: حالية. ﴿أنتم﴾: مبتدأ. ﴿عَٰكِفُونَ﴾: خبر، والجملة في محل النصب حال من فاعل ﴿تُبَٰشِرُوهُنَّ﴾. ﴿فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿عَٰكِفُونَ﴾. ﴿تِلۡكَ﴾: مبتدأ. ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾: خبر ومضاف إليه، والجملة مستأنفة. ﴿فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة على محذوف تقديره: تنبهوا فلا تقربوها ﴿لا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَقۡرَبُوهَاۗ﴾: فعل وفاعل ومفعول مجزوم بلا الناهية، والجملة معطوفة على ذلك المحذوف.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لمصدر محذوف؛ تقديره: بياناً كائناً كذلك. ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾: فعل وفاعل ومفعول به ومضاف إليه، والجملة مستأنفة. ﴿لِلنَّاسِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يُبَيِّنُ﴾. ﴿لَعَلَّهُمۡ﴾: ﴿لعل﴾: حرف ترجٍّ ونصب، و﴿الهاء﴾: اسمها، وجملة ﴿يَتَّقُونَ﴾: خبرها. وجملة ﴿لعل﴾: في محل الجر بـ﴿لام﴾ التعليل المقدرة المتعلقة بـ﴿يُبَيِّنُ﴾.

التصريف ومفردات اللغة

﴿فِدۡيَةٌ طَعَامُ﴾ الفدية: مصدرُ فدى يفدي فِدْيةً وفِداءً، والهاء فيها لا تدل على المرة الواحدة، بل هي للتأنيث فقط، وطعام: اسم مصدر لأطعم يطعم إطعاماً وطعاماً، فهو هنا بمعنى الإطعام كالعطاء بمعنى الإعطاء، ويضعف[1] أن يكون الطعام هنا بمعنى المطعوم؛ لأنه أضافه إلى المسكين، وليس الطعام للمسكين قبل تملكه إياه، فلو حمل على ذلك.. لكان مجازاً؛ لأنه يكون تقديره: فعليه إخراج الطعام يصير للمساكين، ولو حملت الآية على هذا.. لم يمتنع؛ لأن حذف المضاف جائز، وتسمية الشيء بما يؤول إليه جائز.

﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ﴾ والشهر[2] لأهل اللغة فيه قولان:

أشهرهما: أنه اسم لمدة الزمان الذي يكون مبدؤها الهلال ظاهراً إلى أن يستتر، سمي بذلك لشهرته في حاجة الناس إليه من المعاملات.

والثاني: قاله الزجاج اسم للهلال نفسه. و﴿رَمَضَانَ﴾ علم لهذا الشهر المخصوص، وهو علم جنس، وفي تسميته رمضان أقوال:

أحدها: أنه وافق مجيئه في الرمضاء، وهي شدة الحر، فسمي به كربيع لموافقته الربيع، وجمادى لجمود الماء فيه.

وثانيها: أنه يرمض الذنوب؛ أي: يحرقها، بمعنى: يمحوها.

---

(١) أبو البقاء. (٢) جمل.

وثالثها: أن القلوب ترمض؛ أي: تحترق فيه من الموعظة.

﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾: في الأصل مصدر قرأت، ثم صار علماً لما بين الدفتين، وهو من قرأ بالهمزة إذا جمع؛ لأنه يجمع السور والآيات والحكم والمواعظ، والجمهور علي همزة، وقرأ ابن كثير من غير همز بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، ثم حذفها.

﴿دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾؛ أي: دعاء الداعي لا خصوص المرة، فـ(فعلة) ليست هنا للمرة؛ لأن محل كونها للمرة إذا لم يبن المصدر عليها كضربة، وأما إذا بُني المصدر عليها كرحمة ودعوة: فلا تكون للمرة إلا بذكر الواحدة، كما هو مبين في محله.

والياءان[1] من قوله: ﴿ٱلدَّاعِ﴾ و﴿دَعَانِ﴾ من الزوائد عند القراء، ومعنى ذلك أن الصحابة لم تثبت لها صورة في المصحف، فمن القراء من أسقطها تبعاً للرسم، وقفاً ووصلاً، ومنهم من يثبتها في الحالين، ومنهم من يثبتها وصلاً ويحذفها وقفاً. ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى﴾ السين والتاء فيه زائدان بمعنى: فليجيبوا لي، ويكون استفعل فيه بمعنى: أفعل الرباعي، وهو كثير في القرآن، كقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ﴾، ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾: إلا أن تعديته في القرآن باللام، وقد جاء في كلام العرب معدى بنفسه، قال الشاعر:

وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيْبُ إِلَىٰ ٱلنِّدَا ... فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيْبُ

أي: فلم يجبه، ونظيره من كلام العرب كاستحصد الزرع بمعنى: أحصد، واستعجل الشيء بمعنى: أعجل، واستقر بمعنى أقر، وكون استفعل بمعنى أفعل هو أحد المعاني التي ذكروها لـ(استفعل).

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ يقال: رَشِدَ[2] رشداً من باب تعب، ورشد يرشد من باب قتل، فهو راشد، والاسم الرشاد ويتعدى بالهمزة، والرشد والرشاد

---

(١) جمل.
(٢) مصباح.

الصلاح، وهو خلاف الغي والضلال، وهو إصابة الصواب.

﴿ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ يقال: رفث في منطقه رفثاً من باب طلب، ويرفِث ـ بالكسر ـ لغة: إذا أفحش فيه، أو صرح بما يكنى عنه من ذكر النكاح، والمراد بالرفث هنا: الجماع. ﴿نِسَآئِكُمْ﴾ والهمزة[1] في نساء مبدلة من واو، لقولك في معناه نسوة، وهو جمع لا واحد له من لفظه، بل واحدته امرأة، وقيل النساء جمع نسوة، والنسوة جمع امرأة فهو جمع الجمع.

﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ﴾ يقال: تبين الشيء وبان وأبان واستبان كله لازم، وقد يستعمل أبان واستبان وتبين متعديةً.

البلاغة

﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ﴾ التشبيه في الفرضية لا في الكيفية، وهذا التشبيه يسمى عندهم تشبيهاً مرسلاً مجملاً.

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ﴾ فيه إظهار في مقام الإضمار؛ ليدل على التنويه به والتعظيم له، وفيه من أنواع المجاز: المجاز اللغوي؛ وهو إطلاق اسم الكل على الجزء، حيث أطلق الشهر وهو اسم للكل، وأراد جزءاً منه.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ فيه من المحسنات البديعية: طباق السلب؛ وهو أن يجمع المتكلم في كلامه بين لفظين يتنافى وجود معناهما معاً في شيء واحد في وقت واحد، وخلاصة هذا الكلام أن طباق السلب: هو ما اختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً بحيث يجمع بين فعلين من مصدر واحد أحدهما مثبت مرة والآخر منفي تارةً أخرى في كلام واحد نحو قوله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾.

﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ علة للأمر بمراعاة العدد ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ علة للأمر بالقضاء، وبيان كيفيته. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ علة للترخيص والتيسير، وهذا نوع من اللف لطيف المسالك، لا يكاد يهتدي إلى تبيينه إلا النقاد من علماء البيان.

---

(١) عكبري.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾؛ أي: عن قربي وبعدي، ففيه مجاز بالحذف.

﴿ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾: ﴿الرفث﴾: الجماع، وعداه بإلى وإن كان أصله التعدية بالباء؛ لتضمينه معنى الافضاء، وحسن اللفظ به هذا التضمين، فصار ذلك قريباً من الكنايات التي جاءت في القرآن من قوله: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾، ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾، ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ﴾ مثلاً.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ جمعت[1] هذه الآية ثلاثة أنواع من البيان: الطباق المعنوي بقوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ فإنه يقتضي تحريماً سابقاً، فكأنه قيل: أحل لكم ما حرم عليكم، أو ما حرم على من قبلكم، والكناية: بقوله: ﴿ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ وهو كناية عن الجماع، والاستعارة البديعة بقوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ فإنه شبه[2] كل واحد من الزوجين لاشتماله على صاحبه في العناق والضم باللباس المشتمل على لابسه؛ أي: كالفراش واللحاف، وحاصله أنه تمثيل لصعوبة اجتنابهن وشدة ملابستهن، أو لستر أحدهما الآخر عن الفجور.

﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ فيه مجازان[3]؛ لأنه شبه بالخيط الأبيض ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق، وبالأسود ما يمتد معه من غبش الليل وظلامه، شبها بخيطين أبيض وأسود، وأخرجه من الاستعارة إلى التشبيه قوله: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ كقولك: رأيت أسداً من زيد، فلو لم يذكر من زيد كان استعارة، وكان التشبيه هنا أبلغ من الاستعارة؛ لأن الاستعارة لا تكون إلا حيث يدل عليها الحال أو الكلام، وهنا لو لم يأت من الفجر.. لم يعلم الاستعارة.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

(١) البحر المحيط.

(٢) جمل.

(٣) البحر المحيط.

قال الله سبحانه جلّ وعلا:

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨) يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٨٩) وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ (١٩١) فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٢) وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ (١٩٣) ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ (١٩٤) وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ (١٩٥)﴾.

المناسبة

قوله تعالى[1]: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ...﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة: وذلك أن من يعبد الله تعالى بالصيام، فحبس نفسه عما تعوده من الأكل والشرب والمباشرة بالنهار، ثم حبس نفسه بالتقييد لها في مكان تعبد الله تعالى صائماً له ممنوعاً من اللذة الكبرى بالليل والنهار، جدير أن لا يكون مطعمه ومشربه إلا من الحلال الخالص الذي ينور القلب، ويزيده بصيرة، ويفضي به إلى الاجتهاد في العبادة.. فلذلك نهى عن أكل الحرام الذي يمضي به إلى عدم قبول عبادته من صيامه واعتكافه.

وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ...﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة: وهي أن ما قبلها من الآيات نزلت في الصيام، وأن صيام رمضان مقرون برؤية الهلال، وكذلك الإفطار في شهر شوال، ولذلك قال ﷺ: «صوموا لرؤيته

---

(١) البحر المحيط.

وأفطروا لرؤيته».

وكان أيضاً قد تقدم كلام في شيء من أعمال الحج، وهو الطواف والحج أحد الأركان التي بني عليها الإسلام، وكان قد مضى الكلام في توحيد الله تعالى، وفي الصلاة والزكاة والصيام، فأتى بالكلام على الركن الخامس وهو الحج، ليكون قد كملت الأركان التي بُني الإسلام عليها.

قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ. . .﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما ذكر أن الأهلة مواقيت للحج.. استطرد إلى ذكر شيء كانوا يفعلونه في الحج زاعمين أنه من البر، فبين لهم أن ذلك ليس من البر، وإنما جرت العادة به قبل الحج أن يفعلوه في الحج، ولما ذكر سؤالهم عن الأهلة بسبب النقصان والزيادة، وما حكمة ذلك، وكان من المعلوم أنه تعالى حكيم فأفعاله جارية على الحكمة.. رد عليهم بأن ما يفعلونه من إتيان البيوت من ظهورها إذا أحرموا ليس من الحكمة في شيء، ولا من البر، ولما وقعت القصتان في وقت واحد.. نزلت الآية فيهما معاً، ووصل إحداهما بالأخرى.

قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ. . .﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه تعالى لمّا أمرهم بالتقوى، وكان أشد أقسام التقوى وأشقها على النفس قتال أعداء الله.. أمر به، فقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، والظاهر أن المقاتلة في سبيل الله هي الجهاد في الكفار لإظهار دين الله وإعلاء كلمته، وأكثر علماء التفسير أنها أول آية نزلت في الأمر بالقتال، أمر فيها بقتال من قاتل والكف عمن كف، فهي ناسخة لآية الموادعة.

أسباب النزول

قوله تعالى[1]: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟. . .﴾ أخرج بن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير

(١) لباب النقول.

قال: إن امرىء القيس بن عابس الكندي وعبدان بن الأشوع الحضرمي اختصما في أرض، وأراد امرؤ القيس أن يحلف، ففيه نزلت: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ . . .﴾.

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ . . .﴾ أخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي، عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: سأل الناس رسول الله ﷺ عن الأهلة، فنزلت هذه الآية.

وأخرج أبو نعيم وابن عساكر من طريق السدي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن معاذ بن جبل، وثعلبة بن غنم قالا: يا رسول الله، ما بال الهلال يبدو ويطلع دقيقاً مثل الخيط، ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير، ثم لا يزال ينقص ويدق، حتى يعود كما كان، ولا يكون على حال واحد كالشمس؟ فنزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ . . .﴾.

قوله تعالى[1]: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا . . .﴾ روى البخاري عن البراء ـ رضي الله عنه ـ نزلت هذه الآية فينا، كانت الأنصار إذا حجّوا فجاؤوا. . لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم، ولكن من ظهورها، فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه، فكأنه عُيِّر بذلك، فنزلت: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ . . .﴾ أخرج[2] الواحدي من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في صلح الحديبية، وذلك أن رسول الله ﷺ لما صُدَّ من البيت الحرام. . صالحه المشركون على أن يرجع عامه ذلك، ثم يرجع من العام المقبل، فلما كان العام القابل تجهز هو وأصحابه لعمرة القضاء، وخافوا أن لا تفي قريش بذلك، وأن يصدوهم عن المسجد الحرام ويقاتلوهم، وكره أصحابه قتالهم في الشهر الحرام. . فأنزل الله ذلك.

---

(١) البخاري.

(٢) لباب النقول.

قوله تعالى: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ . . .﴾ أخرج ابن جرير عن قتادة قال: أقبل نبي الله ﷺ وأصحابه معتمرين في ذي القعدة، ومعهم الهدي، حتى إذا كانوا بالحديبية. . صدهم المشركون، وصالحهم النبي ﷺ على أن يرجع من عامه ذلك، ثم يرجع من العام المقبل، فلما كان العام المقبل. . أقبل هو وأصحابه حتى دخلوا مكة معتمرين في ذي القعدة، فأقام بها ثلاث ليال، وكان المشركون قد فخروا عليه حين ردوه، فأقصه الله منهم، فأدخله مكة في مثل ذلك الشهر الذي كانوا ردوه فيه، فأنزل الله تعالى: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٌۚ . . .﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ . . .﴾ أخرج البخاري عن حذيفة: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ﴾ قال نزلت في النفقة.

وأخرج أبو داود والترمذي، وصححه ابن حبان والحاكم وغيرهم، عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه. . قال بعضنا لبعض سراً: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام، فلو أقمنا في أموالنا، فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله يرد علينا ما قلنا: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ﴾ فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها، وتركنا الغزو.

التفسير وأوجه القراءة

﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾؛ أي: لا يأخذ بعضكم مال بعض بالطريق الحرام شرعاً كالنهب والغصب واللهو كالقمار، وأجرة المغني، وثمن الخمر والملاهي، والرشوة وشهادة الزور، والخيانة في الأمانة، وذلك لأن الله قدر لكلٍّ رزقه، فلا يتسع بالباطل، ولا يضيق بالحق. ﴿وَ﴾ لا ﴿تدلوا﴾ عطف على المنهي، وقرأ أبي: (ولا تدلوا) بإعادة لا الناهية؛ أي: ولا تلقوا ﴿بِهَآ﴾؛ أي: بحكومتها؛ أي: لا تسرعوا ولا تبادروا بالخصومة على الأموال ﴿إِلَى ٱلۡحُكَّامِ﴾؛ أي: إلى الولاة ليعينوكم على إبطال حق، أو تحقيق باطل ﴿لِتَأۡكُلُواْ﴾؛ أي: تأخذوا بالتحاكم إليهم ﴿فَرِيقٗا﴾؛ أي: قطعة وجملة ﴿مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ وسماها

فريقاً؛ لأنها تفرق بين الناس، وقيل في الكلام تقديم وتأخير والتقدير: لتأكلوا أموال فريق من الناس ﴿بِٱلۡإِثۡمِ﴾؛ أي: بالظلم والعدوان، وقال ابن عباس - رضي الله عنهم - باليمين الكاذبة، وقيل: بشهادة الزور ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾؛ أي: حال كونكم عالمين أن ذلك باطل ليس من الحق في شيء فالإقدام على القبيح مع العلم بقبحه أقبح، وصاحبه بالتوبيخ أحق.

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ سمع جلبة خصم بباب حجرته، فخرج إليهم، فقال: «إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضهم ألحن بحجته من بعض، فأحسب أنه صادق، فأقضي له، فمن قضيت له بحق مسلم، فإنما هي قطعة من النار فليحملها أو يذرها» متفق عليه.

ويستفاد من الآية: أن أكل أموال الناس بالوجه الباطل حرام، فأكله[1] بالباطل على وجوه:

الأول: أن يأكله بطريق التعدي والنهب والغصب.

الثاني: أن يأكله بطريق اللهو كالقمار وأجرة المغني، وثمن الخمر والملاهي ونحو ذلك.

الثالث: أن يأكله بطريق الرشوة في الحكم، وشهادة الزور.

الرابع: الخيانة، وذلك في الوديعة والأمانة ونحو ذلك، وإنما عبر عن أخذ المال بالأكل؛ لأنه المقصود الأعظم، ولهذا وقع في التعارف: فلان يأكل أموال الناس؛ بمعنى: يأخذها بغير حلها.

ولما سأل معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصاريان رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله، ما بال الهلال يبدو دقيقاً، ثم يزيد حتى يمتلىء نوراً، ثم لا يزال ينقص حتى يعود دقيقاً كما بدأ، ولا يكون على حالة واحدة كالشمس؟ نزل قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ﴾؛ أي: يسألك الناس يا محمد ﴿عَنِ﴾ حكمة اختلاف ﴿ٱلۡأَهِلَّةِۖ﴾ بالزيادة والنقصان لماذا؟ وقرأ[2] الجمهور ﴿عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ﴾ بكسر النون

---

(١) الخازن.
(٢) البحر المحيط.

وإسكان لام الأهلة بعدها همزة وورش على أصله من نقل حركة الهمزة وحذف الهمزة، وقرىء شاذاً بإدغام نون عن في لام الأهلة بعد النقل والحذف، و﴿ٱلۡأَهِلَّةِۖ﴾ جمع هلال، وهو اسم لما يبدو أول الشهر، ويسمى بالهلال ليلتين أو ثلاثاً، وبعد ذلك يسمى: قمراً، وسمي هلالاً؛ لأن الناس يرفعون أصواتهم عند رؤيته، وإنما جمعها نظراً إلى هلال كل شهر، أو كل ليلة تنزيلاً لاختلاف الأوقات منزلة اختلاف الذوات.

﴿قُلۡ﴾ لهم يا محمد ﴿هِيَ﴾؛ أي: الأهلة ﴿مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾؛ أي: علامات لأوقات أغراض الناس الدينية والدنيوية ﴿و﴾ علامات لأوقات ﴿الحج﴾؛ يعني أن الحكمة في زيادة القمر ونقصانه: زوال الالتباس عن أوقات أغراض الناس في متاجرهم وآجال ديونهم وعدد نسائهم، وأيام حيضهن، وأجور أجرائهم، ومدد حواملهم، وصومهم وفطرهم، وأوقات زرعهم، ودخول وقت الحج وخروجه، وإنما أفرد الحج بالذكر مع دخوله في بقية الأغراض.. اعتناء بشأنه من حيث أن الوقت أشد لزوماً له من بقية العبادات: وذلك لأنه لا يصح فعله أداء ولا قضاء إلا في وقته المعلوم، وأما غيره من العبادات، فلا يتقيد قضاؤه بوقت أدائه، وقرأ الجمهور: ﴿وَٱلۡحَجِّۗ﴾ بفتح الحاء، وقرأ ابن أبي إسحاق ـ شذوذاً ـ بكسرها في جميع القرآن.

﴿وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ﴾ والخير ﴿بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ﴾ وتدخلوا في حال الإحرام. ﴿مِن ظُهُورِهَا﴾ وسطوحها وخلفها كما فعلوا ذلك في الجاهلية وصدر الإسلام، فكان[1] الرجل إذا أحرم بالعمرة أو الحج.. لم يحل بينه وبين السماء شيء، فإن كان من أهل المدر.. نقب نقباً في ظهر بيته يدخل منه، أو يتخذ سلماً ليصعد، وإن كان من أهل الوبر.. دخل وخرج من خلف الخباء، ولا يدخل ولا يخرج من الباب، وكان إذا عرضت له حاجة في بيته.. لا يدخل من باب الحجرة من أجل سقف الباب مخافة أن يحول بينه وبين السماء شيء، فيفتح الجدار من

(١) خازن.

ورائه، ثم يقف في صحن داره، فيأمر بحاجته.

ووجه[1] اتصال هذا الكلام بالسؤال عن الأهلة والجواب عنه: أنهم سألوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر، وعن حكم دخولهم بيوتهم من غير أبوابها.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾ بر ﴿مَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ محارم الله ومخالفة أمره كالصيد، وتوكل على الله في جميع أموره، وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف لكنْ ورفع البرُ، والباقون ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾ بالتشديد والنصب، ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ﴾ جمع بيت ككعب وكعوب، وقرىء بضم الباء وكسرها؛ أي: وادخلوا بيوتكم في حالة الإحرام ﴿مِنْ أَبْوَٰبِهَاۚ﴾ التي كنتم تدخلونها وتخرجون منها قبل ذلك؛ إذ ليس في العدول عنها بر، فباشروا الأمور من وجوهها ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: خافوا الله في تغيير أحكامه والاعتراض على أفعاله فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾؛ أي: لكي تفوزوا بالخير في الدين والدنيا، والنعيم السرمدي في الآخرة، أو لكي تنجوا من السخط والعذاب.

﴿وَقَٰتِلُوا۟﴾؛ أي: جاهدوا أيها المهاجرون، والخطاب للمهاجرين كما قاله ابن جرير ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: في طاعته وطلب رضوانه في الحل والحرم لإعلاء كلمته وإعزاز دينه. وعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.. فهو في سبيل الله». ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾؛ أي: الذين يبدؤونكم بالقتال من الكفار؛ يعني: قريشاً، ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ۚ﴾ عليهم ولا تظلموا بإبتداء القتال في الحرم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾؛ أي: لا يريد الخير بالمتجاوزين الحد بمخالفة أمره ونهيه، وهذا منسوخ بآية براءة: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾، أو بقوله: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾؛ أي: في أي محل وجدتموهم فيه من الحل والحرم وإن لم يبدؤوكم ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْۚ﴾؛ يعني: من مكة، وقد فعل بهم رسول الله ﷺ ذلك

---

(١) البحر المحيط.

القتل والإخراج بمن لم يسلم منهم عام الفتح.

﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾؛ أي: شركهم بالله وعبادة الأوثان في الحرم وصدهم لكم عنه ﴿أَشَدُّ﴾؛ أي: أشر وأقبح. ﴿مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾؛ أي: من قتلكم إياهم في الحرم الذي استعظمتموه، وإنما[1] كان الشرك أعظم من القتل؛ لأن الشرك بالله ذنب يستحق صاحبه الخلود في النار، وليس القتل كذلك، والكفر يخرج صاحبه من الأمة، وليس القتل كذلك، فثبت أن الفتنة أشد من القتل، وهذه الجملة جواب عن سؤال مقدر؛ تقديره: إن خفتم أن تقاتلوهم في الشهر الحرام وراعيتم حرمة الشهر والإحرام والحرم.. فالشرك الذي حصل منهم الذي فيه تهاون برب الحرم أبلغ، أو المعنى: والمحن التي يفتتن بها الإنسان كالإخراج من الوطن أشد؛ أي: أصعب من القتل، لدوام تعبها وبقاء تألم النفس بها.

﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ﴾؛ أي: لا تبدؤوهم بالقتال ﴿عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾؛ أي: في الحرم ﴿حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾؛ أي: حتى يبدؤوكم بالقتال فيه؛ أي: في الحرم ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ﴾؛ أي: فإن بدؤوكم بالقتال في الحرم ﴿فَٱقْتُلُوهُمْ﴾؛ أي: فقاتلوهم فيه ولا تبالوا بقتالهم فيه؛ لأنهم الذين هتكوا حرمته، فاستحقوا أشد العذاب، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم﴾ كله بغير ألف؛ والمعنى: حتى يقتلوا بعضكم، كقولهم: قتلنا بنو أسد.

واختلف العلماء في هذه الآية[2] هل هي محكمة أم لا؟ فذهب مجاهد في جماعة من العلماء إلى أنها محكمة، وأنه لا يحل أن يقاتل في المسجد الحرام إلا من قاتل فيه وثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «إن مكة لا تحل لأحد قبلي ولا لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار، ثم عادت حراماً إلى يوم القيامة». فثبت بهذا تحريم القتال في الحرم إلا أن يُقَاتَلوا فيقَاتِلوا، ويكون دفعاً لهم.

---

(١) خازن.

(٢) خازن.

وذهب قتادة إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله سبحانه: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ فأمر بقتالهم في الحل والحرم، وقيل: إنها منسوخة بقوله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: مثل هذا الجزاء الواقع منكم بالقتل والإخراج ﴿جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: يفعل بهم مثل ما فعلوا بغيرهم من المؤمنين.

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ عن قتالكم ودخلوا في الإسلام ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ما سلف منهم من الكفر ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم بقبول توبتهم وإيمانهم بعد كفرهم وقتالهم.

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ﴾؛ أي: وبادئوا المشركين بالقتال في الحل والحرم ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾؛ أي: حتى يسلموا ولا يوجد شرك، ﴿و﴾ حتى ﴿يكون الدين﴾ كله والعبادة خالصاً ﴿لِلَّهِ﴾ وحده ليس للشيطان فيه نصيب ولا يعبد في الحرم وغيره إلا الله، وترك[1] هنا ﴿كله﴾ وذكره في الأنفال؛ لأن القتال هنا مع أهل مكة فقط، وتم مع جميع الكفار فناسب ذكره، ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ وانزجروا وانكفوا عن الكفر وقتالكم في الحرم.. فلا تعتدوا عليهم، دل عليهم ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ﴾؛ أي: فلا اعتداء بقتل أو غيره؛ أي: فلا سبيل لكم بالقتل ﴿إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: على المبتدئين بالقتل، أو المعنى: فإن انتهوا عن الأمر الذي يوجب قتالهم، وهو إما كفرهم، أو قتالهم.. فلا قتل إلا على الذين لا ينتهون عن الكفر، فإنهم بإصرارهم على كفرهم ظالمون أنفسهم، وسمي جزاء الظالمين ظلماً للمشاكلة.

﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ﴾ الذي دخلت فيه ـ يا محمد ـ لقضاء العمرة؛ وهو ذو القعدة من السنة السابعة، وسمي بالحرام لحرمة القتال فيه مقابل ﴿بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ الذي صدوك فيه عن دخول مكة؛ وهو ذو القعدة من السنة السادسة؛ أي: من استحل دمكم من المشركين في الشهر الحرام.. فاستحلوه فيه؛ أي: إن قاتلوكم فيه فقاتلوهم فيه ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ﴾ جمع حرمة؛ وهي ما يجب احترامه، وقرأ الحسن شذوذاً: ﴿والحرْمات﴾ بإسكان الراء على الأصل؛ إذ هو جمع حرمة، والضم في

---

(١) كرخي.

الجمع إتباع؛ أي: الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الإحرام. ﴿قِصَاصٌ﴾؛ أي: يجري فيه قصاص وبدل؛ أي: فكما هتكوا حرمة شهركم بالصد والقتال.. فافعلوا بهم مثله، وادخلوا عليهم عنوة فاقتلوهم إن قاتلوكم، ولا تبالوا بالحرمات كما قال: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾؛ أي: تعدى ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بالقتال في الحرم أو الإحرام، أو الشهر الحرام ﴿فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ﴾؛ أي: جازوه ﴿بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: بعقوبة مثل الجناية التي اعتدى عليكم بها، سمي المجازاة اعتداء للمشاكلة، وكان مقتضى الظاهر أن يقال: فمن اعتدى عليكم فقابلوه وجازوه بمثل ما اعتدى عليكم به ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: خافوا الله في الانتصار ممن اعتدى عليكم، فلا تعتدوا إلى ما لم يرخص لكم فيه. ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بالنصر والحفظ فيحرسهم ويصلح شأنهم.

والحاصل: أنه لما أباح لهم الاقتصاص بالمثل، وشأن النفس حب المبالغة في الانتقام.. حذرهم من ذلك فقال: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾

﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: وابذلوا أموالكم وأنفسكم في طاعة الله ومراضيه سواء الجهاد وغيره، فالإنفاق[1]: صرف المال في وجوه المصالح الدينية، كالإنفاق في الحج والعمرة، وصلة الرحم والصدقة، وفي الجهاد وتجهيز الغزاة، وعلى النفس والعيال وغير ذلك مما فيه قربة إلى الله تعالى؛ لأن كل ذلك مما هو في سبيل الله، لكن إذا أطلقت هذه اللفظة.. انصرفت إلى الجهاد ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ﴾؛ أي: ولا توقعوا ولا تطرحوا أنفسكم ﴿إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾؛ أي: إلى الهلاك، وعبر بالأيدي عن الأنفس اكتفاء بالجزء الأهم؛ لأن بها البطش والحركة؛ أي: لا تلقوا أنفسكم إلى الهلاك بالإسراف وتضييع وجه المعاش، أو بالكف عن الغزو والإنفاق فيه؛ لأن به يقوى العدو، وتكثر المصائب في الدين والذل لأهله كما هو مشاهد، ومن أنفق أمواله ونفسه في سبيل الله.. فقد ألقى نفسه إلى العز الدائم في الدنيا والآخرة.

---

(١) خازن.

﴿وَأَحْسِنُوٓا۟﴾ أعمالكم وأخلاقكم، أو أحسنوا في الانفاق على من تلزمكم مؤنته بأن يكون ذلك الإنفاق وسطاً، فلا تسرفوا ولا تقتروا، أو أحسنوا الظن بالله في الإخلاف عليكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: يريد بهم الخير ويثيبهم على إحسانهم.

الإعراب

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾.

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟﴾ ﴿الواو﴾ استئنافية، ﴿لا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَأْكُلُوٓا۟﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، والجملة مستأنفة. ﴿أَمْوَٰلَكُم﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿بَيْنَكُم﴾: ظرف ومضاف إليه، والظرف متعلق بـ﴿تَأْكُلُوٓا۟﴾، وعبارة[1] «السمين» هنا قوله: ﴿بَيْنَكُم﴾: في هذا الظرف وجهان:

أحدهما: أن يتعلق بـ﴿تَأْكُلُوٓا۟﴾ بمعنى لا تتناولوها فيما بينكم بالأكل.

والثاني: أنه متعلق بمحذوف؛ لأنه حال من ﴿أَمْوَٰلَكُم﴾؛ أي: لا تأكلوها كائنة بينكم.

﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تَأْكُلُوٓا۟﴾، وفي «السمين»[2] قوله ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾: فيه وجهان:

أحدهما: تعلقه بالفعل؛ أي: لا تأخذوها بالسبب الباطل.

والثاني: أن يكون حالاً فيتعلق بمحذوف، ولكن في صاحبها احتمالان:

أحدهما: أنه المال، كأن المعنى لا تأكلوها متلبسة بالباطل.

والثاني: أنه الضمير في تأكلوا، كأن المعنى لا تأكلوها مبطلين؛ أي: متلبسين بالباطل.

---

(١) جمل. (٢) جمل.

﴿وَتُدْلُوا۟﴾: الواو: عاطفة. ﴿تدلوا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿تَأْكُلُوٓا۟﴾ مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية. ﴿بِهَآ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تدلوا﴾. ﴿إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تدلوا﴾ أيضاً. ﴿لِتَأْكُلُوا۟﴾: ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل، ﴿تأكلوا﴾: فعل وفاعل منصوب بـ﴿أن﴾ مضمرة جوازاً بعد لام كي. ﴿فَرِيقًا﴾: مفعول به. ﴿مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بمحذوف صفة لـ﴿فَرِيقًا﴾؛ تقديره: فريقاً كائناً من أموال الناس، وجملة ﴿تَأْكُلُوٓا۟﴾ صلة ﴿أن﴾ المضمرة، ﴿أن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بـ﴿لام﴾ التعليل؛ تقديره: لأكلكم فريقاً ﴿مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ الجار والمجرور متعلق بـ﴿تدلوا﴾. ﴿بِٱلْإِثْمِ﴾: جار ومجرور متعلق بقوله: ﴿لِتَأْكُلُوا۟﴾، وعبارة «السمين» قوله: ﴿بِٱلْإِثْمِ﴾: يحتمل أن تكون ﴿الباء﴾ سببية، فتتعلق بقوله: ﴿لِتَأْكُلُوا۟﴾، وأن تكون للمصاحبة؛ فتكون حالاً من الفاعل في ﴿لِتَأْكُلُوا۟﴾، وتتعلق بمحذوف؛ أي: لتأكلوا ملتبسين بالإثم. ﴿وَأَنتُمْ﴾: الواو: حالية، ﴿أنتم﴾: مبتدأ. ﴿تَعْلَمُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب حال من فاعل ﴿لِتَأْكُلُوا۟﴾، وذلك على رأي من يجيز تعدد الحال، وأما من لا يجيز تعدده: فيجعل ﴿بِٱلْإِثْمِ﴾ غير حال.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة مستأنفة. ﴿عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يسألون﴾. ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿هِىَ﴾، مبتدأ. ﴿مَوَٰقِيتُ﴾: خبر، والجملة في محل النصب مقول القول. ﴿لِلنَّاسِ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لـ﴿مَوَٰقِيتُ﴾؛ تقديره: كائنات للناس. ﴿وَٱلْحَجِّ﴾: معطوف على ﴿ٱلنَّاسِ﴾.

﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾.

﴿وَلَيْسَ﴾: ﴿الواو﴾ استئنافية، ﴿ليس البرُّ﴾. فعل ناقص واسمه. ﴿بِأَن تَأْتُوا۟﴾: ﴿الباء﴾: زائدة. ﴿أن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿تَأْتُوا۟﴾: فعل وفاعل منصوب بـ﴿أن﴾. ﴿ٱلْبُيُوتَ﴾: مفعول به. ﴿مِن ظُهُورِهَا﴾: جار ومجرور

ومضاف إليه متعلق بـ﴿تَأْتُوا﴾، وجملة ﴿تَأْتُوا﴾ صلة ﴿أن﴾ المصدرية، ﴿أن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر منصوب على كونه خبر ﴿ليس﴾ تقديره: وليس البر إتيانكم البيوت من ظهورها، وجملة ﴿ليس﴾ مستأنفة.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَلَٰكِنَّ﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة، ﴿لكن﴾ حرف نصب واستدراك. ﴿ٱلْبِرَّ﴾: اسمها ﴿مَنِ﴾: اسم موصول في محل الرفع خبر ﴿لكن﴾، ولكنه على حذف مضاف؛ تقديره: ولكن البرَّ برُّ من اتقى كما مر في الحل، والجملة معطوفة على جملة ﴿ليس البر﴾. ﴿ٱتَّقَىٰۗ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾، والجملة صلة الموصول. ﴿وَأْتُوا﴾: الواو: عاطفة، ﴿أتوا البيوت﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على جملة ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾. ﴿مِنْ أَبْوَٰبِهَاۚ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿أتوا﴾. ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة، ﴿ٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾. ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: ﴿لعل﴾: حرف نصب وتعليل، والكاف: اسمها، وجملة ﴿تُفْلِحُونَ﴾: خبرها، وجملة ﴿لعل﴾ في محل الجر بـ﴿لام﴾ التعليل المقدرة المتعلقة بـ﴿أتقوا﴾؛ تقديره: واتقوا الله؛ لفوزكم وفلاحكم.

﴿وَقَٰتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾.

﴿وَقَٰتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: ﴿الواو﴾ استئنافية. ﴿قاتلوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿قاتلوا﴾ ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول به. ﴿يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الفاعل. ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاۚ﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة. ﴿لا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَعْتَدُوٓاۚ﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، والجملة معطوفة على جملة ﴿قاتلوا﴾. ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب، ﴿ٱللَّهَ﴾

اسمها ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُحِبُّ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ مفعول به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل الجر بلام التعليل.

﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾.

﴿وَٱقْتُلُوهُمْ﴾ الواو: استئنافية، ﴿اقتلوهم﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على جملة قوله: و﴿وَقَٰتِلُوا﴾. ﴿حَيْثُ﴾: ظرف مكان في محل النصب على الظرفية، والظرف متعلق بـ﴿اقتلوهم﴾. ﴿ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿حَيْثُ﴾. ﴿وَأَخْرِجُوهُم﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة، ﴿أخرجوهم﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على جملة ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ﴾. ﴿مِّنْ حَيْثُ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أخرجوا﴾. ﴿أَخْرَجُوكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿حَيْثُ﴾. ﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾: الواو: اعتراضية. ﴿الفتنة﴾: مبتدأ. ﴿أَشَدُّ﴾: خبر. ﴿مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾: متعلق به، والجملة معترضة لا محل لها من الإعراب لاعتراضها بين المعطوف والمعطوف عليه.

﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ﴾: الواو: عاطفة، ﴿لا﴾: ناهية، ﴿تقاتلوهم﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا﴾، مؤكدة لها ومفسرة. ﴿عِندَ ٱلْمَسْجِدِ﴾: ظرف ومضاف إليه. ﴿ٱلْحَرَامِ﴾: صفة لـ﴿ٱلْمَسْجِدِ﴾، والظرف متعلق بـ﴿تُقَٰتِلُوهُمْ﴾. ﴿حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾: ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جر وغاية. ﴿يُقَٰتِلُوكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول منصوب بـ﴿أن﴾ مضمرة. ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة صلة أن المضمرة في تأويل مصدر مجرور بـ﴿حتى﴾؛ تقديره: إلى مقاتلتهم إياكم، الجار والمجرور متعلق بقوله: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ﴾.

﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿فَإِن﴾: الفاء: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر؛ تقديره: إذا عرفتم حكم ما إذا لم يقاتلوكم، وأردتم بيان حكم ما إذا قاتلوكم.. فأقول: إن قاتلوكم، ﴿إن﴾: حرف شرط. ﴿قَٰتَلُوكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول في محل الجزم بـ﴿إن﴾ على كونه فعل شرط لها. ﴿فَٱقْتُلُوهُمْ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إن﴾ الشرطية وجوباً. ﴿اقتلوهم﴾: فعل وفاعل ومفعول في محل الجزم بـ﴿إن﴾ على كونه جواباً لها، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل النصب، مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿جَزَآءُ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. مضاف إليه، والجملة مستأنفة.

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾﴾.

﴿فَإِنِ﴾ الفاء: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر؛ تقديره: إذا عرفت حكم ما إذا قاتلوا، وأردت بيان حكم ما إذا انتهوا.. فأقول لك: إن انتهوا، ﴿إن﴾: حرف شرط. ﴿ٱنتَهَوْا۟﴾: فعل وفاعل في محل الجزم بـ﴿إن﴾ على كونه فعل الشرط. ﴿فَإِنَّ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إن﴾ الشرطية، ﴿إن﴾: حرف نصب وتوكيد. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿غَفُورٌ﴾: خبر أول لها. ﴿رَّحِيمٌ﴾: خبر ثان، وجملة إنَّ في محل الجزم بـ﴿إن﴾ على كونها جواباً لها، وجملة إن الشرطية في محل النصب، مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة.

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾.

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ﴾ الواو: استئنافية، ﴿قاتلوهم﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة مستأنفة. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جر وغاية. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تَكُونَ﴾: فعل مضارع تام منصوب بـ﴿أن﴾ مضمرة. ﴿فِتْنَةٌ﴾: فاعل، والجملة صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بـ﴿حَتَّىٰ﴾ بمعنى إلى المتعلقة بـ﴿قاتلوهم﴾؛ تقديره: وقاتلوهم إلى عدم فتنة وشرك. ﴿وَيَكُونَ﴾: الواو: عاطفة، ﴿يكون﴾: فعل مضارع معطوف على تكون، منصوب بـ﴿أن﴾ مضمرة، ولكن يصح كونها ناقصة وتامة، وعلى كونها ناقصة: ﴿ٱلدِّينُ﴾: اسمها. ﴿لِلَّهِ﴾: جار ومجرور متعلق

بمحذوف خبر ﴿يكون﴾؛ تقديره: ويكون الدين خالصاً لله، والجملة في محل الجر معطوفة على جملة ﴿لَا تَكُونَ﴾ تقديره: وقاتلوهم إلى عدم فتنة، وإلى كون الدين خالصاً لله.

﴿فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

﴿فَإِنِ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر؛ تقديره: إذا عرفت وجوب مقاتلتهم إلى عدم الفتنة، وأردت بيان حكم ما إذا انتهوا.. فأقول لك: إن انتهوا، ﴿إن﴾: حرف شرط جازم. ﴿انتَهَوْا﴾: فعل وفاعل في محل الجزم بـ﴿إن﴾. ﴿فَلَا عُدْوَانَ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب إن وجوباً. ﴿لا﴾: نافية تعمل عمل إن. ﴿عُدْوَانَ﴾: في محل النصب اسمها. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿عَلَى الظَّالِمِينَ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر ﴿لا﴾؛ تقديره: فلا عدوان كائن إلا على الظالمين، وجملة ﴿لا﴾ في محل الجزم بـ﴿إن﴾ على كونها جواباً لها، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة.

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾.

﴿الشَّهْرُ﴾: مبتدأ. ﴿الْحَرَامُ﴾: صفة له. ﴿بِالشَّهْرِ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿الْحَرَامِ﴾: صفة للشهر مجرور؛ والتقدير: الشهر الحرام مقابل الشهر الحرام، والجملة مستأنفة. ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾ على كونها مستأنفة.

﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾.

﴿فَمَنِ﴾: ﴿الفاء﴾: تفريعية، وهي التي كان ما قبلها علة لما بعدها. ﴿من﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط على الراجح. ﴿اعْتَدَىٰ﴾: فعل ماضٍ في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونه فعل شرط لها، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿اعْتَدَىٰ﴾. ﴿فَاعْتَدُوا﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿مَن﴾ الشرطية؛ لكون الجواب

جملة طلبية، ﴿اعتدوا﴾: فعل وفاعل في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونه جواب الشرط، وجملة ﴿من﴾ الشرطية معطوفة على جملة قوله ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾؛ لأنها مفرعة عليها. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿اعتدوا﴾. ﴿بِمِثْلِ﴾: جار ومجرور متعلق أيضاً بـ﴿أعتدوا﴾.

وعبارة «السمين»[1] في هذه ﴿الباء﴾ قولان:

أحدهما: أن تكون غير زائدة، بل تكون متعلقة بـ﴿اعتدوا﴾، والمعنى: بعقوبة مثل جناية اعتدائه.

والثاني: أنها زائدة؛ أي: مثل اعتدائه، فيكون نعتاً لمصدر محذوف، أي: اعتداء مماثلاً لاعتدائه، و(ما) يجوز أن تكون مصدرية، فلا تفتقر إلى عائد، وأن تكون موصولة، فيكون العائد محذوفاً، أي: بمثل ما اعتدى عليكم به، وجاز حذفه؛ لأن المضاف إلى الموصول قد جر بحرف جر، وبه العائد، واتحد المتعلقان. انتهى.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: ﴿الواو﴾ استئنافية، ﴿اتقوا الله﴾: فعل وفاعل ومفعول والجملة مستأنفة. ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟﴾: الواو: عاطفة، ﴿اعلموا﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿اتقوا﴾. ﴿أَنَّ﴾: حرف نصب ومصدر، ﴿ٱللَّهَ﴾. اسمها. ﴿مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بمحذوف خبر ﴿أَنَّ﴾، وجملة ﴿أَنَّ﴾ في تأويل مصدر سادٌّ مسد مفعولي ﴿اعلموا﴾؛ تقديره: واعلموا كون الله مع المتقين.

﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾.

﴿وَأَنفِقُوا۟﴾: ﴿الواو﴾ استئنافية، ﴿انفقوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿أنفقوا﴾. ﴿وَلَا تُلْقُوا۟﴾

---

(١) جمل.

الواو: عاطفة، ﴿لا﴾: ناهية جازمة، ﴿تُلْقُوا﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، والجملة معطوفة على جملة ﴿وَأَنفِقُوا﴾. ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾: ﴿الباء﴾: زائدة، ﴿أيديكم﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تُلْقُوا﴾.

﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَأَحْسِنُوا﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة، ﴿أحسنوا﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿أنفقوا﴾. ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب وتوكيد. ﴿اللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يُحِبُّ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهَ﴾. ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾: مفعول به، وجملة ﴿يُحِبُّ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل الجر بـ﴿لام﴾ التعليل المقدرة؛ تقديره: وأحسنوا لمحبة الله المحسنين؛ أي: لطلب محبته إياكم.

التصريف ومفردات اللغة

﴿الباطل﴾: اسم فاعل من بطل الشيء يبطل بطولاً فهو باطل؛ أي: زائل ذاهب، والمراد هنا الطريق الحرام كالنهب والغصب ﴿وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ يقال: أدلى الدلو في البئر إذا أرسلها فيه؛ فهو من الرباعي المزيد، والمراد بالإدلاء هنا: المبادرة إلى الحكام بالخصومة، أو بالرشوة ليحكم له بالباطل.

﴿الْأَهِلَّةِ﴾: جمع هلال، وهو القمر أول ما يراه الناس ليلة أو ليلتين أو ثلاثاً كما مر، ثم يكون قمراً، ثم بدراً حين تكامل نوره، وأصل الأهلة: أهللة، نقلت كسرة اللام الأولى إلى الساكن قبلها، ثم أدغمت في اللام الأخرى، وهو جمع مقيس في فعال المضعف نحو عِنَان وأَعِنَّة، وشذ فيه (فعل) قالوا: عنن في عنان، وحجج في حجاج. ﴿مَوَاقِيتُ﴾: جمع ميقات، أصله: موقات قلبت ﴿الواو﴾ ياء لسكونها إثر كسرة، وهو الوقت كالميعاد بمعنى الوعد، وقيل: الميقات منتهى الوقت.

والفرق[1] بين الوقت والمدة والزمان: أن المدة المطلقة: امتداد حركة

---

(١) كرخي.

الفلك من مبدئها إلى منتهاها. والزمان: مدة منقسمة إلى الماضي والحال والمستقبل، والوقت: الزمان المفروض لأمر.

﴿بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ﴾ البيوت[1] يقرأ: بضم الباء، وهو الأصل في الجمع على فعول، والمعتل كالصحيح، وإنما ضم أول هذا الجمع ليشاكل ضمة الثاني والواو بعده. ويقرأ بكسر الباء؛ لأن بعده ياء، والكسرة من جنس الباء، ولا يستثقل بالخروج من كسر إلى ضم؛ لأن الضمة هنا في الياء، والياء مقدرة بكسرتين، فكانت الكسرة في الياء كأنها وليت كسرة، وهكذا الخلاف في العيون والجيوب والشيوخ، ومن هنا جاز في التصغير الكسر، فيقال في بيت: بييت.

﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ يقال: ثقُف الرجل ـ من باب ظرُف ـ إذا صار حاذقاً خفيفاً، فهو ثَقف مثل ضخُم فهو ضخم، ومنه الثقافة. وثقف من باب طرب لغةٌ فيه، فهو ثَقِفٌ وثَقُف كعضد، وفي «القاموس»: وثقفه كسمعه إذا أخذه أو ظفر به أو أدركه، وأصل الثقف الحذق في إدراك الشيء علماً أو عملاً، وفيه معنى الغلبة.

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ وأصل انتهوا: انتهيوا استثقلت الضمة على الياء فحذفت، فالتقى ساكنان؛ فحذفت الألف وبقيت الفتحة تدل عليها.

﴿وَٱلْحُرُمَـٰتُ﴾: جمع حرمة كالظلمات جمع ظلمة، وإنما جمع الحرمات؛ لأنه أراد الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الإحرام، والحرمة ما منع الشرع من انتهاكه.

﴿التهلكة﴾ مصدر[2] لهلك من باب ضرب، وفي «المختار» يقال: هلك الشيء يهلِك ـ بالكسر من باب ضرب ـ هلاكاً وهلوكاً وتهلُكةً بضم اللام، والاسم: الهلك بالضم، قال اليزيدي: التهلكة من نوادر المصادر، ليست مما يجري على القياس، وقيل[3]: التهلكة ما أمكن التحرز منه، والهلاك ما لا يمكنه التحرز منه، وقيل: التهلكة الشيء المهلك، والهلاك حدوث التلف، وقيل:

(١) عكبري.

(٢) جمل.

(٣) البحر المحيط.

التهلكة كل ما تصير غايته إلى الهلاك.

البلاغة

﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ وقد جعل[1] بعض علماء المعاني هذا الجواب من الأسلوب الحكيم، وهو تلقي المخاطب بغير ما يَترقب مُنَبِّهاً على أنه الأولى بالقصد، ووجه ذلك أنهم سألوا عن أجرام الأهلة باعتبار زيادتها ونقصانها، فأجيبوا بالحكمة التي كانت تلك الزيادة والنقصان لأجلها؛ لكون ذلك أولى بأن يقصد السائل، وأحق بأن يتطلع لعلمه. انتهى.

لأنه من الأحكام الظاهرة[2] التي شأن الرسول التصدي لبيانها، وأما سبب اختلافه: فهو من قبيل المغيبات التي لا غرض للمكلف في معرفتها، ولا يليق أن تبين له.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فالمراد بالسبيل دين الله؛ لأن السبيل في الأصل الطريق، ففيه استعارة تصريحية أصلية، حيث شبه دين الله بالسبيل بجامع الوصول إلى المقصود في كلٍّ.

﴿عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ المراد به الحرم كله، ففيه مجاز مرسل من إطلاق اسم الجزء على الكل.

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ فيه مجاز بالحذف؛ تقديره: هتك حرمة الشهر الحرام له وقع منكم مقابلٌ بهتك حرمة الشهر الحرام الواقع منهم؛ لأنهم قاتلوا المسلمين في عام الحديبية قتالاً خفيفاً بالرمي بالسهام والحجارة.

﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ تسمية جزاء العدوان عدواناً من قبيل المشاكلة؛ وهي الاتفاق في اللفظ مع الاختلاف في المعنى، كقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ قال الزجاج: العرب تقول: ظلمني فلان فظلمته؛ أي: جازيته بظلمه.

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ فيه مجاز حيث أطلق الأيدي، وأراد الأنفس

---

(١) شوكاني.

(٢) جمل.

من إطلاق الجزء على الكل.

فائدة: وفي تفسير[1] التهلكة أقوال تسعة:

أحدها: ترك الجهاد والإخلاد إلى الراحة وإصلاح الأموال. قاله أبو أيوب.

الثاني: ترك النفقة في سبيل الله خوف العيلة. قاله حذيفة، وابن عباس، والحسن، وعطاء، وعكرمة، وابن جبير.

الثالث: التقحم في العدو بلا نكاية. قاله أبو القاسم البلخي.

الرابع: التصدق بالخبيث قاله عكرمة.

الخامس: الإسراف بإنفاق كل المال قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟﴾، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾. قاله أبو علي.

السادس: الانهماك في المعاصي ليأسه من قبول توبته. قاله البراء، وعبيدة السلماني.

السابع: القنوط من التوبة. قاله قوم.

الثامن: السفر للجهاد بغير زاد. قاله زيد بن أسلم، وقد فعل ذلك قوم فأداهم إلى الإنقطاع في الطريق، أو إلى كونهم عالة على الناس.

التاسع: إحباط الثواب بالمن والرياء والسمعة، كقوله: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ وهذه الأقوال كلها تحتمل هذه الآية، والظاهر أنهم نهوا عن كل ما يؤول بهم إلى الهلاك في غير طاعة الله؛ يعني غير الجهاد.

والله أعلم

* * *

---

(١) البحر المحيط.

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ
مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن
تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ
عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ
(١٩٦) ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ
وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ
(١٩٧) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ
فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ
ٱلضَّآلِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
(١٩٩) فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ
ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُم مَّن
يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ (٢٠١) أُو۟لَٰٓئِكَ
لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ (٢٠٢) ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن
تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ
إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٠٣)﴾.

المناسبة

لمّا ذكر الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة أحكام الصيام.. أردف ذلك بذكر أحكام الحج؛ لأن شهور الحج تأتي مباشرة بعد شهر الصيام، وأما آيات القتال التي فصلت بين آيات الصيام وآيات الحج: فقد ذكرت عرضاً لبيان حكم هام؛ وهو بيان الأشهر الحرم، وحكم القتال فيها فيما لو تعرض المشركون للمؤمنين، وهم في حالة الإحرام هل يباح لهم رد العدو عن أنفسهم والقتال في الأشهر الحرم؟ فقد وردت الآيات السابقة تبين حكمة الأهلة وأنها مواقيت للصيام والحج ثم بينت الآيات بعدها موقف المسلمين من القتال في الشهر الحرام،

وذلك حين أراد رسول الله ﷺ العمرة وصده المشركون ومنعوه من دخول مكة، ووقع صلح الحديبية، ثم لما أراد القضاء في العام القابل وخشي أصحابه غدر المشركين بهم، وهم في حالة الإحرام.. نزلت الآيات تبين أنه ليس لهم أن ينتهكوا هذه الحرمات على سبيل الابتداء، بل على سبيل القصاص ودفع العدوان، ثم عاد الكلام إلى أحكام الحج وحكم الإحصار فيه، فهذا هو الارتباط والمناسبة بين الآيات السابقة واللاحقة.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ...﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن صفوان بن أمية قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ متضمخاً بالزعفران، عليه جبة فقال: كيف تأمرني يا رسول الله في عمرتي، فأنزل الله: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ فقال ﷺ: «أين السائل عن العمرة؟» قال: ها أنا ذا، فقال له ﷺ: «ألق عنك ثيابك، ثم اغتسل واستنشق ما استطعت، ثم ما كنت صانعاً في حجك فأصنعه في عمرتك».

قوله[1] تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا...﴾ روى البخاري عن كعب بن عجرة رضي الله عنه أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ﴾ قال: حملت إلى النبي ﷺ والقمل يتناثر على وجهي، فقال: «ما كنت أرى أن الجهد بلغ بك هذا، أما تجد شاة» قلت: لا. قال: «صم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام، واحلق رأسك»، فنزلت فيّ خاصة، وهي لكم عامة.

قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا...﴾ الآية، روى البخاري، وغيره عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن متوكلون، فأنزل الله: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ...﴾ الآية، روى البخاري عن ابن عباس قال: كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية فتأثموا أن

---

(١) لباب النقول.

يتجروا في الموسم، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ في مواسم الحج.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ...﴾ أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: كانت العرب تقف بعرفة، وكانت قريش تقف دون ذلك بالمزدلفة، فأنزل الله: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ...﴾.

وأخرج ابن المنذر عن أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنها ـ قالت: كانت قريش يقفون بالمزدلفة، ويقف الناس بعرفة إلا شيبة بن ربيعة، فأنزل الله: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ...﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم، يقول الرجل منهم: كان أبي يطعم ويحمل الحمالات، ليس لهم ذكر أفعال آبائهم، فأنزل الله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ...﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا ...﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان قوم من الأعراب يجيئون إلى الموقف، فيقولون: اللهم اجعله عام غيث وعام خصب وعام ولاء وحسن، لا يذكرون من أمر الآخرة شيئاً، فأنزل الله فيهم: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ ويجيء بعدهم آخرون من المؤمنين، فيقولون: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢)﴾.

التفسير وأوجه القراءة

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ﴾؛ أي: أدوهما تامين كاملين بأركانهما وشروطهما وواجباتهما وآدابهما خالصين ﴿لِلَّهِ﴾ سبحانه وتعالى غير مخلوطين بشيء من الأغراض الدنيوية كالتجارة والاكتساب، أو بشيء مما يحبطهما كالرياء والسمعة والشهرة باسمهما، وفي قراءة ﴿وأقيموا الحج والعمرة لله﴾ واختلف العلماء في معنى إتمامها. قال ابن عباس: إتمامهما: أن يتمهما بمناسكهما وحدودهما

وسننهما، وقيل: إتمامهما: أن يتحرم بهما من دويرة أهلك، وقيل: هو أن تفرد لكل واحد منهما سفراً، وقيل: إتمامهما أن تكون النفقة حلالاً، وتنتهي عما نهى الله عنه، وقيل: إتمامهما أن تخرج من أهلك، لهما لا للتجارة ولا لحاجة، وقيل، إذا شرع فيهما وجب عليه الإتمام.

فصل

واتفقت الأمة على وجوب الحج على من استطاع إليه سبيلاً. روى مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فقال: «أيها الناس، قد فرض عليكم الحج فحجوا»، فقال رجل: أفي كل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت نعم.. لوجب ولما استطعتم».

وفي وجوب العمرة قولان للشافعي:

أصحهما: أنها واجبة، وهو قول علي، وابن عمر، وابن عباس، والحسن، وابن سيرين، وعطاء، وطاووس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وإليه ذهب أحمد بن حنبل رضي الله عنهم أجمعين.

وحجتهم على أنها واجبة ما روي في حديث الضبي بن معبد أنه قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي، وإني أهللت بهما، فقال: هديت لسنة نبيك محمد ﷺ أخرجه أبو داود، والنسائي بأطول من هذا.

وجه الاستدلال أنه أخبر عن وجوبهما عليه، وصوبه عمر وبين أنه مهتد بما رآه في وجوبهما عليه لسنة النبي ﷺ.

وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إنها كقرينها في كتاب الله: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾.

وما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: الحج والعمرة فريضتان، وعنه رضي الله عنه: ليس أحد من خلق الله إلا وعليه حجة وعمرة واجبتان من استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً قال: العمرة واجبة كوجوب الحج.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والفضة، وليس لحجة مبرورة ثواب إلا الجنة» أخرجه الترمذي والنسائي «وما من مؤمن يظل يومه محرماً إلا غابت الشمس بذنوبه» وقال حديث حسن صحيح.

وجه الاستدلال: أنه أمر بالمتابعة بين الحج والعمرة، والأمر للوجوب، ولأنها قد نظمت مع الحج في الأمر بالإتمام، فكانت واجبة كالحج.

والقول الثاني: **أنها سنة**، ويروى ذلك عن ابن مسعود، وجابر، وإبراهيم، والشعبي، وإليه ذهب مالك وأبو حنيفة رضي الله عنهم.

وحجتهم على أنها سنة: ما روي عن جابر رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن العمرة أواجبة هي؟ قال: «لا وأن تعتمروا خير لكم» أخرجه الترمذي.

وأجيب عنه بأن هذا الحديث يرويه حجاج بن أرطاه، وحجاج ليس ممن يقبل منه ما تفرد به لسوء حفظه، وقلة مراعاته لما يحدث به.

وأجمعت الأمة على جواز أداء الحج والعمرة على إحدى ثلاثة أوجه: إفراد وتمتع وقران.

فصورة الإفراد: أن يحج، ثم بعد فراغه منه يعتمر من أدنى الحل، أو يعتمر قبل أشهر الحج، ثم يحج في تلك السنة.

وصورة التمتع: أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج، ويأتي بأعمالها فإذا فرغ من أعمالها أحرم بالحج من مكة في تلك السنة، وإنما سمي تمتعاً؛ لأنه يستمتع بمحظورات الإحرام بعد التحلل من العمرة إلى أن يحرم بالحج.

وصورة القران: أن يحرم بالحج والعمرة معاً في أشهر الحج فينويهما بقلبه، وكذلك لو أحرم بالعمرة في أشهر الحج، ثم أدخل عليها الحج قبل أن يفتتح الطواف فيصير قارناً.

واختلفت الأئمة في الأفضل منها، فذهب مالك والشافعي إلى أن الإفراد أفضل، ثم التمتع، ثم القران، ويدل عليه ما روي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ أفرد بالحج. أخرجه مسلم.

وله عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أهللنا مع رسول الله ﷺ بالحج مفرداً، وفي رواية أن رسول الله ﷺ أهل بالحج مفرداً. وله عن جابر رضي الله عنه قال: قدمنا مع رسول الله ﷺ، ونحن نصرخ بالحج صراخاً.

وذهب الثوري وأبو حنيفة إلى أن القران أفضل، ويدل عليه ما روي عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يلبي بالحج والعمرة جميعاً، وفي رواية: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لبيك عمرة وحجاً». أخرجاه في «الصحيحين».

وذهب أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه إلى أن التمتع أفضل، ويدل عليه ما روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: تمتع رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فأول من نهى عنها معاوية. أخرجه الترمذي.

واختلفت الروايات في حجة النبي ﷺ: هل كان مفرداً، أو متمتعاً، أو قارناً؟ وهي ثلاثة أقوال للعلماء بحسب مذاهبهم السابقة، ورجحت كل طائفة نوعاً، وادعت أن حجة النبي ﷺ كذلك، وطريق الجمع بين روايات الصحابة واختلافهم في حجته ﷺ أنه كان أولاً مفرداً، ثم أنه ﷺ أحرم بالعمرة بعد ذلك، وأدخلها على الحج، فصار قارناً.

فمن روى أنه كان مفرداً فهو الأصل، ومن روى القِران اعتمد آخر الأمر، ومن روى التمتع أراد التمتع اللغوي؛ وهو الانتفاع والارتفاق، وقد ارتفق بالقِران كارتفاق التمتع وزيادة، وهو الاقتصار على عمل واحد، وبهذا أمكن الجمع بين الروايات المختلفة في صفة حجة الوداع؛ وهو الصحيح.

واختار الشافعي الإفراد واحتج في ترجيحه بأنه صح ذلك من رواية جابر وابن عمر وابن عباس وعائشة ـ رضي الله عنهم ـ وهؤلاء لهم مزية في حجة

الوداع على غيرهم، فأما جابر رضي الله عنه: فهو أحسن الصحابة سياقة لرواية حديث حجة الوداع، فإنه ذكرها من حين خرج النبي ﷺ من المدينة إلى آخرها، فهو أضبط لها من غيره.

وأما ابن عمر رضي الله عنهما: فصح عنه أنه كان آخذاً بخطام ناقة النبي ﷺ في حجة الوداع، وإنما سمعه يلبي بالحج، وأما ابن عباس رضي الله عنهما فمحله من العلم والفقه والدين معروف مع كثرة بحثه عن أحوال رسول الله ﷺ، وأما عائشة رضي الله عنها: فقربها من رسول الله ﷺ معروف، واطلاعها على باطن أمره وظاهره مع كثرة فقهها وعلمها.

ومن دلائل ترجيح الإفراد أن الخلفاء الراشدين أفردوا الحج بعد رسول الله ﷺ، وواظبوا عليه وأركان الحج خمسة: الإحرام والوقوف بعرفة، والطواف والسعي بين الصفا والمروة، وحلق الرأس أو التقصير في أصح القولين.

وأركان العمرة أربعة: الإحرام، والطواف، والسعي، والحلق أو التقصير، وبهذه الأركان يحصل تمام الحج والعمرة.

﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾؛ أي: منعتم عن إتمام الحج أو العمرة، بعدوّ أو مرض أو كسر أو سجن، وأردتم التحلل من إحرامكم ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾؛ أي: فعليكم ذبح ما تيسر وسهل لكم ﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾ من بدنة أو بقرة أو شاة، واذبحوها حيث أحصرتم من حل أو حرم؛ لأنه ﷺ ذبح عام الحديبية بها، وإليه ذهب الشافعي وأحمد ومالك، وقال أبو حنيفة: أنه يقيم على إحرامه، ويبعث بهديه إلى الحرم، ويواعد من يذبحه هناك، ثم يحل في ذلك الوقت، والهدي: هو ما يهدي إلى بيت الله الحرام، أعلاه بدنة، وأوسطه بقرة، وأدناه شاة؛ أي: فعليكم ذبح ما تيسر من هذه الأجناس، ويشترط[1] فيها أن تكون مجزئة في الأضحية، فإن لم يتيسر.. عدل إلى قيمة الحيوان، واشترى به طعاماً، وتصدق به في مكان الإحصار، فإن

---

(١) جمل.

لم يقدر.. صام عن كل مد يوماً حيث شاء، وله التحلل حالاً؛ أي: قبل الصوم وهذا الدم دم ترتيب وتعديل، هكذا قال الفقهاء، وليس لهم عليه حجة.

والظاهر من الآية: أنه إذا لم يتيسر له.. فلا شيء عليه.

﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ﴾؛ أي: ولا تحللوا من إحرامكم أيها المحصورون بالحلق أو التقصير ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾؛ أي: حتى يصل الهدي المكان الذي يحل فيه ذبحه، وهو الحرم عند أبي حنيفة، ومكان الإحصار عند الشافعي وهو الراجح؛ لأنه ﷺ ذبح عام الحديبية بها، وهي من الحل، فيذبح فيه بنية التحلل، ويفرق على مساكينه، ويحلق أو يقصر وبه يحصل التحلل والخروج من النسك، فبلوغ الهدي محله كناية عن ذبحه في مكان الإحصار، فتفيد الآية وجوب تقديم الذبح على الحلق، وهو كذلك كما هو مقرر في الفروع، و﴿الْهَدْيُ﴾[1] جمع هدية كجدي وجدية، وقرىء ﴿من الهدي﴾ جمع هدية كمطي جمع مطية، والمَحِل - بالكسر - يطلق على المكان والزمان، ويطلق[2] الهدي على الحيوان الذي يسوقه الحاج أو المعتمر هدية لأهل الحرم من غير سبب يقتضيه، وهذا ليس مراداً هنا، ويطلق على ما وجب على الحاج أو المعتمر بسبب، سواء كان محظوراً وهو الواجب بفعل حرام أو ترك واجب، أو لم يكن كالإحصار والتمتع، وهذا هو المراد هنا.

واقتصاره على الهدي[3] دليل على عدم وجوب القضاء، وقال أبو حنيفة: يجب القضاء.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ مرتب على محذوف؛ تقديره: ولا تحلقوا رؤسكم في حال الإحرام إلا أن تضطروا إلى حلقه لمرض أو أذى كقمل وصداع؛ أي: فمن كان منكم أيها المحرمون مريضاً في بدنه محتاجاً إلى المداواة واستعمال الطيب

---

(١) بيضاوي.
(٢) جمل.
(٣) بيضاوي.

واللباس ﴿أَوْ﴾ كان ﴿بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾؛ أي: ألم في رأسه بسبب الجراحة، أو بسبب القمل والصئبان أو بسبب الصداع، أو كان عنده خوف من حدوث مرض أو ألم، فحلق أو تطيب أو لبس ﴿فـ﴾ عليه ﴿فدية من صيام﴾ ثلاثة أيام ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ بثلاثة آصع من غالب قوت مكة على ستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع ﴿أَوْ نُسُكٍۚ﴾؛ أي: ذبح شاة مجزئة في الأضحية، وهذه الفدية على التخيير لأن ﴿أَوْ﴾ في الآية للتخيير، إن شاء ذبح أو صام أو تصدق، وكل هدي أو طعام يلزم المحرم فإنه لمساكين الحرم إلا الهدي المحصر؛ فإنه يذبحه حيث أحصر، وأما الصوم: فله أن يصوم حيث شاء، وقد سبق لك أن هذه الآية نزلت في كعب بن عجرة ـ رضي الله عنه ـ وقد بين في حديثه مقدار الصيام والصدقة والنسك.

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ من العدو أو لم يكن من أول الأمر؛ أي: فإذا كنتم آمنين من العدو بعد ما وقع الإحصار، أو كنتم آمنين من أول الأمر ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ﴾؛ أي: فمن تلذذ بمحظورات الإحرام كالطيب والدهن واللباس والنساء بسبب فراغه من أعمال العمرة ﴿إِلَى ٱلْحَجِّ﴾؛ أي: إلى إحرامه بالحج ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۚ﴾؛ أي: فعليه ذبح ما تيسر وسهل له من الدم، وهو شاة يذبحها يوم النحر، وهو الأفضل، فلو ذبح قبله بعد ما أحرم بالحج.. أجزأه عند الشافعي كسائر دم الجبرانات، ولا يجزئه ذبحه عند أبي حنيفة قبل يوم النحر.

ولوجوب دم التمتع خمسة شرائط:

الأول: أن يقدم العمرة في أشهر الحج.

الثاني: أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج.

الثالث: أن يحج بعد الفراغ من العمرة في هذه السنة.

الرابع: أن يحرم بالحج من جوف مكة، ولا يعود إلى ميقات بلده، فإن رجع إلى الميقات وأحرم منه.. لم يكن متمتعاً.

الخامس: أن لا يكون من حاضري المسجد الحرام. فهذه الشروط معتبرة

في وجوب دم التمتع، ومتى فُقِد شيء منها لم يكن متمتعاً، ودمُ التمتعِ دمُ جبران عند الشافعي، فلا يجوز أن يأكل منه، وقال أبو حنيفة: هو دم نسك، فيجوز أن يأكل منه. ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الهدي لفقده أو فقد ثمنه ﴿فـ﴾ عليه ﴿صيام ثلاثة أيام في﴾ حال إحرامه بـ﴿الحج﴾؛ أي: في أيام اشتغاله بأعمال الحج؛ يعني: بعد إحرامه وقبل التحلل منه، والأفضل أن يصومها قبل يوم عرفة؛ ليكون مفطراً فيه بأن يصوم خامسه وسادسه وسابعه بعد ما أحرم بالحج في اليوم الرابع مثلاً، وقال أبو حنيفة: يصومها في أشهره بين الإحرامين، ولا يجوز صومها يوم النحر وأيام التشريق عند الأكثرين، وقرىء ﴿صيامَ﴾ ـ بالنصب ـ على تقدير: فليصم، والمصدر مضاف إلى ظرفه في المعنى، وهو في اللفظ مفعول به على السعة كما ذكره العكبري. ﴿و﴾ عليه أيضاً صيام ﴿سبعة﴾ أيام ﴿إِذَا﴾ فرغتم من الحج و﴿رَجَعْتُمْ﴾ إلى أهليكم ووطنكم مكة أو غيرها، ففيه التفات من الغيبة إلى الخطاب، وكان مقتضى السياق أن يقول: إذا رجع، وقرأ ابن أبي عبلة ﴿سبعةَ﴾ ـ بالنصب ـ عطفاً على محل ﴿ثلاثة﴾، أو بفعل محذوف تقديره: وصوموا سبعة أيام إذا رجعتم ﴿تِلْكَ﴾ الأيام الثلاثة والسبعة جملتها ﴿عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ في الثواب والأجر، أو في مقامها مقام الهدي؛ لأنه قد يحتمل أن يظن ظان أن الثلاثة قد قامت مقام الهدي، فأعلم الله أن العشرة بكمالها هي القائمة مقام الهدي.

وقيل: فائدة ذلك: الفذلكة في علم الحساب؛ وهو أن يعلم العدد مفصلاً، ثم يعلمه جملة؛ ليحتاط به من جهتين، و﴿ذلك﴾ الحكم المذكور من وجوب الهدي أو الصيام على من تمتع ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ بأن يكونوا على مرحلتين فأكثر من الحرم عند الشافعي رحمه الله تعالى، أو يكونوا وراء المواقيت الخمسة: ذي الحليفة، والجحفة، وقرن، ويلملم، وذات عرق عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى، أو يكونوا من أهل الحل عند طاووس رضي الله عنه، أو يكونوا غير مكيين عند مالك رحمه الله تعالى، فحاضرو الحرم عند الشافعي رحمه الله تعالى من كان وطنه دون مرحلتين منه، ومن كان من أهل المواقيت أو دونها عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى، وأهل الحرم عند طاووس، وأهل مكة عند مالك رحمه الله تعالى.

والمراد[1] بالأهل: الزوجة والأولاد الذين تحت حجره دون الأباء والأخوة.

ومفهوم الآية: أن من كان من حاضري المسجد الحرام.. فلا هدي ولا صيام عليه وإن تمتع على ما قاله الشافعي ومن وافقه، وألحق بالتمتع في وجوب الدم أو بدله القارن بالسنة، وهو من أحرم بالحج والعمرة معاً، أو يدخل الحج عليها قبل الطواف كما مر.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ أي: خافوا الله تعالى بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه في الحج وفي غيره. ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالف أمره، وتهاون بحدوده، وارتكب مناهيه.

﴿الْحَجُّ﴾؛ أي: وقت الحج ﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾؛ أي: معروفات بين الناس، وهي شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة إلى طلوع فجر يوم النحر عند الشافعي.

فإن قلتَ: ما وجه جمع الأشهر مع أن الوقت شهران وعشر ليال؟

قلتُ: إنما جمعه؛ لأن المراد بالجمع ما فوق الواحد كما في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾، أو أنه نزل بعض الشهر منزلة كله.

وأما وقت العمرة: فجميع السنة، وهذه الآية مخصصة لعموم آية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ حيث اقتضت أن جميع الأهلة وقت للحج.

تنبيه: واختلفت الأئمة في وقت الحج، وقال[2] الشافعي رحمه الله تعالى: وقت الحج: شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة، فيخرج وقته بطلوع فجر يوم النحر، وبه قال عبد الله بن مسعود، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم، ومن التابعين: الحسن، وابن سيرين، والشعبي، وعليه الثوري، وأبو ثور رحمهم الله تعالى.

---

(١) طبري.
(٢) الخازن.

وحجة الشافعي رحمه الله تعالى ومن وافقه: أن الحج يفوت بطلوع الفجر الثاني من يوم النحر، والعبادة لا تفوت مع بقاء وقتها، فدل على أن يوم النحر ليس من أشهر الحج، وأيضاً فإن الإحرام بالحج فيه لا يجوز، فدل على أنه وما بعده ليس من أشهر الحج.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أشهر الحج: شوال وذو القعدة وعشرة أيامٍ من ذي الحجة آخرها يوم النحر، وبه قال ابن عمر، وعروة بن الزبير، وطاووس، وعطاء، والنخعي، وقتادة، ومكحول، وأبو حنيفة؛ وأحمد بن حنبل، وهي إحدى الروايتين عن مالك، وحجة هذا القول: أن يوم النحر هو يوم الحج الأكبر، ولأن فيه يقع طواف الإفاضة، وهو تمام أركان الحج، وهذا القول شاذ في مذهب الشافعي.

وقيل: إن أشهر الحج: شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله، وهو رواية عن ابن عمر وبه قال الزهري، وهي الرواية الأخرى عن مالك، وحجة هذا القول: أن الله تعالى ذكر أشهر الحج بلفظ الجمع وأقل الجمع المطلق ثلاث، ولأن كل شهر كان أوله من أشهر الحج كان آخره كذلك، وعلى هذا القول: يصح الإحرام في جميع ذي الحجة، وهذا القول أشذ وأبعد.

﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾؛ أي: فمن أوجب الحج على نفسه بالإحرام في هذه الأشهر عند الشافعي، أو بالتلبية، أو سوق الهدي عند أبي حنيفة؛ لأنه يقول لا يصح الشروع في الإحرام بمجرد النية حتى تنضم إليه التلبية أو سَوْق الهدي، ووجهه: أن الحج عبادة لها تحليل وتحريم، فلا بد من انضمام شيء إلى النية كتكبيرة الإحرام مع النية في الصلاة، وفي الآية: دليل على أن الإحرام بالحج لا ينعقد إلا في أشهره. ﴿فَلَا رَفَثَ﴾؛ أي: فلا جماع، أو فلا فحش من الكلام ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾؛ أي: ولا خروج عن حدود الشرع بالسباب وارتكاب المحظورات.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حج ولم يرفث ولم يفسق.. رجع كيوم ولدته أمه» متفق عليه. ﴿ولا جدال﴾؛ أي:

ولا مراء ولا خصام مع الخدم والرفقة وغيرهما ﴿في﴾ أيام ﴿الحج﴾ نفي الثلاثة على قصد النهي عنها للمبالغة، وإنما أمر باجتناب ذلك ـ وهو واجب الاجتناب ـ في كل حال؛ لأنه مع الحج أقبح، كلبس الحرير في الصلاة، والتطريب في قراءة القرآن.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿فلا رفثٌ ولا فسوقٌ﴾ بالرفع والتنوين و﴿ولا جدال﴾ بالفتح، والباقون قرؤوا الكل بالفتح، والمعنى على هذا: لا يكونن رفث ولا فسوق ولا خلاف في الحج، وذلك أن قريشاً كانت تخالف سائر العرب، فتقف بالمشعر الحرام، فارتفع الخلاف بأن أمروا بأن يقفوا بعرفات كسائر العرب، واستدل على أن المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله ﷺ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق.. خرج من ذنبه كيوم ولدته أمه» فإنه ﷺ لم يذكر الجدال.

ويروى عن عاصم برفع الثلاثة والتنوين، والعطاردي ـ شذوذاً ـ بنصب الثلاثة والتنوين. ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾ كصدقة وكترك المنهي عنه ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: يقبله منكم ويجازيكم عليه خير الجزاء، ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

ونزل في أهل اليمن وكانوا يحجون بلا زاد، فيكونون كلاً على الناس ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾؛ أي: خذوا من الزاد ما يكفيكم لسفركم، واتقوا الاستطعام وإبرام الناس والتثقيل عليهم ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ﴾ وأفضله ﴿ٱلتَّقْوَىٰ﴾؛ أي: الاتقاء عن الإبرام، والتثقيل عليهم، والاستعفاف عن سؤالهم؛ أي: فإن خير الزاد ما يعفكم عن سؤال الناس، أو المعنى: تزودوا من التقوى لمعادكم، فإنها خير زاد، وهي فعل المأمورات وترك المنهيات ﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾؛ أي: خافوا عقابي بامتثال المأمورات واجتناب المنهيات يا أصحاب العقول الكاملة الذين يعلمون حقائق الأمور، وقيل معناه: واشتغلوا بتقواي، وفيه: تنبيه على كمال عظمة الله جل جلاله.

واعلم: أن الإنسان لا بد له من سفر في الدنيا ولا بد فيه من زاد، ويحتاج فيه إلى الطعام والشراب والمركب، وسفر من الدنيا إلى الآخرة، ولا بد فيه من

زاد أيضاً، وهو تقوى الله والعمل بطاعته، وهذا الزاد أفضل من الزاد الأول، فإن زاد الدنيا يوصل إلى مراد النفس وشهواتها، وزاد الآخرة يوصل إلى النعيم المقيم في الآخرة، وفي هذا المعنى قال الأعشى:

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقوى ... ولاقيت بعد الموت مَنْ قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله ... وأنَّك لم ترصد كما كان أرصدا

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ﴾ يا أولي الألباب ﴿جُنَاحٌ﴾؛ أي: حرج وذنب في ﴿أَن تَبْتَغُواْ﴾ وتطلبوا ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ أي: رزقاً من ربكم بالتجارة في الحج، وقرأها ابن عباس في الشاذ ﴿فضلاً من ربكم في مواسم الحج﴾.

وسبق لك في أسباب النزول ما روى البخاري عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كانت عكاظ ومجنّة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية، فلما كان الإسلام فكأنهم تأثموا أن يتَّجروا في المواسم، فنزلت هذه الآية، وعكاظ: سوق معروف بقرب مكة، ومَجِنة ـ بفتح الميم وكسرها ـ: سوق بقرب مكة أيضاً. قال الأزرقي: هي بأسفل مكة على بريد منها. وذو المجاز: سوق عند عرفة كانت العرب في الجاهلية يتجرون في هذه الأسواق ولها مواسم، فكانوا يقيمون بعكاظ عشرين يوماً من ذي القعدة، ثم ينتقلون إلى مجنة فيقيمون فيها ثمانية عشر يوماً، عشرة أيام من آخر ذي القعدة، وثمانية أيام من أول ذي الحجة، ثم يخرجون إلى عرفة في يوم التروية.

﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم﴾؛ أي: ذهبتم ورجعتم ﴿مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾ وانصرفتم منها بعد الوقوف بها إلى مزدلفة، ففيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة؛ لأن الإفاضة لا تكون إلا بعد الوقوف ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ بالتلبية والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والثناء والدعوات بعد المبيت بمزدلفة ﴿عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ وهو جبل صغير في آخر مزدلفة يقف عليه الإمام وعليه المِيقَدة يسمى قُزَح بوزن عُمَر، وفي الحديث: (أنه ﷺ وقف يذكر الله ويدعو حتى أسفر جداً). رواه مسلم.

وإنما سمي مشعراً؛ لأنه معلم العبادة، ووصف بالحرام لحرمته، ومعنى ﴿عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾: مما يليه ويقرب منه، فإنه أفضل، وإلا فالمزدلفة كلها

موقف إلا وادي محصر، ﴿وَٱذۡكُرُوهُ﴾ بالتوحيد والتعظيم ﴿كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾؛ أي: كما ذكركم بالهداية فهداكم لدينه ومناسك حجه، أو المعنى: واذكروه سبحانه وتعالى؛ لأجل هدايته إياكم لمعالم دينه، فالكاف للتعليل، أو[1] نعت لمصدر محذوف؛ أي: اذكروه ذكراً حسناً كهدايته إياكم هداية حسنة، وكرر الأمر بالذكر تأكيداً، وقيل: الأول: أمر بالذكر عند المشعر الحرام، والثاني: أمر بالذكر على حكم الإخلاص، وقيل: المراد بالثاني: تعديد النعمة عليهم ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ أي: وإن الشأن كنتم من قبل هدايته إياكم لمن الجاهلين بالإيمان والطاعة لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه، و﴿إن﴾ مخففة من الثقيلة، وقيل: بمعنى قد؛ أي: وقد كنتم، و﴿الهاء﴾[2] في من قبله عائد إلى الهدى، وقيل: إلى الرسول؛ أي: من قبل إرسال الرسول لمن الضالين، وهو كناية عن غير مذكور، وقيل: يرجع إلى القرآن، والمعنى: واذكروه كما هداكم بكتابه الذي أنزله عليكم، وإن كنتم من قبل إنزاله لمن الضالين.

﴿ثُمَّ﴾ بعد وقوفكم بعرفة وذكركم عند المشعر الحرام ﴿أَفِيضُواْ﴾؛ أي: ارجعوا يا قريش ﴿مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ غيركم من سائر العرب وعامة الناس؛ أي: ارجعوا من المزدلفة إلى منى قبل طلوع الشمس للرمي والنحر إن قلنا: إنه خطاب لقريش، وأمرٌ لهم بالإفاضة من حيث أفاض غيرهم[3]، وقرىء شذوذاً: ﴿الناسي﴾ يريد آدم، وهي صفة غلبت عليه كالعباس والحارث، ودل عليه قوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمًا﴾.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت قريش ومن دان بدينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحمس، وكانت سائر العرب يقفون بعرفة، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه ﷺ أن يأتي عرفات فيقف بها، ثم يفيض منها، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ فعلى هذا القول المراد بالناس:

(١) شوكاني.
(٢) خازن.
(٣) عكبري.

جميع العرب سوى الحمس، سموا حمساً جمع أحمس؛ لتشددهم في دينهم من الحماسة؛ وهي الشدة والشجاعة، والقول الثاني: أنه خطاب لسائر المسلمين، والمراد بالناس: إبراهيم وإسماعيل وأتباعهما، والمعنى على هذا القول: ثم بعد ذكركم أيها المسلمون عند المشعر الحرام ارجعوا من المزدلفة إلى منى حيث أفاض الناس؛ أي: ارجعوا إلى منى للرمي والنحر في الوقت الذي أفاض ورجع فيه الناس؛ أي: إبراهيم وإسماعيل وأتباعهما؛ أي: ارجعوا قبل طلوع الشمس كما رجع منها إبراهيم وإسماعيل في ذلك الوقت على ما جاء به الرسول ﷺ، وكان العرب الذين وقفوا بالمزدلفة يرجعون إلى منى بعد طلوع الشمس، وهذا القول اختاره الضحاك، لكن القول الأول هو الأصح الذي عليه جمهور المفسرين.

﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾؛ أي: واطلبوا من الله باللسان مغفرة ذنوبكم، وتقصيركم في أعمال الحج، مع التوبة بالقلب؛ وهو أن يندم على كل تقصير منه في طاعة الله، ويعزم على أن لا يقصر فيما بعد، ويقصد بذلك: تحصيل مرضاة الله تعالى. ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنوب المستغفرين ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم بقبول توبتهم، ومنعم عليهم باحساناته.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم﴾؛ أي: أديتم ﴿مَنَاسِكَكُمْ﴾؛ أي: أعمال حجكم وعبادتكم، وفرغتم منها بأن رميتم جمرة العقبة، وطفتم واستقررتم بمنى ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالتحميد والتمجيد والتهليل والتكبير، وابذلوا جهدكم في الثناء عليه، وذكر نعمائه ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾؛ أي: كما كنتم تذكرون أبائكم عند فراغ حجكم بالمفاخر، وتبذلون جهدكم في الثناء عليهم ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾؛ أي: بل اذكروا الله ذكراً أكثر من ذكركم آباءكم؛ لأنه هو المنعم عليهم وعلى الآباء، فهو المستحق للذكر والثناء مطلقاً؛ لأن صفات الكمال لله تعالى غير متناهية.

وسئل ابن عباس عن معنى هذه الآية، فقيل له: قد يأتي على الرجل اليوم ولا يذكر فيه أباه، فقال: ليس المعنى كذلك، ولكن المعنى: أن تغضب لله إذا عصي أشد من غضبك لوالديك إذا شُتِمَا.

قال أهل التفسير[1]: كانت العرب في الجاهلية إذا فرغوا من حجهم.. وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل ـ وقيل: عند البيت ـ فيذكرون مفاخر آباءهم ومآثرهم وفضائلهم ومحاسنهم ومناقبهم، فيقول أحدهم: كان أبي كبير الجفنة رحب الفناء يقري الضيف، وكان كذا وكذا، يعدُّ مفاخره ومناقبه، ويتناشدون الأشعار في ذلك، ويتكلمون بالمنثور والمنظوم من الكلام الفصيح، وغرضهم الشهرة والسمعة والرفعة بذكر مناقب سلفهم وآبائهم، فلما مَنَّ الله عليهم بالإسلام.. أمرهم أن يكون ذكرهم لله لا لآبائهم، وقال: اذكروني فأنا الذي فعلت ذلك بكم وبهم، وأحسنت إليكم وإليهم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الآباء، وذلك أن الصبي أول ما يفصح الكلام يقول: أبه أمه، لا يعرف غير ذلك، فأمرهم أن يذكروه كذكر الصبيان الصغار الآباء.

﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ﴾ في الموقف وهم المشركون: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا﴾؛ أي: أعطنا ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ إبلاً وبقراً وغنماً، وعبيداً أو إماء، ومالاً ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾؛ أي: من حظ ولا نصيب في الجنة بِحَجِّه.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ﴾ في الموقف: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا﴾؛ أي: أعطنا ﴿فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾؛ أي: علما وعبادة وعصمة من الذنوب، وشهادة وغنيمة وصحة وكفافاً، وتوفيقاً للخير ﴿وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً﴾؛ أي: الجنة ونعيمها، وقيل: من آتاه الله الإسلام والقرآن، وأهلاً ومالاً.. فقد أوتي في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة؛ يعني: في الدنيا عافية، وفي الآخرة عافية.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ «اللهم آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار». متفق عليه. ﴿وَقِنَا﴾؛ أي: وادفع عنا ﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ واحفظنا منها بالعفو والغفران.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الداعون بالحسنتين ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ﴾؛ أي: حظ وافر في الجنة

---

(١) الخازن.

﴿مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾؛ أي: لأجل ما عملوا من حجهم ودعائهم، أو بسبب ما كسبوا من أعمالهم الصالحة ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾؛ أي: سريع القبول لدعاء عباده والإجابة لهم وعالم بجملة سؤالات السائلين، أو[1] المعنى: سريع المحاسبة والإحصاء، يحاسب العباد على العبادة على كثرتهم، وكثرة أعمالهم في مقدار لمحة، أو يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب الناس، فبادروا إلى الطاعات واكتساب الحسنات.

وهذا الكلام ذكره في الفريقين تفصيلاً لحال الذاكرين، إلى من لا يطلب بذكر الله تعالى إلا الدنيا، وإلى من يطلب الدارين، والمراد به: الحث على الإكثار من الدعاء والذكر وسائر الطاعات، وطلب الآخرة.

﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أيها الحجاج وكذا غيرهم بالتكبير والتحميد والتسبيح والتهليل ﴿فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾؛ أي: في أيام معلومات العدد أيام التشريق الثلاثة عند رمي الجمرات، وخلف الصلوات، وعلى الأضاحي والهدايا، سميت معدودات لقلتهن، وهي ثلاثة أيام بعد يوم النحر.

روى مسلم عن نبيشة الهذلي قال: قال رسول الله ﷺ: «أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله تعالى، ومن الذكر في هذه الأيام التكبير».

وروى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يكبّر بمنى تلك الأيام، وخلف الصلوات وعلى فراشه، وفي فسطاطه، وفي مجلسه، وفي ممشاه في تلك الأيام جميعاً.

﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ﴾؛ أي: فمن استعجل بالنفر والذهاب من منى في ثاني أيام التشريق قبل الغروب بعد رمي جماره بعد الزوال؛ وهي إحدى وعشرون حصاة يرمي سبعة لكل جمرة يكبر مع كل حصاة، فإن غربت عليه الشمس وهو بمنى.. لزمه المبيت بها؛ ليرمي اليوم الثالث عند الشافعي، وقال أبو حنيفة[2]:

---

(١) بيضاوي.

(٢) خازن.

يجوز له أن ينفر ما لم يطلع الفجر؛ لأنه لم يدخل وقت الرمي بعد ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾؛ أي: فلا حرج عليه بتعجيله النفر ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ بها؛ أي: استمر وبقي بها حتى بات ليلة الثالث ورمى جماره بعد الزوال عند الشافعي، وقال أبو حنيفة[1]: يجوز تقديم رمية على الزوال ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾ بتأخره فهم مخيرون بين التعجيل والتأخير، ومعنى نفي[2] الإثم بالتعجيل والتأخير: التخيير بينهما، والرد على أهل الجاهلية، فإن منهم من أثّم المتعجل، ومنهم من أثّم المتأخر، وقيل[3]: إنما قال: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾ لمشاكلة اللفظة الأولى، فهو كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ﴾.

ذلك التخيير، ونفي الإثم ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ الله في حجه باجتنابه محظورات الإحرام، وإتيانه بالمأمورات؛ لأنه المنتفع بحجه دون من سواه ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في المستقبل في مجامع أموركم بفعل الواجبات، وترك المحظورات ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ﴾ أيها العباد ﴿إِلَيْهِ﴾ سبحانه وتعالى ﴿تُحْشَرُونَ﴾ وتجمعون يوم القيامة بالبعث من قبوركم، فيجازيكم بأعمالكم إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وفيه حث على التقوى.

فصل

وأجمع العلماء[4] على أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ﴾ هو التكبير عند رمي الجمار، وهو أن يكبر مع كل حصاة يرمي بها في جميع أيام التشريق.

وأجمعوا أيضاً على أن التكبير في عيد الأضحى، وفي هذه الأيام في أدبار الصلوات منه، واختلفوا في وقت التكبير، فقيل: يُبتدأ به من صلاة الظهر يوم النحر إلى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق، فيكون التكبير على هذا القول في خمس عشر صلاة، وهو قول ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وبه قال

---

(١) بيضاوي.

(٢) بيضاوي.

(٣) خازن.

(٤) خازن.

الشافعي في أصح أقواله. قال الشافعي: لأن الناس فيه تبع للحاج، وذكر الحاج قبل هذا الوقت هو التلبية، ويأخذون في التكبير يوم النحر من صلاة الظهر، وقيل: إنه يُبتدأ به من صلاة المغرب ليلة النحر، ويختتم به بعد صلاة الصبح من آخر أيام التشريق؛ وهو القول الثاني للشافعي، فيكون التكبير على هذا القول في ثمانية عشر صلاة.

والقول الثالث للشافعي: أنه يُبتدأ بالتكبير من صلاة الصبح يوم عرفة، يختتم به بعد صلاة العصر من آخر أيام التشريق، فيكون التكبير على هذا القول في ثلاث وعشرين صلاة، وهو قول علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ومكحول، وبه قال أبو يوسف ومحمد، وقال ابن مسعود: يبتدأ به من صبح يوم عرفة، ويختتم بصلاة العصر من يوم النحر، فعلى هذا القول يكون التكبير في ثمان صلوات، وبه قال أبو حنيفة.

وقال أحمد بن حنبل: إذا كان حلالاً كبرّ عقيب ثلاث وعشرين صلاة، أولها الصبح من يوم عرفة، وآخرها صلاة العصر من آخر أيام التشريق، وإن كان محرماً كبر عقيب سبع عشرة صلاة، أولها الظهر من يوم النحر، وآخرها أيام التشريق.

ولفظ التكبير عند الشافعي ثلاثاً نسقاً: الله أكبر الله أكبر الله أكبر، وهو قول سعيد بن جبير، والحسن، وهو قول أهل المدينة. قال الشافعي: وما زاد من ذكر الله فحسن، ويروى عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه يكبر مرتين، فيقول: الله أكبر الله أكبر، وهو قول أهل العراق.

فائدة: فإن[1] قلتَ: قوله تعالى: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾ فيه إشكال، وهو أن الذي أتى بأفعال الحج كاملة تامة، فقد أتى بما يلزمه، فما معنى قوله: ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾ إنما يخاف من الإثم من قصر فيما يلزمه؟.

قلتُ: فيه أجوبة:

---

(١) خازن.

أحدها: أنه تعالى لما أذن في التعجيل على سبيل الرخصة، احتمل أن يخطر ببال قوم أن من لم يجر على موجب هذه الرخصة فإنه يأثم.. فأزال الله تعالى هذه الشبهة، وبين أنه لا إثم عليه في الأمرين، فإن شاء عجل، وإن شاء أخَّر.

الجواب الثاني: أن مِنَ الناس مَنْ كان يتعجل، ومنهم مَنْ كان يتأخر، وكل فريق يصوب فعله على فعل الآخر، فبين الله تعالى أن كل واحد من الفريقين مصيب في فعله، وأنه لا إثم عليه.

الجواب الثالث: إنما قال: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ لمشاكلة اللفظة الأولى، فهو كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثْلُهَاۖ﴾ ومعلوم أن جزاء السيئة ليست سيئة.

الجواب الرابع: أن فيه دلالة على جواز الأمرين، فكأنه تعالى قال: فتعجلوا أو تأخروا فلا إثم في التعجيل، ولا في التأخير. انتهى.

الإعراب

﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ﴾.

﴿وَأَتِمُّواْ﴾: الواو: استئنافية، ﴿أتموا الحج﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة مستأنفة استئنافاً نحوياً ﴿لِلَّهِۚ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أتموا﴾، أو بمحذوف حال من ﴿ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ﴾؛ تقديره: حالة كونهما كائنين لله، وفي قراءة برفع ﴿العمرةُ﴾ على الابتداء، والجار والمجرور خبره؛ تقديره: والعمرة كائنة لله، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الفعلية.

﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۖ﴾.

﴿فَإِنْ﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر؛ تقديره: إذا عرفتم أن الحج والعمرة واجب إتمامهما إذا كنتم غير معذورين، وأردتم بيان حكم ما إذا أحصرتم عنهما، أو كنتم مرضى، أو بكم أذى في الرأس.. فأقول لكم: ﴿إن أحصرتم﴾، ﴿إن﴾: حرف شرط جازم، ﴿أحصرتم﴾: فعل ماضٍ

مغيَّر ونائب فاعل في محل الجزم بـ﴿إن﴾ على كونه فعل شرط لها. ﴿فَمَا﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إن﴾ الشرطية وجوباً؛ لكون الجواب جملة اسمية. ﴿ما﴾: موصولة أو موصوفة في محل الرفع مبتدأ. ﴿ٱسْتَيْسَرَ﴾: فعل ماضٍ وفاعله ضمير يعود على ﴿ما﴾. ﴿مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من ضمير الفاعل، والجملة الفعلية صلة لـ﴿ما﴾ أو صفة لها، والعائد أو الرابط ضمير الفاعل، وخبر المبتدأ محذوف جوازاً؛ تقديره: واجب عليكم، والجملة الاسمية في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل النصب مقول لجواب ﴿إذا﴾ المقدرة، وجملة ﴿إذا﴾ المقدرة استئنافية استئنافاً بيانياً.

﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾.

﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟﴾ ﴿الواو﴾ عاطفة، ﴿لا﴾: ناهية جازمة، ﴿تَحْلِقُوا۟﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿إن﴾ الشرطية. ﴿رُءُوسَكُمْ﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جر وغاية. ﴿يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ﴾: فعل وفاعل منصوب بـ﴿أن﴾ المضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾. ﴿مَحِلَّهُۥ﴾: ظرف مكان ومضاف إليه، والظرف متعلق بـ﴿يَبْلُغَ﴾، والجملة الفعلية صلة ﴿أن﴾ المضمرة في تأويل مصدر مجرور بـ﴿حتى﴾؛ تقديره: إلى بلوغ الهدي محله، والجار والمجرور متعلق بـ﴿لا تحلقوا﴾.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾.

﴿فَمَن﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿من﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط على الراجح. ﴿كَانَ﴾: فعل ناقص في محل الجزم بـ﴿مَن﴾ على كونه فعل شرط لها، واسمها ضمير يعود على ﴿مَن﴾. ﴿مِنكُم﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف حال مقدمة من قوله ﴿مَّرِيضًا﴾. ﴿مَّرِيضًا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف وتفصيل. ﴿بِهِۦٓ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف معطوف على ﴿مَّرِيضًا﴾؛ تقديره: أو كائناً به. ﴿أَذًى﴾: فاعل للجار والمجرور. ﴿مِّن رَّأْسِهِۦ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بمحذوف صفة لـ﴿أَذًى﴾؛ تقديره: أو

كائناً به أذى كائن في رأسه.

وعبارة الكرخي[1] قوله: ﴿أَوْ بِهِۦٓ أَذًى﴾ يجوز أن يكون هذا من باب عطف المفردات، وأن يكون من باب عطف الجمل.

أما الأول: فيكون الجار والمجرور في قوله ﴿بِهِۦٓ﴾ معطوفاً على ﴿مَّرِيضًا﴾ الذي هو خبر ﴿كان﴾، فيكون في محل نصب، ويكون ﴿أَذًى﴾ مرفوعاً به على سبيل الفاعلية؛ لأن الجار إذا اعتمد رفع الفاعل عند الكل، فيصير التقدير: فمن كان كائناً به أذى من رأسه.

وأما الثاني: فيكون ﴿بِهِۦٓ﴾ خبراً مقدماً، ومحله على هذا رفعٌ. ﴿أَذًى﴾: مبتدأ مؤخر، وتكون هذه الجملة في محل نصب؛ لأنها معطوفة على ﴿مَّرِيضًا﴾ الواقع خبراً لـ﴿كان﴾، وهي وإن كانت جملة لفظاً، فهي في محل مفرد؛ إذ المعطوف على المفرد مفرد، لا يقال: إنه عاد إلى عطف المفردات، فيتحد الوجهان لوضوح الفرق. انتهت.

﴿فَفِدْيَةٌ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿من﴾ الشرطية، ﴿فدية﴾: مبتدأ خبره محذوف؛ تقديره: واجب عليه، والجملة من المبتدأ والخبر المحذوف في محل الجزم بـ﴿من﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿من﴾ الشرطية في محل النصب معطوفة على جملة قوله ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾. ﴿مِّن صِيَامٍ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لـ﴿فدية﴾؛ تقديره: فدية كائنة من صيام واجبة عليه. ﴿أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾: معطوفان على ﴿صِيَامٍ﴾ و﴿أَوْ﴾: فيهما للتخيير.

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾.

﴿فَإِذَآ﴾ ﴿الفاء﴾[2]: عاطفة، ﴿إذا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان في محل النصب على الظرفية، والظرف متعلق بالجواب الآتي. ﴿أَمِنتُمْ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الخفض بإضافة ﴿إذا﴾ إليها على كونها فعل شرط لها.

---

(١) جمل.

(٢) جمل.

﴿فَمَن﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إذا﴾ وجوباً؛ لكون الجواب جملة اسمية، ﴿من﴾: اسم شرط جازم، أو موصول في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط. ﴿تَمَتَّعَ﴾ فعل ماضٍ في محل الجزم على كونه فعل شرط لها، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾، ﴿بِٱلْعُمْرَةِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تَمَتَّعَ﴾. ﴿إِلَى ٱلْحَجِّ﴾: جار ومجرور[1] متعلق بمحذوف معطوف على ﴿تَمَتَّعَ﴾؛ تقديره: واستمر تمتعه إلى الحج. ﴿فَمَا﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿من﴾ الشرطية، ﴿ما﴾: موصولة، أو موصوفة في محل الرفع مبتدأ، والخبر محذوف؛ تقديره: فما استيسر من الهدي واجب عليه، والجملة من المبتدأ والخبر المحذوف في محل الجزم بـ﴿من﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿مَن﴾ الشرطية جواب ﴿إذا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إذا﴾ في محل النصب معطوفة على جملة قوله ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ على كونها مقولاً لجواب ﴿إذا﴾ المقدرة. ﴿ٱسْتَيْسَرَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿ما﴾. ﴿مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من ضمير الفاعل، وجملة ﴿ٱسْتَيْسَرَ﴾ صلة لـ﴿ما﴾ أو صفة لها، والعائد أو الرابط ضمير الفاعل.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾.

﴿فَمَن﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر؛ تقديره: إذا عرفتم أن من تمتع بالعمرة.. فعليه ما استيسر من الهدي، وأردتم بيان حكم من لم يتيسر له فأقول: ﴿من لم يجد﴾، ﴿من﴾: اسم شرط جازم، أو اسم موصول في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط إن قلنا شرطية، أو جملة قوله ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ إن قلنا موصولة. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي وجزم. ﴿يَجِدْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لَّمْ﴾، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَن﴾، والجملة في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونها فعل شرط لها، أو صلة الموصول، ومفعول ﴿يَجِدْ﴾ محذوف؛ تقديره: فمن لم يجد الهدي؛ لأن (وجد) هنا بمعنى (أصاب)، فيتعدى

(١) جمل.

لواحد. ﴿فَصِيَامُ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿مَن﴾ الشرطية، أو رابطة للخبر بالمبتدأ إن قلنا ﴿من﴾ موصولة. ﴿صيام﴾: مبتدأ، والخبر محذوف؛ تقديره: واجب عليه، والجملة في محل الجزم جواب ﴿من﴾ الشرطية، أو خبر ﴿من﴾ الموصولة، وجملة ﴿من﴾ الشرطية، أو المبتدأ والخبر في محل النصب مقول لجواب ﴿إذا﴾ المقدرة، وجملة ﴿إذا﴾ المقدرة مستأنفة. ﴿صيام﴾: مضاف. ﴿ثَلَٰثَةِ﴾: مضاف إليه وهو مضاف. ﴿أَيَّامٍ﴾: مضاف إليه. ﴿فِي ٱلْحَجِّ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿صيام﴾. ﴿وَسَبْعَةٍ﴾: معطوف على ﴿ثَلَٰثَةِ﴾، وعلى قراءة النصب الشاذة: منصوب بفعل محذوف؛ تقديره: وصوموا سبعة. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان مجرد عن معنى الشرط في محل النصب على الظرفية، والظرف متعلق بـ﴿صيام﴾ أيضاً. ﴿رَجَعْتُمْ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إذا﴾؛ تقديره: فصيام سبعة وقت رجوعكم إلى وطنكم ﴿تِلْكَ﴾: مبتدأ. ﴿عَشَرَةٌ﴾: خبر. ﴿كَامِلَةٌ﴾: صفة لـ﴿عَشَرَةٌ﴾، والجملة في محل الجر صفة مؤكدة لـ﴿ثَلَٰثَةِ﴾ و﴿سَبْعَةٌ﴾.

﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ. ﴿لِمَن﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدأ؛ تقديره: ذلك كائن لمن لم يكن، والجملة الاسمية مستأنفة استئنافاً بيانياً. ﴿لَّمْ﴾: حرف جزم. ﴿يَكُنْ﴾: فعل مضارع ناقص مجزوم بـ﴿لَمْ﴾. ﴿أَهْلُهُۥ﴾: اسم ﴿يَكُنْ﴾، ومضاف إليه. ﴿حَاضِرِى﴾: خبر ﴿يَكُنْ﴾ منصوب بـ﴿الياء﴾ المحذوفة وهو مضاف. ﴿ٱلْمَسْجِدِ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلْحَرَامِ﴾: صفة للمسجد، وجملة ﴿يَكُنْ﴾ صلة ﴿مَن﴾ الموصولة، والعائد ضمير ﴿أَهْلُهُۥ﴾. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: الواو: استئنافية. ﴿اتقوا الله﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة مستأنفة. ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟﴾: الواو: عاطفة، ﴿اعلموا﴾ فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿اتقوا﴾. ﴿أَنَّ﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿شَدِيدُ﴾: خبرها، وهو مضاف. ﴿ٱلْعِقَابِ﴾: مضاف إليه، وجملة ﴿أَنَّ﴾ من اسمها وخبرها في تأويل مصدر سادٌّ مسد مفعولي

﴿اعلموا﴾؛ تقديره: واعلموا شدة عقاب الله سبحانه وتعالى.

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ﴾.

﴿ٱلْحَجُّ﴾: مبتدأ. ﴿أَشْهُرٌ﴾: خبر، ولكن على تقدير مضاف؛ تقديره: وقت الحج؛ لئلا يلزم علينا الإخبار باسم الزمان عن اسم المعنى، والجملة مستأنفة. ﴿مَّعْلُومَٰتٌ﴾: صفة ﴿أَشْهُرٌ﴾. ﴿فَمَن﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر؛ تقديره: إذا عرفت أن الحج أشهر معلومات، وأردت بيان حكم من أحرم الحج فيها.. فأقول لك: ﴿من فرض﴾، ﴿مَن﴾: اسم شرط جازم، أو موصولة في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو جملة قوله ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ إن قلنا: ﴿من﴾ موصولة، ﴿فَرَضَ﴾: في محل الجزم بـ﴿مَن﴾، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَن﴾، ﴿فِيهِنَّ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿فَرَضَ﴾. ﴿ٱلْحَجَّ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول. ﴿فَلَا﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿مَن﴾ الشرطية وجوباً، أو رابطة الخبر بالمبتدأ، ﴿لا﴾: نافية تعمل عمل إنّ ﴿رَفَثَ﴾: في محل النصب اسمها، ومثله في الإعراب قوله ﴿وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ﴾. ﴿فِى ٱلْحَجِّ﴾: جار ومجرور تنازع فيه كل من قوله ﴿فَلَا رَفَثَ﴾، ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾، ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ على كونه خبراً لـ﴿لا﴾؛ تقديره: فلا رفث جائز في الحج، ولا فسوق كذلك، ولا جدال كذلك، والجمل الثلاث في محل الجزم بـ﴿مَن﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿مَن﴾ الشرطية في محل النصب مقول لجواب ﴿إذا﴾ المقدرة، وجملة ﴿إذا﴾ المقدرة مستأنفة استئنافاً بيانياً.

﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

﴿وَمَا﴾الواو: استئنافية، ﴿ما﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، أو في محل النصب مفعول مقدم وجوباً. ﴿تَفْعَلُوا۟﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿ما﴾ على كونه فعل الشرط لها، والخبر جملة الشرط إن قلنا ﴿ما﴾ مبتدأ. ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من ﴿ما﴾. ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾: فعل

ومفعول وفاعل مجزوم بـ﴿ما﴾ على كونه جواب الشرط لها، وجملة ﴿ما﴾ الشرطية مستأنفة. ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ الواو: عاطفة أو استئنافية، ﴿تزودوا﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة قوله ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ﴾، أو مستأنفة. ﴿فَإِنَّ﴾ ﴿الفاء﴾: تعليلية، ﴿إن﴾: حرف نصب وتوكيد. ﴿خَيْرَ ٱلزَّادِ﴾: اسم ﴿إن﴾، ومضاف إليه. ﴿ٱلتَّقْوَىٰ﴾: خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل الجر بـ﴿لام﴾ التعليل المقدرة المدلول عليها بـ﴿الفاء﴾ التعليلية. ﴿وَٱتَّقُونِ﴾ الواو: استئنافية، ﴿اتقوا﴾: فعل وفاعل، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة للتخفيف في محل النصب مفعول به، والجملة مستأنفة. ﴿يَٰٓأُوْلِي﴾﴿يا﴾: حرف نداء، ﴿أولي﴾: منادى مضاف منصوب بـ﴿الياء﴾ المحذوفة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وهو مضاف. ﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: مضاف إليه، وجملة النداء جواب الطلب السابق.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْۚ﴾.

﴿لَيْسَ﴾: فعل ماضٍ ناقص. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: جار ومجرور خبر مقدم لـ﴿لَيْسَ﴾. ﴿جُنَاحٌ﴾: اسمها مؤخر، والجملة مستأنفة. ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿تَبْتَغُواْ﴾: فعل وفاعل منصوب بـ﴿أن﴾. ﴿فَضْلًا﴾: مفعول به. ﴿مِّن رَّبِّكُمْۚ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بمحذوف صفة لـ﴿فَضْلًا﴾؛ تقديره: فضلاً كائناً من ربكم، والجملة الفعلية صلة ﴿أن﴾ المصدرية، ﴿أن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بحرف جر محذوف؛ تقديره: في ابتغاء فضل من ربكم، الجار والمجرور متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الجار والمجرور قبله.

﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾.

﴿فَإِذَآ﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر؛ تقديره: إذا عرفتم أنه لا جناح عليكم في ابتغاء فضل الله، وأردتم بيان ما هو المطلوب لكم.. فأقول: ﴿إذا أفضتم﴾: ﴿إذا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿أَفَضْتُم﴾: فعل وفاعل. ﴿مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة

في محل الخفض بإضافة ﴿إذا﴾ إليها على كونها فعل شرط لها، والظرف متعلق بالجواب. ﴿فَٱذۡكُرُواْ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إذا﴾ وجوباً، ﴿اذكروا اللَّه﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة جواب ﴿إذا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إذا﴾ في محل النصب مقول لجواب ﴿إذا﴾ المقدرة. ﴿عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ﴾: ظرف ومضاف إليه، والظرف متعلق بـ﴿اذكروا﴾. ﴿ٱلۡحَرَامِۖ﴾: صفة لـ﴿المشعر﴾. ﴿وَٱذۡكُرُوهُ﴾ الواو: عاطفة، ﴿اذكروه﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على جملة ﴿اذكروا الله﴾. ﴿كَمَا﴾: ﴿الكاف﴾: حرف جر وتعليل، ﴿ما﴾: مصدرية. ﴿هَدَىٰكُمۡ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهَ﴾، والجملة صلة ﴿ما﴾ المصدرية و﴿ما﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بـ﴿الكاف﴾ المتعلقة بـ﴿اذكروا﴾؛ تقديره: واذكروه لهدايته إياكم. ﴿وَإِن﴾ الواو: عاطفة أو استئنافية، ﴿إن﴾: مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف؛ تقديره: و﴿إنه﴾. ﴿كُنتُم﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿مِّن قَبۡلِهِۦ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾، أو بمحذوف مماثل له. ﴿لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿من الضالين﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر ﴿كان﴾؛ تقديره: وإنه كنتم لكائنين مع الضالين قبله، وجملة ﴿كان﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ المخففة، وجملة المخففة معطوفة على جملة ﴿اذكروا﴾، أو مستأنفة.

﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٩﴾.

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف بمعنى الواو. ﴿أَفِيضُواْ﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة قوله ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ إن جرينا على القول بأن المراد بهذه الإفاضة الإفاضة من مزدلفة إلى منى قبل طلوع الشمس، كما قاله الضحاك. ﴿مِنۡ حَيۡثُ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أَفِيضُواْ﴾. و﴿حَيۡثُ﴾ إما ظرف زمان أو مكان. ﴿أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾: فعل وفاعل، والجملة مضاف إليه لـ﴿حَيۡثُ﴾. ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على جملة ﴿أَفِيضُواْ﴾.

﴿إِنَّ﴾: حرف نصب وتوكيد. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿غَفُورٌ﴾: خبر أول لها. ﴿رَّحِيمٌ﴾: خبر ثان لها، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل الجر بـ﴿لام﴾ التعليل المقدرة.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾.

﴿فَإِذَا﴾ ﴿الفاء﴾ فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر؛ تقديره: إذا عرفتم أحكام مناسككم، وأردتم بيان ما هو الأصلح لكم بعد قضائها.. فأقول لكم: ﴿إذا قضيتم﴾. ﴿إذا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿قَضَيْتُم﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الخفض بإضافة ﴿إذا﴾ إليها، على كونها فعل شرط لها، والظرف متعلق بالجواب. ﴿مَّنَاسِكَكُمْ﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إذا﴾ وجوباً، ﴿اذكروا الله﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة جواب ﴿إذا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إذا﴾ في محل النصب مفعول لجواب ﴿إذا﴾ المقدرة. ﴿كَذِكْرِكُمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه، وهو من إضافة المصدر إلى فاعله. ﴿ءَابَآءَكُمْ﴾: مفعول المصدر، ومضاف إليه، الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف؛ تقديره: فاذكروا الله ذكراً كائناً كذكركم آباءكم. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف بمعنى (بل). ﴿أَشَدَّ﴾: منصوب على الحالية من ﴿ذِكْرًا﴾ المذكور بعده، المنصوب بـ﴿اذكروا﴾؛ لأنه نعت نكرة قدمت عليها، فينصب على الحال. ﴿ذِكْرًا﴾: مفعول مطلق لـ﴿اذكروا﴾ منصوب به؛ لأن القاعدة: أن نعت النكرة إذا تقدم عليها يعرب حالاً، وتعرب النكرة بحسب العوامل، فيكون التقدير: فاذكروا الله ذكراً كائناً كذكركم آباءكم، بل اذكروه ذكراً أشد من ذكركم آباءكم؛ أي: أكثر منه.

﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾.

﴿فَمِنَ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر؛ تقديره: إذا عرفتم ما ذكرته لكم من المناسك وما هو الأصلح لكم بعد قضاء

المناسك، وأردتم بيان أحوال الناس في الدعاء.. فأقول لكم: ﴿من الناس﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿من﴾ اسم موصول في محل الرفع مبتدأ مؤخر، والجملة في محل النصب، مقول لجواب ﴿إذا﴾ المقدرة. ﴿يَقُولُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَن﴾، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الفاعل. ﴿رَبَّنَا﴾: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿رَبَّنَآ﴾: منادى مضاف منصوب، وجملة النداء في محل النصب مقول القول. ﴿ءَاتِنَا﴾: فعل ومفعول أول، وفاعله ضمير يعود على ﴿رَبَّنَآ﴾، والجملة الفعلية جواب النداء في محل النصب مقول القول. ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿ءَاتِنَا﴾، ومفعول ﴿ءَاتِنَا﴾ الثاني محذوف؛ تقديره: مطلوبنا. ﴿وَمَا﴾ الواو: عاطفة، ﴿ما﴾: نافية. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿فِى ٱلْآخِرَةِ﴾: جار ومجرور حال من الضمير المستكن في الخبر. ﴿مِنْ﴾: زائدة. ﴿خَلَٰقٍ﴾: مبتدأ مؤخر، والتقدير: وما خلاق كائن له في الآخرة، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة قوله ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾.

﴿وَمِنْهُم﴾ الواو: عاطفة، ﴿منهم﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿مَّن﴾: اسم موصول في محل الرفع مبتدأ مؤخر، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة قوله ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾، وجملة يقول صلة ﴿مَّن﴾ الموصولة. ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿رَبَّنَآ﴾: منادى مضاف، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿يَقُولُ﴾. ﴿ءَاتِنَا﴾: فعل ومفعول أول، وفاعله ضمير يعود على ﴿رَبَّنَا﴾، والجملة جواب النداء في محل النصب مقول ﴿يَقُولُ﴾. ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿ءَاتِنَا﴾. ﴿حَسَنَةً﴾: مفعول ثان لـ﴿ءَاتِنَا﴾. ﴿وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾: جار ومجرور معطوف على قوله ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾. ﴿حَسَنَةً﴾: معطوف على ﴿حَسَنَةً﴾ الأولى، على كونه مفعولاً ثانياً لـ﴿ءَاتِنَا﴾. ﴿وَقِنَا﴾: الواو: عاطفة، ﴿قِ﴾ فعل أمر مبني

على حذف العلة، وهي الياء، ﴿نا﴾: مفعول أول، وفاعله ضمير يعود على ﴿رَبَّنَآ﴾. ﴿عَذَابَ﴾: مفعول ثان لـ﴿قنا﴾. ﴿ٱلنَّارِ﴾: مضاف إليه، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿ءَاتِنَا﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: مبتدأ أول. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿نَصِيبٌ﴾: مبتدأ ثان مؤخر. ﴿مِّمَّا﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿نَصِيبٌ﴾؛ والتقدير: أولئك نصيب مما كسبوا كائن لهم، والجملة مستأنفة. ﴿كَسَبُواْۚ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف؛ تقديره: مما كسبوه. ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: استئنافية، ﴿اللَّهُ﴾: مبتدأ: ﴿سَرِيعُ﴾ خبر. ﴿ٱلْحِسَابِ﴾: مضاف إليه، والجملة مستأنفة.

﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾.

﴿وَٱذْكُرُواْ﴾ الواو: استئنافية، ﴿اذكروا﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة مستأنفة. ﴿فِىٓ أَيَّامٍ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿اذكروا﴾. ﴿مَّعْدُودَٰتٍۚ﴾: صفة لـ﴿أَيَّامٍ﴾. ﴿فَمَن﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر؛ تقديره: إذا عرفتم مشروعية الذكر لكم، وأردتم بيان حكم من تعجل ومن تأخر.. فأقول لكم: ﴿من تعجل﴾، ﴿من﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط. ﴿تَعَجَّلَ﴾: فعل ماض في محل الجزم بـ﴿مَن﴾ وفاعله ضمير يعود على ﴿مَن﴾. ﴿فِى يَوْمَيْنِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿تَعَجَّلَ﴾. ﴿فَلَآ﴾ ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿من﴾ الشرطية وجوباً، ﴿لا﴾: نافية تعمل عمل ﴿إن﴾. ﴿إِثْمَ﴾: في محل النصب اسمها. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر ﴿لا﴾؛ تقديره: فلا إثم كائن عليه، وجملة ﴿لا﴾ في محل الجزم بـ﴿مَن﴾ على كونها جواباً لها، وجملة ﴿مَن﴾ الشرطية في محل النصب مقول لجواب ﴿إذا﴾ المقدرة، وجملة ﴿إذا﴾ المقدرة مستأنفة. ﴿وَمَن﴾: الواو: عاطفة، ﴿مَنْ﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط.

﴿تَأَخَّرَ﴾: فعل ماضٍ في محل الجزم بـ﴿مَن﴾ على كونه فعل شرط لها، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَن﴾، وجملة فلا إثم عليه في محل الجزم بـ﴿مَن﴾ على كونها جواباً لها، وجملة ﴿مَن﴾ الشرطية في محل النصب معطوفة على جملة ﴿مَن﴾ الأولى.

﴿لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

﴿لِمَنِ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف؛ تقديره: ذلك الحكم المذكور كائن لمن اتقى الله، والجملة من المبتدأ المحذوف وخبره مستأنفة. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ الواو: استئنافية، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة مستأنفة. ﴿وَاعْلَمُوا﴾ الواو: عاطفة، ﴿اعلموا﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة قوله ﴿وَاتَّقُوا﴾. ﴿أَنَّكُمْ﴾: ﴿أن﴾: حرف نصب ومصدر، ﴿الكاف﴾: اسمها. ﴿إِلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تُحْشَرُونَ﴾، ﴿تُحْشَرُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿أن﴾؛ تقديره: أنكم محشورون إليه، وجملة ﴿أن﴾ في تأويل مصدر سادٌّ مسد مفعولي ﴿اعلموا﴾؛ تقديره: واعلموا حشركم إليه للمجازاة بالبعث من القبور. والله أعلم.

التصريف ومفردات اللغة

﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ استيسر وتيسر بمعنى واحد، مثل صعب واستصعب، وغنى واستغنى، وليست السين للطلب، وذلك لأن العرب لا تزيد حرفاً غالباً إلا للدلالة على معنى زائد لا يدل عليه الأصل كما هو مقرر في التصريف. ﴿الْهَدْيِ﴾: بتخفيف الياء مصدر في الأصل، وهو بمعنى المهدي، ويقرأ بتشديد الياء، وهو جمع هدية، وقيل: هو فعيل بمعنى مفعول. ﴿مَحِلَّهُ﴾: وهو بالكسر يطلق على الزمان والمكان، وبالفتح على المكان فقط. ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: من باب إضافة الصفة المشبهة إلى مرفوعها.

﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾: الرفث: الإفحاش في الكلام، يقال: رفث يرفُث بكسر الفاء وضمها، والفسوق: الخروج عن حدود الشرع،

الجدال:[1] بوزن فِعال مصدر جادل، من باب فاعل الذي هو من مزيد الثلاثي، وهو المخاصمة الشديدة، مشتق من الجدل، وهو الفتل، ومنه قيل: زمام مجدول، وقيل: له جديل لفتله، وقيل للصقر: الأجدل لشدته واجتماع حلقه، كأن بعضه فتل في بعض فقوي. ﴿ٱلزَّادِ﴾[2] معروف؛ وهو ما يستصحبه الإنسان للسفر من مأكول ومشروب ومركوب وملبوس إن احتاج إلى ذلك، وألفه منقلبة عن واو يدل على ذلك قولهم: تزود تفعل من الزاد.

﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ﴾ وأصل أفضتم: أفيضتم؛ لأنه من فاض السيل يفيض إذا سال، وإذا كثر الناس في الطريق كان مشيهم كجريان للسيل.

﴿عَرَفَٰتٖ﴾: اسم[3] لتلك البقعة؛ أي: موضع الوقوف، وقرأه الجماعة بالتنوين، وليس التنوين فيه للفرق بين ما ينصرف وما لا ينصرف، وإنما هو بمنزلة النون في مسلمين، وسميت عرفات؛ لأن الناس يتعارفون فيها، وقيل: لأن آدم التقى هو وحواء فيها فتعارفا، وقيل: غير ذلك. قال ابن عطية: والظاهر أنه اسم مرتجل كسائر أسماء البقاع.

وقال أبو السعود[4]: وعرفات جمع سمي به كأذرعات، وإنما صرف وفيه العلتان لأن تنوينه تنوين المقابلة لا تنوين التمكين، وهذا الاسم من الأسماء المرتجلة إلا على القول بأن أصله جمع.

﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ﴾ السين و التاء فيه للطلب على بابها، والمفعول الثاني محذوف للعلم به؛ أي: من ذنوبكم التي فرطت منكم، واستغفر يتعدى لاثنين، أولهما بنفسه، والثاني بمن، نحو استغفرت الله من ذنبي، وقد يحذف حرف الجر كقوله:

أَسْتَغْفِرُ ٱللَّهَ ذَنْباً لَسْتُ مُحْصِيَهُ　　رَبَّ ٱلْعِبَادِ إِلَيْهِ ٱلْوَجْهُ وَٱلْعَمَلُ

﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ﴾؛ أي: أديتم؛ لأن قضى إذا علق بفعل النفس

---

(١) البحر المحيط.
(٢) البحر المحيط.
(٣) شوكاني.
(٤) جمل.

فالمراد منه الإتمام والفراغ، كقوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾.

﴿مَّنَاسِكَكُمْ﴾: جمع[1] منسَك بفتح السين وكسرها، والجمهور على إظهار الكاف الأولى، وأدغمها بعضهم؛ شبه حركة الإعراب بحركة البناء فحذفها.

البلاغة

﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ﴾: فيه مجاز في الفاعل وفي المفعول:

أما في الفاعل: ففي إسناد الحلق إلى الجميع، وإنما يحلق بعضهم رأس بعض، وهو مجاز شائع كثير، تقول: حلقت رأسي والمعنى: أن غيره حلقه له.

وأما المجاز في المفعول: فإنه على حذف مضاف تقديره: شعر رؤوسكم، والخطاب يخص الذكور؛ لأن الحلق مثلةَ للنساء في الحج وفي غيره، وإنما التقصير سنتهن في الحج.

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾: كناية عن ذبحه في مكان الإحصار.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾: فيه مجاز بالحذف؛ لأن الأصل فمن كان منكم مريضاً فحلق، أو به أذى من رأسه فحلق.. فعليه فدية.

﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾: فيه من مباحث البلاغة شيئان: أحدهما: الإلتفات، والآخر: الحمل على المعنى.

أما الإلتفات: فإن قبله: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ﴾ ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾، فجاء بضمير الغيبة عائداً على ﴿من﴾ فلو نسق هذا على نظم الأول.. لقيل: إذا رجع، بضمير الغيبة.

وأما الحمل على المعنى: فلأنه أتى بضمير الجمع اعتباراً بمعنى ﴿من﴾، ولو روعي اللفظ لأفرد، فقيل: إذا رجع.

﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾: فيه إجمال بعد التفصيل، وهذا من باب الإطناب، وفائدته زيادة التأكيد والمبالغة في المحافظة على صيامها وعدم التهاون بها، أو

---

(١) عكبري.

(٢) مَثْلَةٌ: تشويه.

تنقيص عددها، والتنبيه على أنها كاملة في الثواب؛ يعني: أن ثواب صيام العشرة كثواب الذبح لا ينقص عنه شيئاً.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: فيه إظهار في مقام الإضمار؛ لتربية المهابة في روع السامع.

﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾: فيه إظهار في مقام الإضمار، ونكتته كمال الاعتناء بشأنه، والإشعار بعلة الحكم، فإن زيارة البيت المعظم والتقرب بها من موجبات ترك الأمور المذكورة، وإيثار النفي للمبالغة في النهي، والدلالة على أن ذلك حقيق بأن لا يقع، فإن ما كان منكراً مستقبحاً في نفسه، ففي خلال الحج أقبح كلبس الحرير في الصلاة، لأنه خروج عن مقتضى الطبع والعادة إلى محض العبادة.

﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾؛ أي: ومن شر ففيه اكتفاء، وهو ذكر أحد المتقابلين، وحذف الآخر لعلمه من المذكور.

﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾: فيه تشبيه تمثيلي، يسمى: مرسلاً مجملاً.

﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾: فيه التفات من الخطاب إلى الغيبة، ولو جاء على الخطاب.. لكان: فمنكم من يقول ومنكم من يقول. وحكمة هذا الالتفات: أنهم لما وجهوا بهذا الذي لا ينبغي أن يسلكه عاقل، وهو الاقتصار على الدنيا.. أبرزوا في صورة أنهم غير المخاطبين بذكر الله، بأن جعلوا في صورة الغائبين، وهذا من التقسيم الذي هو من جملة ضروب البيان.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ
ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ
ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾
وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ
مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾
هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ
ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَـٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ
ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟
فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾.

المناسبة

ومناسبة هذه الآيات لما قبلها: أنه لما ذكر الله تعالى في الآيات السابقة العبادات التي تطهر القلوب، وتزكي النفوس كالصيام والصدقة والحج، وقسم السائلين له إلى مقتصر على أمر الدنيا وطلبها، وسائل حسنة الدنيا والآخرة والوقاية من النار. . أتى هنا بذكر النوعين، فذكر من النوع الأول من هو حلو المنطق مظهر الود، وليس ظاهره كباطنه، وعطف عليه من يقصد رضىٰ الله تعالى، ويبيع نفسه في طلبه، وقدم الأول هنا؛ لأنه هناك هو المقدم بقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾، وأحال هنا على إعجاب قوله دون غيره من الأوصاف؛ لأن القول هو الظاهر منه أولاً في قوله تعالى: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ﴾ فكان من حيث توجهه إلى الله تعالى في الدعاء ينبغي أن يكون لا يقتصر على الدنيا، وأن يسأل ما ينجيه من عذابه، وكذلك هذا الثاني ينبغي أن لا يقتصر على حلاوة منطقه، بل كان يطابق في سريرته لعلانيته، ثم حذر تبارك وتعالى من اتباع خطوات الشيطان، وبين لنا عداوته الشديدة.

أسباب النزول

قوله[1] تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ...﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن السدي قال: نزلت في الأخنس بن شريق، أقبل إلى النبي ﷺ، وأظهر له الإسلام، فأعجبه ذلك منه، ثم خرج فمر بزرع لقوم من المسلمين وحمر فأحرق الزرع وعقر الحمر؛ فأنزل الله الآية.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ...﴾ أخرج الحارث بن أبي أسامة في مسنده، وابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب قال: أقبل صهيب مهاجراً إلى النبي ﷺ، فاتبعه نفر من قريش، فنزل عن راحلته وانتشل ما في كنانته، ثم قال: يا معشر قريش، لقد علمتم أني مِنْ أرماكم رجلاً، وأيم الله لا تصلون إلي حتى أرمي كل سهم معي في كنانتي، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، ثم افعلوا ما شئتم منه، وإن شئتم دللتكم على مالي بمكة، وخليتم سبيلي. قالوا: نعم، فلما قدم على النبي ﷺ المدينة قال: ربح البيع أبا يحيى، ربح أبا يحيى، ونزلت: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً...﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: قال عبد الله بن سلام، وثعلبة، وابن يامين، وأَسد وأُسد ابنا كعب، وسعيد بن عمرو، وقيس بن زيد، كلهم من يهود: يا رسول الله، يوم السبت يوم نعظمه، فدعنا فلنسبت فيه، وإن التوراة كتاب الله، فدعنا فلنقم بها الليل؛ فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً...﴾ الآية.

التفسير وأوجه القراءة

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ...﴾ إلخ، هذان[2] قسمان يضمان لقوله

---

(١) لباب النقول.

(٢) جمل.

سابقاً: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ...﴾ إلخ. **فأول الأربعة**: راغب في الدنيا فقط ظاهراً وباطناً، **والثاني**: راغب فيها وفي الآخرة كذلك، **والثالث**: راغب في الآخرة ظاهراً وفي الدنيا باطناً، **والرابع**: راغب في الآخرة ظاهراً وباطناً معرض عن الدنيا كذلك؛ أي: ومن بعض الناس ـ يا محمد ـ من يعجبك ويحبك، ويشوقك ويعظم في نفسك قوله وكلامه وحديثه ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: يعجبك ما يقوله في أمور الدنيا، وأسباب المعاش وما يتكلم به لطلب مصالح الدنيا؛ لأنه يطلب بادعاء المحبة حظ الدنيا، ولا يريد به الآخرة، هذا إن قلنا: إن الجار والمجرور متعلق بالقول، ويصح تعلقه بـ﴿يعجبك﴾.

والمعنى حينئذ: أي يعجبك كلامه في الدنيا حلاوة وفصاحة، ولا يعجبك في الآخرة لما يعتريه في الموقف من الدهشة والحيرة، أو لأنه لا يؤذن له في الكلام. ﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ﴾ أنه موافق لقوله؛ أي: يحلف بالله على أن ما في قلبه من محبتك أو من الإسلام موافق لكلامه، ويقول: الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الإسلام، وقرأ ابن محيصن[1] شذوذاً ﴿ويَشهدُ اللَّهُ﴾ بفتح حرف المضارعة ورفع الاسم الشريف على أنه فاعل، والمعنى: ويعلم الله منه خلاف ما قال، ومثله قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ وقراءة الجماعة أبلغ في الذم، وقرأ ابن عباس شذوذاً: ﴿واللَّهَ يُشْهِدُ على ما في قَلْبِهِ﴾، وقرأ أبي، وابن مسعود شذوذاً أيضاً: ﴿وَيَسْتَشْهِدُ اللَّهَ على ما في قلبه﴾.

﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾؛ أي: والحال أنه شديد الخصومة والعداوة لك وللمسلمين، وهو الأخنس بن شريق الثقفي، واسمه أبي كان منافقاً حسن العلانية خبيث الباطن، أقبل إلى النبي ﷺ وأظهر الإسلام، وحلف بالله إنه يحبه ويتابعه في السر، وكان النبي ﷺ يدنيه من مجلسه، وعن ابن عباس[2] أنها نزلت في نفر من المنافقين تكلموا في خبيب وأصحابه الذين قتلوا بالرجيع ـ موضع بين مكة والمدينة ـ وعابوهم؛ فأنزل الله في ذم المنافقين، ومدح خبيب وأصحابه.

---

(١) شوكاني.

(٢) ابن كثير.

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم» يعني: الشديد في الخصومة. متفق عليه.

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾ وانصرف وذهب من عندك يا محمد بعد إلانة القول، وإحلاء المنطق ﴿سَعَىٰ﴾ ومشى ﴿فِي﴾ بقاع ﴿ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾؛ أي: ليوقع الفساد فيها بقطع الأرحام، وسفك دماء المسلمين، وإيقاع الاختلاف بينهم وتفريق كلمتهم ﴿و﴾ لـ﴿يهلك﴾ ويعدم ﴿ٱلْحَرْثَ﴾ والزرع بالإحراق ﴿و﴾ يهلك ﴿النسل﴾؛ أي: نسل الدواب والحمر وأولادها بالقتل، فقوله: ﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ﴾ معطوف على قوله: ﴿لِيُفْسِدَ﴾ عطف خاص على عام كما أشرنا إليه في الحل، فإن الأخنس هذا لما انصرف من بدر مر على بني زهرة، وكان بينهم وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلاً، فأحرق زرعهم وأهلك مواشيهم، وقيل: معناه إذا تولى؛ أي: إذا صار والياً وملك الأمر.. سعى في الأرض؛ ليفسد فيها بالظلم والعدوان، كما يفعله ولاة السوء والظلمة، وقيل: يظهر ظلمه حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر، فهلك الحرث والنسل بسبب منع المطر، وهذه الآية وإن نزلت في الأخنس، فهي عامة في كل منافق يقول بلسانه ما ليس في قلبه.

يُعْطِيْكَ مِنْ طَرَفِ ٱللِّسَانِ حَلاَوَةً وَيَرُوغُ عَنْكَ كَمَا يَرُوْغُ ٱلثَّعْلَبُ

وفي[1] قراءة شاذة عن أبيّ ﴿وليهلك﴾، وقرأه قتادة بالرفع، وروي عن ابن كثير ﴿ويَهلكُ﴾ بفتح الياء وضم الكاف ورفع الحرث والنسل، وهي قراءة الحسن وابن محيصن، وما عدا قراءة الجمهور شاذ لا يقرأ به. ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾؛ أي: لا يرضى به ويعاقب صاحبه، يشمل كل نوع من أنواعه من غير فرق بين ما فيه فساد الدين، وما فيه فساد الدنيا.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ﴾؛ أي: لذلك الإنسان ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾؛ أي: خَفْ عقاب الله في فعلك ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ﴾؛ أي: حملته الأنفة وحمية الجاهلية ﴿بِٱلْإِثْمِ﴾؛ أي: على فعل الإثم والفساد الذي أُمر باتقائه، ولزمه التكبر الحاصل بالإثم الذي في قلبه،

(١) شوكاني.

فإن التكبر إنما حصل بسبب ما في قلبه من الكفر والجهل، وعدم النظر في الدلائل، ﴿فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُۖ﴾؛ أي: كافيه جهنم جزاء وعذاباً، وجهنم: اسم من أسماء النار التي يعذب بها الكفار في الآخرة، وقيل: هي اسم أعجمي، وقيل: بل هي عربي، سميت النار بذلك لبعد قعرها، ﴿وَلَبِئْسَ﴾ وقبح ﴿ٱلْمِهَادُ﴾؛ أي: الفراش جهنم، والمهاد: التوطئة أيضاً، والمعنى: أن العذاب بالنار يجعل تحته وفوقه.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن من أكبر الذنوب عند الله أن يقال للعبد: اتق الله، فيقول: عليك بنفسك.

وروي أنه قيل لعمر: اتق الله، فوضع خده على الأرض تواضعاً لله.

ونزل في صهيب بن سنان الرومي حين أسلم وتعرض له المشركون وأرادوا قتله، فاشترى نفسه منهم بماله وأتى المدينة، أو فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل، قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى﴾؛ أي: يشتري ﴿نَفْسَهُ﴾ من الكفار بماله ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِۗ﴾؛ أي: لأجل طلب رضا الله سبحانه وتعالى بالهجرة إلى الله ورسوله، وهو صهيب بن سنان، لما آذاه المشركون هاجر إلى المدينة، وترك لهم ماله، فعلى هذا: فالشراء على معناه الأصلي.

وقيل معناه: ومن الناس من يبيع ويبذل نفسه في طاعة الله من صلاة وصيام وجهاد، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، فكان ما يبذله من نفسه كالسلعة، فصار كالبائع، والله تعالى هو المشتري، والثمن هو رضا الله تعالى وثوابه المذكور في قوله: ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِۗ﴾. ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾؛ أي: محسن إليهم ومكرم لهم بالنعم الجسام، حيث أرشدهم لما فيه رضاه، ومن[1] رأفته أنه جعل النعيم الدائم جزاء على العمل القليل المنقطع، ومن رأفته أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها، وأن المصر على الكفر ولو مئة سنة إذا تاب ولو لحظة... أسقط عنه

---

(١) كرخي.

عقاب تلك السنين، وأعطاه الثواب الدائم، ومن رأفته أن النفس والمال له، ثم إنه يشتري ملكه بملكه فضلاً منه ورحمة وإحساناً، ومن رأفته مضاعفة الحسنات، وعدم مضاعفة السيئات.

ونزل في عبد الله بن سلام وأضرابه حين عظموا السبت، وكرهوا الإبل بعد الإسلام قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ أي: صدقوا بما جاء به محمد ﷺ ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ﴾ بفتح السين وكسرها الإسلام؛ أي: تلبسوا بالإسلام ﴿كَآفَّةً﴾؛ أي: جميعاً، واعملوا بجميع أحكامه واتركوا ما كنتم عليه من شريعة موسى المخالفة لملة الإسلام؛ لأنها صارت منسوخة، والسلم[1] هنا قرأها بالفتح نافع، والكسائي، وابن كثير، والباقون بكسرها، والتي في (الأنفال) لم يقرأها بالكسر إلا أبو بكر وحده عن عاصم، والتي في القتال، فلم يقرأها بالكسر إلا حمزة، وأبو بكر أيضاً، وقرأ الأعمش السَلَم بفتح السين واللام.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾؛ أي: ولا تتبعوا طرق تزيين الشيطان ووسوسته بتفريق الأحكام بالعمل ببعضها الموافق لشريعة موسى، وعدم العمل بالبعض الآخر المخالف لها كعدم تعظيم السبت، وعدم كراهة الإبل؛ يعني: لا تتبعوا طرق الشيطان التي يزينها بوسوسته لكم، وقيل المعنى: ولا تلتفتوا إلى الشبهات التي يلقيها إليكم أصحاب الضلالة والغواية والأهواء المضلة؛ لأن من اتبع سنة إنسان.. فقد تبع أثره ﴿إِنَّهُۥ﴾؛ أي: إن الشيطان ﴿لَكُمْ﴾ يا بني آدم ﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾؛ أي: بيّن العداوة وظاهرها بالنسبة لمن أنار الله قلبه، وأما غيره: فهو حليف له ﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾ وملتم عن الدخول في كافته وجميعه، وانحرفتم عن الطريق الذي أمرتم به، وقرىء شذوذاً ﴿زللتم﴾ بكسر اللام ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ﴾ وظهرت لكم ﴿ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾؛ أي: الدلالات الواضحات من البراهين القطعية، والدلائل النقلية كالمعجزة الدالة على الصدق، وكالبيان الحاصل بالقرآن والسنة.

---

(١) سمين.

﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾؛ أي: قوي لا يعجزه شيء عن انتقامه منكم، ولا يمنعه مانع عنكم، ولا يفوته ما يريده منكم ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه لا ينتقم إلا بحق، أو حكيم فيما شرعه لكم من الدين.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾؛ أي: ما ينتظر هؤلاء التاركون الدخول في السلم والمتبعون خطوات الشيطان ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ يوم القيامة بلا كيف ولا تشبيه، لفصل القضاء بين الأولين والأخرين ﴿فِى ظُلَلٍ﴾؛ أي: في سحاب رقيق ﴿مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾؛ أي: من السحاب الأبيض ﴿و﴾ إلا أن تأتيهم ﴿الملائكة﴾ الموكلون بتعذيبهم، وقيل: إن قوله: ﴿فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فيه تقديم وتأخير بدليل ما في بعض القراءات شاذة: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام﴾ قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية[١] يقول: والملائكة يجيئون في ظلل من الغمام، والله تعالى يجيىء فيما يشاء بدليل هذه القراءة.

وقال ابن كثير: وقد ذكر الإمام أبو جعفر بن جرير ههنا حديث الصوَر بطوله من أوله عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، وهو حديث مشهور ساقه غير واحد من أصحاب المسانيد وغيرهم، وفيه: «إن الناس إذا اهتموا لموقفهم في العرصات.. تشفعوا إلى ربهم بالأنبياء واحداً واحداً من آدم، فمن بعده، فكلهم يحيد عنها حتى ينتهوا إلى محمد ﷺ، فإذا جاؤوا إليه قال: أنا لها أنا لها، فيذهب فيسجد لله تحت العرش، ويشفع عند الله في أن يأتي لفصل القضاء بين العباد، فيشفعه الله، ويأتي في ظلل من الغمام بعد ما تنشق السماء الدنيا، وينزل من فيها من الملائكة، ثم الثانية، ثم الثالثة إلى السابعة، وينزل حملة العرش والكروبيون[٢]، قال: وينزل الجبار عز وجل في ظلل من الغمام والملائكة». الحديث.

قال ابن أبي حاتم، وحدثنا أبي قال: حدثنا محمد بن الوزير الدمشقي،

---

(١) ابن كثير.

(٢) **الكروبيون**: سادة الملائكة «لسان العرب».

حدثنا الوليد قال: سألت زهير بن محمد عن قول الله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ قال: ظلل من الغمام منظوم من الياقوت مكلل بالجواهر والزبرجد، وقال ابن أبي نجيح وعن مجاهد: في ظلل من الغمام قال: هو غير السحاب، ولم يكن قط إلا لبني إسرائيل في تيه حين تاهوا.

والقول الأسلم[1] الذي عليه سلف الأمة وأعلام أهل السنة في آيات الصفات وأحاديثها: الإيمان والتسليم لما جاء فيها من الصفات، فيجب علينا الإيمان بظاهرها، وأن نؤمن بها كما جاءت، ونكل علمها إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ، مع الإيمان والاعتقاد بأن الله تعالى منزه عن سمات الحدوث، وعن الحركة والسكون. قال الكلبي: هذا من الذي لا يفسر، وقال سفيان بن عيينه: كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عليه، ليس لأحد أن يفسره إلا الله ورسوله.

وكان الزهري، والأوزاعي، ومالك، وابن المبارك، وسفيان الثوري، والليث بن سعد وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه يقولون في هذه الآية وأمثالها: اقرؤوها كما جاءت بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، هذا مذهب أهل السنة، ومعتقد سلف الأمة، وأنشد بعضهم في المعنى:

عَقِيْدَتُنَا أَنْ لَيْسَ مِثْلُ صِفَاتِهِ ... وَلاَ ذَاتِهِ شَيْءٌ عَقِيْدَةُ صَائِبِ
نُسَلِّمُ آيَاتِ الصِّفَاتِ بِأَسْرِهَا ... وَأَخْبَارَهَا لِلظَّاهِرِ ٱلْمُتَقَارِبِ
وَنُؤْيِسُ عَنْهَا كُنْهَ فَهْمِ عُقُوْلِنَا ... وَتَأْوِيْلُنَا فِعْلُ ٱللَّبِيْبِ ٱلْمُغَالِبِ
وَنَرْكَبُ لِلتَّسْلِيْمِ سُفْنَاً فَإِنَّهَا ... لِتَسْلِيْمِ دِيْنِ ٱلْمَرْءِ خَيْرُ ٱلْمَرَكَبِ

والظلل: جمع[2] ظلة كقلة وقلل، وهي ما أظلك، وقرأ قتادة، ويزيد بن القعقاع ﴿ظلال﴾ كقلال، والغمام: السحاب الأبيض، وقرأ يزيد[3] أيضاً

(١) الخازن.
(٢) بيضاوي.
(٣) شوكاني.

﴿والملائكةِ﴾ بالجر عطفاً على ﴿ٱلْغَمَامِ﴾ أو على ﴿ظُلَلٍ﴾. قال الأخفش: والملائكة بالخفض بمعنى: وفي الملائكة، قال: والرفع أجود، وقال الزجاج: التقدير في ظلل من الغمام، ومن الملائكة.

والمعنى: هل ينتظرون إلا أن يأتيهم بما وعدهم من الحساب والعذاب في ظلل من الغمام والملائكة؟.

وقوله: ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾: معطوف على ﴿يَأْتِيَهُمُ﴾، داخل في حيز الانتظار، وإنما عدل إلى صيغة الماضي دلالة على تحققه، فكأنه قد كان، أو جملة مستأنفة جيء بها للدلالة على أن مضمونها واقع لا محالة؛ أي: وفرغ من الأمر الذي هو إهلاكهم. وقرأ معاذ بن جبل شذوذاً: ﴿وقضاء الأمر﴾ بالمصدر عطفاً على الملائكة، وقرأ يحيى بن يعمر شذوذاً أيضاً: ﴿وقضىٰ الأمور﴾ بالجمع؛ أي: فهل ينتظرون إلا أن يُقضىٰ الأمر بين الخلائق، ويفصل بينهم بأخذ الحقوق لأربابها، وإنزال كل أحد من المكلفين منزلته، إما في الجنة وإما في النار، وذلك يوم القيامة. ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ﴾ سبحانه وتعالى لا إلى غيره ﴿تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ يوم النشور؛ أي: ترد إليه أمور الخلائق وشؤونهم؛ ليقضي بينهم القضاء الفاصل، ويجازي كلاً على عمله.

فإن قلتَ[1]: هل كانت الأمور ترجع إلى غيره تعالى؟.

قلت: إن أمور جميع العباد ترجع إليه في الدنيا والآخرة، ولكن المراد من هذا: إعلام الخلق بأنه المجازي على الأعمال بالثواب والعقاب.

وفيه جواب آخر، وهو أنه لمّا عبد قوم غيره تعالى في الدنيا.. أضافوا أفعاله تعالى إلى طاغوتهم، فإذا كان يوم القيامة، وانكشف الغطاء.. ردوا إلى الله ما أضافوه إلى غيره في الدنيا.

وقرأ ابن كثير[2]، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم على البناء للمفعول على أنه بمعنى: ترد، وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي على البناء للفاعل بالتأنيث على

---

(١) الخازن. (٢) بيضاوي ومراح.

أنه بمعنى: تصير، وقرىء أيضاً بالتذكير، وبناء المفعول.

﴿سَلْ﴾ يا محمد ﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: أولاد يعقوب الحاضرين منهم توبيخاً لهم وتقريعاً ﴿كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم﴾؛ أي: أيُّ عدد أعطيناهم ﴿مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾؛ أي: من معجزة واضحة، وحجج باهرة تدل على صدق أنبيائهم؛ أي: سلهم كم من المعجزات أعطينا لموسى نبيهم تدل على صدقه؟ كيَده، وعصاه، وفلقه البحر، وضربه الحجر، وتظليل الغمام، وإنزال المن والسلوى وغير ذلك، فبدلوها كفراً؛ أي: أخذوا بدل موجبها وهو الإيمان كفراً، فاستوجبوا العقاب من الله تعالى، فإنكم لو زللتم عن آيات الله تعالى.. لوقعتم في العذاب كما وقع أسلافكم فيه، وهذا تسلية لرسول الله ﷺ؛ أي: فلا غرابة في عدم إيمانهم بك، فإننا آتيناهم آيات بينات على يد موسى، فلم يؤمنوا ولم ينقادوا ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ومن يغير آيات الله الباهرة الدالة على نبوة محمد ﷺ بالكفر؛ أي: بدل موجبها الذي هو الإيمان بها بالكفر ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ﴾؛ أي: من بعد ما وصلت إليه وعرفها، أو المعنى: ومن يغير دين الله وكتابه بالكفر من بعد ما جاء به محمد ﷺ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ له فيعاقبه أشد عقوبة؛ لأنه ارتكب أشد جريمة، وفي هذا من الترهيب والتخويف ما لا يقادر قدره.

وقال ابن جرير الطبري[١]: النعمة هنا الإسلام، والظاهر دخول كل نعمة أنعم الله بها على عبد من عباده كائناً من كان، فوقع منه التبديل لها، وعدم القيام بشكرها، ولا ينافي ذلك كون السياق في بني إسرائيل، أو كونهم السبب في النزول لما تقرر من أن الاعتبار بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: حسنت[٢] في أعينهم، وأشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا فيها، وأعرضوا عن غيرها، والمزين لهم في الحقيقة هو الله تعالى؛ إذ ما من شيء إلا وهو فاعله، ويدل عليه قراءة ﴿زيَّن﴾ بالبناء

---

(١) شوكاني.

(٢) بيضاوي.

للفاعل، وكل من الشيطان والقوة الحيوانية، وما خلقه الله فيها من الأمور البهيمية، والأشياء الشهوية مزين بالعرض، وإنما لم[1] يلحق الفعل علامة التأنيث لكونه مؤنثاً مجازياً، وحسن ذلك الفصل، وقرأ ابن أبي عبلة شذوذاً: ﴿زينت﴾ بالتأنيث مراعاة للفظ، وقرأ مجاهد، وأبو حيوة شذوذاً أيضاً ﴿زَين﴾ - بفتح الزاي مبنياً للفاعل، الحياة مفعول، والفاعل هو الله تعالى، والمعتزلة[2] يقولون: إنه الشيطان، وهذا تأويل ضعيف؛ لأن قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾يتناول جميع الكفار، فيدخل فيه الشيطان وغواة الجن والإنس، وإن كلهم مزين لهم، وهذا المزين لا بد وأن يكون مغايراً لهم، فثبت بهذا ضعف قول المعتزلة.

وقيل: إن المراد من التزيين أنه تعالى أمهلهم في الدنيا حتى أقبلوا عليها وأحبوها، فكان هذا الإمهال هو التزيين.

قيل: نزلت هذه الآية[3] في مشركي العرب، أبي جهل وأضرابه؛ لأنهم كانوا يتنعمون بما بسط لهم في الدنيا من المال، ويكذبون بالمعاد، وقيل: نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه، وقيل: نزلت في رؤساء اليهود، ويحتمل أنها نزلت في الكل ﴿و﴾ هم ﴿يسخرون من الذين آمنوا﴾ ويستهزؤون بفقراءهم بضيق معيشتهم، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: مثل عبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر، وصهيب، وبلال، ونظرائهم رضي الله عنهم، وقيل: كانوا يقولون: انظروا إلى هؤلاء الذين يزعم محمد أنه يغلب بهم ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ عن الشرك، وعن الدنيا الشاغلة عن الله تعالى، وهم فقراء المؤمنين ﴿فَوْقَهُمْ﴾؛ أي: فوق الكفار حساً ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾؛ لأن المؤمنين في عليين، والكافرين في سجين، والمعنى: لأنهم في أوج الكرامة، وهم في حضيض المذلة، ولأن سخرية المؤمنين بالكفار يوم القيامة فوق سخرية الكافرين بالمؤمنين في الدنيا.

---

(١) جمل.

(٢) الخازن.

(٣) الخازن.

وعن حارثة بن وهب ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عُتُلّ جواظ جعظري مستكبر». متفق عليه. العتل: الفظ الغليظ الشديد في الخصومة، الذي لا ينقاد لخير، والجواظ: الفاجر المختال في مشيته، وقيل: هو القصير البطين، والجعظري: الفظ الغليظ، وقيل: هو الذي يتمدح بما ليس فيه أو عنده.

وعن أسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «قمت على باب الجنة، فكان عامة من دخلها المساكين، وأصحاب الجد محبوسون، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار، وقمت على باب النار، فإذا عامة من دخلها النساء». متفق عليه. الجَد ـ بالفتح ـ: الحظ والغنى وكثرة المال. ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾؛ أي: والله يعطي من يشاء من عباده في الدنيا من مؤمن أو كافر، أو في الآخرة لمؤمن رزقاً واسعاً ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾؛ أي: رزقاً لا حساب فيه، ولا عد ولا ضبط لكثرته، فلا يضبطه عد، ولا كيل، ولا وزن من غير تكلف من المرزوق، ومن حيث لا يحتسب، وقد أغنى الله المؤمنين بما أفاض عليهم من أموال صناديد قريش، ورؤساء اليهود حتى ملكوا كنوز كسرى وقيصر، ولكن البسط في الدنيا لا يخلو: إما من الاستدراج، أو من الابتلاء.

الإعراب

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

﴿وَمِنَ﴾ الواو: استئنافية، ﴿من الناس﴾: جار ومجرور خبر مقدم ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة في محل الرفع مبتدأ مؤخر، والجملة مستأنفة. ﴿يُعْجِبُكَ﴾: فعل ومفعول. ﴿قَوْلُهُۥ﴾: فاعل ومضاف إليه، والجملة صلة لـ﴿من﴾ أو صفة لها، والعائد أو الرابط الضمير في ﴿قَوْلُهُۥ﴾. ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يُعْجِبُكَ﴾، أو بـ﴿القول﴾. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة لـ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾.

﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾.

﴿وَيُشْهِدُ﴾ الواو: عاطفة، أو حالية، ﴿يشهد﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَن﴾. ﴿ٱللَّهَ﴾: مفعول به، والجملة معطوفة على جملة ﴿يُعْجِبُكَ﴾ على كونها صلة الموصول، أو في محل النصب حال من فاعل ﴿يُعْجِبُكَ﴾. ﴿عَلَىٰ مَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يشهد﴾. ﴿فِي قَلْبِهِۦ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه، والجار والمجرور متعلق بمحذوف صلة لـ﴿ما﴾ أو صفة لها؛ تقديره: على ما استقر في قلبه. ﴿وَهُوَ﴾ الواو: عاطفة، ﴿هو﴾: مبتدأ. ﴿أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾: خبر ومضاف إليه، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿يشهد﴾ على كونها حالاً من فاعل ﴿يُعْجِبُكَ﴾، أو معطوفة على جملة ﴿يُعْجِبُكَ﴾ على كونها صلة الموصول.

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾.

﴿وَإِذَا﴾ الواو: استئنافية، ﴿إذا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿تَوَلَّىٰ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَن يُعْجِبُكَ﴾، والجملة في محل الخفض بإضافة ﴿إذا﴾ إليها على كونها فعل شرط لها، والظرف متعلق بالجواب الآتي. ﴿سَعَىٰ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَن يُعْجِبُكَ﴾، والجملة جواب ﴿إذا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إذا﴾ من فعل شرط وجوابها مستأنفة. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿سَعَىٰ﴾. ﴿لِيُفْسِدَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل، ﴿يفسد﴾: فعل مضارع منصوب بـ﴿أن﴾ مضمرة جوازاً بعد لام كي، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَن يُعْجِبُكَ﴾. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة صلة ﴿أن﴾ المضمرة، ﴿أن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بـ﴿اللام﴾، تقديره: لإفساده فيها، الجار والمجرور متعلق بـ﴿سَعَىٰ﴾. ﴿وَيُهْلِكَ﴾ الواو: عاطفة، ﴿يهلك﴾: معطوف على ﴿يفسد﴾، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَن﴾ ﴿ٱلْحَرْثَ﴾: مفعول به. ﴿وَٱلنَّسْلَ ۗ﴾: معطوف على ﴿ٱلْحَرْثَ﴾، والجملة في تأويل مصدر معطوف على مصدر منسبك من ﴿يفسد﴾؛ تقديره: ولإهلاكه الحرث والنسل.

﴿وَٱللَّهُ﴾ الواو: استئنافية، ﴿اللَّه﴾: مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُحِبُّ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّه﴾. ﴿ٱلْفَسَادَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾.

﴿وَإِذَا﴾الواو: عاطفة جملة على جملة، أو استئنافية، ﴿إذا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿قِيلَ﴾: فعل ماض مغيَّرا الصيغة ﴿لَهُ﴾: جار ومجرور متعلق به. ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾: نائب فاعل محكي لـ﴿قِيلَ﴾، وجملة ﴿قِيلَ﴾ في محل الخفض بإضافة ﴿إذا﴾ إليها على كونها فعل شرط لها، والظرف متعلق بالجواب، وإن شئت قلت: ﴿ٱتَّقِ﴾: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً؛ تقديره: أنت. ﴿ٱللَّهَ﴾: مفعول به، والجملة في محل الرفع نائب فاعل لـ﴿قِيلَ﴾. ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ﴾: فعل ومفعول وفاعل، والتاء علامة تأنيث الفاعل. ﴿بِٱلْإِثْمِ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من ﴿ٱلْعِزَّةُ﴾؛ تقديره: حالة كونها ملتبسة بالإثم، أو حال من المفعول؛ تقديره: حال كونه ملتبساً بالإثم، والجملة الفعلية جواب ﴿إذا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إذا﴾ معطوفة على جملة ﴿يُعْجِبُكَ﴾ على كونها صلة الموصول، أو مستأنفة. ﴿فَحَسْبُهُۥ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر؛ تقديره: إذا عرفت أنه إذا قيل له: اتق الله أخذته العزة بالإثم، وأردت بيان عاقبته.. فأقول لك: ﴿حسبه جهنم﴾، ﴿حسبه﴾: ﴿الحسب﴾: مبتدأ، و﴿الهاء﴾: مضاف إليه. ﴿جَهَنَّمُ﴾: خبر، والجملة الاسمية في محل النصب مقول لجواب ﴿إذا﴾ المقدرة، وجملة ﴿إذا﴾ المقدرة مستأنفة. ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ الواو: استئنافية، أو حرف قسم، والمقسم به محذوف؛ تقديره ﴿والله﴾، الجار والمجرور متعلق بفعل قسم محذوف؛ تقديره: أقسم والله، و﴿اللام﴾: موطئة للقسم، ﴿بئس﴾: فعل ماضٍ من أفعال الذم. ﴿ٱلْمِهَادُ﴾: فاعل، وجملة ﴿بئس﴾ من الفعل والفاعل في محل الرفع خبر للمبتدأ المحذوف وجوباً؛ لكونه مخصوصاً بالذم؛ تقديره:

جهنم، والجملة من المبتدأ المحذوف وخبره جواب القسم، لا محل لها من الإعراب.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ الواو: عاطفة، أو استئنافية، ﴿من الناس﴾: جار ومجرور، خبر مقدم. ﴿مَن﴾اسم موصول، أو موصوف في محل الرفع مبتدأ مؤخر، والجملة معطوفة على جملة قوله ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ﴾، أو مستأنفة. ﴿يَشْرِى﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَن﴾. ﴿نَفْسَهُ﴾: مفعول به، ومضاف إليه، والجملة صلة لـ﴿مَن﴾ أو صفة لها، والعائد أو الرابط ضمير الفاعل. ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾: مفعول لأجله، وهو مضاف. ﴿مَرْضَاتِ﴾: مضاف إليه، وهو مضاف. ﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَٱللَّهُ﴾ الواو: استئنافية. ﴿اللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿رَءُوفٌ﴾: خبر. ﴿بِٱلْعِبَادِ﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة مستأنفة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾. ﴿يا﴾: حرف نداء، ﴿أي﴾: منادى نكرة مقصودة و﴿الهاء﴾: حرف تنبيه زائد تعويضاً عما فات أي: من الإضافة. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول للجمع المذكر في محل الرفع صفة لـ﴿أي﴾، وجملة النداء مستأنفة. ﴿ءَامَنُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الفاعل. ﴿ٱدْخُلُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة جواب النداء لا محل لها من الإعراب. ﴿فِى ٱلسِّلْمِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿ٱدْخُلُوا۟﴾. ﴿كَآفَّةً﴾: حال من ﴿ٱلسِّلْمِ﴾، و﴿السلم﴾ يذكر ويؤنث؛ فلذلك أنث الحال منها، فقيل كافة، ولم يقل كافاً.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَلَا﴾ الواو: عاطفة، ﴿لا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَتَّبِعُوا۟﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، والجملة معطوفة على جملة قوله ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ﴾. ﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿إِنَّهُۥ﴾: ﴿إنَّ﴾: حرف نصب

وتوكيد، و﴿الهاء﴾: اسمها. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿عَدُوٌّ﴾ وهو: خبر ﴿إن﴾. ﴿مُّبِينٌ﴾: صفة له، وجملة ﴿إن﴾ في محل الجر بـ﴿لام﴾ التعليل المقدرة.

﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾.

﴿فَإِن﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر؛ تقديره: إذا عرفتم أمرنا إياكم بالدخول في السلم كافة، ونهينا إياكم عن اتباع خطوات الشيطان، وأردتم بيان حالكم فيما إذا خالفتم الأمر والنهي.. فأقول لكم: ﴿إن زللتم﴾، ﴿إنْ﴾: حرف شرط جازم. ﴿زَلَلْتُم﴾: فعل وفاعل في محل الجزم بـ﴿إنْ﴾ على كونه فعل شرط لها. ﴿مِّنْ بَعْدِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿زَلَلْتُم﴾. ﴿مَا﴾: مصدرية. ﴿جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: فعل ومفعول وفاعل، و﴿التاء﴾ علامة تأنيث الفاعل، والجملة صلة ﴿ما﴾ المصدرية، ﴿مَا﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بإضافة الظرف إليه؛ تقديره: فإن زللتم من بعد مجيء البينات إياكم.. فاعلموا. ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إنْ﴾ الشرطية وجوباً، ﴿اعلموا﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الجزم بـ﴿إنْ﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿إنْ﴾ الشرطية في محل النصب مقول لجواب ﴿إذا﴾ المقدرة، وجملة ﴿إذا﴾ المقدرة مستأنفة استئنافاً بيانياً. ﴿أَنَّ﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿عَزِيزٌ﴾: خبر أول لها. ﴿حَكِيمٌ﴾: خبر ثان، وجملة ﴿أَنَّ﴾ من اسمها وخبرها في تأويل مصدر سادٌّ مسد مفعولي ﴿اعلموا﴾؛ تقديره: فاعلموا كون الله عزيزاً حكيماً.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾.

﴿هَلْ﴾: للاستفهام الإنكاري. ﴿يَنظُرُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾: فعل ومفعول وفاعل منصوب بـ﴿أن﴾، والجملة صلة ﴿أن﴾ المصدرية، ﴿أن﴾ مع

صلتها في تأويل مصدر منصوب على المفعولية؛ تقديره: هل ينتظرون إلا إتيان الله إياهم. ﴿فِي ظُلَلٍ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يأتي﴾. ﴿مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لـ﴿ظلل﴾؛ تقديره: في ظلل كائنة من الغمام. ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: معطوف على لفظ الجلالة. ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ الواو: عاطفة. ﴿قضي الأمر﴾: فعل مغيَّر ونائب فاعل، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿يأتي﴾. ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ﴾ الواو: استئنافية، ﴿إلى الله﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تُرْجَعُ﴾. ﴿تُرْجَعُ﴾: فعل مضارع مغيَّر الصيغة. ﴿ٱلْأُمُورُ﴾: نائب فاعل، والجملة مستأنفة.

﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾.

﴿سَلْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير مستتر يعود على محمد ﷺ، والجملة مستأنفة. ﴿بَنِىٓ﴾: مفعول أول لـ﴿سَلْ﴾ منصوب بـ﴿الياء﴾، وهو مضاف. ﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: مضاف إليه مجرور بالفتحة. ﴿كَمْ﴾: استفهامية بمعنى: أي عدد، أو خبرية بمعنى: عدد كثير، معلقة لـ﴿سَلْ﴾ عن العمل فيما بعدها في محل النصب مفعول ثان لـ﴿أتيناهم﴾ مقدم عليه وجوباً؛ لأن الاستفهام له صدر الكلام؛ تقديره: أتيناهم أي عدد، أو أتيناهم عدداً كثيراً، وإنما عُلِّق[1] سل عن العمل فيما بعده مع أنه ليس من أفعال القلوب، قالوا: لأنه سبب للعلم، والعلم يعلق، فكذلك سببه، فأجري السبب مجرى المسبب، والتعليق هو إبطال العمل لفظاً لا محلاً، كقولهم: ظننت لزيد قائم وعمراً جالساً. ﴿ءَاتَيْنَٰهُم﴾: فعل وفاعل ومفعول أول؛ لأن أتى بمعنى أعطى، فيتعدى إلى مفعولين، وجملة ﴿ءَاتَيْنَٰهُم﴾ من الفعل والفاعل سادة مسد المفعول الثاني لـ﴿سَلْ﴾. ﴿مِّنْ﴾: زائدة، زيدت ليعلم أن مدخولها مميز لا مفعول ثانٍ لـ﴿ءَاتَيْنَٰهُم﴾ ﴿ءَايَةٍۭ﴾: تمييز لـ﴿كَمْ﴾ منصوب بفتحة مقدرة. ﴿بَيِّنَةٍ﴾: صفة له.

﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

---

(١) كرخي.

﴿وَمَن﴾ الواو: استئنافية، ﴿من﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط. ﴿يُبَدِّلْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿مَن﴾ على كونه فعل شرط لها، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَن﴾، ﴿نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يُبَدِّلْ﴾. ﴿مَا﴾: مصدرية. ﴿جَآءَتْهُ﴾: فعل ومفعول، والتاء علامة تأنيث الفاعل. وفاعله ضمير يعود على ﴿نِعْمَةَ﴾، والجملة من الفعل والفاعل صلة ﴿مَا﴾ المصدرية، ﴿مَا﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بإضافة الظرف؛ تقديره: من بعد مجيئها إياه. ﴿فَإِنَّ﴾ ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿مَن﴾ وجوباً، ﴿إن﴾: حرف نصب وتوكيد، ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿شَدِيدُ﴾: خبرها. ﴿ٱلْعِقَابِ﴾: مضاف إليه، وجملة ﴿إنَّ﴾ من اسمها و خبرها في محل الجزم بـ﴿مَن﴾ على كونها جواباً لها، وجملة ﴿مَن﴾ الشرطية مستأنفة.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

﴿زُيِّنَ﴾: فعل ماض مغيَّر الصيغة. ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلق به. ﴿كَفَرُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الفاعل. ﴿ٱلْحَيَوٰةُ﴾: نائب فاعل. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة له، والجملة من الفعل المغيَّر ونائبه مستأنفة. ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ الواو: عاطفة، ﴿يسخرون﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿زُيِّنَ﴾. ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يسخرون﴾. ﴿ءَامَنُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الفاعل.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ﴾ الواو: عاطفة. ﴿الذين﴾: مبتدأ. ﴿ٱتَّقَوْا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الفاعل. ﴿فَوْقَهُمْ﴾: ظرف مكان ومضاف إليه، والظرف متعلق بمحذوف وجوباً، خبر المبتدأ؛ تقديره: والذين اتقوا كائنون فوقهم، والجملة معطوفة على جملة ﴿يسخرون﴾. ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: ظرف زمان ومضاف إليه، والظرف متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الظرف المذكور قبله. ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: استئنافية، ﴿اللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿يَرْزُقُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّه﴾، والجملة خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة.

﴿مَن﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول به. ﴿يَشَآءُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّه﴾، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف؛ تقديره: يشاءه. ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿يَرْزُقُ﴾.

التصريف ومفردات اللغة

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ﴾ هو من أعجب الرباعي، يقال: أعجبني كذا؛ أي: ظهر لي ظهوراً لم أعرف سببه، والتعجب: انفعال يحدث في النفس عند شعورها بأمر خفي سببُهُ، ولذا يقال: إذا ظهر السبب بطل العجب، والإعجاب: استحسان الشيء والميل إليه والتعظيم له، وقال الراغب: العجب حيرة تعرض للإنسان بسبب الشيء.

﴿أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾. ألدُّ: صفة مشبهة من اللدد، وهو شدة الخصومة، يقال: لددت لدداً ولدادةً، ورجل ألد، وامرأة لداء الخِصَامِ، إما مصدر لخاصم على حد قول ابن مالك:

لِـ(فَاعَلَ) ٱلْفِعَالُ وَٱلْمُفَاعَلاَ   وَٱجْعَلْ مَقِيْسَاً ثَانِيَاً لاَ أَوَّلاَ

وعلى هذا فالإضافة على معنى في والمعنى: شديد في خصومته، وإما جمع خصم كصعب وصعاب، وكلب وكلاب، وبحر وبحار، وكعب وكعاب؛ والمعنى: أشد المخاصمين في الخصومة.

﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ وفي «المختار» الحرث: الزرع، سمي الزرع حرثاً؛ لأنه يرزع، ثم يحرث، يقال: حرث يحرث حرثاً، من باب نصر، والحراث الزراع، وهو هنا بمعنى المحروث ﴿وَٱلنَّسْلَ﴾ الولد، يقال: نسل نسلاً ـ من باب ضرب ـ إذا كثر نسله، وسمي الولد نسلاً؛ لأنه ينسل؛ أي: يسقط من بطن أمه بسرعة، وهو هنا بمعنى المنسول.

﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ﴾ والعزة: القوة والغلبة، من عزه يعزه إذا غلبه، ومنه ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾. وقيل: العزة هنا الحمية، ومنه قول الشاعر:

أَخَذَتْهُ عِزَّةٌ مِنْ جَهْلِهِ   فَتَوَلَّىٰ مُغْضَبَاً فِعْلَ ٱلضَّجِرْ

وقيل: العزة هنا المنعة وشدة النفس، ومعنى: ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ حملته

العزة على الإثم. ﴿ٱلْمِهَادُ﴾: جمع المهد، وهو الموضع المهيأ للنوم، ومنه مهد الصبي، وسميت جهنم مهاداً؛ لأنها مستقر الكفار.

﴿مَن يَشْرِي نَفْسَهُ﴾؛ أي: يبيع نفسه في مرضاة الله، يقال: شرى المال يشري ـ من باب رمى ـ إذا باع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ وقد يكون يشري بمعنى: يشتري، لا بمعنى يبيع ويبذل، وهو المناسب لسبب نزول الآية. ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ والمرضاة: مصدر ميمي بمعنى الرضا، تقول: رضي يرضى رضا ومرضاة، ضد سخط.

﴿فِي ٱلسِّلْمِ﴾ بفتح السين وكسرها مع سكون اللام فيهما قال الكسائي: معناهما واحد الإسلام والمسالمة، وقال أبو عمرو بن العلاء: إنه بالفتح للمسالمة، وبالكسر للإسلام، ورجح الطبري أنه هنا بمعنى الإسلام. ﴿كَآفَّةً﴾ بمعنى جميعاً، وهو مشتق من قولهم: كففت؛ أي: منعت؛ أي: لا يمتنع منكم أحد من الدخول في الإسلام، وأصل الكف المنع، ولكن المراد به هنا الجميع كما مر آنفاً. ﴿زَلَلْتُم﴾ يقال: زل يزل زلا وزللا وزلولا إذا دحضت قدمه، وأصل الزلل في القدم، ثم استعمل في الاعتقادات والآراء، وغير ذلك.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل، فـ﴿رجع﴾ يستعمل لازماً ومتعدياً، فالمبني للمفعول من المتعدي، ومصدره الرجع كالضرب، وهو الرد، والمبني للفاعل من اللازم، ومصدره الرجوع، على حد قول ابن مالك:

وَفَعَلَ ٱللَّازِمُ مِثْلُ قَعَدَا   لَهُ فُعُوْلٌ بِٱطِّرَادٍ كَغَدَا

﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أصله: اسأل نقلت حركة الهمزة الثانية التي هي عين الكلمة إلى الساكن قبلها، ثم حذفت تخفيفاً، وحذفت همزة الوصل للاستغناء عنها، فصار وزنه: فل.

البلاغة

﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ معطوف على قوله: ﴿لِيُفْسِدَ﴾ من عطف

الخاص على العام؛ لأن الإفساد عام يكون بأنواع من الجور والقتل والنهب والسبي والكفر، ويدخل تحته إهلاك الحرث والنسل، وفائدة هذا العطف: الاهتمام بشأن هذا الخاص؛ لأنهما أعظم ما يحتاج إليه في عمارة الدنيا، فكان إفسادهما غاية الإفساد.

﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ فيه استعارة تصريحية تبعية، وتقريرها أن يقال: شبه حال حمية الجاهل، وحملها إياه على الإثم بحالة شخص له على غريمه حق، فيأخذه به ويلزمه إياه بجامع اللزوم في كل، ثم اشتق من الأخذ بمعنى الحمل أخذ بمعنى حمل على طريقة الاستعارة التصريحية التبعية، وفي قوله: ﴿ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ التتميم، وهو نوع من علم البديع؛ وهو عبارة عن إرداف الكلمة بأخرى ترفع عنها اللبس، وتقربها من الفهم، وذلك أن العزة تكون محمودة ومذمومة، فَمِنْ مجيئها محمودة قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ولو أطلقت.. لتوهم فيها بعض من لا دراية له أنها المحمودة، فقيل ﴿بالإثم﴾ توضيحاً للمراد. فرفع اللبس بها.

﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ فهذا من باب التهكم والاستهزاء؛ أي: جعلت لهم جهنم غطاء ووطاء فأكرمهم بذلك كما تكرم الأم ولدها بالغطاء، والوطاء: اللين.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ استفهام إنكاري في معنى النفي بدليل مجيء ﴿إِلَّآ﴾ بعدها؛ أي: ما ينظرون، والاستفهام الإنكاري هو حمل المخاطب على الإنكار بأمر عُلِمَ عنده نفيه، والضمير في ﴿يَنظُرُونَ﴾ عائد على المخاطبين بقوله: ﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾ ففيه التفات من الخطاب إلى الغيبة، وفائدة هذا الالتفات: الإشعار بأن سوء صنيعهم موجب للإعراض عنهم، وحكاية جنايتهم لمن عداهم من أهل الإنصاف على طريق المهانة.

﴿فِى ظُلَلٍ﴾ التنكير فيه للتهويل، فهي في غاية الهول والمهابة؛ لما لها من الكثافة التي تغم على الرائي ما فيها. ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ فيه وضع الماضي موضع المستقبل، والأصل: ويقضي الأمر، وفائدته: الدلالة على أنه محقَّقٌ، فكأنه قد كان كقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾.

﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ هذا السؤال ليس للاستعلام؛ لأن محمداً عالم بجميع الآيات التي أوتوها، فحيئذ لا يحتاج إلى جواب؛ لأن السؤال إذا كان لغير الاستعلام. لا يحتاج إلى الجواب.

﴿كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ﴾ ﴿كَمْ﴾ فيه للاستفهام التقريري، وضابطه هو حمل المخاطب على الإقرار بأمر علم عنده ثبوته، ولا ينافي التبكيت؛ لأن معنى التقرير: الحمل على الإقرار، وهو لا ينافي التقريع والتبكيت.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ﴾؛ أي: من بعد ما عرفها، أو تمكن من معرفتها، وإثبات المجيء للآيات فيه استعارة تصريحية تبعية.

فإن قلتَ: من المعلوم أن تبديل الآية لا يصح إلا بعد مجيئها، فَلِمَ صرح به، وما فائدة التصريح به؟

قلت: إنه ربما يوجد التبديل من غير خبرة بالمبدل، أو عن جهل به، فيعذر فاعله، وهؤلاء على خلاف ذلك، والفائدة في التصريح به: التقريع والتشنيع. ذكره في «الكشاف».

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ إظهار الاسم الجليل لتربية المهابة، وإدخال الروعة.

﴿زُيِّنَ﴾. ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ من عطف الجملة الفعلية على الجملة الفعلية، لا من باب عطف الفعل وحده على فعل آخر، فيكون من عطف المفردات؛ لعدم اتحاد الزمان، وأتى بقوله: ﴿زُيِّنَ﴾ ماضياً؛ للدلالة على أن ذلك قد وقع وفرغ فيه، وبقوله: ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ مضارعاً؛ للدلالة على التجدد والحدوث.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾: إيثار الجملة الاسمية؛ للدلالة على دوام مضمونها.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً...﴾ مناسبة[1] هذه الآية لما قبلها: هو أن إصرار هؤلاء على كفرهم؛ هو حب الدنيا، وأن ذلك ليس مختصاً بهذا الزمان الذي بعثت فيه، بل هذا أمر كان في الأزمنة المتقادمة؛ إذ كانوا على حق، ثم اختلفوا بغياً وحسداً، وتنازعاً في طلب الدنيا.

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم...﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه قال: ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾، والمراد إلى

(١) البحر المحيط.

الحق الذي يفضي اتباعه إلى الجنة، فبين أن ذلك لا يتم إلا باحتمال الشدائد والتكليف، أو لمّا بين أنه هداهم.. بين أنه بعد تلك الهداية احتملوا الشدائد في إقامة الحق، فكذا أنتم أصحابَ محمد لا تستحقون الفضيلة في الدين إلا بتحمل هذه المحن.

قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ...﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الصبر على النفقة وبذل المال هو من أعظم ما يتحلى به المؤمن، وهو من أقوى الأسباب الموصلة إلى الجنة، حتى لقد ورد: «الصدقة تطفىء غضب الرب».

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ...﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها: هو أنه لمّا ذكر ما مسَّ مَنْ تقدمنا مِنْ أتباع الرسل من البلايا، وأن دخول الجنة معروف بالصبر على ما يبتلى به المكلف، ثم ذكر الإنفاق على مَنْ ذكر، فهو جهاد النفس بالمال.. انتقل إلى أعلى منه، وهو الجهاد الذي يستقيم به الدين، وفيه الصبر على بذل المال والنفس.

وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِۖ...﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما فرض القتال لم يخص بزمان دون زمان، وكان من العوائد السابقة أن الشهر الحرام لا يستباح فيه القتال، فبين حكم القتال في الشهر الحرام.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ...﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها واضحة، وقيل: لمّا أوجب الجهاد بقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾، وبين أن تركه سبب الوعيد.. أتبع ذلك بذكر من يقوم به، ولا يكاد يوجد وعيد إلا ويتبعه وعد.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ...﴾ الآية، قال[1] عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن قتادة قال: نزلت هذه الآية في غزوة الأحزاب، وهي غزوة

(١) لباب النقول بزيادة من الخازن.

الخندق حين أصاب النبي ﷺ والمسلمين يومئذ ما أصابهم من الجهد والشدة، والخوف والبرد، وضيق العيش الذي كانوا فيه يومئذ.

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ...﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: سأل المؤمنون رسول الله ﷺ: أين يضعون أموالهم؟ فنزلت ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾.

وأخرج ابن المنذر عن أبي حيان أن عمرو بن الجموح رضي الله عنه ـ وكان شيخاً كبيراً ذا مالٍ ـ سأل النبي ﷺ: ماذا ننفق من أموالنا، وأين نضعها؟ فنزلت هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ...﴾ الآية، أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «سننه» عن جندب بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ بعث رهطاً، وأمّر عليهم عبد الله بن جحش ـ وهو ابن عمته ـ في جُمادى الآخرة قبل وقعة بدر بشهرين، فلقوا عمرو بن الحضرمي فقتلوه، ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو من جُمادى، فقال المشركون للمسلمين: قتلتم في الشهر الحرام، فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِۖ...﴾ الآية. فقال بعضهم: إن لم يكونوا أصابوا وزراً ليس لهم أجر، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ...﴾ الآية. فأثبت الله لأصحاب هذه السرية جهاداً.

التفسير وأوجه القراءة

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ﴾ من لدن آدم إلى نوح عليهما السلام ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾؛ أي: متفقين على الحق والتوحيد، فاختلفوا ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ويدل على هذا المحذوف ـ أعني قوله: فاختلفوا ـ قراءة ابن مسعود التفسيرية، والتي ليست بقرآن بل بتفسير، فإنه قرأ: ﴿كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين﴾.

والمراد[1] بالناس: القرون التي بين آدم ونوح؛ وهي عشرة، كانوا على

(١) البحر المحيط.

الحق حتى اختلفوا، فبعث الله نوحاً فمن بعده. قاله ابن عباس وقتادة.

والمعنى: كان الناس الذين بين آدم ونوح أمة متفقة في الدين قائمة على الحق، ثم اختلفوا بسبب الحسد والتنازع في طلب الدنيا، فآمن بعض وكفر بعض، فبعث الله النبيين؛ أي: نوحاً فمَن بعده حالة كونهم ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ من آمن بالله بالجنة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾؛ أي: مخوِّفين من كفر بالله بالنار، وقدم البشارة؛ لأنها أبهج للنفس، وأقبل لما يُلقي النبي، وقيل[1]: جملة الأنبياء مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، والرسل منهم ثلاث مئة وثلاثة عشر، والمذكور في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون. ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ﴾؛ أي: مع كل واحد منهم ﴿الْكِتَابَ﴾؛ أي: كتابه حال كون ذلك الكتاب ملتبساً ﴿بِالْحَقِّ﴾؛ أي: ببيان الحق والتوحيد، أو متعلق بأنزل؛ أي: وأنزل معهم الكتاب بالعدل والصدق[2]، وقيل: جملة الكتب المنزلة من السماء مئة وأربعة كتب: أنزل على آدم عشر صحائف، وعلى شيث ثلاثون، وعلى إدريس خمسون، وعلى موسى عشر صحائف والتوراة، وعلى داود الزبور، وعلى عيسى الإنجيل، وعلى محمد صلى اللَّه وسلم عليه وعليهم القرآن ﴿لِيَحْكُمَ﴾ اللَّه، أو ذلك الكتاب والنبي المبعوث، والحاكم في الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى، وإسناد الحكم إلى الكتاب والنبي مجاز عقلي. ﴿بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾؛ أي: في دين الإسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق عليه أولاً؛ أي: ليحكم الكتاب في الحق الذي اختلف الناس في ذلك الحق، فالكتاب حاكم، والمختلف فيه ـ وهو الحق ـ محكوم عليه. ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾؛ أي: في ذلك الحق والدين ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾؛ أي: أعطوا الكتاب مع أن المقصود من إنزال الكتاب أن لا يختلفوا، وأن يرفعوا المنازعة في الدين، فعكسوا الأمر، فجعلوا ما أنزل مزيحاً للاختلاف سبباً لاستحكامه، والمراد[3] بالكتاب: التوراة والإنجيل، والذين أوتوه اليهود والنصارى، واختلافهم هو تكفير بعضهم بعضاً

---

(١) البيضاوي والشوكاني.

(٢) الخازن.

(٣) الخازن.

بغياً وحسداً، وقيل: اختلافهم هو تحريفهم: وتبديلهم، وقيل: الضمير في (فيه) راجع إلى محمد ﷺ، والمعنى: وما اختلف في أمر محمد ﷺ بعد وضوح الدلالات على صحة نبوته ﷺ إلا اليهود الذين أوتوا الكتاب بغياً منهم وحسداً، و﴿مِنۢ﴾ في قوله[1]: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ﴾ متعلقة بـ﴿اختلف﴾، وهي وما بعدها ـ أعني قوله: ﴿بَغۡيَۢا﴾ ـ مقدم على الاستثناء في المعنى، والاستثناء مفرغ، والمستثنى منه محذوف، والمعنى[2]: وما اختلف في الدين والحق أحد من بعد ظهور الحجج الواضحة، لأجل البغي والحسد الواقع منهم إلا الذين أوتوه، وإنما جعل مقدماً على الاستثناء؛ لئلا يكون الاستثناء المفرغ متعدِّداً مع أنه لا يكون كذلك؛ لأنه يصير المعنى حينئذ: إلا الذين أوتوه إلا من بعد ما جاءتهم البينات إلا بغياً بينهم.

وقيل المعنى[3]: وما اختلف في أمر محمد ﷺ بعد وضوح الدلالات الواضحة على صحة نبوة محمد ﷺ لهم بغياً وحسداً إلا اليهود؛ أي: إلا الذين أوتوا الكتاب، وهم علماء اليهود؛ لأن المشركين وإن اختلفوا في أمر محمد ﷺ، فإنهم لم يفعلوا ذلك للبغي والحسد، والحرص على طلب الدنيا، ولم تأتهم البينات في شأن محمد ﷺ كما أتت اليهود، فاليهود مخصوصون من هذا الوجه.

﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالنبيين ﴿لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾؛ أي: إلى الدين والحق الذي اختلف فيه من اختلف، وقوله: ﴿مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ بيان لما اختلفوا فيه، وفي قراءة شاذة تنسب لعبد الله ﴿لما اختلفوا فيه من الإسلام﴾ ﴿بِإِذۡنِهِۦۗ﴾؛ أي: بإرادته وعلمه ولطفه.

قال ابن زيد: اختلفوا في القبلة فصلت اليهود إلى بيت المقدس، والنصارى إلى المشرق، فهدانا الله إلى الكعبة، واختلفوا في الصيام، فهدانا الله لشهر رمضان، واختلفوا في إبراهيم، فقالت اليهود: كان يهودياً، وقالت النصارى:

---

(١) الجلالين.

(٢) الصاوي.

(٣) الواحدي.

كان نصرانياً، فقلنا: إنه كان حنيفاً مسلماً، واختلفوا في عيسى، فاليهود فرطوا حيث أنكروا نبوته ورسالته، والنصارى أفرطوا حيث جعلوه إلهاً، وقلنا: قولاً عدلاً، وهو إنه عبد الله ورسوله.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه، فهدانا الله، فغدا لليهود وبعد غد للنصارى». متفق عليه. وفي رواية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نحن الآخرون السابقون، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم، فاختلفوا فيه، فهدانا الله له ـ زاد النسائي: يعني يوم الجمعة ـ ثم اتفقا، فالناس لنا تبع: اليهود غداً، والنصارى بعد غد».

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أضل الله عن يوم الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وللنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا، فهدانا ليوم الجمعة فجعل الله الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا الأولون يوم القيامة المقضي لهم يوم القيامة قبل الخلائق». رواه مسلم.

﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ هدايته ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؛ أي: إلى طريق الحق الموصل إلى جنات النعيم، وله الحكمة[1] والحجة البالغة، وفي «صحيح» البخاري ومسلم: عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا قام من الليل يصلي يقول: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

ونزل في جهد أصاب المسلمين في غزوة الأحزاب قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ خاطب به النبي ﷺ والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الأمم على

---

(١) ابن كثير.

الأنبياء من بعد مجيء الآيات تشجيعاً لهم على الثبات مع مخالفيهم، و﴿أَمۡ﴾ فيه منقطعة، تفسر بـ﴿بل﴾ وبهمزة الإنكار؛ أي: بل أظننتم يا معشر المؤمنين أن تدخلوا الجنة بمجرد الإيمان بي وتصديق رسولي ﴿وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ﴾؛ أي: والحال أنه لم يصبكم شبه ما أصاب الذين مضوا من قبلكم من الأنبياء وأممهم من الشدائد والمحن، ولم تبتلوا بمثل ما ابتلوا به من النكبات، فتصبروا كما صبروا، فإنهم ﴿مَّسَّتۡهُمُ﴾ جملة مستأنفة مبينة لما قبلها؛ أي: أصابتهم ﴿ٱلۡبَأۡسَآءُ﴾؛ أي: الخوف والبلايا والشدائد ﴿وَٱلضَّرَّآءُ﴾؛ أي: الأمراض والأوجاع والجوع ﴿وَزُلۡزِلُواْ﴾ مبني للمجهول حذف الفاعل للعلم به؛ أي: زلزلهم أعداءهم؛ أي: وحركوا بأنواع البلايا والرزايا، وأزعجوا إزعاجاً شديداً، واستمر ذلك ﴿حَتَّىٰ﴾ تناهى الأمر من الشدائد و﴿يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر، وقرأ[1] نافع: ﴿يقولُ﴾ بالرفع على أنها حكاية حال ماضية كقولك: مرض حتى لا يرجونه، وقرأ الأعمش شذوذاً: ﴿وزلزلوا ويقول الرسول﴾ بالواو بدل حتى ﴿مَتَىٰ﴾ يأتي لنا ﴿نَصۡرُ ٱللَّهِۗ﴾ الذي وعدناه استبطاء له لتأخره عنهم، ومعناه: طلب النصر، واستطالة زمان الشدة، وذلك لأن الرسل أثبت من غيرهم، وأصبر وأضبط للنفس عند نزول البلاء، وكذا أتباعهم من المؤمنين.

والمعنى: أنه بلغ بهم الجهد والشدة والبلاء، ولم يبق لهم صبر، وذلك هو الغاية القصوى في الشدة، فلما بلغ بهم الحال في الشدة إلى هذه الغاية، واستبطؤوا النصر.. قيل لهم من جهة الله تعالى: ﴿أَلَآ﴾؛ أي: انتبهوا ﴿إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ﴾ لأوليائه على أعدائه و﴿قَرِيبٞ﴾ لهم لا بعيد، إجابة لهم إلى ما طلبوا من نصر عاجل، والمعنى[2]: هكذا كان حالهم لم يغيرهم طول البلاء والشدة عن دينهم إلى أن يأتيهم نصر الله، فكونوا ـ يا معشر المؤمنين ـ كذلك، وتحملوا الأذى والشدة والمشقة في طلب الحق، فإن نصر الله قريب، فاصبروا كما صبروا تظفروا.

---

(١) البيضاوي. (٢) الخازن.

والأحسن[1] أن يقال: إن معنى هذا الكلام: فالذين آمنوا قالوا: متى نصر الله؟ ثم رسولهم قال: ألا إن نصر الله قريب.

روى البخاري عن خباب بن الأرت ـ رضي الله عنه ـ قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ، وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تنصرنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل، فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمّن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون».

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ﴾؛ أي: ما قدره وما جنسه، والمراد نفقة التطوع، فالآية محكمة لا منسوخة؛ أي: يسألك يا محمد أصحابك المؤمنون عن الشيء الذي ينفقونه، هل ينفقون مما تيسر ولو محرماً، أو يتحرون الحلال؟ وفي الآية حذف سؤال آخر دل عليه الجواب، والتقدير: وعلى من ينفقون، والسؤال عن صدقة التطوع، والسائل عمرو بن الجموح، وكان شيخاً ذا مال، فسأل النبي ﷺ عما ينفق، وعلى من ينفق؟ وإنما جمع في الآية؛ لأن التكليف لكل مسلم، فكان هذا السائل ترجماناً عن كل مسلم، وإنما اعتني بذلك السؤال لأن الإنسان يوم القيامة ورد أنه يسأل عن ماله من أين أكتسبه، وفيم أنفقه؟ ﴿قُلۡ﴾ لهم يا محمد في الجواب ﴿مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ﴾؛ أي: من مال قليلاً كان أو كثيراً، وفي هذا: بيان المنفق الذي هو أحد شقي السؤال المذكور في الآية، وأجاب عن المصرف الذي هو الشق الآخر الذي سؤاله مطوي في الآية بقوله: ﴿فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ﴾؛ أي: فمصروف لهما، وإن عَلَيا ﴿و﴾ مصروف لـ﴿الأقربين﴾ من الأولاد والأخوة والأعمام والعمات، وعطفه على الوالدين من عطف العام على الخاص، وصرح بذكر الوالدين أولاً، وإن دخلا في الأقربين اعتناءً بشأنهما؛ لوجوب حقهما على

(١) المراح.

الولد؛ لأنهما كانا السبب في إخراجه من العدم إلى الوجود، وإنما ذكر بعد الوالدين الأقربين؛ لأن الإنسان لا يقدر أن يقوم بمصالح جميع الفقراء، فتقديم القرابة أولى من غيرهم ﴿و﴾ مصروف لـ﴿اليتامى﴾ المحتاجين، جمع يتيم، وهو من فقد أباه، وهو دون البلوغ، وإنما ذكر اليتامى بعد الأقربين؛ لصغرهم وعجزهم عن التكسب، ولا لهم أحد ينفق عليهم. ﴿و﴾ مصروف لـ﴿المساكين﴾ المراد بهم ما يشمل الفقراء، وإنما أخرهم؛ لأن حاجتهم أقل من حاجة غيرهم ﴿و﴾ مصروف لـ﴿ابن السبيل﴾؛ أي: الغريب المسافر؛ فإنه بسبب انقطاعه عن بلده قد يقع في الحاجة والفقر، فانظر إلى هذا الترتيب الحسن العجيب في كيفية الإنفاق، فالمراد بهذه الآية: من أحب التقرب إلى الله تعالى في باب النفقة.. فالأولى له أن ينفقه في هذه الجهات، فيقدم الأول فالأول في صدقة التطوع.

ثم لما فصل الله هذا التفصيل الحسن الكامل.. أتبعه بالإجمال، فقال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ مع هؤلاء أو غيرهم طلباً لوجه الله تعالى ورضوانه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾؛ أي: عالم به وبنياتكم، فيجازيكم عليه، ويوفي ثوابه لكم.

ثم قال تعالى مبيناً حكمة مشروعية القتال في الإسلام: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾؛ أي: فرض وأوجب عليكم ـ أيها المؤمنون ـ الجهاد للكفار في أوقات النفير العام مع النبي ﷺ ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾؛ أي: والحال أن القتال شاق عليكم مكروه لكم طبعاً لنفور الطبع عنه؛ لما فيه من مؤنة المال، ومشقة النفس، وخطر الروح والخوف، لا لأنهم كرهوا أمر الله؛ لأن ذلك ينافي كمال تصديقهم؛ لأن معناه كراهة نفس ذلك الفعل ومشقته، كوجع الضرب في الخد، مع كمال الرضا بالحكم والإذعان له.

وهو ـ أعني كرهاً ـ مصدر أقيم مقام الوصف للمبالغة، أو هو فعل بمعنى مفعول، كالخبز بمعنى المخبوز، وقرىء بالفتح على أنه لغة فيه كالضُعف والضَعف.

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾؛ أي: وحق وثبت كراهتكم شيئاً، وهو جميع ما

كلفوا به كالجهاد، فإن الطبع يكرهه ﴿وَهُوَ﴾؛ أي: والحال أن ذلك الشيء ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛ أي: مناط صلاحكم وسبب فلاحكم، فإنكم تكرهون الغزو وفيه إحدى الحسنين: إما الظفر والغنيمة، وإما الشهادة والجنة. ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا﴾؛ أي: وحق وثبت محبتكم شيئاً، وهو جميع ما نهوا عنه كالقعود عن الغزو، فإن النفس تحبه وتهواه ﴿وَهُوَ﴾؛ أي: والحال أن ذلك الشيء ﴿شَرٌّ لَّكُمْ﴾؛ أي: مفضٍ لكم إلى الردى والهلاك الأبدي، فإنكم تحبون القعود عن الغزو، وفيه ذلّكم وفقركم وحرمانكم من الغنيمة والأجر، وطمع العدو فيكم؛ لأنه إذا علم ميلكم إلى الراحة والدعة والسكون.. قصد بلادكم وحاول قتالكم، وإذا علم أن فيكم شهامة وجلادة على القتال.. كفّ عنكم. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما فيه صلاحكم وفلاحكم، فبادروا إلى ما يأمركم به من الجهاد، وإن شق عليكم، ويعلم ما فيه ذلّكم وهلاككم، فانتهوا عما ينهاكم عنه من القعود عن الغزو ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك؛ أي: ما هو خير لكم وما هو شر لكم: لأن عواقب الأمور مغيبة عن علمكم، وفي هذا الكلام: تنبيه على الرضى بما جرت به المقادير، وقال الحسن: لا تكرهوا الملمات الواقعة، فلربّ أمر تكرهه فيه أربك، ولربّ أمر تحبه فيه عطبك، ونزل في سرية بعثها رسول الله ﷺ ـ فقاتلوا المشركين، وقد أهل هلال رجب وهم لا يعلمون ذلك، فقالت قريش: استحل محمد ﷺ الشهر الحرام شهراً يأمن فيه الخائف ـ قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾؛ أي: يسألك يا محمد أصحابك عن الشهر الحرام ﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾ بدل اشتمال من الشهر الحرام، وقرىء ﴿عن قتال فيه﴾ بتكرير العامل، وقرىء أيضاً بالرفع؛ أي: يسألك أصحابك ـ يا محمد ـ عن القتال في الشهر الحرام خطأ، أيحل لهم أم لا؟ ﴿قُلْ﴾ لهم ـ يا محمد ـ في الجواب ﴿قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ مبتدأ وخبر، وقد تم الكلام هاهنا، والوقف هنا تام، وما بعده كلام مستأنف، وقرأ عكرمة ﴿قتل فيه قل قتل فيه﴾ بغير ألف فيهما؛ أي: قل لهم في جوابهم: القتال في الشهر الحرام أمره كبير ووزره عظيم، ولكن هناك ما هو أعظم وأخطر منه، وهو ما ذكره بقوله: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ومنع المشركين المؤمنين عن دين الله وطاعته ﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾؛ أي: وكفرهم بتوحيد الله ﴿و﴾ صدهم الناس عن ﴿ٱلْمَسْجِدِ

﴿ٱلۡحَرَامِۖ﴾، يعني: عن مكة، وقرىء شاذاً: ﴿والمسجدُ الحرام﴾ بالرفع ووجهه أنه عطفه على قوله: ﴿وَكُفۡرُۢ بِهِۦ﴾، ويكون على حذف مضاف؛ أي: وكفر بالمسجد الحرام ﴿وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ﴾؛ أي: أهل المسجد الحرام، وهم النبي ﷺ والمؤمنون ﴿مِنۡهُ﴾؛ أي: من المسجد الحرام، يعني: من مكة، كل ذلك ﴿أَكۡبَرُ﴾ وأعظم وزراً وذنباً ﴿عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ تعالى من قتل من قتلتم من المشركين، فإذا استعظموا قتالكم في الشهر الحرام.. فليعلموا أن ما ارتكبوه في حق النبي ﷺ والمؤمنين أعظم وأشنع.

﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ﴾؛ أي: وفتنتهم المؤمنين عن دينهم تارة بإلقاء الشبهة في قلوبهم، وتارة بالتعذيب، كفعلهم ببلال وصهيب وعمار بن ياسر، حتى يردوهم إلى الكفر بعد إيمانهم. ﴿أَكۡبَرُ﴾؛ أي: أعظم وزراً وأفظع حالاً عند الله ﴿مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ﴾؛ أي: من قتل من قتلتموه من المشركين في الشهر الحرام.

روي أنه لما نزلت هذه الآية.. كتب عبد الله بن جحش إلى مؤمني مكة: إذا عيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام.. فعيروهم بالكفر وإخراج رسول الله ﷺ من مكة، ومنع المؤمنين عن البيت الحرام ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾؛ أي: ولا يزال المشركون من أهل مكة وغيرهم ﴿يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾؛ أي: يجتهدون في قتالكم أيها المؤمنون ﴿حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ﴾؛ أي: كي يردوكم عن دينكم الحق، ويعيدوكم إلى دينهم الباطل ﴿إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾؛ أي: إن أطاقوا وقدروا على ذلك.. يردوكم، ولكن لا يستطيعون ذلك، وهذا استبعاد لاستطاعتهم، وإشارة إلى ثبات المؤمنين على دينهم ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ﴾؛ أي: ومن يرجع منكم عن دينه الحق إلى دينهم الباطل ﴿فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ﴾؛ أي: فيمت على ردته، ولم يرجع إلى الإسلام ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ المصرون على الارتداد إلى حين الموت ﴿حَبِطَتۡ﴾ بكسر الباء وقرىء بفتحها، وهي لغة فيه؛ أي: بطلت. ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ الصالحة وردت حسناتهم التي عملوها في حالة الإسلام ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ فلا اعتداد بها في الدنيا، ولا ثواب عليها في الآخرة، فحبوط الأعمال في الدنيا هو أنه يقتل عند الظفر به، ويقاتل إلى أن يظفر به، ولا يستحق من المسلمين نصراً ولا

ثناءً حسناً، وتَبِيْنُ زوجته منه، ولا يستحق الميراث من كل أحد، وحبوط أعمالهم في الآخرة أن الردة تبطل استحقاقهم للثواب الذي استحقوه بأعمالهم السالفة.

أما لو رجع المرتد إلى الإسلام: عادت إليه أعماله الصالحة مجردة عن الثواب، فلا يكلف بإعادتها، وهذا هو المعتمد في مذهب الشافعي، وأما عند أبي حنيفة: فإن الردة تبطل العمل وإن أسلم.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ المصرون ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾؛ أي: ملازموها ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾؛ أي: مقيمون لا يخرجون ولا يموتون.

وروي أن عبد الله بن جحش رضي الله عنه قال: يا رسول الله، هبْ أنه لا عقاب علينا فيما فعلنا، فهل نطمع منه أجراً وثواباً؟ فنزلت هذه الآية الآتية؛ لأن عبد الله كان مؤمناً، وكان مهاجراً، وكان بسبب هذه المقاتلة مجاهداً، ثم هي عامة في مَنْ اتصف بهذه الأوصاف.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله ورسوله ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾؛ أي: فارقوا أوطانهم وعشائرهم وأموالهم، وفارقوا مُسَاكنة المشركين في أمصارهم ومجاورتهم في ديارهم، فتحولوا عن المشركين وعن بلادهم إلى غيرها ﴿وَجَٰهَدُواْ﴾ المشركين ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: في طاعة الله لإعلاء دين الله، وبذلوا جهدهم في قتل العدو، كقتل عمرو بن الحضرمي الكافر، وكرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد، كأنهما مستقلان في تحقيق الرجاء ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بالأوصاف الثلاثة ﴿يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ﴾؛ أي: يطمعون في نيل رحمة الله، وينالون جنة الله ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ لما فعلوه خطأً وقلة احتياطٍ ﴿رَّحِيمٞ﴾ بإجزال الأجر والثواب لهم.

الإعراب

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾.

﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿ٱلنَّاسُ﴾: اسمها. ﴿أُمَّةٗ﴾: خبرها. ﴿وَٰحِدَةٗ﴾: صفة ﴿أُمَّةٗ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: ﴿الفاء﴾:

عاطفة، ﴿بعث اللَّهُ النبينَ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على جملة ﴿كَانَ﴾. ﴿مُبَشِّرِينَ﴾: حال من ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾. ﴿وَمُنذِرِينَ﴾: معطوف عليه. ﴿وَأَنزَلَ﴾ الواو: عاطفة، ﴿أنزل﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهُ﴾ والجملة معطوفة على جملة ﴿بعث﴾. ﴿مَعَهُمُ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿أنزل﴾. ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول به. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أنزل﴾، أو بمحذوف حال من ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ تقديره: حال كونه ملتبساً بالحق.

﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾.

﴿لِيَحْكُمَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل، ﴿يحكم﴾: منصوب بـ﴿أن﴾ مضمرة بعد لام كي، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾، والجملة صلة ﴿أن﴾ المضمرة، ﴿أن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بـ﴿اللام﴾؛ تقديره: لحكمه ﴿بين الناس﴾، الجار والمجرور متعلق بـ﴿أنزل﴾. ﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾: ظرف ومضاف إليه، والظرف متعلق بـ﴿يحكم﴾. ﴿فِيمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يحكم﴾. ﴿ٱخْتَلَفُوا۟﴾: فعل وفاعل. ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿ٱخْتَلَفُوا۟﴾، والجملة صلة لـ﴿ما﴾ أو صفة لها، والعائد أو الرابط ضميرُ ﴿فيه﴾

﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾.

﴿وَمَا﴾ ﴿الواو﴾ استئنافية، ﴿ما﴾: نافية. ﴿ٱخْتَلَفَ﴾: فعل ماض. ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلق به. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول في محل الرفع فاعل، والجملة مستأنفة. ﴿أُوتُوهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الفاعل.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾.

﴿مِنۢ بَعْدِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿ٱخْتَلَفَ﴾ وهو مضاف. ﴿مَا﴾: مصدرية. ﴿جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: فعل ومفعول به وفاعل، والجملة صلة ﴿مَا﴾ المصدرية، ﴿مَا﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بإضافة الظرف إليه، تقديره: من بعد مجيء البينات إياهم. ﴿بَغْيًۢا﴾: مفعول لأجله منصوب بـ﴿ٱخْتَلَفَ﴾، وفي

«الفتوحات الإلهية»: أو منصوب على الحال. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بمحذوف صفة لـ﴿بَغْيًا﴾؛ تقديره: بغياً كائناً بينهم.

﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾.

﴿فَهَدَى﴾ ﴿الفاء﴾ عاطفة، ﴿هدى الله الذين﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة معطوفة على جملة قوله ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾. ﴿ءَامَنُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الفاعل. ﴿لِمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿هدى﴾. ﴿ٱخْتَلَفُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط ضميرُ ﴿فِيهِ﴾. ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿ٱخْتَلَفُوا۟﴾. ﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من ﴿ما﴾؛ تقديره: حالة كون ما اختلفوا فيه كائناً من الحق. ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿هدى﴾.

﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَٱللَّهُ﴾ الواو: استئنافية، ﴿الله﴾: مبتدأ. ﴿يَهْدِى﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿الله﴾، والجملة خبر المتبدأ، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿مَن﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول به. ﴿يَشَآءُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿الله﴾، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف؛ تقديره: من يشاءه. ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يَهْدِى﴾. ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾: صفة لـ﴿صِرَٰطَ﴾.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾.

﴿أَمْ﴾: منقطعة بمعنى بل، والهمزة للإنكار. ﴿حَسِبْتُمْ﴾: فعل وفاعل، وهي من أخوات ﴿ظن﴾، والجملة مستأنفة. ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾: فعل وفاعل منصوب بـ﴿أن﴾ المصدرية، والجملة الفعلية صلة ﴿أن﴾ المصدرية، ﴿أن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر سادٍّ، مسد مفعولي ﴿حسب﴾ عند سيبويه؛ تقديره: أم حسبتم دخولكم الجنة، وعند الأخفش: سادة

مسد المفعول الأول، والثاني محذوف؛ تقديره: أم حسبتم دخولكم الجنة واقعاً بمجرد الإيمان. ﴿وَلَمَّا﴾: ﴿الواو﴾ حالية، ﴿لمّا﴾: حرف نفي وجزم. ﴿يَأْتِكُم﴾: فعل ومفعول مجزوم بـ﴿لما﴾، وجزمه بحذف حرف العلة. ﴿مَّثَلُ﴾: فاعل وهو مضاف. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مضاف إليه، والجملة الفعلية في محل النصب حال من فاعل ﴿حَسِبْتُمْ﴾؛ تقديره: أم حسبتم دخول الجنة حالة كونكم عادمين إتيان ﴿مثل الذين﴾. ﴿خَلَوْا﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الفاعل. ﴿مِن قَبْلِكُم﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿خَلَوْا﴾.

﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾.

﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ﴾: فعل ومفعول به وفاعل، والجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً. ﴿وَٱلضَّرَّآءُ﴾: معطوف على ﴿ٱلْبَأْسَآءُ﴾. ﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ﴾. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جر وغاية. ﴿يَقُولَ﴾: منصوب بـ﴿أن﴾ مضمرة وجوباً بعد ﴿حتى﴾ بمعنى ﴿إلى﴾. ﴿ٱلرَّسُولُ﴾: فاعل. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: معطوف على ﴿ٱلرَّسُولُ﴾. ﴿ءَامَنُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الفاعل. ﴿مَعَهُۥ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿ءَامَنُوا۟﴾، وجملة ﴿يَقُولَ﴾ صلة ﴿أن﴾ المضمرة، ﴿أن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بـ﴿حتى﴾ بمعنى ﴿إلى﴾؛ تقديره: وزلزلوا إلى قول الرسول والذين آمنوا معه، الجار والمجرور متعلق بـ﴿زلزلوا﴾. ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾: مقول محكي لـ﴿يَقُولُ﴾، وإن شئت قلت: ﴿مَتَىٰ﴾: اسم استفهام في محل الرفع خبر مقدم وجوباً. ﴿نَصْرُ ٱللَّهِ﴾: مبتدأ مؤخر ومضاف إليه، والجملة الاسمية في محل النصب مقول القول.

﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

﴿أَلَآ﴾: حرف استفتاح وتنبيه. ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب وتوكيد. ﴿نَصْرَ ٱللَّهِ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ ومضاف إليه. ﴿قَرِيبٌ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ من اسمها وخبرها في محل النصب، مقول لقول محذوف؛ تقديره: قال الله لهم: إن نصر الله قريب، وجملة القول المحذوف مستأنفة.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به أول، والجملة مستأنفة. ﴿مَاذَا﴾ ﴿ما﴾: اسم استفهام مبتدأ، ﴿ذا﴾: اسم موصول في محل الرفع خبر. ﴿يُنفِقُونَۖ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف؛ تقديره: ما الذي ينفقونه، والجملة من المبتدأ والخبر في محل النصب، مفعول به ثان لـ﴿سأل﴾؛ تقديره: يسألونك أي الشيء الذي ينفقونه؟. ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد ﷺ، والجملة مستأنفة. ﴿مَآ﴾: موصولة في محل الرفع مبتدأ. ﴿أَنفَقْتُم﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف؛ تقديره: ما أنفقتموه. ﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾: جار ومجرور حال من الضمير المحذوف؛ تقديره: ما أنفقتموه حالة كونه كائناً من خير. ﴿فَلِلْوَٰلِدَيْنِ﴾: ﴿الفاء﴾: زائدة في الخبر، أو رابطة الخبر بالمبتدأ؛ لما في المبتدأ من العموم. ﴿للوالدين﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدأ؛ تقديره: فمصروف للوالدين، والجملة من المبتدأ والخبر في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾، ويحتمل كون ﴿مَآ﴾ شرطية، والجواب جملة ﴿فَلِلْوَٰلِدَيْنِ﴾. ﴿وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾: معطوفات على ﴿الوالدين﴾.

﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَمَا﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية، ﴿ما﴾: اسم شرط جازم في محل النصب مفعول مقدم وجوباً. ﴿تَفْعَلُوا۟﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿ما﴾ على كونه فعل الشرط لها. ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من ﴿ما﴾؛ تقديره: حالة كونه كائناً من خير. ﴿فَإِنَّ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿ما﴾ الشرطية وجوباً، ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب وتوكيد. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿عَلِيمٌ﴾، وهو خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ من اسمها وخبرها في محل الجزم بـ﴿ما﴾ على كونها جواب الشرط لها، وجملة ﴿ما﴾ الشرطية مستأنفة.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ﴾.

﴿كُتِبَ﴾: فعل ماض مغيَّر الصيغة. ﴿عَلَيْكُمُ﴾: جار ومجرور متعلق به. ﴿ٱلْقِتَالُ﴾: نائب فاعل، والجملة مستأنفة. ﴿وَهُوَ كُرْهٌ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل النصب حال من ﴿ٱلْقِتَالُ﴾؛ تقديره: حالة كونه مكروهاً. ﴿لَّكُمْ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿كُرْهٌ﴾.

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا﴾.

﴿وَعَسَىٰٓ﴾: الواو: استئنافية، ﴿عسى﴾: فعل من أفعال الرجاء، ولكن هنا للتحقيق، فنقول في إعرابه ﴿عسى﴾: فعل ماض تام بمعنى حق. ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿تَكْرَهُوا۟﴾: فعل وفاعل منصوب بـ﴿أن﴾. ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية صلة ﴿أن﴾ المصدرية، ﴿أن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مرفوع على الفاعلية؛ تقديره: حق وثبت كراهتكم شيئاً وهو خير لكم، والجملة مستأنفة. وفي «الفتوحات الإلهية»: ليس معنى ﴿عسى﴾ هنا على الترجي كنظائرها الواقعة في كلامه تعالى، فإن الكل للتحقيق، ويصح الترجي باعتبار حال السامع، وهي هنا تامة على حد قول ابن مالك:

بَعْدَ عَسَى ٱخْلَوْلَقَ أوشَكَ قَدْ يَرِدْ   غِنَىً بِـ(أَنْ) يُفْعَلَ عَنْ ثَانٍ فُقِدْ

وفي «السمين» ﴿عسى﴾: فعل ماضٍ نقل إلى إنشاء الترجي والاشتقاق، وهو يرفع الاسم وينصب الخبر، ولا يكون خبرها إلا فعلاً مضارعاً مقروناً بـ﴿أن﴾، وهي في هذه الآية ليست ناقصة فتحتاج إلى خبر، بل تامة؛ لأنها أسندت إلى ﴿أن﴾، وتَقَدم أنها تسد مسد الجزئين بعدها. انتهى.

﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

﴿وَهُوَ خَيْرٌ﴾الواو حالية، أو زائدة، ﴿هو خير﴾: مبتدأ وخبر. ﴿لَّكُمْ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿خير﴾، والجملة الاسمية في محل النصب حال من ﴿شَيْـًٔا﴾ ـ وإن كان مجيء الحال من النكرة التي لا مسوغ لها قليلاً ـ أو في محل النصب صفة لـ﴿شَيْـًٔا﴾، وإنما دخلت ﴿الواو﴾ على الجملة الواقعة صفة لأن صورتها صورة الحال، فكما تدخل ﴿الواو﴾ عليها حالية تدخل عليها صفة، قاله

أبو البقاء. وإنما توسطت ﴿الواو﴾ بين الصفة والموصوف؛ لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف.

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ﴾.

﴿وَعَسَىٰٓ﴾ الواو: عاطفة، ﴿عسى﴾: فعل ماض تام بمعنى ﴿حق﴾. ﴿أن﴾: حرف مصدر. ﴿تُحِبُّوا۟﴾: فعل وفاعل منصوب بـ﴿أن﴾. ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول به، وجملة ﴿أن﴾ مع مدخولها في تأويل مصدر مرفوع على الفاعلية؛ تقديره: وعسى محبتكم شيئاً، والجملة معطوفة على جملة قوله ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ﴾. ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ﴾ جملة اسمية في محل النصب حال من ﴿شَيْـًٔا﴾، أو صفة له، كما مر نظيره قريباً.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَٱللَّهُ﴾ الواو: استئنافية، ﴿اللَّه﴾: مبتدأ. ﴿يَعْلَمُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿الله﴾، والجملة خبر المبتدأ؛ تقديره: والله عالم، والجملة مستأنفة. ﴿وَأَنتُمْ﴾ الواو: عاطفة، ﴿أنتم﴾: مبتدأ. ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿لَا﴾: نافية ﴿تَعْلَمُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة خبر المبتدأ؛ تقديره: وأنتم غير عالمين مصالحكم، والجملة معطوفة على جملة قوله ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ﴾.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به أول، والجملة مستأنفة. ﴿عَنِ ٱلشَّهْرِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يسألون﴾ على كونه مفعولاً ثانياً له. ﴿ٱلْحَرَامِ﴾: صفة لـ﴿الشهر﴾ بمعنى المحرم؛ أي: المعظم. ﴿قِتَالٍ﴾: ـ بالجر ـ بدل اشتمال من ﴿ٱلشَّهْرِ﴾. ﴿فِيهِ ۖ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿قِتَالٍ﴾، أو بمحذوف صفة لـ﴿قِتَالٍ﴾، وعلى قراءة الرفع ﴿قتال﴾: مبتدأ، والجار والمجرور خبره، وسوغ الابتداء بالنكرة فيه همزة الاستفهام؛ لأنه في معنى أقتال كائن فيه؟ وهذه الجملة المستفهم عنها في محل الجر بدل من ﴿ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾، وزعم بعضهم: أنه مرفوع على إضمار اسم فاعل؛ تقديره: أجائز قتال فيه.

﴿قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ﴾.

﴿قُلۡ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر فيه يعود على محمد ﷺ، والجملة مستأنفة. ﴿قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ﴾: مقول محكي لـ﴿قُلۡ﴾، وإن شئت قلت: ﴿قِتَالٞ﴾: مبتدأ، وسوغ الابتداء بالنكرة وصفه بما بعده. ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿قِتَالٍ﴾. ﴿كَبِيرٞۚ﴾: خبر، والجملة في محل النصب مقول لـ﴿قُلۡ﴾.

﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ﴾.

﴿وَصَدٌّ﴾ الواو: استئنافية، أو عاطفة، ﴿صد﴾: مع ما عطف إليه مبتدأ، وجملتها أربعة، فأخبر عنها بقوله ﴿أَكۡبَرُ﴾؛ لأنه أفعل تفضيل، وهو يستوي فيه الواحد والأكثر إذا كان مجرداً من ﴿أل﴾ و﴿الإضافة﴾ على حد قول ابن مالك:

وَإِنْ لِمَنْكُورٍ يُضَفْ أَوْ جُرِّدَا أُلْزِمَ تَذْكِيرَاً وَأَنْ يُوَحَّدَا

﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿صَدٌّ﴾. ﴿وَكُفۡرُۢ﴾: معطوف على ﴿صد﴾. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿كفر﴾. ﴿وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾: معطوف على ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وللمعطوف حكم المعطوف عليه، تبعه بالجر، واعترض بأنه إذا كان معطوفاً على ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.. كان متعلقاً بقوله ﴿وَصَدٌّ﴾؛ إذ التقدير: وصدٌّ عن سبيل الله وعن المسجد الحرام، فهو من تمام عمل المصدر، وقد فصل بينهما بقوله ﴿وَكُفۡرُۢ بِهِۦ﴾، ولا يجوز أن يفصل بين الصلة والموصول، وأجيب بأن الكفر بالله، والصد عن سبيله متحدان معنىً، فكأنه لا فصل بأجنبي بين ﴿سَبِيلِ﴾ وما عطف عليه. ﴿وَإِخۡرَاجُ﴾: معطوف على ﴿صد﴾ وهو مضاف. ﴿أَهۡلِهِۦ﴾: ﴿أهل﴾: مضاف إليه، وهو مضاف، والضمير: مضاف إليه. ﴿مِنۡهُ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿إخراج﴾. ﴿أَكۡبَرُ﴾: خبر المبتدأ وما عطف عليه. ﴿عِندَ ٱللَّهِۚ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿أكبر﴾، والجملة من المبتدأ والخبر في محل النصب معطوفة على جملة قوله ﴿قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ﴾ على كونها مقولاً لـ﴿قُلۡ﴾؛ لأن المعنى: قل لهم: قتال في الشهر الحرام إثم كبير،

وقل لهم: صد عن سبيل الله، وكذا وكذا أكبر من القتال، أو مستأنفة استئنافاً نحوياً؛ لأن المقصود منها مجرد إخبار عن أن الصد عن سبيل الله، وكذا وكذا أكبر عند الله.

﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾.

﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾: مبتدأ. ﴿أَكْبَرُ﴾: خبر. ﴿مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾: متعلق بـ﴿أَكْبَرُ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿وَلَا﴾الواو استئنافية، ﴿لا﴾: نافية. ﴿يَزَالُونَ﴾: به فعل مضارع ناقص، والواو اسمها. ﴿يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل النصب خبر ﴿يزال﴾؛ تقديره: ولا يزالون مقاتلين إياكم، والجملة مستأنفة. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جر وغاية. ﴿يَرُدُّوكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به منصوب بـ﴿أن﴾ مضمرة. ﴿عَن دِينِكُمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿يردون﴾، وجملة ﴿يَرُدُّوكُمْ﴾ صلة ﴿أن﴾ المضمرة، ﴿أن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بـ﴿حَتَّىٰ﴾ بمعنى إلى؛ تقديره: إلى ردّهم إياكم، الجار والمجرور متعلق بـ﴿يقاتلون﴾. ﴿إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾: ﴿إِنِ﴾: حرف شرط وجزم. ﴿ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾: فعل وفاعل في محل الجزم بـ﴿إِنَّ﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها، وجوابها محذوف دل عليه السياق؛ تقديره: إن استطاعوا يردوكم عن دينكم، وجملة ﴿إِنِ﴾ الشرطية جملة غائية لا محل لها من الإعراب.

﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾.

﴿وَمَن﴾ الواو: استئنافية، ﴿من﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو جملة الجواب، أو هما. ﴿يَرْتَدِدْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿من﴾ على كونه فعل الشرط، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾. ﴿مِنكُمْ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يَرْتَدِدْ﴾. ﴿عَن دِينِهِۦ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿يَرْتَدِدْ﴾. ﴿فَيَمُتْ﴾: ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتعقيب،

﴿يمت﴾: فعل مضارع معطوف على ﴿يَرْتَدِدْ﴾ وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾. ﴿وَهُوَ كَافِرٌ﴾: مبتدأ وخبر والجملة في محل النصب حال من فاعل ﴿يمت﴾. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿من﴾ الشرطية وجوباً، ﴿أولئك﴾: مبتدأ. ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾: فعل وفاعل ومضاف إليه، والجملة في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة من المبتدأ والخبر في محل الجزم بـ﴿من﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿من﴾ الشرطية مستأنفة استئنافاً بيانياً. ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿حَبِطَتْ﴾. ﴿وَٱلْأَخِرَةِ﴾: معطوف على ﴿ٱلدُّنْيَا﴾. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: الواو: عاطفة ﴿أولئك﴾: مبتدأ. ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾: خبر ومضاف إليه، والجملة في محل الجزم معطوفة على جملة قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ على كونها جواباً لـ﴿من﴾ الشرطية. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ ﴿فِيهَآ﴾ متعلق بـ﴿خَٰلِدُونَ﴾، وهو خبر المبتدأ، والجملة من المبتدأ والخبر في محل النصب، حال من ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾؛ تقديره: حالة كونهم مقدرين الخلود فيها، أو حال من ﴿ٱلنَّارِ﴾؛ تقديره: حالة كونها مقدراً خلودهم فيها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾.

﴿إِنَّ﴾: حرف نصب وتوكيد. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسمها. ﴿ءَامَنُواْ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الفاعل. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: في محل النصب معطوف على ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الأول. ﴿هَاجَرُواْ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول. ﴿وَجَٰهَدُواْ﴾: معطوف على ﴿هَاجَرُواْ﴾. ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿جَٰهَدُواْ﴾. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: مبتدأ. ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾: فعل وفاعل ومفعول ومضاف إليه، والجملة في محل الرفع خبر المبتدأ؛ تقديره: أولئك راجون رحمت الله، والجملة من المبتدأ والخبر في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة. ﴿وَٱللَّهُ﴾ الواو: استئنافية، ﴿الله﴾: مبتدأ. ﴿غَفُورٌ﴾: خبر أول. ﴿رَّحِيمٌ﴾: خبر ثان، والجملة مستأنفة.

التصريف ومفردات اللغة

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾: وحَسِب من باب فَعِل المكسور، وفي مضارعه وجهان: الفتح على القياس، والكسر على الشذوذ، ومعناها الظن، وقد تستعمل لليقين كقوله:

حَسِبْتُ ٱلتُّقَىٰ وَٱلْجُوْدَ خَيْرَ تِجَارَةٍ رَبَاحَاً إِذَا مَا ٱلْمَرْءُ أَصْبَحَ ثَاوِيَاً

وفي «المصباح» يقال: حسبت زيداً قائماً أحسَبه ـ من باب تعب في لغة جميع العرب، إلا بني كنانة فإنهم يكسرون المضارع مع كسر الماضي أيضاً على غير قياس حسباناً بالكسر بمعنى ظننته، وحسبت المال حسباً ـ من باب قتل ـ أحصيته عدداً، وفي المصدر أيضاً حِسْبَةً بالكسر، وحُسباناً بالضم. انتهى.

﴿خَلَوْا﴾: أصله خلووا؛ لأنه من الأفعال المعتلة بالواو كدعا وغزا، تحركت ﴿الواو﴾ وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، فالتقى ساكنان، ثم حذفت الألف لبقاء دالها، فصار خلوا.

﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾ يقال: زلزل الله الأرض زلزلةً وزلزالاً بالكسر، فتزلزلت إذا تحركت واضطربت، والزلزلة: شدة التحريك يكون في الأشخاص والأحوال، وقال الزجاج: أصل الزلزلة نقل الشيء من مكانه، فإذا قلت: زلزلته.. فمعناه كررت زلله من مكانه، فهو من الثلاثي المزيد بالتضعيف والتكرير؛ لأن أصله زل.

﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ قرىء بضم الكاف وفتحها، وهما لغتان بمعنى، وقيل: بالفتح مصدر بمعنى الكراهية، وبالضم اسم مصدر بمعنى المشقة، يقال: كرهت الشيء كُرهاً وكَرهاً، وكَراهةً وكَراهيةً، وأكرهته عليه إكراهاً.

﴿صد﴾ الصد: المنع والطرد، يقال: صده عن الشيء يصده صداً ـ من باب شدّ ـ إذا منعه منه، فهو من المضاعف المعدى الذي لم يسمع فيه إلا القياس الذي هو ضم عين المضارع.

﴿وَمَن يَرْتَدِدْ﴾ بالفك؛ لأنه لما سكنت الدال الثانية للجازم.. تعذر تسكين

الأول؛ لئلا يجتمع ساكنان.

البلاغة

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ﴾: فيه إيجاز بالحذف، والأصل: فاختلفوا، فبعث الله النبيين.

﴿لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾: فيه مجاز عقلي إن عاد الضمير إلى الكتاب من إسناد ما للفاعل إلى المفعول، وقوله ﴿بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ إظهار في مقام الإضمار، لزيادة التعيين.

﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ﴾: ﴿أَمۡ﴾ منقطعة مقدرة بمعنى بل التي في ضمنها الانتقال من أخبار إلى أخبار، وبمعنى الهمزة التي في ضمنها الإنكار والتوبيخ، والمعنى: ما كان ينبغي لكم أن تحسبوا هذا الحسبان، ولم حسبتموه؟ والغرض من هذا التوبيخ تشجيعهم على الصبر، وحضهم عليه.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ﴾: فيه إيجاز بالحذف؛ لأن فيه حذف مضاف وحذف موصوف؛ تقديره: ولما يأتكم مثل محنة المؤمنين الذين خلوا ﴿مِن قَبۡلِكُمۖ﴾: متعلق بـ﴿خلوا﴾، وهو كالتأكيد لمعنى ﴿خَلَوۡاْ﴾ فإن القبلية مفهومة من قوله: ﴿خَلَوۡاْ﴾.

﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ بالنصب على قراءة الجمهور على أن ﴿حَتَّىٰ﴾ بمعنى إلى، وأن مضمرة بعدها؛ أي: إلى أن يقول الرسول، فهي غاية لما تقدم من المس والزلزال، وحتى إنما ينصب بعدها المضارع إذا كان مستقبلاً، وهذا قد وقع ومضى، والجواب: أنه على حكاية الحال الماضية، وبالرفع: فعلى قراءة نافع على أن الفعل بعدها حال مقارن لما قبلها، والحال لا ينصب بعد حتى ولا غيرها؛ لأن الناصب مخلص للاستقبال فتنافيا، واعلم أن حتى إذا وقع بعدها فعل.. فإما أن يكون حالاً أو مستقبلاً أو ماضياً، فإن كان حالاً.. رفع نحو مرض زيد حتى لا يرجونه؛ أي: في الحال، وإن كان مستقبلاً.. نصب تقول: سرت حتى أدخل البلد، وأنت لم تدخل بعد، وإن كان ماضياً.. فتحكيه ثم

حكايتك له؛ إما أن تكون بحسب كونه مستقبلاً، فتنصبه على حكاية هذا الحال، وإما أن يكون بحسب كونه حالاً، فترفعه على حكاية هذه الحال، فيصدق أن تقول في قراءة الجمهور حكاية حال، وفي قراءة نافع حكاية حال أيضاً، وإنما نبهت على ذلك؛ لأن عبارة بعضهم تخصص حكاية الحال بقراءة الجمهور، وعبارة آخرين تخصها بقراءة نافع.

ومعنى حكاية الحال الماضية: أن يفرض ويقدر الواقع في الماضي واقعاً وقت التكلم، ويخبر عنه بالمضارع الدال على الحال.

﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ في هذه الجملة عدة مؤكدات:

الأول: بدء الجملة بأداة الاستفتاح.

الثاني: ذكر إن.

الثالث: إيثار الجملة الاسمية.

الرابع: إضافة النصر إلى رب العالمين القادر على كل شيء.

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا﴾ ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا﴾ بين الجملتين من المحسنات البديعية ما يسمى عندهم بالمقابلة، فقد قابل بين الكراهية والحب، وبين الخير والشر.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾: فيه طباق بالسلب.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩) فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٠) وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١) وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢) نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣) وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٤) لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٢٥)﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ...﴾ مناسبة[1] هذه الآية لما قبلها: أنهم لما سألوا عن ماذا ينفقون، فبين لهم مصرف ذلك في الوالدين وما بعدهما، ثم ذكر تعالى فرض القتال والجهاد في سبيل الله.. ناسب ذكر سؤالهم عن الخمر والميسر؛ إذ هما أيضاً من مصارف المال، ومع مداومتهما قلَّ أن يبقى مال فتتصدق به أو تجاهد به، فلذلك وقع السؤال عنهما.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ...﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما ذكر السؤال عن الخمر والميسر، وكان تركهما مدعاة إلى تنمية المال، وذكر السؤال عن النفقة، وأجيبوا بأنهم ينفقون ما سهل عليهم.. ناسب ذلك النظر في

---

(١) البحر المحيط.

حال اليتيم وحفظ ماله وتنميته وإصلاح اليتيم بالنظر في تربيته، فالجامع بين الآيتين: أن في ترك الخمر والميسر إصلاح أحوال أنفسهم، وفي النظر في حال اليتامى إصلاحاً لغيرهم ممن هو عاجز أن يصلح نفسه، فيكونون قد جمعوا بين النفع لأنفسهم ولغيرهم، والظاهر أن السائل جمع بين الاثنين بواو الجمع.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ...﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما ذكر تعالى حكم اليتامى في المخالطة، وكانت تقتضي المناكحة وغيرها مما يسمى مخالطة، حتى أن بعضهم فسرها بالمصاهرة فقط، وكان في اليتامى من يكون من أولاد الكفار.. نهى الله تعالى عن مناكحة المشركات والمشركين، وأشار إلى العلة المسوغة للنكاح؛ وهي الأخوّة الدينية، فنهى عن نكاح من لم تكن فيه هذه الأخوّة، واندرج يتامى الكفار في عموم من أشرك.

وفيها مناسبة أخرى أيضاً وهي: أنه لما تقدم حكم الشرب في الخمر والأكل في الميسر.. ذكر حكم المنكح، فكما حرم الخمر من المشروبات وما يجر إليه الميسر من المأكولات.. حرم المشركات من المنكوحات.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ...﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها[1]: هو أنه لما نهى عن مناكحة الكفار، وتضمن مناكحة أهل الإيمان وإيثار ذلك.. بين حكماً عظيماً من أحكام النكاح، وهو نكاح في زمان الحيض.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ...﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه تعالى لما أمر بتقوى الله تعالى وحذرهم يوم الميعاد.. نهاهم عن ابتذال اسمه، وجعله معرضاً لما يحلفون عليه دائماً؛ لأن من يُتقى ويُحذر تجب صيانة اسمه وتنزيهه عما لا يليق به من كونه يذكر في كل ما يحلف عليه من قليل أو كثير، عظيم أو حقير؛ لأن كثرة ذلك توجب عدم الاكتراث بالمحلوف به.

وفيه مناسبة أخرى أيضاً: وذلك أنه تعالى لما أمر المؤمنين بالتحرز في أفعالهم السابقة من الخمر والميسر، وإنفاق العفو، وأمر اليتامى، ونكاح من

---

(١) البحر المحيط.

أشرك، وحال وطيء الحائض.. أمرهم تعالى بالتحرز في أقوالهم، فانتظم بذلك أمرهم بالتحرز في الأفعال والأقوال.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ...﴾ سبب نزولها: أنه جاء جماعة من الأنصار فيهم عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله أفتنا في الخمر والميسر، فإنهما مذهبة للعقل، ومسلبة للمال، فأنزل الله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ...﴾ الآية.

قوله تعالى[1]: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ...﴾ سبب نزولها: أنه أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد، أو عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن نفراً من الصحابة حين أمروا بالنفقة في سبيل الله.. أتوا النبي ﷺ، فقالوا: إنا لا ندري ما هذه النفقة التي أمرنا بها في أموالنا، فما ننفق منها، فأنزل الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ...﴾.

وأخرج أيضاً عن يحيى أنه بلغه أن معاذ بن جبل، وثعلبة رضي الله عنهما أتيا رسول الله ﷺ، فقالا: يا رسول الله، إن لنا أرقاء وأهلين، فما ننفق من أموالنا، فأنزل الله هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى...﴾ أخرج أبو داود، والنسائي، والحاكم وغيرهم عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى...﴾ الآية، انطلق من كان عنده يتيم، فعزل طعامه عن طعامه، وشرابه عن شرابه، فجعل يفضل له الشيء من طعامه، فيحبس له حتى يأكله، أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم؛ فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى...﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ...﴾ أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والواحدي عن مقاتل قال: نزلت هذه الآية في ابن أبي مرثد الغنوي،

---

(١) لباب النقول.

استأذن النبي ﷺ في عناق أن يتزوجها، وهي مشركة، وكانت ذات حظ وجمال؛ فنزلت هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ...﴾ الآية، سبب نزولها: أنه أخرج الواحدي من طريق السدي، عن أبي مالك، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية في عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، كانت له أمة سوداء، وأنه غضب عليها فلطمها، ثم إنه فزع، فأتى النبي ﷺ فأخبره وقال: لأعتقنها ولأتزوجنها ففعل، فطعن عليه ناس، وقالوا: ينكح أمه، فأنزل الله هذه الآية، وأخرجه ابن جرير عن السدي منقطعاً.

قوله تعالى[1]: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ...﴾ الآية، روى مسلم، والترمذي عن أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة منهم لم يؤاكلوها، ولم يجامعوها في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ، فأنزل الله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ..﴾ الآية، فقال: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح»، فبلغ ذلك اليهود، فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه! فجاء أسد بن حضير وعباد بن بشر فقالا: يا رسول الله، إن اليهود تقول كذا وكذا، أفلا نجامعهن؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ، حتى ظننا أن قد وجد[2] عليهما، فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلى النبي ﷺ، فأرسل في آثارهما، فعرفا أن لم يجد عليهما. أخرجه الترمذي - وقال: هذا حديث حسن صحيح - وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد، والطيالسي.

قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ...﴾ الآية، روى الشيخان، وأبو داود، والترمذي عن جابر رضي الله عنه قال: كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾.

وأخرج أحمد والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، هلكت، قال: «وما أهلكك»؟ قال: حولت

---

(١) لباب النقول.

(٢) وَجَدَ: من الحزن والغضب.

رحلي الليلة، فلم يزد عليه شيئاً، فأنزل الله هذه الآية: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ...﴾ أقبل وأدبر، واتق الدبر والحيضة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ...﴾ الآية، أخرج ابن جرير من طريق ابن جريج قال: حدثت أن قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ...﴾ الآية، نزلت في أبي بكر في شأن مسطح.

التفسير وأوجه القراءة

﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾؛ أي: يسألك أصحابك يا محمد ﴿عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾؛ أي: عن حكم تناولهما وتعاطيهما، وأصل[1] الخمر في اللغة: الستر والتغطية، وسميت الخمر خمراً؛ لأنها تخامر العقل؛ أي: تخالطه، وقيل: لأنها تستره وتغطيه، وشرعاً: عبارة عن عصير العنب النيء الشديد الذي قذف بالزبد، وكذلك نقيع الزبيب والتمر، والمتخذ من العسل والحنطة والشعير والأرز والذرة، وكل ما أسكر فهو خمر، قاله الشافعي. وقال أبو حنيفة: الخمر من العنب والرطب ونقيع التمر والزبيب، فإن طبخ حتى ذهب ثلثاه.. حل شربه، والمسكر منه حرام، واحتج على ذلك بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كتب إلى بعض عماله أن أرزق المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي. وفي رواية: أما بعد: فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان، فإن له اثنين ولكم واحد. أخرجه النسائي، والطِلاء - بكسر الطاء والمد -: الشراب المطبوخ من عصير العنب الذي ذهب ثلثاه، وبقي ثلثه.

وأصل الميسر في اللغة: مصدر ميمي بمعنى اليسر، سمي القمار بالميسر؛ لما فيه من أخذ المال بسهولة من غير تعب، وشرعاً: هو القمار وهو آلات الملاهي التي يعلب بها في نظير مال، فيشمل الطاب والشطرنج والنرد وغيرها، حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب، وأما إن كان بغير مال: ففيه خلاف بين العلماء، فقيل: كبيرة، وقيل: صغيرة، وقيل: مكروه، وحدّه بعضهم: هو كل

---

(١) خازن.

لعب تردد بين غُنم وغُرم، وفي مصحف عبد الله وقراءته شذوذاً ﴿أكثر﴾ بالثاء المثلثة، وقال مالك: الميسر ميسران: ميسر اللهو؛ فمنه النرد والشطرنج وآلات الملاهي كلها، وميسر القمار؛ وهو ما يتخاطر الناس عليه، وقال القاسم: كل شيء ألهى عن ذكر الله، وعن الصلاة فهو ميسر. ذكره أبو حيان.

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿فِيهِمَآ﴾؛ أي: في تعاطيهما ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾؛ أي: عظيم بعد التحريم، لما يحصل بسببهما من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش وإتلاف المال، ولأن الخمر مسلبة للعقول التي هي قطب الدين والدنيا، وقرأ حمزة والكسائي ﴿كثير﴾ بالثاء المثلثة. ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ قبل التحريم: بالتجارة فيها، وباللذة والفرج وتصفية اللون، وحمل البخيل على الكرم، وزوال الهم، وهضم الطعام، وتقوية الباءة، وتشجيع الجبان في شرب الخمر، وإصابة المال بلا كد ولا تعب في الميسر والقمار، قيل: بما أن الواحد منهم كان يقمر في المجلس الواحد مئة بعير، فيحصل له المال الكثير، وربما كان يصرفه إلى المحتاجين، فيكسب بذلك الثناء والمدح، وهو المنفعة ﴿وَإِثْمُهُمَآ﴾ بعد التحريم ومفاسدهما بعده ﴿أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ قبل التحريم، وقرىء شذوذاً: ﴿أقرب من نفعهما﴾؛ يعني: المفاسد[1] التي تنشأ عنهما أعظم من المنافع المتوقعة منهما. وقيل[2]: إثمهما، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ فهذه ذنوب يترتب عليها آثام كبيرة بسبب الخمر والميسر.

وجملة القول في تحريم الخمر: أن الله عز وجل أنزل في الخمر أربع آيات نزلت بمكة ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ فكان المسلمون يشربونها في أول الإسلام وهي لهم حلال، ثم نزل بالمدينة في جواب سؤال عمر ومعاذ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ فتركها قوم لقوله: ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ وشربها قوم لقوله: ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ ثم إن عبد الرحمٰن

---

(١) البيضاوي. (٢) الخازن.

بن عوف ـ رضي الله عنه ـ صنع طعاماً، ودعا إليه ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ، فأطعمهم وسقاهم الخمر، وحضرت صلاة المغرب، فقدموا أحدهم يصلي بهم، فقرأ: ﴿قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون﴾ ـ بحذف حرف لا إلى آخر السورة؛ فأنزل الله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ فحرم الله السكر في أوقات الصلاة، فكان الرجل يشربها بعد صلاة العشاء، فيصبح وقد زال سكره، فيصلي الصبح ويشربها بعد صلاة الصبح، فيصحوا وقت صلاة الظهر، ثم إن عتبان بن مالك اتخذ صنيعاً ـ يعني: وليمة ـ ودعا رجالاً من المسلمين، وفيهم سعد بن أبي وقاص، وكان قد سوى لهم رأس بعير، فأكلوا وشربوا الخمر حتى أخذت منهم، فافتخروا عند ذلك وانتسبوا، وتناشدوا الأشعار، فأنشد سعد قصيدة فيها فخر قومه وهجاء الأنصار، فأخذ رجل من الأنصار لحى البعير، فضرب به رأس سعد، فشجه موضحة، فانطلق سعد إلى رسول الله ﷺ، وشكا إليه الأنصاري، فقال عمر: اللهم بيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً؛ فأنزل الله الآية التي في المائدة إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ فقال عمر: انتهينا يا رب، وذلك بعد غزوة الأحزاب بأيام.

والحكمة في وقوع التحريم على هذا الترتيب: أن الله تعالى علم أن القوم كانوا قد ألفوا شرب الخمر، وكان انتفاعهم بذلك كثيراً، فعلم أنه لو منعهم من الخمر دفعة واحدة.. لشق ذلك عليهم، فلا جرم استعمل هذا التدريج، وهذا الرفق. قال أنس ـ رضي الله عنه ـ: حرمت الخمر، ولم يكن يومئذ للعرب عيش أعجب منها، وما حرم عليهم شيء أشد من الخمر.

روى الشيخان عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: ما كان لنا خمر غير فضيخكم، وإني لقائم أسقي أبا طلحة، وأبا أيوب، وفلاناً وفلاناً؛ إذ جاء رجل فقال: حرمت الخمر، فقالوا: أهرق هذه القلال يا أنس، فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر هذا الرجل. الفضيخ ـ بالضاد والخاء المعجمتين ـ: شراب يتخذ من بسر مطبوخ، والإهراق: الصب، والقلال ـ جمع قلة ـ: وهي الجرة الكبيرة.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾؛ أي: يسألك أصحابك يا محمد ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ﴾؛ أي: قدر ما

ينفقونه من أموالهم، وذلك أن رسول الله ﷺ حضهم على الصدقة، فقالوا: ماذا ننفق؟ قيل: سائله أيضاً عمرو بن الجموح، سأل أولاً عن المنفق والمصرف، ثم سأل عن كيفية الإنفاق، وقيل: السائل معاذ بن جبل وثعلبة، وقال الرازي: كان الناس لما رأوا الله ورسوله يحضان على الإنفاق، ويدلان على عظيم ثوابه.. سألوا عن مقدار ما كلفوا به: هل هو كل المال أو بعضه؟ فأعلمهم الله تعالى أن العفو؛ أي: الفاضل عن الكفاية مقبول. ﴿قُلِ﴾ لهم يا محمد في الجواب أنفقوا ﴿الْعَفْوَ﴾؛ أي: المال الفاضل عن حاجة الإنسان في نفسه وعياله، ومن تلزمه مؤنتهم، فكان[1] الرجل منهم بعد نزول هذه الآية يأخذ من كسبه ما يكفيه، وينفق باقيه إلى أن فرضت الزكاة، فنَسخت آية الزكاة التي في براءة هذه الآية، وكل صدقة أمروا بها قبل الزكاة، وقراءة الجمهور بالنصب، وقرأ أبو عمرو وحده ﴿العفوُ﴾ بالرفع.

وقال الشوكاني: والعفو هو ما سهل وتيسر، ولم يشق على القلب، والمعنى على النصب: أنفقوا ما فضل عن حوائجكم، ولم تجهدوا فيه أنفسكم، وعلى الرفع: الذي أُمرتم بإنفاقه هو العفو؛ أي: ما فضل عن نفقة العيال ﴿كَذَلِكَ﴾؛ أي: كما بين الله لكم قدر المنفق، وحكم الخمر والميسر بأن فيهما منافع في الدنيا ومضار في الآخرة ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ الدالة على الأحكام الشرعية ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾؛ أي: لكي تتأملوا ﴿فِي﴾ أحوال ﴿الدُّنْيَا﴾ فتعرفوا أنها فانية، فتزهدوا فيها ﴿و﴾ تتفكروا في أمور ﴿الآخرة﴾ فتعرفوا أنها باقية، فتقبلوا عليها، فإذا تفكرتم في أحوال الدنيا والآخرة.. علمتم أنه لا بد من ترجيح الآخرة على الدنيا؛ لبقاء الآخرة.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ كان أهل الجاهلية قد اعتادوا الانتفاع بأموال اليتامى، وربما تزوجوا باليتيمة طمعاً في مالها، ثم إن الله تعالى أنزل قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾.

---

(١) الواحدي.

وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ فعند ذلك ترك القوم مخالطة اليتامى والمقاربة من أموالهم، والقيام بأمورهم، فاختلَّت مصالح اليتامى وساءت معيشتهم، فثقل ذلك على الناس، فقال عبد الله بن رواحة ـ وقيل: ثابت بن رفاعة الأنصاري ـ: يا رسول الله، ما لكلِّنا منازل تسكنها الأيتام، ولا كلنا يجد طعاماً وشراباً يردهما لليتيم، فهل يجوز مخالطة اليتامى بالطعام والشراب والمسكن أم لا؟ فنزلت هذه الآية؛ أي: يسألونك يا محمد عن مخالطة اليتامى في أموالهم، أيخالطونهم أم يعتزلونهم؟ ﴿قُلْ﴾ لهم في الجواب ﴿إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾؛ أي: مخالطة اليتامى وإصلاح أموالهم من غير أخذ أجرة ولا عوض خير لهم من ترك مخالطتهم، وأعظم أجراً لكم ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ﴾ في الطعام والخدمة والسكن، وهذا فيه[1] إباحة المخالطة وحث عليها؛ أي: شاركوهم في أموالهم واخلطوها بأموالكم ونفقاتكم ومساكنكم وخدَمكم ودوابكم، فتصيبوا من أموالهم عوضاً من قيامكم بأمورهم، أو تكافئوهم على ما تصيبون من أموالهم ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ في الدين؛ أي: فهم إخوانكم، والإخوان يعين بعضهم بعضاً، ويصيب بعضهم من مال بعض، على وجه الإصلاح والرخاء. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ﴾ لمال اليتيم بالمخالطة ﴿مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ له، ويعلم الذي يقصد بالمخالطة الخيانة وأكل مال اليتيم بغير حق، والذي يقصد الإصلاح، فيجازي كلاً على قصده، فاتقوا الله في مال اليتيم، ولا تجعلوا مخالطتكم إياهم ذريعةً إلى إفساد مال اليتيم، وأكله بغير حق ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ إعناتكم وإحراجكم وتضييقكم، والتشديد عليكم ﴿لَأَعْنَتَكُمْ﴾؛ أي: لأوقعكم في العنت والمشقة، وشدد عليكم في شأن اليتامى بتحريم مخالطتهم ومداخلتكم عليهم، ولكن وسع عليكم بتجويزها لكم، فاشكروا هذه النعمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿عَزِيزٌ﴾؛ أي: غالب يقدر أن يشدد على عباده، ويعنتهم ويكلفهم ما لا يطيقونه، ولكنه ﴿حَكِيمٌ﴾ يحكم ما تقتضيه الحكمة، وتتسع له الطاقة، لا يكلف عباده إلا ما تتسع له طاقتهم.

وفي وصفه تعالى بالعزة[2] ـ وهو الغلبة والاستيلاء ـ: إشارةٌ إلى أنه مختص

(١) الخازن.
(٢) البحر المحيط.

بذلك لا يُشارك، فكأنه لما جعل لهم ولاية على اليتامى.. نبههم على أنهم لا يقهرونهم ولا يغالبونهم ولا يستولون عليهم استيلاء القاهر، فإن هذا الوصف لا يكون إلا لله تعالى، وفي وصفه تعالى بالحكمة: إشارة إلى أنه لا يتعدى ما أذن هو تعالى فيهم وفي أموالهم، فليس لكم نظر إلا بما أذنتْ لكم فيه الشريعة، واقتضته الحكمة الإلهية؛ إذ هو الحكيم المتقن لما صنع وشرع، فالإصلاح لهم ليس راجعاً إلى نظركم إنما هو راجع لاتّباع ما شرع في حقهم.

ثم قال تعالى محذراً من زواج المشركات اللاتي ليس لهن كتاب: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾؛ أي: ولا تتزوجوا أيها المؤمنون النساء المشركات بالله حتى يؤمن؛ أي: يصدقن بالله ورسوله، وهو الإقرار بالشهادتين، والتزام أحكام المسلمين، نزلت في أبي مرثد الغنوي، سأل النبي ﷺ عن أن يتزوج عناق وهي مشركة، والمشركات هٰهنا عامة في كل من كفرت بالله ورسوله ﷺ حرم الله بهذه الآية نكاحهن، ثم استثنى الحرائر الكتابيات بالآية التي في المائدة، فبقي نكاح الأمة الكتابية على التحريم، وقراءة الجمهور بفتح التاء في قوله ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟﴾، من نَكَح الثلاثي إذا تزوج، وقرىء بضمها، من أنكح الرباعي بمعنى: ولا تزوجوهن من المسلمين.

﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾؛ أي: ولرقيقة مؤمنة بالله ورسوله ﴿خَيْرٌ﴾ لكم وأنفع وأصلح وأفضل ﴿مِّن﴾ حرة ﴿مُّشْرِكَةٍ﴾ بالله؛ أي: تزوج الأمة خير لكم عند الله من تزوج مشركة ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ المشركة؛ أي: أحبتكم وأعشقتكم لجمالها أو مالها أو حسبها أو جاهها، أو غير ذلك، وقد تقدم لك أنها نزلت في عبد الله بن رواحة كانت عنده أمة سوداء الحديث. والواو للحال و﴿لو﴾ بمعنى ﴿إن﴾؛ أي: وإن كان الحال أن المشركة تعجبكم وتحبونها.. فالأمة المؤمنة خير منها.

وفي هذا[1]: دليل على جواز نكاح الأمة المؤمنة، ومفهوم الصفة يقتضي.. أنه لا يجوز نكاح الأمة الكافرة كتابية كانت أو غيرها، وفي هذه الآية: دليل

---

(١) البحر المحيط.

لجواز نكاح القادر على طَول الحرة المسلمة للأمة المسلمة، ووجه الاستدلال أن قوله: ﴿خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾ معناه: من حرة مشركة، وواجد طول الحرة المشركة واجد لطول الحرة المسلمة؛ لأنه لا يتفاوت الطولان بالنسبة إلى الإيمان والكفر، فقدر المال المحتاج إليه في أهبة نكاحهما سواء، فيلزم من هذا أن واجد طول الحرة المسلمة.. يجوز له نكاح الأمة المسلمة، وهذا استدلال لطيف.

﴿وَلَا تُنكِحُواْ الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ﴾ وهنا خطاب لأولياء المرأة؛ أي: ولا تزوجوا ـ أيها الأولياء ـ النساء المؤمنات من الكفار وثنيين كانوا أو أهل كتاب حتى يؤمنوا بالله ورسوله ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ﴾؛ أي: ولتزويجكم المؤمنات لرقيق مؤمن بالله. ﴿خَيْرٌ﴾ لكم عند الله وأفضل وأصلح ﴿مِّن﴾ تزويجهن لحر ﴿مُّشْرِكٍ﴾ بالله ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ وأحبكم ذلك المشرك لحسبه أو ماله أو جماله أو جاهه، أو غير ذلك. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المذكورون من المشركين والمشركات الذين حرمت عليكم مصاهرتهم ومناكحتهم ﴿يَدْعُونَ﴾ كُمْ ﴿إِلَى﴾ الشرك والكفر الذي يؤديكم إلى ﴿النَّارِ﴾ في الآخرة فلا يليق بكم مصاهرتهم ومناكحتهم، فإن الزوجية مظنة المحبة، وذلك يوجب الموافقة في الأغراض، وربما يؤدي ذلك إلى انتقال الدين بسبب موافقة المحبوب ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوٓاْ﴾؛ أي: أولياءه[1] المؤمنون يدعون، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه تفخيماً لشأنهم؛ أي: يدعون إلى الاعتقاد والعمل الموصلَين ﴿إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ﴾ فهم الأحِقَّاء بالمواصلة دون غيرهم، أو الكلام على ظاهره بلا حذف، والمعنى والله يدعو عباده إلى الجنة والمغفرة يتبيان هذه الأحكام من الإباحة والتحريم، فإن من تمسك بها.. استحق الجنة والمغفرة ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾؛ أي: بتيسره تعالى، وتوفيقه للعمل الذي يستحق به الجنة والمغفرة، أو بقضائه وإرادته.

يعني: أنه تعالى بين هذه الأحكام، وأباح بعضها، وحرم بعضها، فاعملوا بما أمركم به، وانتهوا عما نهاكم عنه، فإنه من عمل بذلك.. استحق الجنة

(١) البيضاوي والنسفي.

والمغفرة، وقرأ الحسن شذوذاً ﴿والمغفرةُ بإذنه﴾ بالرفع؛ أي: والمغفرة حاصلة بتيسيره تعالى ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ﴾؛ أي: يوضح أدلته وحجته في أوامره ونواهيه وأحكامه في التزوج والتزويج للناس ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ويتعظون؛ أي: لكي يتذكروا، فيميزوا بين الخير والشر، والخبيث والطيب؛ فيعرفوا قبح المنهي عنه، وحسن المدعو إليه.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾؛ أي: يسألك أصحابك يا محمد عن إتيان النساء في حالة الحيض، أيحل ذلك أم يحرم؟ وتقدم لك أن السائل عن ذلك عباد بن بشر وأسيد بن الحضير؛ لأن أهل الجاهلية كانوا إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها، ولم يشاربوها، ولم يجالسوها على فرش، ولم يساكنوها في البيت كفعل اليهود والمجوس، وأما النصارى: فكانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض.

ولعله سبحانه وتعالى[1] إنما ذكر ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ بغير ﴿واو﴾ ثلاث مرات. ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم﴾، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾، وثلاث مرات بـ﴿واو﴾ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ إشارة إلى أن الاسئلة الثلاثة الأولى كانت في أوقات متفرقة، والثلاثة الأخيرة كانت في وقت واحد مع السؤال عن الخمر والميسر، فجاء بحرف الجمع لذلك، كأنه قال: جمعوا لك بين السؤال عن الخمر والميسر، والسؤال عن كذا وكذا وكذا، والله أعلم. ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد في الجواب ﴿هُوَ﴾؛ أي: الحيض ﴿أَذًى﴾؛ أي: شيء مستقذر مؤذ مَنْ يقربه للرائحة الكريهة التي فيه، واللون الفاسد، وللحدة القوية التي فيه ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ﴾؛ أي: فاجتنبوا معاشرة النساء ومجامعتهن ﴿فِى ٱلْمَحِيضِ﴾؛ أي: في حالة الحيض وزمانه ومكانه؛ لقوله ﷺ: «إنما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن إذا حضن، ولم يأمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم»، وهو الاقتصاد بين إفراط اليهود وتفريط النصارى، فإنهم كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض، وإنما وصفه

(١) البحر المحيط والبيضاوي.

بأنه أذى، ورتب الحكم عليه بالفاء إشعاراً بأنه العلة. ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾؛ أي: لا تجامعوهن ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾؛ أي: حتى ينقطع عنهن دم الحيض ويغتسلن، وهذا تأكيد لحكم الاعتزال، وبيان لغايته، وهو أن يغتسلن بعد الانقطاع.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص، ويعقوب الحضرمي ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ بسكون الطاء وضم الهاء بمعنى: حتى ينقطع عنهن الدم، وقرأ شعبة، وحمزة والكسائي ﴿يطهرن﴾ بتشديد الطاء والهاء بمعنى: يغتسلن ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾؛ أي: اغتسلن من حيضهن أو تيممن عند تعذر استعمال الماء ﴿فَأْتُوهُنَّ﴾؛ أي: جامعوهن ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ﴾؛ أي: في المكان الذي أحله الله لكم؛ وهو القبل الذي هو مكان النسل والولد، ولا تعتدوا إلى غيره؛ وهو الدبر، أو المعنى جامعوهن في المكان الذي أمركم الله بتجنبه في حالة الحيض وهو القبل.

واتفق مالك والأوزاعي والثوري والشافعي أنه إذا انقطع حيض المرأة.. لا يحل للزوج مجامعتها إلا بعد أن تغتسل من الحيض، والمشهور عن أبي حنيفة أنها إن رأت الطهر دون عشرة أيام.. لم يقربها زوجها، وإن رأته لعشرة أيام.. جاز أن يقربها قبل الاغتسال. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ﴾ ويثيب ﴿التَّوَّابِينَ﴾ من الذنوب والرجاعين عنها، بالندم على ما مضى منها، والترك في الحاضر، والعزم على أن لا يفعل مثلها في المستقبل ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾؛ أي: المتنظفين بالماء من الأحداث والجنابات والنجاسات، أو المتنزهين عن المعاصي والفواحش، كمجامعة النساء في زمان الحيض، وإتيانهن في الأدبار، وقيل: يحب المستنجين بالماء.

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾؛ أي: فروج نسائكم مزرعة لأولادكم ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ﴾؛ أي: مزرعتكم ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾؛ أي: من أي جهة شئتم من أمامها أو ورائها، وعلى أي حال شئتم من قيام أو قعود أو اضطجاع، فهو مخير بين ذلك إذا كان الإتيان في قبلها لا في دبرها.

وفي الآية: دليل على تحريم إتيان النساء في أدبارهن؛ لأن محل الحرث لها والزرع هو القبل لا الدبر، ويؤيد ذلك ما روي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه

ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ملعون من أتى امرأة في دبرها». أخرجه أبو داود. ﴿وَقَدِّمُواْ﴾ صالح الأعمال التي تكون ذخراً ﴿لِأَنفُسِكُمْ﴾ في الآخرة، وقيل: معناه وقدموا على الجماع ما يكون صلاحاً لأنفسكم ولأولادكم من التسمية والدعاء، وقيل: معناه وقدموا نية الولد أو نية الإعفاف لأنفسكم. أخرج الشيخان عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال النبي ﷺ: «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا.. فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبداً»؛ أي: قدموا ما يدخر لكم من الثواب، ولا تكونوا في قيد قضاء الشهوة. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: خافوا عقاب الله في أدبار النساء، ومجامعتهن في الحيض ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾؛ أي: ملاقوا الله بالبعث وراجعون إليه في الآخرة للمجازاة، فتزودوا ما تنتفعون به فيها ﴿وَبَشِّرِ﴾ يا محمد ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: الكاملين في الإيمان؛ أي: بشرهم بالفضل الجسيم، والفوز العظيم في جنات النعيم؛ لأنهم تلقوا ما خوطبوا به من الأوامر والنواهي بحسن القبول والامتثال.

﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ نزلت في عبد الله بن رواحة رضي الله عنه كان بينه وبين ختنه بشير بن النعمان شيء، فحلف عبد الله لا يدخل عليه، ولا يكلمه، ولا يصلح بينه وبين خصم له، وقيل: نزلت في أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ حين حلف أن لا ينفق على مسطح حين خاض في حديث أهل الإفك؛ أي: ولا تجعلوا أيها المؤمنون الحلف باسم الله عرضة؛ أي: عارضاً ومانعاً وحاجزاً لكم عن أيمانكم؛ أي: عن أعمالكم الصالحة، فالمراد بالأيمان هنا: الأعمال الصالحة، واللام فيه بمعنى عن وسميت: أيماناً لتعلق الإيمان بها، وقوله: ﴿أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ بدل من الأيمان بدل تفصيل من مجمل؛ أي: ولا تجعلوه حاجزاً لكم عن أن تبروا وتصلوا الرحم، ولا عن أن تتقوا؛ أي: ولا أن تصلّوا أو تصوموا مثلاً، ولا عن أن تصلحوا بين الناس، فعطف هذا على ما قبله من عطف الخاص على العام، والمعنى: لا تجعلوا الحلف باسم الله مانعاً لكم عن أعمال البر، ولا عن أن تبروا بالوالدين والأرحام، ولا أن تفعلوا ما فيه تقوى الله كالصلاة والصيام، ولا أن تفعلوا

الإصلاح بين الناس، يعني: لا تجعلوا الحلف بالله سبباً مانعاً لكم عن فعل الخير، وعن فعل البر والتقوى والإصلاح بين الناس؛ فتتعللوا باليمين بأن يقول أحدكم: قد حلفت بالله على أن لا أفعله، وأريد أن أبر بيميني، بل افعلوا الخير، وكفروا عن أيمانكم.

روى مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف على يمين، فرأى غيرها خيراً منها.. فليأتها، وليكفر عن يمينه».

وقيل معناه: لا تجعلوا الله عرضة؛ أي: معروضاً ومذكوراً في أيمانكم، وحلفكم على أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس؛ يعني: لا تكثروا الحلف بالله، وإن كنتم بارين متقين مصلحين، فإن كثرة الحلف بالله ضرب من الجراءة عليه ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأيمانكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنياتكم، وختم الله سبحانه وتعالى(١) هذه الآية بهاتين الصفتين؛ لأنه تقدم ما يتعلق بهما، فالذي يتعلق بالسمع الحلف؛ لأنه من المسموعات، والذي يتعلق بالعلم هو إرادة البر والتقوى والإصلاح؛ إذ هو شيء محله القلب، فهو من المعلومات، فجاءت هاتان الصفتان منتظمتين للعلة والمعلول، وجاءتا على ترتيب ما سبق من تقديم السمع على العلم، كما قدم الحلف على الإرادة.

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ﴾ ولا يعاتبكم، أو لا يطالبكم بالتكفير ﴿بِاللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾؛ أي: بما جرى على ألسنتكم من ألفاظ الأيمان من غير قصد الحلف كقول أحدكم: بلى والله، تارة، ولا والله، تارة أخرى، لا يقصد به اليمين ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم﴾ ويعاتبكم، أو يطالبكم بالتكفير ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ وقصدت به ﴿قُلُوبُكُمْ﴾ من ألفاظ الأيمان، وكسب القلب: هو العقد والنية.

واختلف العلماء في معنى اللغو من اليمين:

فقال الشافعي: هو ما سبق إليه اللسان من غير قصد اليمين، فلا إثم ولا كفارة له، بخلاف أبي حنيفة فيهما كقول القائل: لا والله، وبلى والله، من غير

---

(١) البحر المحيط.

قصد ولا نية، ويعضده ما روي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: نزل قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ في قول الرجل: لا والله، بلى والله. أخرجه البخاري موقوفاً، ورفعه أبو داود.

وقال أبو حنيفة ومالك: اللغو من اليمين: هو أن يحلف الرجل على شيء يرى أنه صادق، ثم يتبين له خلاف ذلك، فلا إثم فيه، ولا كفارة له عندهما بخلاف الشافعي فيهما.

ومعنى الآية عند الشافعي: لا يؤاخذكم الله بغير المقصود لقلوبكم، وإنما يؤاخذكم بالمقصود لها، وعند أبي حنيفة ومالك لا يؤاخذكم باللغو؛ أي: بما حلفتم عليه معتقدين حقيقته بحيث يكون اللسان موافقاً للجنان ثم تبين خلافه، ولكن يؤاخذكم بما حلفتم عليه غير معتقدين حقيقته، وهي اليمين الغموس؛ أي: ولكن يؤاخذكم بما كسبته واقترفته قلوبكم من إثم القصد إلى الكذب.

ومذهب الشافعي: هو قول عائشة رضي الله عنهما والشعبي، وعكرمة، ومذهب أبي حنيفة: هو قول ابن عباس رضي الله عنهما والحسن، ومجاهد، والنخعي، والزهري، وسليمان بن يسار، وقتادة، ومكحول.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لعباده فيما لغوا من أيمانهم ﴿حَلِيمٌ﴾ حيث لم يعجل العقوبة على يمين الجد تربصاً للتوبة، وجاءت هاتان الصفتان تدلان على توسعة الله على عباده حيث لم يؤاخذهم باللغو في الأيمان.

الإعراب

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ﴾.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول، والجملة مستأنفة استئنافاً نحوياً. ﴿عَنِ ٱلْخَمْرِ﴾: جار ومجرور في محل النصب مفعول ثان. ﴿وَٱلْمَيْسِرِ﴾: معطوف على ﴿ٱلْخَمْرِ﴾. ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة جملة جوابية لا محل لها من الإعراب. ﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾: مقول محكي لـ﴿قُلْ﴾، وإن شئت قلت: ﴿فِيهِمَآ﴾:

جار ومجرور خبر مقدم. ﴿إِثْمٌ﴾: مبتدأ. ﴿كَبِيرٌ﴾: صفة لـ﴿إِثْمٌ﴾، والجملة الاسمية في محل النصب مقول القول. ﴿وَمَنَافِعُ﴾: معطوف على ﴿إثم﴾. ﴿لِلنَّاسِ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لـ﴿منافع﴾؛ تقديره: كائنات للناس. ﴿وَإِثْمُهُمَآ﴾ الواو: عاطفة. ﴿إثمهما﴾: مبتدأ ومضاف إليه. ﴿أَكْبَرُ﴾: خبر. ﴿مِن نَّفْعِهِمَا﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿﴿أَكْبَرُ﴾، والجملة الاسمية في محل النصب معطوفة على الجملة التي قبلها على كونها مقولاً لـ﴿قُلْ﴾. ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ الواو: عاطفة، ﴿يسئلونك﴾: فعل وفاعل ومفعول أول، والجملة معطوفة على جملة ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ﴾ على كونها مستأنفة. ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ﴾: ﴿ما﴾: اسم استفهام في محل الرفع مبتدأ، ﴿ذا﴾: اسم موصول بمعنى الذي في محل الرفع خبر، والجملة في محل النصب سادة مسد المفعول الثاني لـ﴿سأل﴾؛ تقديره: يسألونك أي القدر الذي ينفقونه. ﴿يُنفِقُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة ﴿ذا﴾ الموصول، والعائد محذوف؛ تقديره: ينفقونه. ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾: ﴿قُلِ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة جملة جوابية لا محل لها من الإعراب. ﴿ٱلْعَفْوَ﴾ ـ بالنصب على قراءة الجمهور ـ: مفعول لفعل محذوف؛ تقديره: أنفقوا العفو، وبالرفع: خبر مبتدأ محذوف؛ تقديره: هو العفو، والجملة المحذوفة على كلا التقديرين في محل النصب مقول القول.

وسبب اختلاف القراءتين[(١)] الاختلاف في إعراب ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ﴾، فمن أعرب ﴿مَاذَا﴾ جميعهما اسم استفهام مركباً معمولاً لـ﴿ينفقون﴾.. فالجملة فعلية، فيكون جوابها كذلك، فقوله: ﴿ٱلْعَفْوَ﴾ ـ بالنصب ـ معمول لمحذوف؛ تقديره: أنفقوا العفو، والجملة في محل النصب مقول القول؛ لأن القول لا ينصب إلا الجمل أو ما قام مقامها، ومن أعرب ﴿ما﴾ وحدها اسم استفهام مبتدأ، و﴿ذا﴾ اسم موصول خبره، وجملة ﴿يُنفِقُونَ﴾ صلته، والجملة اسمية.. فيكون جوابها كذلك، فالعفوُ ـ بالرفع ـ خبر لمحذوف؛ تقديره: هو العفو، والجملة المحذوفة

(١) الصاوي.

على كل حال مقول القول، وهذا هو الأحسن المناسب للسؤال، وإلا فيصح.. جعل السؤال جملة اسمية، والجواب فعلية، وبالعكس. انتهى.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لمصدر محذوف؛ تقديره: تبييناً كائناً كتبيين ما ذكر. ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة ﴿لَكُمُ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يُبَيِّنُ﴾ ﴿ٱلْآيَٰتِ﴾: مفعول به. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: حرف نصب وتعليل بمعنى كي، والكاف اسمها، وجملة ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿لعل﴾، وجملة ﴿لعل﴾ من اسمها وخبرها في محل الجر بـ﴿لام﴾ التعليل المقدرة؛ تقديره: يبين لكم الآيات تبييناً كائناً كتبيين ما تقدم؛ لتفكركم واتعاظكم.

﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ﴾

﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾. ﴿وَٱلْآخِرَةِ ۗ﴾: معطوف على ﴿ٱلدُّنْيَا﴾. ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ﴾ الواو: عاطفة، ﴿يسألونك﴾: فعل وفاعل ومفعول أول، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ﴾. ﴿عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ﴾: جار ومجرور في محل النصب، مفعول ثان لـ﴿سأل﴾.

﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة جملة جوابية لا محل لها من الإعراب. ﴿إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ...﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿إِصْلَاحٌ﴾: مبتدأ، وسوغ الابتداء وصفه بالجار والمجرور بعده، أو عمله في الجار والمجرور. ﴿لَّهُمْ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿إِصْلَاحٌ﴾، أو متعلق به. ﴿خَيْرٌ ۖ﴾: خبر، والجملة في محل النصب مقول القول. ﴿وَإِن﴾ الواو: عاطفة. ﴿إن﴾: حرف شرط جازم. ﴿تُخَالِطُوهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول مجزوم بـ﴿إن﴾. ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إن﴾ الشرطية وجوباً، ﴿إخوانكم﴾: خبر لمبتدأ محذوف؛ تقديره: فهم إخوانكم، والكاف مضاف إليه،

والجملة الاسمية في محل الجزم على كونها جواباً لها، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل النصب معطوفة على الجملة التي قبلها على كونها مقولاً لـ﴿قُلْ﴾. ﴿وَٱللَّهُ﴾ الواو: عاطفة، ﴿اللَّه﴾: مبتدأ. ﴿يَعْلَمُ﴾: فعل مضارع بمعنى يعرف، والفاعل ضمير مستتر يعود على ﴿اللَّه﴾. ﴿ٱلْمُفْسِدَ﴾: مفعول به. ﴿مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾: متعلق بـ﴿يَعْلَمُ﴾، وجملة ﴿يَعْلَمُ﴾ في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾، على كونها مقولاً لـ﴿قُلْ﴾. ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ الواو: عاطفة. ﴿لو﴾: حرف شرط غير جازم. ﴿شَآءَ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل، والجملة فعل شرط لـ﴿لو﴾ لا محل لها من الإعراب. ﴿لَأَعْنَتَكُمْ﴾: ﴿اللام﴾: رابطة لجواب ﴿لو﴾، ﴿أعنتكم﴾: فعل ماضٍ ومفعول به، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّه﴾، والجملة جواب لو لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لو﴾ الشرطية في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ على كونها مقولاً لـ﴿قُلْ﴾. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب وتوكيد. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿عَزِيزٌ﴾: خبر أول لها. ﴿حَكِيمٌ﴾: خبر ثان لها، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل النصب مقول القول، أو في محل الجر بـ(لام) التعليل المقدرة.

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾.

﴿وَلَا﴾: الواو: استئنافية، ﴿لا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾: فعل وفاعل ومفعول مجزوم بلا الناهية، والجملة مستأنفة. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جر وغاية. ﴿يُؤْمِنَّ﴾: فعل مضارع في محل النصب بـ﴿أن﴾ مضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾ بمعنى (إلى) مبني بسكون على النون المدغمة في نون الإناث، ونون الإناث في محل الرفع فاعل، والجملة صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بـ﴿حَتَّىٰ﴾ بمعنى إلى، تقديره: إلى إيمانهن، الجار والمجرور متعلق بـ﴿لا تنكحوا﴾. ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾ الواو: اعتراضية، ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿أمة﴾: مبتدأ. ﴿مُّؤْمِنَةٌ﴾: صفة له. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر له، وأفعل التفضيل ليس على بابه.

﴿مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾: متعلق بـ﴿خَيْرٌ﴾، والجملة الاسمية جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب؛ لاعتراضها بين المعطوف والمعطوف عليه ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾: الواو: حالية، ﴿لو﴾: حرف شرط بمعنى إن، ﴿أعجبتكم﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿مُّشْرِكَةٍ﴾، وجواب ﴿لو﴾ محذوف؛ تقديره: ولو أعجبتكم فالمؤمنة خير، وجملة ﴿لو﴾ في محل النصب حال من ﴿مُّشْرِكَةٍ﴾، وسوَّغ مجيء الحال منها قصد الجنس، والتقدير: ولأمة مؤمنة خير من مشركة حال كونها قد أعجبتكم. وعبارة الكرخي[1]: قوله ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ الواو: للحال؛ أي: ولأمة مؤمنة خير من مشركة حال كونها قد أعجبتكم، و﴿لو﴾ هنا بمعنى إن، وكذا كل موضع وَلِيَها الفعل الماضي كقوله: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ و«أعطوا السائل ولو جاء على فرس»، ويطرد حذف كان واسمها بعدها، والمعنى: وإن كانت المشركة تعجبكم فالمؤمنة خيرٌ. انتهت.

﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾.

﴿وَلَا﴾ الواو: عاطفة، ﴿لا﴾: ناهية جازمة. ﴿تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، والمفعول الثاني محذوف، تقديره: المؤمناتِ، والجملة معطوفة على جملة قوله ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جر وغاية. ﴿يُؤْمِنُوا﴾: فعل وفاعل منصوب بـ﴿أن﴾ المضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾، وأن المضمرة مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بـ﴿حَتَّىٰ﴾؛ تقديره: إلى إيمانهم، الجار والمجرور متعلق بـ﴿لا تنكحوا﴾. ﴿وَلَعَبْدٌ﴾: ﴿الواو﴾ استئنافية، ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿عبد﴾: مبتدأ. ﴿مُّؤْمِنٌ﴾: صفة له. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر له، واسم التفضيل ليس على بابه. ﴿مِّن مُّشْرِكٍ﴾: متعلق بخبر، والجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً. ﴿وَلَوْ﴾ الواو: حالية، ﴿لو﴾: حرف شرط بمعنى ﴿إن﴾. ﴿أَعْجَبَكُمْ﴾: فعل ماضٍ ومفعول به، وجواب ﴿لو﴾ محذوف؛ تقديره: ولو أعجبكم فلا تزوجوه، وجملة ﴿لو﴾ في محل النصب حال من ﴿مُّشْرِكٍ﴾؛

(١) الجمل.

تقديره: ولعبد مؤمن خير من مشرك حال كونه قد أعجبكم، فهذه الجملة موافقة لجملة قوله. ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ في الإعراب والمعنى.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: مبتدأ، فاسم الإشارة هنا واقع على كل من الإناث والذكور؛ لأنه يصلح لهما، كما قال ابن مالك:

وَبِـ(أُولَىٰ) أَشِرْ لِجَمْعٍ مُطْلَقَا   وَٱلْمَدُّ أَوْلَىٰ وَلَدَىٰ ٱلْبُعْدِ ٱنْطِقَا

﴿يَدْعُونَ﴾: فعل وفاعل، وجملة ﴿يَدْعُونَ﴾ في محل الرفع خبر المبتدأ، وجملة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ﴾ في محل الجر بـ(لام) التعليل المقدرة؛ لأنها معللة لقوله ﴿وَلَأَمَةٌ...﴾ إلخ، وقوله: ﴿...وَلَعَبْدٌ﴾ إلخ. ﴿إِلَى ٱلنَّارِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يَدْعُونَ﴾. ﴿وَٱللَّهُ﴾ الواو: عاطفة، ﴿اللَّه﴾: مبتدأ. ﴿يَدْعُوٓاْ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّه﴾، وجملة ﴿يَدْعُوٓاْ﴾ خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على جملة قوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ﴾. ﴿إِلَى ٱلْجَنَّةِ﴾: متعلق بـ﴿يَدْعُوٓاْ﴾. ﴿وَٱلْمَغْفِرَةِ﴾ معطوف على ﴿ٱلْجَنَّةِ﴾. ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يَدْعُوٓاْ﴾، أو حال من ﴿ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ﴾ هذا على قراءة جر ﴿المغفرةِ﴾، وأما على قراءة الرفع الشاذة، فـ﴿المغفرةُ﴾: مبتدأ، والجار والمجرور خبره؛ تقديره: والمغفرة حاصلة بإذنه.

﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَيُبَيِّنُ﴾: الواو: عاطفة، ﴿يبين﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّه﴾، والجملة في محل الرفع معطوفة على جملة ﴿يَدْعُوٓاْ﴾. ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿لِلنَّاسِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يبين﴾. ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: ﴿لعل﴾: حرف نصب وتعليل، والهاء اسمها، وجملة ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾: خبرها. وجملة ﴿لعل﴾ في محل الجر بلام التعليل المقدرة.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ﴾.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾: الواو: عاطفة، ﴿يسألونك﴾: فعل وفاعل ومفعول أول. ﴿عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾: جار ومجرور، متعلقان بمحذوف في محل النصب مفعول ثان لـ﴿سأل﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ﴾. ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة جملة جوابية لا محل لها من الإعراب. ﴿هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ﴾ إلى قوله ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿أَذًى﴾: خبر، والجملة في محل النصب مقول القول. ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟﴾: ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتفريع، ﴿اعتزلوا النساء﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة قوله ﴿هُوَ أَذًى﴾ على كونها مقول القول. ﴿فِى ٱلْمَحِيضِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿اعتزلوا﴾. ﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، ﴿لا﴾ نافية. ﴿تَقْرَبُوهُنَّ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟﴾. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جر وغاية. ﴿يَطْهُرْنَ﴾: فعل مضارع في محل النصب بـ﴿أن﴾ المضمرة مبني على السكون لاتصاله بنون الإناث، ونون الإناث في محل الرفع فاعل، والجملة الفعلية صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بـ﴿حَتَّىٰ﴾؛ تقديره: إلى طهارتهن، الجار والمجرور متعلق بـ﴿تَقْرَبُوهُنَّ﴾.

﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾.

هذا تصريح بمفهوم الغاية، ﴿فَإِذَا﴾: (الفاء): فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر؛ تقديره: إذا عرفتم النهي عن قربانهن إلى طهارتهن، وأردتم بيان حكم القربان بعد الطهارة. . فأقول لكم: ﴿إذا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان خافضة لشرطها منصوبة بجوابها، والظرف متعلق بالجواب. ﴿تَطَهَّرْنَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الخفض بإضافة ﴿إذا﴾ إليها على كونها فعل شرط لها. ﴿فَأْتُوهُنَّ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إذا﴾ وجوباً، ﴿أتوهن﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة جواب ﴿إذا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إذا﴾ من فعل شرطها وجوابها في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة ﴿إذا﴾ المقدرة في محل النصب مقول القول لـ﴿قُلْ﴾. ﴿مِنْ﴾: حرف جر. ﴿حَيْثُ﴾:

ظرف مكان في محل الجر بـ﴿أتوهن﴾، الجار والمجرور متعلق بـ﴿أتوهن﴾.
﴿أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾: فعل ومفعول وفاعل، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿حَيْثُ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

﴿إِنَّ﴾: حرف نصب وتوكيد. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾: فعل ومفعول، والفاعل ضمير يعود على ﴿ٱللَّهَ﴾، والجملة في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ من اسمها وخبرها جملة معترضة في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾؛ لاعتراضها بين المبيَّن وهو: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾، وبين البيان وهو ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾. ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾: فعل ومفعول، والفاعل ضمير يعود على ﴿الله﴾، والجملة في محل الرفع معطوفة على جملة ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ على كونها خبراً لـ﴿إِنَّ﴾.

﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ﴾.

﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ﴾: مبتدأ ومضاف إليه وخبر، والجملة في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾، وهذه الجملة سيقت لبيان قوله: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾. ﴿لَّكُمْ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لـ﴿حَرْثٌ﴾؛ تقديره: حرث كائن لكم. ﴿فَأْتُوا۟﴾: ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتفريع. ﴿ائتوا حرثكم﴾: فعل وفاعل ومفعول ومضاف إليه، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة قوله ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ على كونها مقولا لـ﴿قُلْ﴾. ﴿أَنَّىٰ﴾: اسم شرط جازم لتعميم الأحوال بمعنى كيف في محل النصب مفعول مقدم وجوباً. ﴿شِئْتُمْ﴾: فعل وفاعل في محل الجزم بـ﴿أَنَّىٰ﴾ على كونه فعل الشرط لها، وجواب الشرط محذوف؛ تقديره: أنى شئتم فأتوه، وجملة ﴿أَنَّىٰ﴾ من فعل شرطها وجوابها في محل النصب مقول القول. ﴿وَقَدِّمُوا۟﴾: الواو: عاطفة ﴿قدموا﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة قوله ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ على كونها مقول القول. ﴿لِأَنفُسِكُمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿قدموا﴾.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَٱتَّقُواْ﴾: الواو: عاطفة، ﴿اتقوا الله﴾: فعلٍ وفاعل ومفعول، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة قوله ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ على كونها مقولاً لـ﴿قُلْ﴾.
﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾: الواو: عاطفة، ﴿اعلموا﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿وَٱتَّقُواْ﴾ على كونها مقولا لـ﴿قُلْ﴾. ﴿أَنَّكُم﴾: ﴿أن﴾: حرف نصب ومصدر، والكاف: اسمها. ﴿مُّلَٰقُوهُۗ﴾: خبرها ومضاف إليه، وجملة ﴿أنَّ﴾ من اسمها وخبرها في تأويل مصدر سادٌّ مسد مفعولي ﴿اعلم﴾؛ تقديره: واعلموا لقاءكم إياه. ﴿وَبَشِّرِ﴾ الواو: عاطفة أو استئنافية، ﴿بشر﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة معطوفة على جملة ﴿قُلْ﴾، أو مستأنفة.
﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: مفعول به منصوب بالياء.

﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾.

﴿وَلَا﴾: ﴿الواو﴾ استئنافية، ﴿لا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَجْعَلُواْ﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية. ﴿ٱللَّهَ﴾: لفظ الجلالة، مفعول أول. ﴿عُرْضَةً﴾: مفعول ثان، والجملة مستأنفة. ﴿لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿عُرْضَةً﴾ أو بـ﴿تَجْعَلُواْ﴾؛ لأن المعنى لا تجعلوا الحلف بالله عارضاً مانعاً لكم عن أيمانكم؛ أي: عن الأعمال الصالحة كما مر في التفسير والحل. ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿تَبَرُّواْ﴾: فعل وفاعل منصوب بـ﴿أَن﴾، والجملة من الفعل والفاعل صلة ﴿أَن﴾ و﴿أن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور على كونه بدلاً من ﴿أيمانكم﴾ وعطف بيان عنه؛ تقديره: مانعاً لكم عن بركم وإحسانكم إلى الأرحام. ﴿وَتَتَّقُواْ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿تَبَرُّواْ﴾، وكذلك ﴿تصلحوا﴾ معطوف عليه على كونهما بدلاً، أو عطف بيان ﴿لأيمانكم﴾؛، والتقدير: ومانعاً لكم عن تقواكم وإصلاحكم بين الناس. وقوله: ﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِۗ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿تصلحوا﴾. ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: استئنافية، ﴿اللَّه﴾: مبتدأ. ﴿سَمِيعٌ﴾: خبر أول. ﴿عَلِيمٌ﴾: خبر ثان، والجملة مستأنفة.

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾.

﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ﴾: فعل ومفعول وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿بِٱللَّغْوِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يُؤَاخِذُكُمُ﴾. ﴿فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بمحذوف حال من اللغو، أو صفة له إن قلنا: إن أل فيه جنسية، فهو بمنزلة النكرة، أو متعلق باللغو؛ لأنه مصدر. ﴿وَلَٰكِن﴾: الواو: عاطفة، ﴿لكن﴾ حرف استدراك، ولكن وقعت هنا بين نقيضين باعتبار وجود اليمين؛ لأنها لا تخلو: إما أن لا يعضدها القلب، بل جرت على اللسان وهي اللغو، وإما أن يعضدها وهي المنعقدة. ﴿يُؤَاخِذُكُم﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهُ﴾، والجملة معطوفة على جملة قوله ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ﴾. ﴿بما﴾: ﴿الباء﴾: حرف جر، ﴿ما﴾: موصولة، أو موصوفة، أو مصدرية في محل الجر بالباء، الجار والمجرور متعلق بـ﴿يُؤَاخِذُكُم﴾. ﴿كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: فعل وفاعل ومضاف إليه، والجملة صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف؛ تقديره: بما كسبته قلوبكم. ﴿وَٱللَّهُ﴾ الواو: استئنافية، ﴿اللّه﴾: مبتدأ. ﴿غَفُورٌ﴾: خبر أول. ﴿حَلِيمٌ﴾: خبر ثان، والجملة مستأنفة.

التصريف ومفردات اللغة

﴿عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ والخمر في الأصل: مصدر خَمرتُ الإناء إذا غطيته بالغطاء، سمي الخمر بذلك؛ لأنه يغطي العقل ويستره. ﴿وَٱلْمَيْسِرِ﴾ في الأصل مصدر ميمي من يسر، كالموعد من وعد، يقال: يسرته إذا قهرته وغلبته، واشتقاقه: إما من اليسر؛ لأن فيه أخذ المال بسهولة ويسر بلا كد ولا تعب، وإما من اليسار بمعنى الغنى؛ لأنه سبب لتحصيل الغنى، أو لسلبه، وفي «المصباح»: الميسر وزان مسجد، قمار العرب بالأزلام، يقال: منه يسر الرجل ييسر - من باب وعد - فهو ياسر، وبه سمي. ﴿وَإِثْمُهُمَآ﴾ والإثم في الأصل مصدر أثِم يأثَم إثماً ومأثماً - من باب طرب إذا أذنب، والإثم - الذنب يجمع على آثام.

﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ والعفو في الأصل مصدر عفا يعفو عفواً إذا سامح عن الإساءة، وهو هنا اسم للمال الفاضل عن الحاجة. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ العلم هنا بمعنى المعرفة المتعدية إلى واحد، وأتى بـ﴿من﴾ لتضمنه

بمعنى التمييز؛ أي: يعلم من يفسد في أمورهم عند المخالطة، أو من يقصد بمخالطته الخيانة والإفساد مميزاً له ممن يصلح فيها، أو يقصد الإصلاح، فيجازي كلاً منهما بعمله.

﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ وأصله يؤمنن، فسكنت النون الأولى التي هي آخر الفعل؛ لدخول نون النسوة، ثم أدغمت الأولى في الثانية.

﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بضم التاء هنا وبفتحها في قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾؛ لأن الأول: من نكح الثلاثي، وهو يتعدى إلى مفعول واحد، والثاني: من أنكح الرباعي، وهو يتعدى إلى الاثنين. الأول: في الآية ﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ والثاني: محذوف، وهو المؤمنات.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ اسم الإشارة راجع إلى المشركات والمشركين، ويدعون خبره، فمن حيث وقوعه على الذكور يكون الفعل مرفوعاً بالنون، والواو فاعل، ويكون وزنه ينعون، أصله يدعوون بواوين، فحذفت أولاهما وهي لام الكلمة، ومن حيث وقوعه على الإناث يكون الفعل مبنياً على السكون، وتكون النون نون النسوة، وتكون ﴿الواو﴾ حرفاً هي لام الكلمة، ووزنه يفعلن.

﴿عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ المحيض: مصدر ميمي يصلح للحدث والزمان والمكان، والحيض في اللغة السيلان، يقال: حاض الوادي إذا سال ماؤه، وشرعاً عند الفقهاء: دم جبلة يخرج من أقصى رحم المرأة في أوقات مخصوصة. ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾ وفي «المصباح»: أذي الشيء يَأذى أذىً - من باب تعب - إذا قذر.

﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ وأصل ائتوا: ائتيوا بوزن اضربوا، فالهمزة الأولى همزة وصل أُتيَ بها للابتداء بالساكن، والثانية فاء الكلمة اجتمع همزتان، فقلبت ثانيتهما ياء على حد إيمان وبابه، واستثقلت الضمة على الياء التي هي لام الكلمة فحذفت، فسكنت الياء وبعدها واو الضمير ساكنة، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين، وضمت التاء قبلها للتجانس، فوزن ائتوا افعوا، وهذه الهمزة إنما يحتاج إليها ابتداء أما في الدرج: فإنها يستغنى عنها، وتعود الهمزة التي هي فاء الكلمة؛ لأنها إنما قلبت لأجل الكسر الذي كان قبلها، وقد زال.

﴿عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ عرضة فُعلة بمعنى المفعول، كالقبضة والغرفة؛ بمعنى المقبوض والمغروف، تطلق على ما يعرض دون الشيء، فيصير حاجزاً عنه.

﴿بِٱللَّغۡوِ﴾ واللغو مصدر لغا يلغو، يقال: لغا يلغو لغواً، مثل غزا يغزو غزواً، ولغى يلغى لغياً، مثل يلقى لقياً.

وفي «الخازن»: اللغو: كل ساقط مطروح من الكلام وما لا يعتد به، وهو الذي يورد لا عن روية وفكر، واللغو في اليمين: هو الذي لا عقد ولا قصد معه، كقول الإنسان لا والله، وبلى والله.

البلاغة

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ﴾: فيه إيجاز بالحذف؛ أي: يسألونك عن شرب الخمر وتعاطي الميسر؛ أي: أيحل ذلك أم لا؟ ﴿وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ﴾ هذا من باب التفصيل بعد الإجمال، وهو ما يسمى عند أهل المعاني بالإطناب. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾: فيه تشبيه مرسل مجمل.

﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ﴾: فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب؛ لأن قبله ﴿ويسألونك﴾ فالواو ضمير الغائبين، وحكمة هذا الالتفات ما في الإقبال بالخطاب على المخاطب ليتهيأ لسماع ما يلقى إليه وقبوله والتحرز فيه.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ﴾ وتعلق العلم بالمفسد أولاً؛ ليقع الإمساك عن الإفساد، ومن متعلقه بيعلم على تضمين ما يتعدى بمن كان المعنى: والله يميز بعلمه المفسد من المصلح.

وجاءت هذه الجملة بهذا التقسيم؛ لأن المخالطة على قسمين: مخالطة بإفساد، ومخالطة بإصلاح، ولأنه لما قيل: ﴿إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ﴾ فهم مقابله، وهو أن الإفساد شر، فجاء هذا التقسيم باعتبار الإصلاح ومقابله، ولا يخفى ما في الآية من الطباق بين كلمة المفسد والمصلح، وهو من المحسنات البديعية.

﴿وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ﴾: تعليل للنهي عن مواصلة المشركات، وترغيب في مواصلة المؤمنات، وصدر بلام الابتداء الشبيهة بلام القسم في إفادة التأكيد مبالغة

في الحمل على الإنزجار.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ﴾ من المعلوم أن المغفرة قبل دخول الجنة، ولذلك قدمت في غير هذه الآية: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ﴾، ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ﴾ وإنما قدمت الجنة هنا تقديماً للمقابل؛ لتكمل وتظهر المقابلة؛ لأن النار يقابلها الجنة، ولا يخفى ما في الآية من الطباق بين كلمة النار وكلمة الجنة.

﴿وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ﴾ كناية عن الجماع ﴿فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ﴾ هذا تصريح بمفهوم الغاية، والتصريح له، وإن علم مما قبله لمزيد العناية بأمر التطهر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ جملة معترضة بين المبين وهو قوله: ﴿فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ وبين البيان وهو قوله: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ﴾ ونكتة هذا الاعتراض: الترغيب فيما أمروا به، والتنفير عما نهوا عنه، وقدم الذي أذنب على الذي لم يذنب؛ لكيلا يقنط التائب من الرحمة، ولئلا يعجب المتطهر بنفسه كما في آية ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾.

﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ﴾؛ أي: كالأرض التي تُحرث ليوضع فيها البذر، فشبه النساء بالأرض التي تحرث، وشبه النطفة بالبذر الذي يوضع في تلك الأرض، وشبه الولد بالزرع الذي ينبت من الأرض، فهو من باب التشبيه البليغ، وأنشد ثعلب:

إِنَّمَا ٱلأَرْحَامُ أَرْضُوْ ... نَ لَنَا مُحْتَرَثَاتْ

فَعَلَيْنَا ٱلزَّرْعُ فِيْهَا ... وَعَلَىٰ ٱللَّهِ ٱلنَّبَاتْ

﴿فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ﴾ كناية عن الوطء، وجاء ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ﴾ نكرة؛ لأنه الأصل في الخبر، وجاء ﴿فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ﴾ معرفة؛ لأن في الإضافة حوالة على شيء سبق واختصاصاً بما أضيف إليه، ونظير ذلك أن تقول: زيد مملوك لك فأحسن إلى مملوكك؛ لأن القاعدة عند البلغاء إذا تقدمت نكرة، وأعيدت بلفظها.. فلا بد أن يكون معرفة، إما بالألف واللام كقوله تعالى: ﴿فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ﴾، وإما

بالإضافة كما هنا، كما قال السيوطي في «عقود الجمان»:

ثُـمَّ مِـنَ ٱلْـقَـوَاعِـدِ ٱلْـمُـشْـتَـهَـرَةْ   إِذَا أَتَـتْ نَـكِـرَةٌ مُـكَـرَّرَةْ

تَـغَـايَـرَتْ وَإِنْ يُـعَـرَّفْ ثَـانِـيْ   تَـوَافَـقَـا كَـذَا ٱلْـمُـعَـرَّفَـانِ

وفي قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مع ما فيه من تلوين الخطاب، وجعل المبشر رسول الله ﷺ من المبالغة في تشريف المؤمنين ما لا يخفى.

وقال أبو حيان[1]: وفي قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ تنبيه على الوصف الذي به يتقى الله، ويقدم الخير، ويستحق التبشير، وهو الإيمان، وفي أمره لرسول الله ﷺ بالتبشير تأنيس عظيم، ووعد كريم بالثواب الجزيل، ولم يأت بضمير الغيبة، بل أتى بالظاهر الدال على الوصف، ولكونه مع ذلك فصل آية: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ في هذا الكلام حذف؛ تقديره: ولكن يؤاخذكم في أيمانكم بما كسبت قلوبكم، فحذف لدلالة ما قبله عليه.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

(١) البحر المحيط.

قال الله سبحانه جلّ وعلا:

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾.

المناسبة

قوله: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ...﴾ الآية، مناسبة[1] هذه الآية لما قبلها ظاهرة؛ لأنه تقدم شيء من أحكام النساء، وشيء من أحكام الأيمان، وهذه الآية جمعت بين الشيئين.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ...﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة جداً؛ لأنه حكم غالب من أحكام النساء؛ لأن الطلاق يحصل به المنع من الوطء والاستمتاع دائماً، وبالإيلاء منع نفسه من الوطء مدة محصورة، فناسب ذكر غير المحصور بعد ذكر المحصور، ومشروع تربص المولي أربعة أشهر، ومشروع تربص هؤلاء ثلاثة قروء، فناسب ذكرها بعقبها.

قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ...﴾ مناسبتها لما قبلها ظاهرة: وهو أنه لما تضمنت الأية قبلها الطلاق الرجعي، وكانوا يطلقون، ويراجعون من غير حد ولا عد.. بين في هذه الآية أنه مرتان، فحصر الطلاق الرجعي في أنه مرتان؛ أي:

---

(١) البحر المحيط.

يملك المراجعة إذا طلقها، ثم يملكها إذا طلق، ثم إذا طلق ثالثة لا يملكها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا...﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما ذكر تعالى الإمساك بمعروف، أو التسريح بإحسان.. اقتضى ذلك أن من الإحسان أن لا يأخذ الزوج من امرأته شيئاً مما أعطاها.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ...﴾ عن ابن عباس(١) ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان أهل الجاهلية إذا طلب الرجل من امرأته شيئاً فأبت أن تعطيه.. حلف لا يقربها السنة والسنتين والثلاث، فيدعها لا أيِّما ولا ذات بعل، فلما كان الإسلام.. جعل الله ذلك للمسلمين أربعة أشهر، وأنزل هذه الآية، وقال سعيد بن المسيب: كان الإيلاء ضرار أهل الجاهلية فكان الرجل لا يريد امرأته، ولا يحب أن يتزوجها غيره، فيحلف أن لا يقربها أبداً فيتركها لا أيِّما ولا ذات بعل، وكانوا عليه في ابتداء الإسلام، فجعل الله تعالى الأجل الذي يعلم به ما عند الرجل في المرأة أربعة أشهر، وأنزل هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ...﴾.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ...﴾ الآية، أخرج(٢) أبو داود وابن أبي حاتم عن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية قالت: طلقت على عهد رسول الله ﷺ، ولم يكن للمطلقة عدة، فأنزل الله العدة للطلاق بقوله: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ...﴾ الآية، أخرج الترمذي والحاكم وغيرهما، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان الرجل يطلق امرأته ما شاء أن يطلقها، وهي امرأته إذا ارتجعها، وهي في العدة وإن طلقها مئة مرة وأكثر حتى قال رجل لامرأته: والله لا أطلقك فتبيني مني، ولا آويك أبداً، قالت: وكيف ذلك؟ قال: أطلقك، فكلما همتْ عدتك أن تنقضي راجعتك، فذهبت المرأة، فأخبرت

---

(١) الخازن.

(٢) لباب النقول.

النبي ﷺ، فسكت حتى نزل قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ. . .﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا. . .﴾ أخرج أبو داود في «الناسخ والمنسوخ» عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان الرجل يأكل مال امرأته من نحله الذي نحلها وغيره، ولا يرى أن عليه جناحاً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا. . .﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ. . .﴾ الآية، أخرج البخاري عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا مال، ولكني أكره الكفر في الإسلام ـ قال أبو عبد الله: يعني تبغضه ـ قال رسول الله ﷺ له: «اقبل الحديقة وطلقها تطليقة» قولها ما أعتب عليه: تعني، ما أجد عليه، والحديقة: البستان من النخل.

قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ. . .﴾ الآية، أخرج ابن المنذر عن مقاتل بن حيان قال: نزلت هذه الآية في عائشة بنت عبد الرحمٰن بن عتيك، كانت تحت رفاعة بن وهب بن عتيك، وهو ابن عمها، فطلقها طلاقاً بائناً، فتزوجت بعده عبد الرحمٰن بن الزبير القرظي فطلقها، فأتت النبي ﷺ فقالت: إنه طلقني قبل أن يمسني، فأرجع إلى الأول؟ قال ﷺ: «لا حتى يمس» ونزل فيها: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ فيجامعها، فإن طلقها بعد ما جامعها، فلا جناح عليهما أن يتراجعا.

وأخرج الشيخان عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى رسول الله ﷺ، فقالت: إني كنت عند رفاعة فطلقني، فبتَّ طلاقي، فتزوجت بعده عبد الرحمٰن بن الزبير، وإنّ ما معه مثل هدبة الثوب، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟» قالت: نعم، قال: «حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته».

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ﴾ قرأ عبد الله شذوذاً: ﴿للذين آلوا﴾ بلفظ الماضي، وقرأ أبي وابن عباس شذوذاً: ﴿للذين يقسمون﴾؛ أي: للذين يحلفون أن يبتعدوا ﴿مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ وحلائلهم ولا يجامعوهن مطلقاً، أو مدة تزيد على أربعة أشهر كما تقرر في الفروع ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾؛ أي: انتظارهن في أربعة أشهر؛ أي: للمولي حق التلبث والانتظار في هذه المدة، فلا يطالب بفيئة ولا طلاق؛ أي: جعل الله الأجل في ذلك أربعة أشهر، فإذا مضت هذه المدة.. فإما أن يطلق، وإما أن يطأ، فإن أباهما جميعاً.. طلق عليه الحاكم طلقة واحدة، ولها النفقة والكسوة في تلك المدة؛ لأن الامتناع من قبله، وتحسب تلك المدة من يوم الحلف إن كانت صريحة في ترك الوطء، ومن يوم الرفع للحاكم إن لم تكن صريحة، فالإيلاء: لغة مطلق الحلف؛ لأنه مصدر آلى يولي إيلاء إذا حلف، وشرعاً: الحلف بالله أو بغيره، كالعتق والنذر على ترك وطء الزوجة المدخول بها المطيقة للوطء مطلقاً، أو مدة تزيد على أربعة أشهر. ﴿فَإِن فَآءُو﴾ قرأ عبد الله: ﴿فإن فاءوا فيهن﴾ وقرأ أبيّ شذوذاً: ﴿فإن فاؤوا فيها﴾؛ أي: فإن رجع المولون عما حلفوا عليه من ترك جماعهن؛ بأن جامعوا قبل مضي أربعة أشهر، وحينئذ يلزمهم ما يترتب على الحنث من كفارة إن كان اليمين بالله، أو العتق مثلاً إن كان به. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ ليمينهم إن تابوا بفعل الكفارة، أو ما تعرض بالإيلاء من ضرار المرأة بالفيئة التي هي كالتوبة ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم حيث بيَّن كفارتهم.

﴿وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ﴾ قرأ ابن عباس شذوذاً: ﴿وإن عزموا السراح﴾؛ أي: وإن جزموا نية الطلاق، وقصدوا إيقاعه بأن تركوا الفيئة إلى مضي المدة، وجواب الشرط محذوف؛ تقديره: فليوقعوه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لإيلائهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنياتهم، فليس لهم بعد التربص إلا الفيئة أو الطلاق، فإن بَرَّ المولي يمينه وترك مجامعة امرأته حتى يتجاوز أربعة أشهر.. بانت منه امرأته بتطليقة واحدة، وإن جامعها قبل ذلك.. فعليه كفارة اليمين، كما قاله ابن عباس، كما ذكرناه آنفاً، ففي قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ من الوعيد على الامتناع، وترك الفيئة ما لا يخفى.

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾ الحرائر المدخول بهن، الخاليات من حبال أزواجهن، ذوات الأقراء؛ لأن قوله: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾ عام مخصوص بهذه القيود المذكورة، فخرجت الإماء، فعدتهن قُرْآن بالسنة، وغير المدخول بهن فلا عدة عليهن؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ والحوامل فعدتهن أن يضعن حملهن كما في سورة الطلاق، والآيسة والصغيرة فعدتهن ثلاثة أشهر، كما في سورة الطلاق أيضاً، والمطلقات جمع مطلقة؛ وهي التي أوقع عليها الزوج الطلاق؛ أي: والواجب في المطلقات المذكورة في عدتهن أن ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾؛ أي: أن ينتظرن ويتأخرن عن الزواج مدة ثلاثة أطهار على قول الشافعي ومالك، أو ثلاث حيض على قول أبي حنيفة وأحمد، ثم تتزوج إن شاءت بعد انتهاء عدتها، والباء في قوله: ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ يحتمل كونها زائدة في توكيد النون؛ أي: يتربصن أنفسهن، ويحتمل كونها للتعدية؛ أي: يتربصن بأنفسهن لا بأمر غيرهن، فلا دخل له في أمر العدة، والمراد: أنه لا تتوقف العدة على ضرب قاض بخلاف مدة العنّة، وقرأ الجمهور[1]: ﴿قُرُوٓءٍ﴾ على وزن فعول، وقرأ الزهري ﴿قروّ﴾ بالتشديد من غير همز، وروي ذلك عن نافع، وقرأ الحسن ﴿قَرْو﴾ بفتح القاف وسكون الراء وواو خفيفة، وما عدا قراءة الجمهور شاذ.

﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ﴾؛ أي: لا يجوز للمطلقات ﴿أَن يَكْتُمْنَ﴾ ويخفين ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ﴾ وأوجده ﴿فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ من الحبل أو الحيض؛ لأجل استعجال انقضاء العدة لإبطال حق الزوج من الرجعة، أو لأجل إلحاق الولد بغير أبيه، وفيه دليل على قبول قولهن في ذلك نفياً أو إثباتاً.

والحاصل: أن المرأة لها أغراض كثيرة في كتمانهما، فإذا كتمت الحبل.. قصرت مدة عدتها، فتتزوج بسرعة، وربما كرهت مراجعة الزوج، وأحبت التزوج بزوج آخر، أو أحبت أن يلتحق ولدها بالزوج الثاني، فلهذه الأغراض تكتم الحبل، وإذا كتمت الحيض.. فقد تحب تطويل عدتها؛ لكي يراجعها الزوج الأول، وقد تحب تقصير عدتها لبطل رجعته، ولا يتم لها ذلك إلا بكتمان بعض

---

(١) البحر المحيط.

الحيض في بعض الأوقات. ﴿إِن كُنَّ﴾ تلك المطلقات ﴿يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ﴾ ورسوله ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وجواب الشرط محذوف، فلا يحل لهن ذلك الكتمان، ولا يجترئن عليه، وهذا وعيد شديد لتأكيد تحريم الكتمان، وإيجاب أداء الأمانة بالإخبار عما في الرحم من الحيض والحبل.

والمعنى: أن هذا من فعل المؤمنات، وإن كانت المؤمنة والكافرة فيه سواء، كقولك: أدِّ حقي إن كنت مؤمناً؛ يعني: أن أداء الحقوق من أفعال المؤمنين. ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾؛ أي: أزواج تلك المطلقات، والبعولة جمع بعل، سمي الزوج بعلاً؛ لقيامه بأمر زوجته، وأصل البعل السيد والمالك ﴿أَحَقُّ﴾ وأولى ﴿بِرَدِّهِنَّ﴾؛ أي: بمراجعتهن ولو أبين ﴿فِي ذَالِكَ﴾؛ أي: في زمن ذلك التربص الذي أمرن أن يتربصن فيه، وهو زمن الأقراء الثلاثة، فلا حق لغيرهم في ردهن ورجعتهن، فأفعل التفضيل ليس على بابه، فكأنه قال: وبعولتهن حقيقون بردهن، وقرأ مسلمة بن محارب ﴿وبعولتهن﴾ بسكون التاء، فراراً من ثقل توالي الحركات، وقرأ أبي ﴿بردتهن﴾ بالتاء بعد الدال ﴿إِنْ أَرَادُوٓا﴾؛ أي: إن أراد الأزواج بالرجعة ﴿إِصْلَاحًا﴾ لما بينهم وبينهن، وإحساناً إليهن بحسن المعاشرة، لا الإضرار بهن، وذلك: أن أهل الجاهلية كانوا يراجعون ويريدون بذلك الإضرار، فنهى الله المؤمنين عن مثل ذلك، وأمرهم بالإصلاح وحسن العشرة بعد الرجعة ﴿وَلَهُنَّ﴾؛ أي: وللزوجات على الأزواج من الحقوق ﴿مِثْلُ الَّذِى﴾ لهم ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ من الحقوق ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً؛ أي: على الوجه الذي أمر الله تعالى به من حسن العشرة، وترك الضرار؛ يعني: يجب لهن على الأزواج النفقة والكسوة والمهر وحسن العشرة، وترك الضرار، كما يجب للأزواج عليهن امتثال أمرهم، ونهيهم في الاستمتاعات والخدمة، فالمماثلة تكون في وجوب ما يفعله الرجل من ذلك ووجوب امتثال المرأة أمره ونهيه، لا في جنس الواجب على كل منهما؛ لأنه مختلف.

وذلك: أن حق الزوجية لا يتم إلا إذا كان كل واحد منهما يراعي حق الآخر فيما له وعليه، فيجب على الزوج أن يقوم بجميع حقوقها ومصالحها،

ويجب على الزوجة الإنقياد والطاعة له.

روى مسلم عن جابر رضي الله عنه أنه ذكر خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع، وقال فيها: قال رسول الله ﷺ: «فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانات الله، واستحللتم فرجوهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك.. فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف».

ومعنى بالمعروف[1]؛ أي: بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس، ولا يكلف أحدهما الآخر من الأشغال ما ليس معروفاً له، بل يقابل كل منهما صاحبه بما يليق به.

وقال ابن جرير[2]: اختلف أصحابنا ـ يعني: أصحاب مالك ـ هل على الزوجة أن تطالب بغير الوطء أم لا؟ فقال بعضهم: ليس على الزوجة أن تطالب بغير الوطء، وقال بعضهم: عليها خدمة مثلها، فإن كانت شريفة المحل ليسار أبوة مثلاً.. فعليها تدبير أمر المنزل وأمر الخادم، وإن كانت متوسطة الحال.. فعليها أن تفرش الفراش ونحوه، وإن كانت من نساء الكرد والديلم في بلدهن.. كلفت ما تكلفه نسائهم.

وقد جرى أمر المسلمين في بلدانهم في قديم الأمر وحديثه بما ذكرنا، ألا ترى أن نساء الصحابة كن يكلفن الطحن والخبيز والطبيخ، وفرش الفراش، وتقريب الطعام، وأشباه ذلك، ولا نعلم امرأة امتنعت من ذلك، بل كانوا يضربون نساءهم إذا قصّرن في ذلك.

﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾؛ أي: ولكن للأزواج على الزوجات فضيلة ومزية في الحق؛ أي: فعليهن مزيد إكرام واحترام وتعظيم لرجالهن؛ بسبب كونه رجلاً يقالب الشدائد والأهوال، ويسعى دائماً في مصالح زوجته، ويكفيها تعب

---

(١) البحر المحيط. (٢) البحر المحيط.

الاكتساب، فبإزاء ذلك صار عليهن درجة، فللرجل في مبالغة الطوعية، وفيما يفضي إلى الاستراحة عندها.

وقيل[١]: إن فضيلة الرجال عن النساء بأمور منها: العقل، والشهادة، والميراث، والدية، وصلاحية الإمامة، والقضاء، وللرجل أن يتزوج عليها ويتسرى، وليس لها ذلك، وبيد الرجل الطلاق، فهو قادر على تطليقها، وإذا طلقها رجعية.. فهو قادر على رجعتها، وليس شيء من ذلك بيدها.

روى البغوي بسنده عن أبي ظبيان أن معاذ بن جبل رضي الله عنه خرج في غزاة بعثه رسول الله ﷺ فيها، ثم رجع فرأى رجالاً يسجد بعضهم لبعض، فذكر، ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد.. لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها». ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾؛ أي: غالب يقدر على الانتقام ممن يخالف أحكامه ﴿حَكِيمٌ﴾ في جميع أفعاله وأحكامه، وفيما حكم بين الزوجين.

وإنما[٢] ختم الآية بهذين الاسمين؛ لأنه لما تضمنت الآية ما معناه الأمر في قوله: ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾، والنهي في قوله ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ﴾، والجواز في قوله: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ﴾، والوجوب في قوله: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ﴾، ناسب وصفه تعالى بالعزة، وهو القهر والغلبة، وهي تناسب التكليف، وناسب وصفه بالحكمة، وهي إتقان الأشياء، ووضعها على ما ينبغي، وهي تناسب التكليف أيضاً.

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾؛ أي[٣]: عدد الطلاق الذي تثبت فيه الرجعة للأزواج على زوجاتهم إذا كن مدخولاً بهن هو مرتان، أي: الطلقة الأولى والثانية؛ إذ لا رجعة بعد الثالثة، وقيل: معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق، ولذلك قالت الحنفية: الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة، وإنما قال سبحانه وتعالى: ﴿مَرَّتَانِ﴾ ولم يقل: طلقتان إشارة إلى أنه ينبغي أن يكون الطلاق مرة

---

(١) الخازن.
(٢) البحر المحيط.
(٣) الشوكاني.

بعد مرة لا طلقتان دفعة واحدة، كذا قال جماعة من المفسرين، ولما لم يكن بعد الطلقة الثانية، إلا أحد أمرين: إما إيقاع الثالثة التي بها تبين الزوجة، أو الإمساك لها واستدامة نكاحها وعدم إيقاع الثالثة عليها. قال سبحانه: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ﴾؛ أي: فإمساك بعد الرجعة لمن طلقها زوجها طلقتين بمعروف؛ أي: بما هو معروف في الشرع من أداء حقوق النكاح، وحسن المعاشرة. ﴿أَوْ تَسْرِيحٌۢ﴾؛ أي: أو إرسال لها بإيقاع طلقة ثالثة عليها ﴿بِإِحْسَٰنٍ﴾؛ أي: من غير إضرار لها؛ بأن يؤدي إليها جميع حقوقها المالية، ولا يذكرها بسوء بعد المفارقة، ولا ينفر الناس عنها.

وقيل المراد: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ﴾؛ أي: برجعة بعد الطلقة الثانية ﴿أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾؛ أي: بترك الرجعة بعد الثانية حتى تنقضي عدتها، والأول أظهر، وقد اختلف أهل العلم في إرسال الثلاث دفعة واحدة هل يقع ثلاثاً أو واحدة فقط؟ فذهب إلى الأول الجمهور، وذهب إلى الثاني من عداهم؛ وهو الحق. انتهى. من «الشوكاني».

فائدة: قال الفخر الرازي: الحكمة في إثبات حق الرجعة: أن الإنسان ما دام مع صاحبه لا يدري: هل تشق عليه المفارقة أو لا؟ فإذا فارقه.. فعند ذلك يظهر، فلو جعل الله الطلقة الواحدة مانعة من الرجعة.. لعظمت المشقة على الإنسان؛ إذ قد تظهر المحبة بعد المفارقة، ثم لما كان كمال التجربة لا يحصل بالمرة الواحدة.. أثبت تعالى حق المراجعة مرتين، وهذا يدل على كمال رحمته تعالى ورأفته بعباده.

فوائد تتعلق بأحكام الطلاق

الأولى: صريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية ثلاث: الطلاق والفراق والسراح، وعند أبي حنيفة الصريح هو لفظ الطلاق فقط.

الثانية: الحر إذا طلق زوجته طلقة أو طلقتين بعد الدخول بها.. فله مراجعتها من غير رضاها ما دامت في العدة، فإذا لم يراجعها حتى انقضت

عدتها، أو طلقها قبل الدخول بها، أو خالعها.. فلا تحل له إلا بنكاح جديد بإذنها وإذن وليها.

الثالثة: العبد يملك على زوجته الأمة تطليقتين، واختلف فيما إذا كان أحد الزوجين حراً، فالحر يملك على زوجته الأمة ثلاث تطليقات، والعبد يملك على زوجته الحرة تطليقتين، فالاعتبار بحال الزوج في عدد الطلاق، وبه قال الشافعي، ومالك، وأحمد، وذهب أبو حنيفة إلى أن الاعتبار بالمرأة، فالعبد يملك على زوجته الحرة ثلاث تطليقات، والحر يملك على زوجته الأمة تطليقتين.

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ أيها[1] الأزواج أو الحكام؛ لأنهم الآمرون بالأخذ والإيتاء عند الترافع إليهم، فكأنهم الآخذون والمؤتون، والأول أظهر ﴿أَن تَأْخُذُوا مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾؛ أي: أعطيتموهن من المهر والثياب وسائر ما تفضل به عليها ﴿شَيْـًٔا﴾ قليلاً فضلاً عن الكثير؛ لأنه استمتع بها في مقابلة ما أعطاها، وتنكير ﴿شَيْـًٔا﴾ للتحقير؛ أي: شيئاً حقيراً، وخص ما دفعوه إليهن بعدم حل الأخذ منه، مع كونه لا يحل للأزواج أن يأخذوا شيئاً من أموالهن التي يملكنها من غير المهر؛ لكون ذلك هو الذي تتعلق به نفس الزوج، وتتطلع لأخذه دون ما عداه مما هو ملكها، على أنه إذا كان أخذ ما دفعه إليها لا يحل له.. كان ما عداه ممنوعاً منه بالأولى.

ثم استثنى الخلع، فقال تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾؛ أي: الزوجان، وقرىء ﴿يظنا﴾، وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن؛ أي: إلا أن يعلم الزوج والمرأة من أنفسهما عند الخلع ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾؛ أي: عدم إقامة حدود الله التي حدها للزوجين، وأوجب عليهما الوفاء بها من حسن العشرة والطاعة.

وقرأ حمزة: ﴿إلا أن يُخافا﴾ على البناء للمجهول فـ﴿أَلَّا يُقِيمَا﴾ بدل اشتمال

---

(١) النسفي.

من الضمير فيه، والتقدير: إلا أن يخافا عدم إقامتهما حدود الله، وأصل[1] الكلام على هذه القراءة إلا أن يخاف ولاة الأمور الرجل والمرأة أن لا يقيما حدود الله، فالولاة فاعل، والرجل مفعول به، والمرأة معطوف عليه، و﴿أَلَّا يُقِيمَا﴾: بدل اشتمال من المفعول الذي هو الرجل والمرأة، فحذف الفاعل، وبني الفعل لما لم يسم فاعله، وأتى بدل المفعول به الظاهر بضمير التثنية، وبقي ﴿أَلَّا يُقِيمَا﴾ بدل اشتمال على حاله، لكن من الضمير الذي صار نائب الفاعل، فهذا التركيب على حد ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ تأمل.

وقرىء شاذاً بالفوقانية في الفعلين مفتوحة في الأول، مضمومة في الثاني مع بنائهما للفاعل، وعلى هذه القراءة: فلا التفات في الكلام ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ أيها الحكام، وجاز أن يكون أول الخطاب للأزواج، وآخره للحكام؛ يعني: فإن خشيتم وأشفقتم ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾؛ أي: ما أوجب الله على كل منهما من طاعته فيما أمر به من حسن الصحبة والمعاشرة.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾؛ أي: لا جناح على الرجل في الأخذ، وعلى المرأة في الإعطاء بأن تفتدي نفسها من ذلك النكاح ببذل شيء من المال يرضى به الزوج، فيطلقها لأجله، وهذا هو الخلع، وقد ذهب الجمهور: إلى جواز ذلك للزوج، وأنه يحل له الأخذ مع ذلك الخوف، وهو الذي صرح به القرآن، وقد تقدم لك أن هذه الآية نزلت في شأن ثابت بن قيس بن شماس، وفي شأن جميلة بنت عبد الله بن أبي، اشترت نفسها من زوجها بمهرها. قال رسول الله ﷺ لثابت: «خذ منها ما أعطيتها وخل سبيلها»، ففعل، فكان ذلك أول خلع في الإسلام.

ثم الخوف المذكور في هذه الآية يمكن حمله على الخوف المعروف، وهو الإشفاق مما يكره وقوعه، ويمكن حمله على الظن كما قرىء شاذاً ﴿إلا أن يظنا﴾ والخوف: إما أن يكون من قبل المرأة فقط، أو من قبل الزوج فقط، أو

(١) الجمل.

من قبلهما معاً، أو لا يحصل الخوف من قبل واحد منهما، فإن كان الخوف من قبل المرأة بأن تكون ناشزة مبغضة للزوج.. فيحل له أخذ المال منها، وإن كان من قبل الزوج فقط بأن يضربها ويؤذيها حتى تلتزم الفداء.. فهذا المال حرام، كما إذا كان حاصلاً من قبلهما معاً، فذلك المال حرام أيضاً، وإن لم يحصل الخوف من قبل واحد منهما.. فقال أكثر المجتهدين: إن هذا الخلع جائز، والمال المأخوذ حلال، وقال قوم: إنه حرام.

﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة من قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ إلى هنا ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ما حدد الله وشرعه، وبينه لعباده في النكاح واليمين والإيلاء والعدة والطلاق والخلع، وغير ذلك ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ﴾؛ أي: فلا تجاوزوها بالمخالفة إلى ما نهى الله تعالى لكم عنه ﴿وَمَن يَتَعَدَّ﴾؛ أي: يتجاوز ﴿حُدُودَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أحكام الله إلى ما نهى الله عنه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ المعتدون ﴿هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أنفسهم، والضارون لها بتعريضها لسخط الله، والظلم: هو وضع الشيء في غير موضعه.

ثم رجع إلى قوله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾، فقال: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾؛ أي: الطلقة الثالثة التي ذكرها سبحانه بقوله: ﴿أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍۗ﴾ بعد الطلقتين، فكأنه قال: فإن[1] سرحها التسريحة الثالثة الباقية من عدد الطلاق، قاله ابن عباس، وقتادة، والضحاك، وغيرهم؛ أي: فإن وقع منه ذلك.. فقد حرمت عليه بالتثليث ﴿فَلَا تَحِلُّ﴾ تلك المطلقة ﴿لَهُۥ﴾؛ أي: لمطلقها ثلاثاً ﴿مِنۢ بَعْدُ﴾؛ أي: من بعد التطليقة الثالثة ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ﴾؛ أي: حتى تتزوج ﴿زَوْجًا غَيْرَهُۥۗ﴾؛ أي: غير الأول بعد انقضاء عدتها من الأول، ويطأها الزوج الثاني، ويطلقها الثاني، وتنقضي عدتها من الثاني، وقد أخذ[2] بظاهر الآية سعيد بن المسيب ومن وافقه، فقالوا: يكفي مجرد العقد؛ لأنه المراد بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥۗ﴾. وذهب الجمهور من السلف والخلف إلى أنه لا بد مع العقد من الوطء؛ لما ثبت عن النبي ﷺ من اعتبار ذلك، وهو زيادة يتعين قبولها، ولعله لم يبلغ سعيد بن المسيب ومن تابعه.

---

(١) البحر المحيط.　　(٢) الشوكاني.

وفي الآية: دليل على أنه لا بد أن يكون ذلك نكاحاً شرعياً مقصوداً لذاته، لا نكاحاً غير مقصود لذاته، بل حيلة للتحليل وذريعة إلى ردها إلى الزوج الأول، فإن ذلك حرام للأدلة الواردة في ذمه وذم فاعله، وأنه التيس المستعار الذي لعنه الشارع، ولعن من اتخذه لذلك.

واعلم: أن مذهب جمهور السلف والخلف أن المطلقة ثلاثاً لا تحل لذلك المطلق إلا بخمس شرائط: تعتد منه، وتعقد للثاني ويطؤها، ثم يطلقها، ثم تعتد منه.

والحكمة في تشريع التحليل[1]: الردع عن المسارعة إلى الطلاق، وعن العود إلى المطلقة ثلاثاً والرغبة فيها ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ الزوج الثاني طلاقاً بائناً، وانقضت عدتها منه ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾؛ أي: فلا إثم ولا حرج ﴿عَلَيْهِمَآ﴾؛ أي: على الزوج الأول والمرأة ﴿أَن يَتَرَاجَعَآ﴾؛ أي: أن يرجع كل من المرأة والزوج الأول إلى الآخر بنكاح جديد ومهر ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: حقوق الزوجية الواجبة لكل منهما على الآخر، وأما إذا لم يحصل ظن ذلك بأن يعلما أو أحدهما عدم الإقامة لحدود الله، أو تردد أو أحدهما ولم يحصل لهما الظن.. فلا يجوز الدخول في هذا النكاح؛ لأنه مظنة لمعصية الله، والوقوع فيما حرمه على الزوجين.

وأجمع أهل العلم[2] على أن الحر إذا طلق زوجته ثلاثاً، ثم انقضت عدتها، ونكحت زوجاً آخر ودخل بها، ثم فارقها وانقضت عدتها، ثم نكحها الزوج الأول.. أنها تكون عنده على ثلاث تطليقات.

﴿وَتِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة من النكاح وغيره ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أحكام شرعه ﴿يُبَيِّنُهَا﴾ وقرىء ﴿نبينها﴾ بالنون على طريق الالتفات؛ أي: يوضحها ﴿لِقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ﴾ أنها من الله ويصدقون بها وخص الذين يعلمون مع عموم الدعوة للعالم وغيره ووجوب التبليغ لكل فرد؛ لأنهم المنتفعون بالبيان المذكور، أما من

---

(١) أبو السعود.
(٢) الشوكاني.

لا يعلم.. فهو أعمى لا يبصر شيئاً من الآيات ولا يتضح له ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾.

الإعراب

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾.

﴿لِّلَّذِينَ﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿يُؤْلُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الفاعل. ﴿مِن نِّسَآئِهِمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿يُؤْلُونَ﴾. ﴿تَرَبُّصُ﴾: مبتدأ مؤخر وهو مضاف. ﴿أربعة﴾: مضاف إليه وهو مضاف. ﴿أَشْهُرٍ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية مستأنفة استئنافاً نحوياً.

﴿فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿فَإِن﴾: الفاء: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر؛ تقديره: إذا عرفت حكم الإيلاء، وأردت بيان حكم ما إذا فاؤوا.. فأقول لك: إن فاءوا. ﴿إن﴾: حرف شرط جازم. ﴿فَآءُو﴾: فعل وفاعل في محل الجزم بـ﴿إن﴾ على كونه فعل الشرط لها. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إنْ﴾ الشرطية وجوباً، ﴿إنَّ﴾: حرف نصب وتوكيد. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿غَفُورٌ﴾: خبر أول لها. ﴿رَّحِيمٌ﴾: خبر ثان لها، وجملة ﴿إنْ﴾ في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة.

﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾.

﴿وَإِنْ﴾ الواو: عاطفة، ﴿إن﴾: حرف شرط. ﴿عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ﴾: فعل وفاعل ومفعول في محل الجزم بـ﴿إنْ﴾ على كونه فعل شرط لها. ﴿فَإِنَّ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إنْ﴾ الشرطية، ﴿إنَّ﴾: حرف نصب. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿سَمِيعٌ﴾: خبر أول لها. ﴿عَلِيمٌ﴾: خبر ثان لها، وجملة ﴿إنَّ﴾ في محل الجزم بـ﴿إنْ﴾ على كونها جواب شرط لها، وجملة ﴿إنْ﴾ الشرطية في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿فَإِن فَآءُو﴾ على كونها مقولاً لجواب إذا المقدرة.

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾.

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾: الواو: استئنافية، ﴿المطلقات﴾: مبتدأ. ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾: فعل وفاعل. ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ ﴿الباء﴾: زائدة في التوكيد. ﴿أنفسهن﴾: مؤكد لنون الفاعل ومضاف إليه، والجملة خبر المبتدأ؛ تقديره: والمطلقات متربصات هن أنفسهن، والجملة مستأنفة. ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ مفعول به ومضاف إليه.

﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾.

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، ﴿لا﴾: نافية. ﴿يَحِلُّ﴾: فعل مضارع. ﴿لَهُنَّ﴾: جار ومجرور متعلق به. ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿يَكْتُمْنَ﴾: فعل وفاعل في محل النصب بـ﴿أَنْ﴾ المصدرية، والجملة الفعلية صلة ﴿أن﴾ المصدرية، ﴿أَن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مرفوع على الفاعلية؛ تقديره: ولا يحل لهن كتمانهن، والجملة في محل الرفع معطوفة على جملة قوله ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾. ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة في محل النصب مفعول به. ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة لـ﴿مَا﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف؛ تقديره: ما خلقه اللَّه. ﴿فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿خَلَقَ﴾. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنَّ﴾: فعل ناقص واسمه، في محل الجزم على كونه فعل شرط لـ﴿إن﴾. ﴿يُؤْمِنَّ﴾: فعل وفاعل في محل النصب على كونه خبراً لـ﴿كان﴾؛ تقديره: إن كن مؤمنات بالله. ﴿بِٱللَّهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يؤمن﴾، ﴿وَٱلْيَوْمِ﴾: معطوف على الجلالة. ﴿ٱلْءَاخِرِ﴾: صفة لليوم، وجواب ﴿إن﴾ معلوم مما قبله؛ تقديره: إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر.. لا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية جملة غائية لا محل لها من الإعراب.

﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا﴾.

﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾: الواو: استئنافية، ﴿بعولتهن﴾: مبتدأ ومضاف إليه. ﴿أَحَقُّ﴾: خبر، وصح الإخبار بالمفرد عن الجمع؛ لأن الخبر اسم تفضيل، والجملة

مستأنفة. ﴿بِرَدِّهِنَّ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿أَحَقُّ﴾. ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿ردهن﴾. ﴿إِنْ﴾: حرف شرط. ﴿أَرَادُوٓاْ﴾: فعل وفاعل في محل الجزم بـ﴿إنْ﴾ على كونه فعل الشرط. ﴿إِصْلَٰحًا﴾: مفعول به، وجواب ﴿إنْ﴾ معلوم مما قبله؛ تقديره: فهم أحق بردهن، وجملة ﴿إنْ﴾ الشرطية جملة غائية لا محل لها من الإعراب.

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَلَهُنَّ﴾: الواو: استئنافية، ﴿لهن﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿مِثْلُ﴾: مبتدأ مؤخر، وسوغ الابتداء بالنكرة تقدم الخبر الظرفي عليه، أو تخصصه بالإضافة، والجملة مستأنفة، وهو مضاف. ﴿ٱلَّذِى﴾: مضاف إليه. ﴿عَلَيْهِنَّ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف صلة الموصول. ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: جار ومجرور[1] متعلق بالاستقرار الذي تعلق به ﴿لهن﴾ أي: استقر ذلك بالمعروف، ويجوز أن يكون في موضع رفع صفة لـ﴿مِثْلُ﴾؛ لأنه لا يتعرف بالإضافة. ﴿وَلِلرِّجَالِ﴾: الواو: عاطفة، ﴿للرجال﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿عَلَيْهِنَّ﴾: جار ومجرور[2] متعلق بالاستقرار الذي تعلق به ﴿للرجال﴾، ويجوز أن يكون في موضع نصب حالاً من ﴿دَرَجَةٌ﴾؛ والتقدير: درجة كائنة عليهن، فلما قدم وصف النكرة عليها.. صار حالاً. ﴿دَرَجَةٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة معطوفة على الجملة التي قبلها على كونها مستأنفة. ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: استئنافية. ﴿اللَّه﴾: مبتدأ. ﴿عَزِيزٌ﴾: خبر أول. ﴿حَكِيمٌ﴾: خبر ثان، والجملة مستأنفة.

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ﴾.

﴿ٱلطَّلَٰقُ﴾: مبتدأ، وهو على حذف مضاف؛ تقديره: عدد الطلاق الذي تملك بعده الرجعة؛ ليصح الإخبار. ﴿مَرَّتَانِ﴾: خبر، والجملة مستأنفة. ﴿فَإِمْسَاكٌۢ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر؛ تقديره: إذا عرفتم عدد الطلاق الذي تملك بعده الرجعة، وأردتم بيان مالكم بعد المرتين..

---

(١) العكبري. (٢) العكبري.

فأقول لكم: عليكم إمساك بمعروف، ﴿إمساك﴾: مبتدأ مؤخر، وخبره محذوف مقدر قبله؛ ليصح الابتداء بالنكرة؛ تقديره: عليكم إمساكهن. ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿إمساك﴾، أو متعلق به، والجملة الاسمية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة استئنافاً بيانياً. ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ﴾: معطوف على ﴿إمساك﴾. ﴿بِإِحْسَٰنٍ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لـ﴿تَسْرِيحٌ﴾، أو متعلق به.

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾.

﴿وَلَا﴾: الواو: استئنافية. ﴿لا﴾: نافية. ﴿يَحِلُّ﴾: فعل مضارع ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلق به. ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿تَأْخُذُوا۟﴾: فعل وفاعل منصوب بأن، وصلة لها في تأويل مصدر مرفوع على الفاعلية؛ تقديره: ولا يحل لكم أخذكم. ﴿مِمَّآ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تَأْخُذُوا۟﴾. ﴿ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول، والثاني محذوف تقديره: إياه، والجملة صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط المفعول الثاني المحذوف. ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول به لـ﴿تَأْخُذُوا۟﴾. ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾: ﴿إِلَّآ﴾: أداة[1] استثناء من مفعول له محذوف تقديره: ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً بسبب من الأسباب إلا بسبب أن يخافا. ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿يَخَافَآ﴾: فعل وفاعل منصوب بـ﴿أن﴾، والجملة الفعلية صلة ﴿أَن﴾ المصدرية، ﴿أَن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بإضافة محذوف إليه؛ تقديره: إلا بسبب خوفهما، الجار والمجرور متعلق بـ﴿تأخذوا﴾. ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾: ﴿أن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿لا﴾: نافية. ﴿يُقِيمَا﴾: فعل وفاعل منصوب بـ﴿أن﴾، وصلة لها. ﴿حُدُودَ ٱللَّهِ﴾: مفعول به ومضاف إليه، ﴿أن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر منصوب على المفعولية؛ تقديره: إلا بسبب خوفهما عدم إقامة حدود الله.

(١) البحر المحيط.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر تقديره: إذا عرفتم أنه لا يحل الأخذ منهن إلا في حالة الخوف، وأردتم بيان حكمه حينئذ هل معه جناح أم لا؟ فأقول لكم: ﴿إن﴾: حرف شرط. ﴿خِفْتُمْ﴾: فعل وفاعل في محل الجزم بـ﴿إن﴾ على كونه فعل الشرط، ﴿أن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿لا﴾: نافية. ﴿يقيما﴾: فعل وفاعل منصوب بـ﴿أن﴾، وصلة لها. ﴿حُدُودَ ٱللَّهِ﴾: مفعول به ومضاف إليه، وجملة ﴿أن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر منصوب على المفعولية تقديره: فإن خفتم عدم إقامتهما حدود الله. ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إن﴾ الشرطية وجوباً. ﴿لا﴾: نافية تعمل عمل ﴿إن﴾. ﴿جُنَاحَ﴾: في محل النصب اسمها. ﴿عَلَيْهِمَا﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر ﴿لا﴾ تقديره: فلا جناح كائن عليهما، وجملة ﴿لا﴾ في محل الجزم بـ﴿إن﴾ على كونها جواباً لها، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿فِيمَا﴾: جارومجرور متعلق بالاستقرار الذي تعلق به عليهما. ﴿ٱفْتَدَتْ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على المرأة. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط ضمير به.

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾: مبتدأ وخبر ومضاف إليه، والجملة مستأنفة. ﴿فَلَا﴾: ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتفريع، ﴿لا﴾: نافية. ﴿تَعْتَدُوهَا﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على الجملة الاسمية. ﴿وَمَن يَتَعَدَّ﴾ الواو: استئنافية. ﴿من﴾؛ اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط. ﴿يَتَعَدَّ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿من﴾، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾. ﴿حُدُودَ ٱللَّهِ﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿فَأُولَٰٓئِكَ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿من﴾ الشرطية. ﴿أولئك﴾: مبتدأ. ﴿هُمُ﴾: ضمير فصل. ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: خبر، والجملة الاسمية في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونها جواباً لها، وجملة ﴿من﴾ الشرطية مستأنفة.

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ﴾.

﴿فَإِن﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر؛ تقديره: إذا عرفتم حكم الطلاق مرتين، وأردتم بيان حكم ما إذا طلق الثالثة.. فأقول لكم: ﴿إن﴾: حرف شرط. ﴿طَلَّقَهَا﴾: فعل ومفعول في محل الجزم بـ﴿إن﴾، وفاعله ضمير يعود على المطلق مرتين. ﴿فَلَا تَحِلُّ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إن﴾ الشرطية جوازاً، ﴿لا﴾: نافية. ﴿تَحِلُّ﴾: فعل مضارع مرفوع ليشاكل الجواب الشرط، وفاعله ضمير يعود على المطلقة مرتين. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تحل﴾، وكذا يتعلق به قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدُ﴾ والجملة الفعلية في محل الجزم على كونها جواباً لها، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة، ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ﴾: ﴿حتى﴾: حرف جر وغاية. ﴿تَنكِحَ﴾: منصوب بأن المضمرة بعد حتى، وفاعله ضمير يعود على المطلقة ثلاثاً ﴿زَوۡجًا﴾: مفعول به، ﴿غَيۡرَهُۥۗ﴾: بدل من ﴿زَوۡجًا﴾ ومضاف إليه، وجملة ﴿تَنكِحَ﴾ صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بحتى تقديره: إلى نكاحها زوجاً غيره، الجار والمجرور متعلق بـ﴿لا تحل﴾.

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ﴾.

﴿فإن﴾: (الفاء): فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر؛ تقديره: إذا عرفتم أنها لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره، وأردتم بيان حكم ما إذا نكحت زوجاً آخر. فأقول لكم ﴿إن طلقها﴾، ﴿إن﴾: حرف شرط. ﴿طَلَّقَهَا﴾: فعل ومفعول في محل الجزم بـ﴿إن﴾، وفاعله ضمير يعود على الزوج الثاني. ﴿فَلَا﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إن﴾ الشرطية وجوباً، ﴿لا﴾: نافية تعمل عمل إن. ﴿جُنَاحَ﴾: في محل النصب اسمها، ﴿عَلَيۡهِمَآ﴾: جار ومجرور خبر ﴿لا﴾، وجملة ﴿لا﴾ في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿يَتَرَاجَعَآ﴾: فعل وفاعل منصوب بـ﴿أن﴾ وصلة لها، ﴿أن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بحرف جر محذوف؛ تقديره: فلا جناح عليهما في تراجعهما، والجار المحذوف متعلق بالاستقرار الذي تعلق به

﴿عَلَيْهِمَآ﴾. ﴿إِن﴾: حرف شرط. ﴿ظَنَّآ﴾: فعل وفاعل في محل الجزم بـ﴿إن﴾ على كونه فعل شرط لها. ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿يُقِيمَا﴾: فعل وفاعل منصوب بـ﴿أن﴾ وصلة لها، وجملة ﴿أن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي ظن؛ تقديره: إن ظنا إقامتهما. ﴿حُدُودَ ٱللَّهِۗ﴾: مفعول به ومضاف إليه، وجواب ﴿إن﴾ محذوف؛ تقديره: إن ظنا أن يقيما حدود الله.. فلا جناح عليهما في تراجعهما، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية جملة غائية لا محل لها من الإعراب.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَتِلْكَ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية، ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾: مبتدأ وخبر ومضاف إليه، والجملة مستأنفة. ﴿يُبَيِّنُهَا﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهِ﴾، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر بعد خبر، أو في محل النصب حال من ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: مبينة، والعامل فيها اسم الإشارة ﴿لِقَوْمٍ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يبين﴾، وجملة ﴿يَعْلَمُونَ﴾ في محل الجر صفة لـ﴿قوم﴾؛ تقديره: لقوم عالمين؛ أي: فاهمين إياها.

التصريف ومفردات اللغة

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ﴾ الإيلاء: مصدر آلى الرباعي، يولي إيلاء إذا حلف، فهو لغة: الحلف، وشرعا: حلف الزوج على أن لا يطأ زوجته مطلقاً، أو مدة تزيد على أربعة أشهر.

﴿تَرَبُّصُ﴾ التربص: الانتظار والترقب، وهو مصدر تربص الخماسي، وهو مقلوب التبصر.

﴿فَآءُو﴾ وهو من الأجوف المهموز، يقال: فاء يفيء فيأً إذا رجع، وسمي الظل بعد الزوال فيأً؛ لأنه رجع عن جانب المغرب إلى جانب المشرق.

﴿عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ﴾العزم: ما يعقد عليه القلب ويصمم، يقال: عزم عليه يعزم عزماً وعزيمةً وعزاماً إذا صمم عليه.

﴿ٱلطَّلَٰقَ﴾: انحلال عقد النكاح، يقال: طلقت تطلق فهي طالق وطالقة،

ويقال: طَلُقت بضم اللام. حكاه أحمد بن يحيى، وأنكره الأخفش.

﴿قُرُوٓءٍ﴾ القرء: في اللغة الوقت المعتاد تردده، وقرء المرأة حيضها وطهرها، والقرء فيه لغتان: الفتح ويجمع المفتوح على قُرُؤ وأقرء مثل فلس وفلوس وأفلس، والضم: ويجمع المضموم على أقراء مثل قفل وأقفال.

﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾ البعولة: جمع بعل، فالتاء لتأنيث الجمع، وفي «المصباح» البعل: الزوج، يقال: بعل يبعل ـ من باب قتل ـ بعولةً إذا تزوج، والمرأة بعل أيضاً، وقد يقال فيها: بعلة بالهاء، كما يقال: زوجة تحقيقاً للتأنيث، والجمع البعولة، وفي «القاموس»: أن بعل من باب منع، فيؤخذ منه مع كلام «المصباح» أنه يأتي من باب قتل ومنع، ونص كلام «القاموس» والبعل الزوج، والجمع بعال وبعول وبعولة، والأنثى بعل وبعلة، بعل ـ كمنع ـ بعولةً صار بعلاً، والبعال: الجماع وملاعبة المرأة أهله، والبعل أيضاً الملك، وبه سمي الصنم.

﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ وصيغة[1] التفضيل لإفادة أن الرجل إذا أراد الرجعة، والمرأة تأباها.. وجب إيثار قوله على قولها، وليس معناه أن لها حقاً في الرجعة.

﴿وَلِلرِّجَالِ﴾: جمع رجل، والرجل معروف، وهو مشتق من الرجلة، وهي القوة، يقال: رجل بين الرجولة والرجلة، وهو أرجل الرجلين؛ أي: أقواهما.

﴿دَرَجَةٌ﴾ الدرجة: المنزلة، يقال: درجت الشيء وأدرجته إذا طويته، وأدرجهم الله، فهو كطي الشيء منزلة منزلة، ومنه الدرجة التي يرتقى إليها.

﴿إمساك﴾: مصدر أمسك الشيء إمساكاً إذا حبسه.

﴿تَسْرِيحٌ﴾: مصدر سرح الرباعي، يقال: سرح الماشية تسريحاً إذا أرسلها لترعى، وسرح الشعر إذا خلص بعضه من بعض.

البلاغة

﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾: في إضافة المصدر إلى الظرف تجوز، والأصل

---

(١) الجمل.

تربصهنّ في أربعة أشهر.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: فيه من الوعيد والتهديد على الامتناع وترك الفيئة ما لا يخفى.

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾: هذا خبر بمعنى الأمر، والأصل: وليتربصن المطلقات، وإيراده خبراً أبلغ من صريح الأمر؛ لإشعاره بأن المأمور به مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى الإتيان به، فكأنهن امتثلن الأمر بالفعل، فهو يخبر عنه موجوداً، وبناؤه على المبتدأ مما زاده تأكيداً.

﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ﴾: ليس الغرض منه التقييد بالإيمان، بل للتغليظ وتهويل الأمر في نفوسهن حتى لو لم يكن مؤمنات كان عليهن العدة أيضاً.

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ﴾: فيه من الإيجاز والإبداع ما لا يخفى على المتمكن في علوم البيان، فقد حذف شيئاً من الأول أثبت نظيره في الآخر، وأثبت شيئاً في الأول حذف نظيره في الآخر، وأصل الكلام: ولهن على أزواجهن من الحقوق مثل الذي لأزواجهن عليهن من الحقوق، وفيه من المحسنات البديعية أيضاً الطباق بين ﴿لهن﴾ و﴿عليهن﴾ وهو طباق بين حرفين.

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾: وإيثار لفظ مرتان على لفظ ثنتان؛ للإيذان بأن حقهما أن يوقعا مرة بعد مرة لا دفعة واحدة وإن كانت الرجعة ثابتة أيضاً، وبين لفظ ﴿امساك﴾ ولفظ ﴿تَسْرِيحٌ﴾ طباق. ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾: فيه التفات عن الخطاب إلى الغيبة.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾: فيه وفيما بعده الإظهار في مقام الإضمار؛ لتربية المهابة وإدخال الروع في ذهن السامع. ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: فيه قصر صفة على موصوف.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾.

المناسبة

مناسبة الآيتين لما قبلهما ظاهرة؛ لأن الآيتين تتحدثان عن أحكام الطلاق وتنهيان عن الإيذاء والإضرار، وعن عضل الأولياء موليتهم عن نكاح مطلقها.

أسباب النزول

قوله تعالى[1]: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ...﴾ الآية. أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: كان الرجل يطلق امرأته، ثم يراجعها قبل انقضاء عدتها، ثم يطلقها يفعل ذلك يضارها ويعضلها، فأنزل الله هذه الآية.

وأخرج عن السدي قال: نزلت في رجل من الأنصار يدعى ثابت بن يسار، طلق امرأته حتى إذا انقضت عدتها إلا يومين أو ثلاثة.. راجعها، ثم طلقها مضارة، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟...﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا...﴾ أخرج ابن أبي عمر في مسنده، وابن مردويه عن أبي الدرداء قال: كان الرجل يطلق، ثم يقول: لعبت، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا...﴾.

---

(١) لباب النقول.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ...﴾ الآية، روى البخاري، وأبو داود، والترمذي وغيرهم عن معقل ابن يسار أنه زوج أخته رجلاً من المسلمين، فكانت عنده، ثم طلقها تطليقة، ولم يراجعها حتى انقضت العدة، فهويها وهويته، فخطبها مع الخطاب، فقال له: يا لكع أكرمتك بها وزوجتكها فطلقتها، والله لا ترجع إليك أبداً، فعلم الله حاجته إليها وحاجتها إليه، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فلما سمعها معقل قال: سمع لربي وطاعة، ثم دعاه وقال: أزوجك وأكرمك، وأخرجه ابن مردوية من طرق كثيرة.

التفسير وأوجه القراءة

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ طلاقاً رجعياً ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾؛ أي: قاربن انقضاء عدتهن وشارفن منتهاها، ولم تنقض؛ لأنه لو انقضت.. لم يكن للزوج إمساكها؛ لأنها ليست بزوجة، فلا سبيل له عليها، والأجل: هو الذي[1] ضربه الله للمعتدات من الأقراء والأشهر ووضع الحمل، وأضاف الأجل إليهن؛ لأنه أمس بهن، ولذا قيل: الطلاق للرجال، والعدة للنساء. ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾؛ أي: راجعوهن قبل انقضاء العدة ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ في الشرع؛ أي: بالقول وبالإشهاد على الرجعة، لا بالوطء كما يجوز عند أبي حنيفة رحمه الله، أو بحسن الصحبة والمعاشرة ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ﴾؛ أي: خلوهن واتركوهن بلا رجعة حتى تنقضي عدتها، وتبين فيملكن أنفسهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾؛ أي: بأداء حقوقهن بلا تخاصم ولا تقابح ولا تشاتم ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ﴾؛ أي: لا تراجعوهن ﴿ضِرَارًا﴾؛ أي: لأجل إضرارها بسوء العشرة، وتضييق النفقة وتطويل العدة، وأنتم لا حاجة لكم إليهن، أو حالة كونكم مضارين لهن بذلك، وهذا النهي[2] كالتوكيد لقوله أولاً: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ نهاهم عن أن يكون الإمساك ضراراً، وحكمة هذا النهي: أن الأمر في قوله: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ يحصل لإمساكها مرة بمعروف هذا مدلول الأمر، ولا يتناول سائر الأوقات، وجاء بالنهي ليتناول سائر الأوقات ويعمها، ولينبه على ما كانوا يفعلونه من

---

(١) البحر المحيط. (٢) البحر المحيط.

الرجعة، ثم الطلاق، ثم الرجعة، ثم الطلاق على سبيل الضرار، فنهى عن هذه الفعلة القبيحة بخصوصها تعظيماً لهذا المرتكب السيء الذي هو أعظم إيذاء للنساء حتى تبقى عدتها في ذوات الأشهر تسعة أشهر.

﴿لِّتَعۡتَدُوا۟ۚ﴾؛ أي: لكي تظلموهن بتطويل العدة عليهن، أو بالإلجاء إلى الافتداء بالمال، واللام متعلق بضراراً؛ إذ المراد تقييده وتعليله، وقيل: غير ذلك كما سنبينه في بحث الإعراب.

﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ الإمساك المؤدي إلى الضرار والعدوان ﴿فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ﴾؛ أي: أضر بنفسه بمخالفة أمر الله، وتعريضها لعقاب الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟﴾ أيها الأزواج ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أحكامه التي بينها بوحيه وتنزيله من أمره ونهيه وحلاله وحرامه ﴿هُزُوٗاۚ﴾؛ أي: استهزاء ولعباً؛ أي: مهزوءاً بها، ومتروكاً العمل بها بالإعراض عنها، والتهاون بالعمل بما فيها من قولهم لمن لم يجدّ في الأمر: إنما أنت هازىء، كأنه نهى عن الهزء، وأراد به الأمر بضده؛ أي: جدوا[1] في الأخذ بها والعمل بما فيها، وارعوها حق رعايتها، وإلا فقد أخذتموها هزواً ولعباً، فمن وجب عليه طاعة الله وطاعة رسوله، ثم وصل إليه هذه الأحكام التي تقدم ذكرها في العدة والرجعة والخلع وترك المضارة.. فلا يتخذها هزوا، ففيه تهديد عظيم ووعيد شديد.

وعن أبي هريرة[2] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث جدهن جد وهزلهن جد: النكاح والطلاق والرجعة» أخرجه أبو داود والترمذي.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كان الرجل على عهد رسول الله ﷺ يقول: زوجتك ابنتي، ثم يقول: كنت لاعباً، ويقول: قد أعتقت، ويقول: كنت لاعباً، فأنزل الله سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «ثلاث من قالهن لاعباً أو غير لاعب فهن جائزات عليه: الطلاق والنكاح والعتاق».

---

(١) الجمل.
(٢) الشوكاني.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال. كان الرجل يطلق ثم يقول: لعبت، ويعتق ثم يقول: لعبت، فأنزل الله سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «من طلق أو أعتق، فقال: لعبت. . فليس قوله بشيء يقع عليه فيلزمه».

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: طلق رجل امرأته وهو يلعب لا يريد الطلاق، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ﴾ فألزمه رسول الله ﷺ الطلاق.

وقرأ حمزة[1]: ﴿هزْءا﴾ بإسكان الزاي، وإذا وقف سهل الهمزة على مذهبه في تسهيل الهمزة كما بين في علم القراءات، وهو من تخفيف فُعْل كعنق، وقرأ أيضاً: ﴿هزُوا﴾ بضم الزاي وإبدال الهمزة واواً وذلك لأجل الضم، وقرأ الجمهور: ﴿هُزُوءا﴾ بضمتين وبالهمز، قيل: وهو الأصل.

﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾؛ أي: إنعامه عليكم بنعمة الإسلام وبعثة محمد ﷺ، حيث هداكم إلى ما فيه سعادتكم الدينية والدنيوية؛ أي: فاشكروها واحفظوها بالامتثال وترك المخالفة.

﴿و﴾ واذكروا ﴿ما أنزل﴾ الله ﴿عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾؛ أي: القرآن ﴿وَٱلۡحِكۡمَةِ﴾؛ أي: السنة التي علمها رسول الله ﷺ وسنها لكم، وقيل المراد بالحكمة: مواعظ القرآن، وأفردهما بالذكر مع دخولهما في النعمة إظهاراً لشرفهما؛ أي: اشكروهما بالعمل بما فيهما حالة كونه ﴿يَعِظُكُم بِهِۦ﴾؛ أي: يذكركم بما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة؛ أي: يأمركم وينهاكم به ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: خافوا عقاب الله بالأمتثال فيما أمركم به، وترك المخالفة فيما نهاكم عنه ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ يعلم ما أخفيتم من طاعة ومعصية في سر وعلن، فلا يخفى عليه شيء مما تأتون وما تذرون، فيؤاخذكم بأنواع العقاب، وهذا أبلغ وعد ووعيد.

﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ﴾ والخطاب هنا في قوله: ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ﴾، وفي قوله: ﴿فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ﴾ إما للأزواج، والمعنى

---

(١) البحر المحيط.

حينئذ: وإذا طلقتم أيها الأزواج النساء، فبلغن أجلهن؛ أي: انقضت عدتهن.. فلا تعضلوهن؛ أي: لا تمنعوهن أيها الأزواج، وتسميتهم أزواجاً حينئذ بالنظر إلى ما كان من أن ينكحن ويتزوجن من يريدون من الرجال أن يتزوجوهن، فإن الأزواج قد يعضلون مطلقاتهم أن يتزوجن ظلماً، وإما للأولياء فنسبة الطلاق إليهم باعتبار تسببهم فيه كما يقع كثيراً أن الولي يطلب من الزوج طلاقها، والمعنى حينئذٍ: وإذا خلصتم أيها الأولياء النساء من أزواجهن بتطليقهن، فانقضت عدتهن.. فلا تمنعوهن أيها الأولياء من أن ينكحن الرجال الذين كانوا أزواجاً لهن، فتسميتهم أزواجاً باعتبار ما كان، والمراد ببلوغ أجلهن هنا: انقضاء عدتهن، وفي ما سبق مقاربة انقضائها. قال الشافعي رحمه الله تعالى: دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين، وفي هذه[1] الآية حجة للشافعي ومن وافقه في أن المرأة لا تلي عقد النكاح، ولا تأذن فيه؛ إذ لو كانت تملك ذلك.. لم يكن عضل، ولا لنهي الولي عن العضل معنى. ﴿إِذَا تَرَاضَوْا﴾؛ أي: إذا تراضى الخطاب والنساء ﴿بَيْنَهُم﴾ واتفقوا تراضيا ملتبسا ﴿بِٱلْمَعْرُوفِۗ﴾ شرعاً من عقد حلال، ومهر جائز، وذلك بأن يرضى كل منهما مالزمه في هذا العقد لصاحبه، والخطاب في قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ للنبي ﷺ، أو لكل أحد؛ أي: ذلك المذكور من النهي عن العضل، أو من جميع الأحكام السابقة ﴿يُوعَظُ بِهِۦ﴾؛ أي: يؤمر به ويمتثله؛ لأن النهي عن الشيء أمر بضده ﴿مَن كَانَ مِنكُمْ﴾ أيها المكلفون.

﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِۗ﴾ خص المؤمن بالذكر؛ لأنه هو الذي يتعظ وينتفع بالوعظ.

تنبيه: وإنما قال[2] هنا: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ وقال في الطلاق: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِۚ﴾؛ لأنه لما كانت كاف ذلك لمجرد الخطاب لا محل لها من الإعراب.. جاز الاقتصار على الواحد كما هنا، كما في قوله: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾، وجاز الجمع نظراً للمخاطبين كما في الطلاق، فإن قلتَ: لِمَ ذكر منكم هنا، وتركه ثَمَّ؟

---

(١) الخازن. (٢) الجمل.

قلتُ: لتركِ ذكر المخاطبين هنا في قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ واكتفى بذكرهم ثَمَّ فيه. اهـ كرخي. ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الاتعاظ والعمل بمقتضاه، وهو ترك العضل ﴿أَزْكَىٰ﴾؛ أي: أصلح وأنفع لكم ﴿وَأَطْهَرُ﴾ لقلوبكم وقلوبهن من العدواة والتهمة بسبب المحبة بينهما، وذلك أنهما إذا كان في قلب كل واحد منهما علاقة حب لم يؤمن عليهما، أو أزكى وأطهر؛ أي: أفضل لكم وأطيب عند الله، وعبارة أبي حيان: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾؛ أي: التمكين من النكاح ﴿أَزْكَىٰ﴾ لمن هو بصدد العضل؛ لما له في امتثال أمر الله من الثواب ﴿وَأَطْهَرُ﴾ للزوجين؛ لما يخشى عليهما من الريبة إذا مُنعا من النكاح، وذلك بسبب العلاقات التي بين النساء والرجال ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما فيه صلاح أموركم ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك، فدعوا رأيكم، وهاتان الجملتان في قوة التعليل لما قبله.

وعبارة[١] أبي السعود: والله يعلم ما فيه من الزكاة والطهر، وأنتم لا تعلمون ذلك، أو الله يعلم ما فيه صلاح أموركم من الأحكام والشرائع التي من جملتها ما بيّنه لكم هنا، وأنتم لا تعلمونها، فدعوا رأيكم وامتثلوا أمره تعالى، ونهيه في كل ما تأتون وما تذرون. انتهت.

وعبارة[٢] أبي حيان: والله يعلم ما تنطوي عليه قلوب الزوجين من ميل كلٍّ منهما إلى الآخر، لذلك نهى الله تعالى عن العضل، قال ابن عباس: معناه أو يعلم ما فيه من اكتساب الثواب وإسقاط العقاب، أو يعلم بواطن الأمور ومآلها، وأنتم لا تعلمون ذلك، إنما تعلمون ما ظهر، أو يعلم من يعمل على وفق هذه التكاليف ومن لا يعمل بها، ويكون المقصود بذلك تقرير الوعد والوعيد. انتهت.

الإعراب

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾.

---

(١) الجمل.

(٢) البحر المحيط.

﴿وَإِذَا﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿إذا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان ﴿طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل الخفض بإضافة ﴿إذا﴾ إليها على كونها فعل شرط لها. ﴿فَبَلَغْنَ﴾: ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتعقيب. ﴿بلغن﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الخفض معطوفة على جملة ﴿طَلَّقْتُمُ﴾. ﴿أَجَلَهُنَّ﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إذا﴾ وجوباً. ﴿أمسكوهن﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة جواب إذا لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إذا﴾ مستأنفة. ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أمسكوهن﴾. ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ﴾: ﴿أَوْ﴾: حرف عطف وتفصيل ﴿سَرِّحُوهُنَّ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على جملة ﴿أمسكوهن﴾ على كونها جواباً لـ﴿إذا﴾ ﴿بِمَعْرُوفٍۚ﴾: متعلق بـ﴿سرحوهن﴾. ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾: الواو: عاطفة، ﴿لا﴾: ناهية جازمة، ﴿تمسكوهن﴾: فعل وفاعل ومفعول مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، والجملة معطوفة على جملة ﴿أمسكوهن﴾ على كونها جواباً لـ﴿إذا﴾، وفائدة العطف هنا: توكيد المعطوف عليه. ﴿ضِرَارًا﴾: مفعول لأجله، أو حال من الفاعل، ولكن بعد تأويله بمشتق؛ تقديره: ولا تمسكوهن حالة كونكم مضارين. ﴿لِّتَعْتَدُوا۟ۚ﴾: ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل. ﴿تعتدوا﴾: فعل وفاعل منصوب بأن المضمرة بعد لام كي جوازاً، والجملة صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بلام كي؛ تقديره: لاعتدائكم وظلمكم إياهن، وهذه[1] اللام إن كان ﴿ضِرَارًا﴾ حالاً.. تعلقت به أو بـ﴿لا تمسكوهن﴾، وإن كان ﴿ضِرَارًا﴾ معفولاً لأجله.. تعلقت اللام به، وكانت علة للعلة.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾.

﴿وَمَن﴾ ﴿الواو﴾ استئنافية ﴿من﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر فعل الشرط على الراجح. ﴿يَفْعَلْ﴾: مضارع مجزوم بـ﴿من﴾، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ مفعول به. ﴿فَقَدْ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿من﴾ الشرطية وجوباً؛ لكون الجواب مقروناً بـ﴿قد﴾. ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿ظَلَمَ﴾:

---

(١) البحر المحيط.

فعل ماضٍ في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونه جواباً لها، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾. ﴿نَفْسَهُۥ﴾: مفعول به ومضاف إليه، وجملة ﴿من﴾ الشرطية مستأنفة.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾.

﴿وَلَا﴾ ﴿الواو﴾ عاطفة، أو استئنافية. ﴿لا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَتَّخِذُوٓاْ﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، والجملة معطوفة، أو مستأنفة على الجملة التي قبلها. ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: مفعول أول ومضاف إليه. ﴿هُزُوٗاۚ﴾ مفعول ثان. ﴿وَٱذْكُرُواْ﴾: الواو: استئنافية. ﴿اذكروا﴾: فعل وفاعل ﴿نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾: مفعول به ومضاف إليه، والجملة مستأنفة. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿نعمة﴾؛ لأنه اسم مصدر لأنعم الرباعي، أو متعلق بمحذوف حال من ﴿نِعْمَتَ﴾ تقديره: حالة كونها كائنة عليكم.

﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾.

﴿وَمَآ﴾ ﴿الواو﴾ عاطفة. ﴿ما﴾: موصولة، أو موصوفة في محل النصب معطوفة على ﴿نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾. ﴿أَنزَلَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهِ﴾، والجملة صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد محذوف تقديره: أنزله ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلق بـ﴿أنزل﴾. ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من الهاء المحذوفة من أنزل؛ تقديره: حالة كون ما أنزله كائناً. ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾: معطوف على ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾. ﴿يَعِظُكُم بِهِۦ﴾: ﴿يَعِظُكُم﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿به﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة الفعلية في محل النصب حال من فاعل ﴿أَنزَلَ﴾ العائد على الله تقديره: حالة كونه واعظاً إياكم به، ويجوز[1] أن يكون حالاً من ﴿ما﴾، والعائد إليها الهاء في به، ويجوز أن تكون ﴿ما﴾ مبتدأ، و﴿يعظكم﴾: خبره.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٞ﴾.

﴿وَٱتَّقُواْ﴾ ﴿الواو﴾ استئنافية. ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة مستأنفة. ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿اتقوا﴾ ﴿أَنَّ﴾:

---

(١) عكبري.

حرف نصب ومصدر وتوكيد. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿عليم﴾، وهو خبر ﴿أَنَّ﴾، وجملة ﴿أَنَّ﴾ في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي ﴿اعلموا﴾ تقديره: واعلموا علم الله سبحانه وتعالى بكل شيء.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ﴾.

﴿وَإِذَا﴾ الواو: عاطفة، أو استئنافية، ﴿إذا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، ﴿طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل الخفض بإضافة ﴿إذا﴾ إليها على كونها فعل شرط لها. ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: ﴿الفاء﴾: حرف عطف وترتيب. ﴿بلغن﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿طَلَّقْتُمُ﴾، ﴿أَجَلَهُنَّ﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب إذا جوازاً ﴿لا﴾: ناهية جازمة، ﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة جواب ﴿إذا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إذا﴾ معطوفة على جملة ﴿إذا﴾ التي قبلها، أو مستأنفة. ﴿أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾: ﴿أن﴾: حرف نصب ومصدره ﴿يَنكِحْنَ﴾: فعل وفاعل في محل النصب بـ﴿أن﴾. ﴿أَزْوَٰجَهُنَّ﴾: مفعول به ومضاف إليه، والجملة الفعلية صلة ﴿أَن﴾ المصدرية، ﴿أَن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بحرف جر محذوف المتعلق بـ﴿لا تعضلوهن﴾ تقديره فلا تعضلوهن من نكاحهن أزواجهن ﴿إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ﴾. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان مجرد عن معنى الشرط. ﴿تَرَٰضَوْاْ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الجر مضاف إليه، والظرف متعلق بـ﴿ينكحن﴾، أو بلا تعضلوهن. ﴿بَيْنَهُم﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿تراضوا﴾ ﴿بِٱلْمَعْرُوفِۗ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لمصدر محذوف تقديره: تراضياً كائناً بالمعروف، أو متعلق بـ﴿تراضوا﴾.

﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِۗ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ. ﴿يُوعَظُ﴾ فعل مضارع مغيّر الصيغة ﴿بِهِۦ﴾: متعلق بـ﴿يُوعَظُ﴾. ﴿مَن﴾: اسم موصول في محل الرفع نائب فاعل ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمها ضمير يعود على ﴿مَن﴾ ﴿مِنكُمْ﴾: خطاب للمنتهين عن العضل

متعلق بـ﴿كان﴾، أو بمحذوف حال من الضمير المستكن في ﴿يُؤْمِنُ﴾، وخص المؤمنين لأنه لا ينتفع بالوعظ إلا هم، ذكره في «النهر» ﴿يُؤْمِنُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾ ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلق بـ﴿يؤمن﴾، ﴿وَٱلْيَوْمِ﴾: معطوف على لفظ الجلالة. ﴿ٱلْآخِرِۗ﴾: صفة لليوم، وجملة ﴿يُؤْمِنُ﴾ في محل النصب خبر ﴿كان﴾ تقديره: من كان مؤمناً بالله واليوم الآخر، وجملة ﴿كَانَ﴾ صلة ﴿مَن﴾ الموصولة، وجملة ﴿يُوعَظُ﴾ في محل الرفع خبر المبتدأ تقديره: ذلك متعظ به من كان منكم مؤمناً بالله واليوم الآخر، والجملة الاسمية مستأنفة.

﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: مبتدأ. ﴿أَزْكَىٰ﴾: خبر، والجملة مستأنفة ﴿لَكُمْ﴾ متعلق بـ﴿أَزْكَىٰ﴾. ﴿وَأَطْهَرُۚ﴾ معطوف على أزكى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾. الواو: استئنافية. ﴿اللّه﴾ مبتدأ وجملة ﴿يَعْلَمُ﴾ خبره، والجملة مستأنفة. ﴿وَأَنتُمْ﴾ مبتدأ، وجملة ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ خبره، والجملة الاسمية معطوفة على جملة قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾.

التصريف ومفردات اللغة

﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ هو من باب فعَل يفعُل ـ بفتح العين في الماضي وضمه في المضارع ـ من باب قعد يقال: بلغ يبلغ بلوغاً وبلاغاً وبلغة، ﴿ضِرَارًا﴾ وهو مصدر ضار ضراراً ومضارة ـ من باب فاعل ـ إذا أدخل عليه الضرر.

﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ العضل: المنع، يقال: عضلها من الزواج يعضلها ـ بكسر الضاد وضمها ـ من بابي ضرب ونصر إذا منعها من الزواج، ويقال: دجاج معضل إذا احتبس بيضها. قاله الخليل، ويقال: أصله الضيق، ومنه عضلت المرأة إذا نشب الولد في بطنها، وعضلت الشاة وعضلت الأرض بالجيش ضاقت بهم، وأعضل الداء الأطباء إذا أعياهم علاجه، وأعضل الأمر إذا اشتد وضاق.

﴿إِذَا تَرَاضَوْا﴾ أصله: إذا تراضيوا؛ لأنه من باب تفاعل الناقص كتراموا، تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا، فألتقى ساكنان، ثم حذفت الألف لبقاء دالها، فصار تراضو كتراموا.

﴿أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ الألف في أزكى مبدلة من واو؛ لأنه من زكا الزرع يزكو زكاةً إذا نما بكثرة وبركة. ﴿أطهر﴾ من طهر إذا تنزه عن الأدناس والمعاصي.

البلاغة

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾؛ أي: قاربن انقضاء عدتهن، فهو من المجاز المرسل، أطلق فيه اسم الكل على الأكثر؛ لأنه لو انقضت العدة.. لما جاز إمساكها، والله تعالى يقول: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾.

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ هذا قد سبق، وأعاده إعتناء بشأنه، ومبالغة في إيجاب المحافظة عليه ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ تأكيد للأمر بالإمساك بمعروف، وتوضيح لمعناه، وزجر صريح عما كانوا يتعاطونه من الإضرار.

﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ هو من باب عطف الخاص على العام؛ لأن النعمة يراد بها نعم الله، والكتاب والحكمة من أفراد هذه النعم، هذا إن جعلنا النعمة اسماً للمنعم به، وأما إن جعلناه مصدراً بمعنى الإنعام.. فيكون العطف من المغاير؛ لأن النعمة حينئذ المراد بها الإنعام، والكتاب والحكمة من أفراد النعم، لا من أفراد الإنعام.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ كرر لفظ الجلالة؛ لكونه من جملتين، فتكريره أفخم وترديده في النفوس أعظم، وبين كلمة ﴿اعلموا﴾ وكلمة ﴿عَلِيمٌ﴾ من المحسنات البديعية ما يسمى بجناس الاشتقاق.

﴿أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ يراد بأزواجهن المطلقين لهن، فهو من المجاز المرسل، والعلاقة اعتبار ما كان.

وقد تضمنت[١] هاتان الآيتان ستة أنواع من ضروب الفصاحة والبلاغة من علم البيان:

الأول: الطباق، وهو الطلاق والإمساك، فإنهما ضدان، والتسريح طباق

---

(١) البحر المحيط.

ثان؛ لأنه ضد الإمساك، والعلم وعدم العلم؛ لأن عدم العلم هو الجهل.

الثاني: المقابلة في قوله: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ قابل المعروف بالضرار، والضرار منكر، فهذه مقابلة معنوية.

الثالث: التكرار في قوله: ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ كرر اللفظ لتغيير المعنيين، وهو غاية الفصاحة؛ إذ اختلاف معنى الاثنين دليل على اختلاف البلوغين.

الرابع: الالتفات في قوله: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ ثم التفت إلى الأولياء، فقال: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾، وفي قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إذ كان خطاباً للنبي ﷺ ثم التفت إلى الجمع في قوله: ﴿مِنكُمْ﴾.

الخامس: التقديم والتأخير، والتقدير: أن ينكحن أزواجهن بالمعروف إذا تراضوا.

السادس: مخاطبة الواحد بلفظ الجمع؛ لأنه ذكر في أسباب النزول أنها نزلت في معقل بن يسار أو في أخت جابر، وقيل: ابنته.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلّ وعلا:

﴿۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى[1]: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ...﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه تعالى لمّا ذكر جملة من أحكام النكاح والطلاق والعدة والرجعة والعضل.. أخذ يذكر حكم ما كان من نتيجة النكاح، وهو ما شرع من حكم الإرضاع ومدته، وحكم النفقة والكسوة على ما يقع الكلام فيه في هذه الآية إن شاء الله تعالى؛ لأن الطلاق يحصل به الفراق، فقد يطلق الرجل زوجته، ويكون لها طفل ترضعه، وربما أضاعت الطفل أو حرمته الرضاع انتقاماً من الزوج وإيذاء له في ولده؛ لذلك وردت هذه الآيات: لندب الوالدات المطلقات إلى رعاية

---

(١) البحر المحيط.

الأطفال والاهتمام بشأنهم، ثم أعقب ذلك ببيان حكم الفراق، بين الزوجين بالموت، وما يجب على المرأة من العدة فيه رعاية لحق الزوج، كما ذكر تعالى موضوع خطبة المرأة في حالة العدة، وموضوع استحقاق المرأة لنصف المهر، أو كامله بعد الفراق أو الطلاق.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ قال أبو حيان: مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما تقدم ذكر عدة طلاق الحيض، واتصلت الأحكام إلى ذكر الرضاع، وكان في ضمنها قوله: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: وارث المولود له.. ذكر عدة الوفاة؛ إذ كانت مخالفة لعدة طلاق الحيض.

التفسير وأوجه القراءة

﴿وَالْوَالِدَاتُ﴾؛ أي: الأمهات سواء كن مطلقات أو متزوجات ﴿يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ وهذا خبر بمعنى الأمر؛ أي: ليرضعن أولادهن ندباً عند استجماع[1] ثلاثة شروط: قدرة الأب على الاستئجار، ووجود غير الأم، وقبول الولد للبن الغير، ووجوباً عند فقد واحد منها، كما يجب على كل أحد مواساة المضطر؛ لأن تربية الطفل بلبن الأم أصلح له من لبن غيرها، ولكمال شفقتها عليه.

ويدل على أنه لا يجب على الوالدة إرضاع الولد عند استجماع تلك الشروط قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ ولو وجب عليها الرضاع.. لما استحقت الأجرة، وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ﴾. ﴿حَوْلَيْنِ﴾؛ أي: عامين ظرف الرضاع ﴿كَامِلَيْنِ﴾؛ أي: تامين صفة مؤكدة، وإنما أكده بكاملين؛ لأنه مما يتسامح فيه تقول: أقمت عند فلان حولين، وإن لم تستكملهما، فبين الله تعالى أنهما حولان كاملان أربعة وعشرون شهراً من غير نقص ولا زيادة، وهذا رد على أبي حنيفة في قوله: إن مدة الرضاع ثلاثون شهراً، وعلى زفر في قوله: إن مدة الرضاع ثلاث سنين، وهذا التحديد بالحولين

---

(١) الجمل.

ليس تحديد إيجاب، ويدل على ذلك قوله بعده: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾؛ أي: ذلك المذكور من الحولين لمن أراد إتمام الرضاعة الكاملة من الأبوين، فدل على أن إرضاع الحولين ليس حتماً، بل هو التمام، ويجوز الاقتصار على ما دونه، وليس فيما دون ذلك حد، وإنما هو على مقدار إصلاح المولود وما يعيش به، فثبت أن المقصود من هذا التحديد قطع النزاع بين الزوجين في مقدار زمن الرضاعة، فقدر الله تعالى ذلك بالحولين حتى يرجعا إليه عند التنازع.

وقرأ مجاهد[1]، وابن محيصن ﴿لمن أراد أن تتم﴾ بفتح التاء، ورَفع الرضاعة على إسناد الفعل إليها، وقرأ أبو حيوة، وابن أبي عبلة، والجارود بن أبي سبرة بكسر الراء من الرضاعة، وهي لغة، وروي عن مجاهد أنه قرأ: ﴿الرضعة﴾ وقرأ ابن عباس: ﴿لمن أراد أن يكمل الرضاعة﴾، وما عدا قراءة الجمهور شاذ.

﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾؛ أي: على الأب الذي يولد لأجله وبسببه، وأثر[2] هذا اللفظ دون قوله: وعلى الوالد للدلالة على أن الأولاد للآباء لا للأمهات، ولهذا ينسبون إليهم دونهن، كأنهن إنما ولدن لهم فقط.

قال بعضهم:

وَإِنَّمَا أُمَّهَاتُ ٱلنِّسَاءِ أَوْعِيَةٌ مُسْتَوْدَعَاتٌ وَلِلآبَاءِ أَبْنَاءُ

وقيل[3]: إن هذا تنبيه على أن الولد إنما يلتحق بالوالد؛ لكونه مولوداً على فراشه، فكأنه قال: إذا ولدت المرأة الولد لأجل الرجل، وعلى فراشه.. وجب عليه رعاية مصالحه. ﴿رِزْقُهُنَّ﴾؛ أي: طعامهن ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾؛ أي: لباسهن لأجل الإرضاع إذا كن مطلقات من الأب طلاقاً بائناً؛ لعدم بقاء علقة النكاح الموجبة لذلك، فلو لم ترضعهم الوالدات.. لم يجب، فإن كن زوجات أو رجعيات..

---

(١) الشوكاني.

(٢) الكشاف.

(٣) الخازن.

فالرزق والكسوة لحق الزوجية، ولهن أجرة الرضاع إن امتنعن منه وطلبن ما ذكر ﴿بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾؛ أي: بما يتعارفه الناس من غير إسراف ولا تقتير ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ﴾ بالنفقة على الرضاع ولا تلزم ﴿إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾؛ أي: طاقتها وما يسعها وقدر ما أعطاها الله تعالى من المال.

وقوله[1]: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ تقييد لقوله ﴿بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾؛ أي: هذه النفقة والكسوة الواجبتان على الأب بما يتعارفه الناس لا يكلف منها إلا ما يدخل تحت وسعه وطاقته لا ما يشق عليه ويعجز عنه.

وقيل: المراد لا تكلف المرأة الصبر على التقتير في الأجرة، ولا يكلف الزوج ما هو إسراف، بل يراعي القصد، وقرأ أبو رجاء شذوذاً: ﴿لا تكلف﴾ - بفتح التاء؛ أي: لا تتكلف، وارتفع نفس على الفاعلية، وحذفت إحدى التائين. وفي هذه الآية[2]: دليل على وجوب نفقة الولد على الوالد؛ لعجزه وضعفه، ونسبه تعالى إلى الأم؛ لأن الغذاء يصل إليه بواسطتها في الرضاع، وأجمع العلماء على أنه يجب على الأب نفقة أولاده الأطفال الذين لا مال لهم.

﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا﴾؛ أي: بأخذ ولدها منها بعد ما رضيت بما أعطي غيرها على الرضاع مع شدة محبتها له ﴿وَلَا﴾ يضار ﴿مَوْلُودٌ لَّهُۥ﴾ وهو الأب ﴿بِوَلَدِهِۦۚ﴾؛ أي: بطرح الولد عليه بعد إلف أمه، ولا يقبل ثدي غيرها مع أن الأب لا يمتنع عليها من الرزق والكسوة، فقوله: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ﴾ راجع لقوله: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ﴾ وقوله: ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ﴾ راجع لقوله: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾ و﴿لا﴾ في قوله: ﴿لَا تُضَآرَّ﴾ يحتمل أن تكون نافية؛ فالفعل مرفوع على أنه بدل من ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ﴾، وأن تكون ناهية، فهو مجزوم.

قوله: ﴿لَا تُضَآرَّ﴾ قرأ[3] أبو عمرو، وابن كثير وجماعة، ورواه أبان عن

---

(١) الشوكاني.

(٢) القرطبي.

(٣) الشوكاني مع زيادة عن العكبري والجمل.

عاصم بالرفع على الخبر. وقرأ نافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وعاصم في المشهور عنه بفتح الراء المشددة على النهي، وعلى كل من القراءتين يحتمل أن يكون الفعل مبنياً للفاعل أو للمفعول، وأصله لا تُضارِر، أو لا تَضارَر بالبناء للفاعل أو المفعول، والباء في قوله: ﴿بولدها﴾ أو ﴿بولده﴾ سببية، والمعنى: لا تضارر الأب بسبب الولد بأن تطلب منه ما لا يقدر عليه من الرزق والكسوة، أو بأن تفرط في حفظ الولد، والقيام بما يحتاج إليه، أو لا تضارر من زوجها بأن يقصر عليها في شيء مما يجب عليه، أو ينتزع ولدها منها بلا سبب، وهكذا قراءة الرفع تحتمل الوجهين، فهذه أربع قراءات سبعية.

وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ﴿لا تضارَر﴾ على الأصل بفتح الراء الأولى، وقرأ أبو جعفر بن القعقاع: ﴿لا تضارْ﴾ بإسكان الراء وتخفيفها، على أنه حذف الراء الثانية فراراً من التشديد في الحرف المكرر، وهو الراء، وروي عنه الإسكان والتشديد، وجاز حينئذ الجمع بين الساكنين؛ إما لأنه أجرى الوصل مجرى الوقف، أو لأن مدة الألف تجري مجرى الحركة، فهاتان قراءتان شاذتان عن أبي جعفر المذكور.

وقرأ الحسن، وابن عباس شذوذاً: ﴿لا تضارِر﴾ بكسر الراء الأولى، فجملة ما في هذه الكلمة من القراءات ثمانية، ويحتمل أن تكون الباء في قوله: ﴿بِوَلَدِهِۦ﴾ صلة لقوله: ﴿تُضَآرَّ﴾ على أنه بمعنى تضر؛ أي: لا تضر والدة ولدها، ولا أب ولده، فتسيء تربيته، أو تقصر في غذائه، وأضيف الولد تارة إلى الأب، وتارة إلى الأم؛ لأن كل واحد منهما يستحق أن ينسب إليه مع ما في ذلك من الاستعطاف، وهذه الجملة تفصيل، وتقرير للجملة التي قبلها؛ أي: لا يكلف كل واحد منهما الآخر ما لا يطيقه، فلا تضاره بسبب ولده.

﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾؛ أي[1]: وعلى الصبي الذي هو وارث أبيه المتوفى مثل ما على الأب من النفقة والكسوة، فإنه إن كان له مال.. وجب أجر الرضاعة

---

(١) المراح.

في ماله، وإن لم يكن له مال.. أجبرت أمه على الرضاعة، ولا يجبر على نفقة الصبي إلا الوالدان؛ وهو قول مالك والشافعي، وقيل: المراد من الوارث الباقي من الأبوين أخذاً من قوله ﷺ: «اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا واجعلهما الوارث منا».

وقيل[1]: المراد بالوارث وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه؛ أي: فعلى هذا الوارث مثل ما كان على أب الصبي في حال حياته، واختلف في أي وارث هو؟ فقيل: هم عصبة الصبي كالجد والأخ والعم وابنه، وقيل: هو كل وارث له من الرجال والنساء، وبه قال أحمد، فيجبرون على نفقة الصبي كل على قدر سهمه منه، وقيل: هو من كان ذا رحم محرم منه، وبه قال أبو حنيفة لقراءة ابن مسعود رضي الله عنه ﴿وعلى الوارث ذي الرحم المحرم مثل ذلك﴾.

﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾؛ أي: الوالدان، وقرىء شذوذاً: ﴿فإن أراد﴾ بلا ألف، ﴿فِصَالًا﴾؛ أي: فطاماً للولد عن اللبن قبل تمام الحولين صادراً ﴿عَن تَرَاضٍ﴾ واتفاق ﴿مِّنْهُمَا﴾ لا من أحدهما فقط ﴿وَتَشَاوُرٍ﴾؛ أي: مشاورة بينهما؛ أي: تدقيق النظر فيما يصلح للولد؛ أي: يشاوران أهل العلم في ذلك حتى يخبروا أن الفطام قبل الحولين لا يضر بالولد، والمشاورة استخراج الرأي بما فيه مصلحة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾؛ أي: فلا حرج ولا إثم على الوالدين في الفطام قبل الحولين إذا لم يضر بالولد، وكما يجوز النقص عن الحولين عند اتفاق الأبوين عليه، كذلك تجوز الزيادة عليهما باتفاقهما ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ﴾ أيها الأباء ﴿أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ﴾؛ أي: أن تطلبوا لأولادكم مراضع غير أمهاتهم إذا أبت أمهاتهم إرضاعهم، أو تعذر ذلك لعلة بهن من انقطاع لبن، أو غير ذلك أو أردن التزويج ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ ولا حرج ولا إثم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ في ذلك الاسترضاع ﴿إِذَا سَلَّمْتُم﴾ إلى المراضع المستأجرات ﴿مَّآ ءَاتَيْتُم﴾ بالمد على قراءة الجمهور؛ أي: ما أعطيتم؛ أي: سلمتم إليهن ما أردتم إيتاءه وإعطاءه لهن من الأجرة ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: بطيب نفس وسرور

---

(١) الخازن.

وموافقة، أو[1] بما يتعارفه الناس من أجر المرضعات من دون مماطلة لهن، أو حط بعض ما هو لهن من ذلك، فإن عدم توفير أجرهن يبعثهن عن التساهل بأمر الصبي، والتفريط في شأنه، فليس تسليم الأجرة شرطاً لصحة الإجارة، بل لتكون المرضعة طيبة النفس راضية، فيصير ذلك سبباً لصلاح حلل الصبي، وللاحتياط في مصالحه.

وقرأ ابن كثير وحده في المتواتر: ﴿ما أتيتم﴾ مقصورة الألف؛ أي: ما أتيتم وفعلتم به؛ أي: ما أردتم إتيانه وفعله، ومنه قول زهير:

وَمَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا ... تَوَارَثَهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ

وقيل المعنى: إذا سلمتم إلى أمهاتهم من أجرة الرضاع بقدر ما أرضعن لكم إلى وقت إرادة الاسترضاع، وروى شيبان عن عاصم: ﴿ما أوتيتم﴾ مبنيا للمفعول؛ أي: ما آتاكم الله وأقدركم عليه من الأجرة ونحوها. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ أي: خافوا الله فيما فرض عليكم من الحقوق، وفيما أوجب عليكم لأولادكم ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا تخفى عليه خافية من جميع أعمالكم سرها وعلانيتها، فإنه تعالى يراها ويعلمها، فيجازيكم عليها، ولما تقدم[2] أمر ونهي.. أمر بتقوى الله تعالى، ولما كان كثير من أحكام هذه الآية متعلقاً بأمر الأطفال الذين لا قدرة لهم، ولا منعة مما يفعل بهم.. حذر وهدى بقوله: ﴿وَاعْلَمُوا﴾، وأتى بالصفة التي هي ﴿بَصِيرٌ﴾ مبالغة في الإحاطة بما يفعلونه معهم والاطلاع عليه.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ قرأ الجمهور بضم الياء مبنياً للمفعول؛ أي: يتوفاهم الله ويموتون، وقرأ علي، والمفضل عن عاصم: ﴿يَتوفون﴾ بفتح الياء مبنياً للفاعل؛ أي: يستوفون آجالهم، وهو مبتدأ، ولكنه على حذف مضاف؛ ليصح الإخبار عنه بما بعده؛ أي: وأزواج الذين يموتون من رجالكم ﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾؛

---

(١) الشوكاني.

(٢) البحر المحيط.

أي: يتركون زوجات حرائر حائلات سواء كانت مدخولاً بها أو غيرها، وسواء كانت من ذوات الأقراء أو آيسة أو صغيرة، ولو كانت زوجة صبي، لعموم الآية الكريمة لهن. ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾؛ أي: ينتظرون ويتصبرن عن النكاح بعد وفاتهم ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾؛ أي: أنفسهن، فالباء زائدة ومدخولها توكيد للنون، أو سببية؛ أي: بسبب أنفسهن لا بسبب ضرب قاضٍ كما تقدم نظيره ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ من الليالي أن يمكثن أربعة أشهر وعشرة أيام من وفاة أزواجهن، إحداداً على أزواجهن وعدة لوفاتهم، وهذه العدة سببها الوفاة عند الأكثرين، لا العلم بالوفاة كما قال به بعضهم، فلو انقضت المدة أو أكثرها، ثم بلغ المرأة خبر وفاة زوجها.. وجب أن تعتد بما أنقضى، والدليل على ذلك: أن الصغيرة التي لا علم لها يكفي في انقضاء عدتها انقضاء هذه المدة.

أما الحوامل: فعدتهن بوضع الأحمال بآية سورة الطلاق، والأمة على النصف من ذلك بالسنة، وإنما قال: ﴿عشراً﴾ بلفظ التأنيث؛ لأن العرب إذا أبهمت في العدد من الليالي والأيام غلبّوا الليالي حتى إن أحدهم ليقول: صمت عشراً من الشهر؛ لكثرة تغليبهم الليالي على الأيام، فإذا أظهروا الأيام.. قالوا: صمنا عشرة أيام.

والحكمة في جعل عدة الوفاة هذا المقدار: أن الجنين الذكر يتحرك في الغالب لثلاثة أشهر، والأنثى لأربعة، فزاد الله سبحانه على ذلك عشراً؛ لأن الجنين ربما يضعف عن الحركة، فتتأخر حركته قليلاً، ولا تتأخر عن هذا الأجل.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾؛ أي: انقضت عدتهن ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾؛ أي: لا حرج ولا إثم ﴿عليكم﴾ يا أولياء الميت، أو أيها الأئمة والحكام، أو أيها المسلمون ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ﴾؛ أي: في تركهن على ما فعلن في أنفسهن من التزين والتطيب، والنقلة من المسكن، والتعرض للخطاب، وغير ذلك مما حرم عليهن في زمن العدة؛ لأجل وجوب الإحداد عليهن حال كونهن ملتبسات ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: بما يحسن عقلاً وشرعاً، ومفهومه أنهن لو خرجن عن المعروف شرعاً بأن تبرجن،

وبالغن في الزينة، أو تزوجن في مدة العدة.. فإنه يحرم على الأولياء إقرارهن على ذلك ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الخير والشر ﴿خَبِيرٌ﴾؛ أي: عالم بباطنه كظاهره، فيجازيكم عليه.

فائدة: ويجب الإحداد على المتوفى عنها زوجها، وهو ترك الزينة والطيب، ودهن الرأس بكل الدهن والكحل المطيب، فإن اضطرت إلى كحل فيه زينة لرمد.. فيرخص لها فيه، وبه قال مالك وأبو حنيفة، وقال الشافعي: تكتحل به بالليل، وتمسحه بالنهار.

روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوجها أربعة أشهر وعشراً».

وروى الشيخان عن أم عطية رضي الله عنها قالت: كنا ننهى أن نحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً، ولا نكتحل ولا نتطيب، ولا نلبس ثوباً مصبوغاً إلا ثوب عصب، وقد رخص لنا عند الطهر إذا اغتسلت إحدانا من حيضها في نبذة من كُسْتِ أَظَفَارِ.

تنبيه: وقد أجمع العلماء على أن هذه الآية ناسخة لما بعدها من الاعتداد بالحول، وإن كانت هذه الآية مقدمة في التلاوة، وسنذكر تمام الكلام عليه بعد في موضعه إن شاء الله تعالى، والله أعلم.

﴿وَلَا جُنَاحَ﴾؛ أي: لا حرج ولا إثم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أيها الرجال ﴿فِيمَا عَرَّضْتُم﴾ ولوحتم وأشرتم ﴿بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ المعتدات عن الوفاة، أو عن الطلاق البائن كقولكم لهن: إنك لجميلة ورب راغب فيك، ولعل الله أن ييسر لي امرأة صالحة، والتعريض وكذا التلويح: إفهام المقصود باللفظ الذي لم يوضع له حقيقة، ولا مجازاً كقول الفقير للمحتاج إليه: جئتك لأسلم عليك، والكناية: إفهام المقصود بذكر لوازمه وروادفه، كقولك للمضياف: كثير الرماد، والتصريح إفهام المقصود باللفظ الدال عليه حقيقة، والخِطبة ـ بكسر الخاء ـ طلب النكاح

والتماسه من المرأة أو الولي.

﴿أَوْ﴾ فيما ﴿أَكْنَنتُمْ﴾ وسترتم به ﴿فِيٓ أَنفُسِكُمْۚ﴾ وقلوبكم من نكاحهن، إذا انقضت عدتهن، و﴿أو﴾ هنا للإباحة أو للتخيير أو التفصيل أو الإبهام على المخاطب، أما التصريح بخطبتهن كقوله: أريد نكاحك.. فحرام مطلقاً، وأما الرجعيات: فيحرم التعريض والتصريح بخطبتهن ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ بقلوبكم ولا تصبرون على السكوت عنهن، وعن الرغبة فيهن؛ لأن شهوة النفس والتمني لا يخلو عنه أحد، وهذا كالتعليل لقوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: وإنما أباح لكم التعريض؛ لعلمه بأنكم لا تصبرون عنهن، وقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ استدراك على محذوف دل عليه قوله: ﴿سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾؛ تقديره: فاذكروا خطبتهن تعريضاً، ولكن لا تواعدوهن؛ أي: لا تذكروا خطبتهن سراً؛ أي: صريحاً بأن تذكروا صريح النكاح كقوله: أريد نكاحك، فالمراد بالسر: صريح الخطبة، وقيل: المراد بالسر: الجماع، والمعنى حينئذ: ولكن لا تواعدوهن بذكر الجماع، وهو كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: بأن يصف الخاطب نفسه لها بكثرة الجماع، كأن يقول لها: آتيك الأربعة والخمسة، وقيل: المراد بالسر النكاح، والمعنى حينئذ: ولكن لا تأخذوا ميثاقهن على النكاح؛ لكي لا ينكحن غيركم، كأن يقول لها: عاهديني أن لا تتزوجي غيري. ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًاۚ﴾ في الشرع، وهو أن تعرضوا لهن بالخطبة، ولا تصرحوا بها، أو المعنى: إلا أن تسارروهن بالقول غير المنكر شرعاً، كأن يعدها الخاطب في السر بالإحسان إليها، و الاهتمام بشأنها، والتكفل بمصالحها حتى يصير ذكر هذه الأشياء الجميلة مؤكداً لذلك التعريض.

﴿وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾؛ أي: ولا تحققوا عقد النكاح، أو لا تجزموا ولا تقطعوا قصد عقد النكاح ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ﴾؛ أي: حتى تبلغ العدة المكتوبة المفروضة ﴿أَجَلَهُۥ﴾؛ أي: آخرها ونهايتها، وصارت منقضية ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾ أيها الرجال ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ وقلوبكم من العزم على ما نهيتم عنه ﴿فَٱحْذَرُوهُۚ﴾؛ أي: فخافوا عقابه بالاجتناب عن العزم على ذلك ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ

﴿غَفُورٌ﴾ لمن يقلع عن عزمه خشية منه تعالى: ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعاجلكم بالعقوبة على ذنوبكم.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: لا تبعة ولا مطالبة عليكم بالمهر، ولا ثقل عليكم بلزومه ﴿إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾؛ أي: إن لم تجامعوهن فـ﴿ما﴾ شرطية بمعنى إن، وهو الأقعد من جعلها مصدرية، وقرأ حمزة والكسائي: بضم التاء وبالألف بعد الميم في جميع القرآن، فهو بمعنى الأول ﴿أَوْ﴾ ما لم ﴿تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾؛ أي: أو لم تبينوا لهن صداقاً معيناً.

وهذا في المفوضة، وهي رشيدة قالت لوليها: زوجني بلا مهر، فزوجها كذلك بأن نفى المهر أو سكت عنه، أو زوج بدون مهر المثل، أو بغير نقد البلد، فلا مهر لها؛ لخلو النكاح عن الوطء والفرض، ولكن لها المتعة كما سيأتي، أما الممسوسة ـ أي: الموطؤة ـ فلها كل المهر، وإن لم يفرض لها، وأما غير الممسوسة: فلها نصف المسمى إن فرض لها، وإن لم يفرض لها.. فلا مهر لها، بل تجب لها المتعة كما ذكره بقوله: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ معطوف على مقدر تقديره: فطلقوهن ومتعوهن؛ أي: أعطوهن من مالكم ما يتمتعن به جبراً لإيحاش الطلاق والمتعة والمتاع، وما يتبلغ به من الزاد، وتقديرها: مفوض إلى رأي الحاكم كما يدل عليه قوله: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ﴾؛ أي: على الغني الذي في سعة من غناه ﴿قَدَرُهُ﴾؛ أي: قدر إمكانه وطاقته، وهو بفتح الدال وكسرها قراءتان سبعيتان ﴿وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ﴾؛ أي: وعلى الفقير الذي في ضيق من فقره. ﴿قَدَرُهُ﴾؛ أي: قدر إمكانه وطاقته، وقرأ حمزة والكسائي وحفص وابن ذكوان بفتح الدال، وقوله: ﴿مَتَٰعًا﴾ مصدر مؤكد لعامله؛ أي: متعوهن تمتيعاً كائناً ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: بالوجه الذي تعرفه وتستحسنه الشريعة والمروءة من غير حيف ولا ظلم، ولا بخس ولا نقص، فلا يزاد على المقتر فوق طاقته، ولا ينقص من الموسع عن طاقته، وقوله: ﴿حَقًّا﴾ صفة ثانية لمتاعاً، أو مصدر مؤكد لعامله؛ أي: حق ذلك حقاً، ووجب وجوباً ﴿عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: متاعاً واجباً على[1] المؤمنين الذين يحسنون إلى

---

(١) البيضاوي.

أنفسهم بالمسارعة إلى طاعة الله تعالى، أو إلى المطلقات بتمتيعهن؛ لأن المتعة بدل المهر، وسماهم محسنين قبل الفعل باعتبار المشارفه والقرب له ترغيباً، وتحريضاً لهم على ذلك.

قيل[1]: نزلت هذه الآية في شأن رجل من الأنصار تزوج امرأة ولم يسم لها صداقاً، ثم طلقها قبل أن يمسها، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أمتعتها؟» قال: لم يكن عندي شيء قال: «متعها ولو بقلنسوات».

واعلم:[2] أنه اختلف العلماء في المتعة، فقيل: واجبة نظراً للأمر، ولقوله: ﴿حَقًّا﴾ وبه أخذ الشافعي، وقيل: مندوبة نظراً لقوله: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِۖ﴾ ولقوله: ﴿عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وبه أخذ مالك.

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾؛ أي: طلقتم النساء ﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾؛ أي: تجامعوهن ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾؛ أي: والحال أنكم سميتم لهن مهراً مقدراً معلوماً ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾؛ أي: فلهن نصف المهر المسمى ونصفه ساقط، وهذا في المطلقة بعد تسمية المهر، وقبل الدخول حكم الله لها بنصف المهر ولا عدة عليها، وقرأ ابن مسعود شذوذاً: ﴿من قبل أن تجامعوهن﴾ أخرجه عنه ابن جرير، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم: ﴿مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ بلا ألف، وقراءة حمزة والكسائي ﴿تماسوهن﴾ بالألف من المفاعلة. ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾؛ أي: إلا أن يسامحن المطلقات بإبراء حقها، فيسقط كل المهر، وأن والفعل في موضع النصب على الاستثناء؛ أي: فلهن نصف ما فرضتم في جميع الأوقات إلا وقت عفوهن عنكم من حقهن من نصف المهر، ويتركن لكم، فيسقط كل المهر حينئذ لا نصفه ﴿أَوْ﴾ إلا أن ﴿يَعْفُوَاْ﴾ ويسامح الزوج ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ﴾ وسلطنته ﴿عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾؛ أي: عصمة النكاح وعقده؛ أي: يترك الزوج المالك لعقد النكاح وحله حقه من النصف الذي يعود إليه بالتشطير، ويبعث المهر لها كاملاً، فيثبت كل المهر حينئذ لا نصفه.

---

(١) المراح والخازن.

(٢) الصاوي.

فرع

لو مات أحد الزوجين بعد التسمية، وقبل المسيس.. فلها المهر كاملاً، وعليها العدة إن كان الزوج هو الميت ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ هذا خطاب للرجال والنساء جميعاً، وإنما غلب جانب التذكير؛ لأن الذكورة هي الأصل والتأنيث فرع عنها، والمعنى: وعفو بعضكم عن بعض أيها الرجال و النساء أقرب إلى حصول التقوى، وطيب النفس من عدم العفو الذي فيه التنصيف، وقيل: هو خطاب للزوج، والمعنى: وليعف الزوج، فيترك حقه الذي ساق من المهر إليها قبل الطلاق، فهو أقرب للتقوى ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ﴾ قرأ الجمهور بالتاء الفوقية، وقرأ أبو نهيك والشعبي بالياء التحتية، فيكون الخطاب مع الرجال ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾؛ أي: ولا تتركوا أن يتفضل بعضكم على بعض بأن يسلم الزوج المهر إليها بالكلية، أو تترك المرأة المهر بالكلية، حثهما جميعاً على الإحسان ومكارم الأخلاق.

وقرأ الجمهور ﴿وَلَا تَنسَوُاْ﴾ بضم الواو، وقرأ يحيى بن يعمر شذوذاً بكسرها، وقرأ علي ومجاهد وأبو حيوة وابن أبي عبلة شذوذاً أيضاً: ﴿ولا تناسوا﴾ والمعنى: أن الزوجين لا ينسيان التفضل من كل واحد منهما على الآخر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الفضل والإحسان ﴿بَصِيرٌ﴾ لا يضيع فضلكم وإحسانكم، بل يجازيكم عليه، وإنما ختم هذه الآية بهذه الصفة الدالة على المبصرات؛ لأن ما تقدمه من العفو من المطلقات والمطلقين؛ وهو أن يدفعن شطر ما قبضن، أو يكملون لهن الصداق هو مشاهد مرئي، فناسب ذلك المجيء بالصفة المتعلقة بالمبصرات، ولما كان آخر قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ...﴾ الآية. قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ﴾ مما يدرك بلطف وخفاء.. ختم ذلك بقوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ وفي ختم هذه الآية بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وعد جميل للمحسن، وحرمان لغير المحسن.

الإعراب

﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ﴾.

﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ﴾: مبتدأ. ﴿يُرْضِعْنَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الرفع خبر المبتدأ تقديره: والوالدات مرضعات، والجملة مستأنفة. ﴿أَوْلَٰدَهُنَّ﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿حَوْلَيْنِ﴾: منصوب على الظرفية، والظرف متعلق بـ﴿يُرْضِعْنَ﴾. ﴿كَامِلَيْنِ ۖ﴾: صفة لـ﴿حَوْلَيْنِ﴾ مؤكدة له. ﴿لِمَنْ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف؛ تقديره: ذلك المذكور من إرضاع حولين كائن لمن ﴿أَرَادَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾، والجملة صلة ﴿من﴾ الموصولة، والعائد ضمير الفاعل. ﴿أَن يُتِمَّ﴾: ﴿أن﴾: حرف مصدر. ﴿يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ﴾: فعل ومفعول منصوب بـ﴿أن﴾، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾، وجملة ﴿أن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر منصوب على المفعولية؛ تقديره: لمن أراد إتمام الرضاعة.

﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ﴾.

﴿وَعَلَى﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿على المولود﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿لَهُۥ﴾: نائب فاعل لـ﴿المولود﴾. ﴿رِزْقُهُنَّ﴾: مبتدأ مؤخر ومضاف إليه، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ﴾. ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾: معطوف على ﴿رِزْقُهُنَّ﴾. ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾، والعامل[1] فيها معنى الاستقرار في على، والتقدير: حالة كونهما ملتبسين بالمعروف.

﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ﴾.

﴿لَا﴾: نافية. ﴿تُكَلَّفُ نَفْسٌ﴾. فعل ونائب فاعل، والجملة معترضة لاعتراضها بين المعطوف الذي هو قوله: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ﴾، وبين المعطوف عليه الذي هو قوله: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾، أو في محل الجر بلام التعليل المقدرة؛ لأنها

---

(١) العكبري.

علة لقوله: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾. ﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾. ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿وُسْعَهَا﴾[1]: مفعول ثانٍ ومضاف إليه، وليس بمنصوب على الاستثناء؛ لأن ﴿تُكَلَّفُ﴾ يتعدى إلى مفعولين، ولو رفع الوسع هنا.. لم يجز؛ لأنه ليس ببدل. ﴿لَا تُضَآرَّ﴾: ﴿لَا﴾: نافية، أو ناهية. ﴿تُضَآرَّ﴾: فعل مضارع مبني للمفعول، أو للفاعل مرفوع، أو مجزوم ﴿وَالِدَةٌ﴾: نائب فاعل، أو فاعل، والجملة يجري فيها مثل ما جرى في قوله: ﴿لَا تُكَلَّفُ﴾. ﴿بِوَلَدِهَا﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿تُضَآرَّ﴾. ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ﴾: معطوف على ﴿وَالِدَةٌ﴾. ﴿بِوَلَدِهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿تضار﴾. ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾: الواو: عاطفة ﴿على الوارث﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ مؤخر ومضاف إليه، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ﴾.

﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾.

﴿فَإِنْ﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت أن مدة الرضاع التام حولان كاملان، وأردت بيان حكم ما إذا أرادا النقص عنهما.. فأقول لك ﴿إن﴾: حرف شرط جازم ﴿أَرَادَا﴾: فعل وفاعل في محل الجزم بـ﴿إن﴾. ﴿فِصَالًا﴾: مفعول به. ﴿عَن تَرَاضٍ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿فِصَالًا﴾ تقديره: فصالاً كائناً عن تراضٍ منهما، أو متعلق بـ﴿أَرَادَا﴾. ﴿مِّنْهُمَا﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لـ﴿تراض﴾ تقديره: عن تراض كائن منهما. ﴿وَتَشَاوُرٍ﴾: معطوف على ﴿تَرَاضٍ﴾. ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إن﴾ الشرطية وجوباً، ﴿لا﴾: نافية تعمل عمل ﴿إن﴾، ﴿جُنَاحَ﴾ اسمها ﴿عليهما﴾: خبرها، وجملة ﴿لا﴾ في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ﴾.

---

(١) العكبري.

﴿وَإِن﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿إن﴾: حرف شرط جازم. ﴿أَرَدتُّمْ﴾ فعل وفاعل في محل الجزم بـ﴿إن﴾ على كونها فعل شرط لها. ﴿أن﴾: حرف نصب ومصدر ﴿تَسْتَرْضِعُوٓاْ﴾: فعل وفاعل منصوب بـ﴿أن﴾. ﴿أَوْلَٰدَكُمْ﴾: مفعول أول ومضاف إليه، والمفعول الثاني محذوف؛ تقديره: مراضع، وجملة ﴿أن﴾ المصدرية في تأويل مصدر منصوب على المفعولية؛ تقديره: وإن أردتم استرضاع أولادكم ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة ﴿لا﴾: نافية. ﴿جُنَاحَ﴾: اسمها. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: خبرها، وجملة ﴿لا﴾ في محل الجزم بـ﴿إن﴾ على كونها فعل شرط لها، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾. ﴿إِذَا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان مجرد عن معنى الشرط. ﴿سَلَّمْتُم﴾: فعل وفاعل والجملة في محل الخفض بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها تقديره: فلا جناح عليكم وقت تسليمكم. ﴿مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، والظرف متعلق بالاستقرار الذي تعلق به خبر ﴿لا﴾ ويحتمل كونها شرطية وجوابها معلوم مما قبلها. ﴿مَّآ﴾: موصولة، أو موصوفة في محل النصب مفعول به. ﴿ءَاتَيْتُم﴾: فعل وفاعل، وهو بمعنى أعطى ينصب مفعولين، ومفعولاه محذوفان تقديره: ما أتيتموهن إياه. ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿سلمتم﴾، أو بـ﴿أتيتم﴾، أو بمحذوف حال من فاعل ﴿سَلَّمْتُم﴾، أو من فاعل ﴿ءَاتَيْتُم﴾ تقديره: متلبسين بالمعروف، وجملة ﴿ءَاتَيْتُم﴾ صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره إياه.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَٱتَّقُواْ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة مستأنفة. ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾ الواو: عاطفة. ﴿اعلموا﴾ فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿وَٱتَّقُواْ﴾. ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾: ﴿أن﴾: حرف نصب. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿بصير﴾ الآتي. ﴿تَعْمَلُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: ما تعملونه. ﴿بَصِيرٌ﴾: خبر ﴿أَنَّ﴾، وجملة ﴿أَنَّ﴾ في تأويل مصدر سادٍ مسد مفعولي ﴿اعلموا﴾ تقديره: واعلموا كون الله بصيراً بما تعملون.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾.

﴿وَالَّذِينَ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿الذين﴾: مبتدأ، ولكنه على تقدير مضاف كما سبق تقديره: وأزواج الذين. ﴿يُتَوَفَّوْنَ﴾: فعل مغيّر ونائب فاعل على قراءة الجمهور، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الغائب. ﴿مِنكُمْ﴾: جار ومجرور حال من ضمير الغائب تقديره: حال كونهم كائنين من رجالكم.

﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾.

﴿وَيَذَرُونَ﴾ الواو: عاطفة. ﴿يذرون﴾: فعل وفاعل. ﴿أَزْوَاجًا﴾: مفعول به، والجملة معطوفة على جملة ﴿يُتَوَفَّوْنَ﴾. ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾: فعل وفاعل، ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾: ﴿الباء﴾: زائدة. ﴿أنفسهن﴾: توكيد لنون الفاعل، أو الباء سببية متعلقة بـ﴿يتربصن﴾ كما مرت الإشارة إليه. ﴿أَرْبَعَةَ﴾: منصوب على الظرفية، وهو مضاف. ﴿أَشْهُرٍ﴾: مضاف إليه ﴿وَعَشْرًا﴾: معطوف على ﴿أَرْبَعَةَ﴾، وجملة ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ في محل الرفع خبر المبتدأ تقديره: أزواج الذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً متربصات بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً، والجملة مستأنفة وفيه أوجه كثيرة من الإعراب، وهذا الذي ذكرناه أرجحها.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿فَإِذَا﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفتم مدة تربصهن في العدة، وأردتم بيان حكم ما إذا انقضت المدة.. فأقول لكم. ﴿إذا﴾: ظرف لما استقبل من الزمان. ﴿بَلَغْنَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الخفض بإضافة ﴿إذا﴾ إليها، والظرف متعلق بالجواب. ﴿أَجَلَهُنَّ﴾ ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿بلغن﴾، ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة. ﴿لا﴾: نافية. ﴿جُنَاحَ﴾: اسمها. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: خبرها، والجملة جواب إذا لا محل لها من الإعراب، وجملة إذا في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة. ﴿فِيمَا﴾: جار ومجرور متعلق بالاستقرار الذي تعلق به خبر ﴿لا﴾. ﴿فَعَلْنَ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط

محذوف تقديره: فيما فعلنه. ﴿فِىٓ أَنفُسِهِنَّ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بفعلن ﴿بِٱلْمَعْرُوفِۗ﴾: جار ومجرو حال من الضمير المحذوف من ﴿فَعَلْنَ﴾ تقديره: حال كون ما فعلنه متلبساً بالمعروف. ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: استئنافية. ﴿اللَّه﴾. مبتدأ. ﴿بِمَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿خَبِيرٌ﴾ الآتي ﴿تَعْمَلُونَ﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: بما تعملونه. ﴿خَبِيرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة مستأنفة.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾.

﴿وَلَا﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿لا﴾: نافية. ﴿جُنَاحَ﴾: اسمها. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: خبرها، والجملة مستأنفة. ﴿فِيمَا﴾: جار ومجرور متعلق بالاستقرار الذي تعلق به خبر ﴿لا﴾. ﴿عَرَّضْتُم﴾: فعل وفاعل. ﴿بِهِۦ﴾: متعلق به، والجملة صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط ضمير ﴿بِهِۦ﴾ ﴿مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه حال من ضمير ﴿بِهِۦ﴾. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف وتقسيم ﴿أَكْنَنتُمْ﴾ فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿عَرَّضْتُم﴾. ﴿فِىٓ أَنفُسِكُمْۚ﴾؛ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿أَكْنَنتُمْ﴾. ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة، ﴿أَنَّكُمْ﴾ ﴿أن﴾: حرف نصب ومصدر ﴿الكاف﴾ اسمها. ﴿سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل الرفع خبر ﴿أن﴾ تقديره: أنكم ذاكرون إياهن، وجملة ﴿أن﴾ من اسمها وخبرها سادة مسد مفعولي ﴿عَلِمَ﴾؛ تقديره: علم الله ذكركم إياهن.

﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًاۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ﴾.

﴿وَلَٰكِن﴾ الواو: استئنافية. ﴿لكن﴾: حرف استدراك ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿تُوَاعِدُوهُنَّ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية. ﴿سِرًّا﴾: مفعول ثان، والجملة الفعلية جملة استدراكية لا محل لها من الإعراب استدرك بها عن محذوف تقديره: علم أنكم ستذكروهن فاذكروهن، ولكن لا تذكروا لهن صريح

الخطبة. ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء منقطع. ﴿أَن﴾: حرف نصب. ﴿تَقُولُوا﴾: فعل وفاعل منصوب بـ﴿أن﴾ ﴿قَوْلًا﴾: منصوب على المصدرية. ﴿مَّعْـرُوفًا﴾: صفة له، وجملة ﴿أَن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر على الاستثناء تقديره: إلا قولكم قولاً معروفاً في الشرع، وهو التعريض. ﴿وَلَا تَعْزِمُوا﴾: الواو: استئنافية ﴿لا﴾: ناهية. ﴿تَعْزِمُوا﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية. ﴿عُقْدَةَ﴾: مفعول به وهو مضاف. ﴿ٱلنِّكَاحِ﴾: مضاف إليه، والجملة مستأنفة. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جر وغاية. ﴿يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: فعل وفاعل منصوب بأن مضمرة. ﴿أَجَلَهُۥ﴾: ظرف ومضاف إليه، والظرف متعلق بـ﴿يبلغ﴾، والجملة الفعلية صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بـ﴿حتى﴾ بمعنى إلى تقديره، إلى بلوغ الكتاب أجله، الجار والمجرور متعلق بـ﴿لا تعزموا﴾.

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟﴾ الواو: استئنافية. ﴿اعلموا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿أَنَّ﴾: حرف نصب. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها ﴿يَعْلَمُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّه﴾. ﴿ما﴾: موصولة، أو موصوفة في محل النصب مفعول به لـ﴿يَعْلَمُ﴾؛ لأنه بمعنى يعرف. ﴿فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بمحذوف صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، وجملة ﴿يَعْلَمُ﴾ في محل الرفع خبر ﴿أَنَّ﴾، وجملة ﴿أَنَّ﴾ في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي ﴿اعلموا﴾ تقديره: واعلموا علم الله ما في أنفسكم. ﴿فَٱحْذَرُوهُ﴾: ﴿الفاء﴾: حرف عطف وترتيب، ﴿احذروه﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على جملة ﴿اعلموا﴾. ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟﴾: الواو: عاطفة. ﴿اعلموا﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾. ﴿أَنَّ﴾: حرف نصب ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿غَفُورٌ﴾: خبر أول لها ﴿حَلِيمٌ﴾: خبر ثان، وجملة ﴿أن﴾ في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي ﴿اعلموا﴾ تقديره: واعلموا كون الله غفوراً رحيماً.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ﴾.

﴿لا﴾: نافية. ﴿جناح﴾: اسمها. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: خبرها، والجملة مستأنفة

﴿إن﴾: حرف شرط جازم. ﴿طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾: فعل وفاعل ومفعول في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونها فعل شرط لها، وجواب ﴿إن﴾ معلوم مما قبلها تقديره: إن طلقتم النساء.. فلا جناح عليكم ﴿مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾، ﴿ما﴾: شرطية بمعنى إن، ﴿لَمْ﴾: حرف جزم ونفي ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾: فعل وفاعل ومفعول مجزوم بـ﴿لم﴾، والجملة في محل الجزم بـ﴿ما﴾ الشرطية على كونها فعل شرط لها، وجواب ﴿مَا﴾ الشرطية معلوم من السياق أيضاً تقديره: إن لم تمسوهن.. فلا جناح عليكم إن طلقتموهن، وجعل ﴿ما﴾ شرطية قيداً للشرط الأول أَوْلَى من جعلها مصدرية كما مر. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف وتفصيل. ﴿تَفْرِضُواْ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾، ﴿لَهُنَّ﴾: جار ومجرور متعلق به ﴿فَرِيضَةً﴾: مفعول به.

﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿متعوهن﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على محذوف تقديره: فطلقوهن ومتعوهن. ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿قَدَرُهُۥ﴾: مبتدأ مؤخر ومضاف إليه، والجملة معترضة لا محل لها من الإعراب؛ لاعتراضها بين الفعل والمفعول المطلق، أو حال من فاعل ﴿متعوهن﴾، ولكن مع تقدير رابط تقديره: ومتعوهن حالة كون قدره كائناً على الموسع منكم. ﴿وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ﴾: خبر مقدم، ﴿قَدَرُهُۥ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾. ﴿مَتَٰعًا﴾: مفعول مطلق منصوب بـ﴿متعوهن﴾، ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿متاعاً﴾ تقديره: متاعاً كائناً بالمعروف. ﴿حَقًّا﴾: صفة ثانية لـ﴿متاعا﴾، أو مصدر مؤكد عامله محذوف تقديره: حق ذلك التمتيع حقاً. ﴿عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: جار ومجرور متعلق بالناصب للمصدر.

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾.

﴿وَإِن﴾ الواو: استئنافية. ﴿إن﴾: حرف شرط. ﴿طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾: فعل وفاعل ومفعول في محل الجزم على كونه فعل شرط لها. ﴿مِن قَبْلِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾، ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾: فعل وفاعل ومفعول منصوب بـ﴿أن﴾، وجملة ﴿أن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور

بإضافة الظرف إليه تقديره: من قبل مسكم إياهن. ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ﴾ الواو: حالية. ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿فَرَضْتُمْ﴾: فعل وفاعل. ﴿لَهُنَّ﴾: جار ومجرور متعلق به ﴿فَرِيضَةً﴾: مفعول به، والجملة في محل النصب حال من فاعل ﴿طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ تقديره: حالة كونكم فارضين لها فريضة. ﴿فَنِصْفُ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة، ﴿نصف﴾: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: فالواجب عليكم نصف ما فرضتم، والجملة الاسمية في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية مستأنفة ﴿نصف﴾: مضاف. ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة في محل الجر مضاف إليه. ﴿فَرَضْتُمْ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف؛ تقديره: ما فرضتموه.

﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾.

﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء منقطع، ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر، ﴿يَعْفُونَ﴾: فعل مضارع في محل النصب بـ﴿أن﴾ مبني على السكون لاتصاله بنون الإناث، ونون الإناث في محل الرفع فاعل، والواو فيه لام الكلمة لا واو الجماعة، والجملة الفعلية صلة ﴿أن﴾ المصدرية ﴿أن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر، ولكن الكلام على حذف أمرين: حرف الجر ومضاف للمصدر، والتقدير: فنصف ما فرضتم إلا في حال عفوهن، أو عفو الزوج.. فلا تنصيف بل يجب الكل، أو يسقط الكل، فالإستثناء منقطع؛ لأن عفوهن عن النصف، وسقوطه ليس من جنس استحقاقهن له، وقيل[1]: الاستثناء متصل على أنه استثناء من أعم الأحوال؛ أي: فنصف ما فرضتم في كل حال إلا في حال عفوهن، وعفو الذي بيده عقدة النكاح، ونظيره قوله تعالى: ﴿لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْۖ﴾ لكن لا يصح على مذهب سيبويه أن تكون أن وصلتها حالا، فتعين أن يكون منقطعاً. اهـ «كرخي». ﴿أَوْ يَعْفُوَاْ﴾: ﴿أَوْ﴾: حرف عطف وتفصيل. ﴿يَعْفُوَاْ﴾. فعل مضارع معطوف على ﴿يَعْفُونَ﴾. ﴿ٱلَّذِى﴾ فاعل. ﴿بِيَدِهِۦ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه خبر مقدم. ﴿عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾ مبتدأ مؤخر ومضاف إليه، والجملة الاسمية صلة الموصول،

---

(١) الجمل.

والعائد ضمير ﴿بِيَدِهِۦ﴾.

﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَأَن﴾ الواو: استئنافية. ﴿أن﴾ حرف نصب ومصدر. ﴿تَعْفُوٓاْ﴾ فعل مضارع منصوب بحذف النون، والواو فاعل، والفعل مع أن المصدرية في تأويل مصدر مرفوع على الابتداء تقديره: وعفوكم. ﴿أَقْرَبُ﴾: خبره. ﴿لِلتَّقْوَىٰۚ﴾: متعلق بـ﴿أقرب﴾، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ﴾: الواو: استئنافية، أو عاطفة ﴿لا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَنسَوُاْ﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية. ﴿ٱلْفَضْلَ﴾: مفعول به، والجملة معطوفة على ما قبلها، أو مستأنفة. ﴿بَيْنَكُمْۚ﴾: ظرف ومضاف إليه، والظرف متعلق بـ﴿تنسوا﴾، أو حال من ﴿ٱلْفَضْلَ﴾ تقديره: حال كونه كائناً بينكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب وتوكيد ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿بِمَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿بصير﴾. ﴿تَعْمَلُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة لـ﴿ما﴾ أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: تعملونه. ﴿بَصِيرٌ﴾: خبر. ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل الجر بلام التعليل المقدرة؛ لأنها معللة لما قبلها.

التصريف ومفردات اللغة

﴿يُرْضِعْنَ﴾: مضارع أرضعته أمه، وهو من مزيد الثلاثي، يقال: رضع يرضع رضعاً ورضاعاً ورضاعةً إذا مص الثدي لشرب لبنه، ويقال للئيم: راضع؛ وذلك لشدة بخله، لا يحلب الشاة مخافة أن يسمع منه الحلب، فيطلب منه اللبن، فيرضع ثدي الشاة حتى لا يفطن به.

﴿حَوْلَيْنِ﴾: والحول السنة يجمع على أحوال، ويقال: أحول الشيء إذا مضى له حول.

﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾: والكسوة اللباس، يقال منه: كسا يكسو، وفعله يتعدى إلى مفعولين، تقول: كسوت زيداً جبة.

﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ﴾: هو مضارع كلف الرباعي، يقال: كلف يكلف تكليفاً،

والتكليف الإلزام.

﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ﴾: الوارث معروف، يقال منه: ورِث يرث بكسر الراء في الماضي والمضارع وقياسها في المضارع الفتح، ويقال في فعله: أرث يرث إرثاً كما يقال: ألده في ولده، والأصل الواو.

﴿فِصَالًا﴾: مصدر فصله يفصله فصلاً وفصالاً إذا فطمه ومنعه عن ثدي أمه.

﴿وَتَشَاوُرٍ﴾: هو مصدر تشاور من باب تفاعل الخماسي، والتشاور في اللغة: التأمل والإمعان للنظر واستخراج الرأي من قولهم: شرت العسل أشوره إذا اجتنيته، فكأن كل واحد من المتشاورين أظهر ما في قلبه للآخر.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ﴾: مأخوذ من توفيت الدين إذا قبضته، يقال: توفيت مالي من فلان واستوفيته إذا أخذته وقبضته، والمعنى هنا: والذين يُقبضون؛ أي: نقبض أرواحهم.

﴿وَيَذَرُونَ﴾: يذر معناه: يترك، ويستعمل منه الأمر، ولا يستعمل منه اسم الفاعل ولا اسم المفعول، وجاء الماضي منه على طريق الشذوذ.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: خبير من صيغ المبالغة؛ لأنه على زنة فعيل، من خبرت الشيء إذا علمته، ولهذه المادة يرجع الخبر؛ لأنه الشيء المعلم به، والخبار: الأرض اللينة.

﴿فِيمَا عَرَّضْتُم﴾ من التعريض، والتعريض: الإشارة والتلويح إلى الشيء من غير تصريح وإظهار وكشف، وأصله: إمالة الكلام عن نهجه إلى عُرض منه ـ بضم العين ـ أي: جانب، وقد سبق لك الفرق بين التصريح والتعريض والكناية.

﴿مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ والخِطبة ـ بكسر الخاء كالقِعدة والجلسة ـ: ما يفعله الخاطب من الطلب والاستلطاف بالقول والفعل، فقيل: هي مأخوذة من الخطب؛ أي: الشأن الذي هو خطر؛ لما أنها شأن من الشؤون ونوع من الخطوب، وقيل: من الخطاب لأنها نوع مخاطبة تجري بين جانب الرجل وجانب المرأة، وفي «السمين»: والخطبة في الأصل مصدر بمعنى الخطب، والخطب: الحاجة، ثم خصت بالتماس النكاح؛ لأنه بعض الحاجات، يقال: ما خطبك؛ أي: شأنك اهـ.

﴿أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ﴾ يقال: أكنَّ في نفسه شيئاً؛ أي: أخفاه، وكنّ الشيء بثوب؛ أي: ستره به، فالهمزة في أكن للتفرقة بين الاستعمالين، كأشرقت وشرقت.

﴿عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ العقدة: في الحبل والغصن، يقال: عقدت الحبل والعهد، وأَعقدتُ العسلَ من العقد، وهو الشد، قال الراغب: العقدة اسم لما يعقد من نكاح أو يمين أو غيرهما.

﴿وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ﴾ والمقتر: المقل اسم فاعل من أقتر الرجل إذا أفقر، ويقال: قتر يقتر ويقتر قتراً وقترةً وقتاراً. ﴿قَدَرُهُۥ﴾ القدَر بالفتح والقدْر بالتسكين لغتان، وقد قرىء بهما في المتواتر، وقيل: القدْر بالتسكين: الطاقة، وبالتحريك المقدار. ﴿مَتَٰعَۢا﴾: اسم مصدر لمتّع الرباعي، والمصدر التمتيع، واسم المصدر يجري مجرى المصدر. ﴿حَقًّا﴾: مصدر حق الشيء حقاً إذا ثبت.

﴿فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ﴾ النصف: هو الجزء من اثنين على السواء، ويقال: بكسر النون وضمها، ونصيف، ومنه حديث: «ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»؛ أي: نصفه، كما يقال: ثمن وثمين وعشر وعشير، ويقال: نصَفَ النهار ينصف ونصفَ الماء القدح، والإزار الساق، والغلام القرآن، وحكى الفراء في جميع هذا أنصف.

﴿إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ﴾ فعل مسند إلى جماعة الإناث، فالواو فيه لام الكلمة، والنون ضمير النسوة، فوزنه يفعلن نظير يخرجن.

فائدة: والفرق بين قولهم: الرجال يعفون، والنساء يعفون: أن قولهم: الرجال يعفون ﴿الواو﴾ فيه ضمير جماعة الذكور، وحذفت قبلها واو أخرى هي لام الكلمة، فإن الأصل يعفوون بوزن يخرجون فاستثقلت الضمة على ﴿الواو﴾ الأولى، فحذفت الضمة، فبقيت ساكنة وبعدها واو الضمير ساكنة أيضاً، فحذفت ﴿الواو﴾ الأولى؛ لئلا يلتقي ساكنان، فوزنه يفعون، والنون علامة الرفع، فإنه من الأمثلة الخمسة، وأن قولهم: النساء يعفون ﴿الواو﴾ فيه لام الفعل، والنون ضمير جماعة الإناث، والفعل معها مبني على السكون، لا يظهر للعامل فيه أثر، فوزنه يفعلن.

﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ وتاء التقوىء مبدلة من واو، وواوها مبدلة من ياء؛ لأنه من وقيت.

البلاغة

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ﴾؛ أي: ليرضعن، فالآية خبر بمعنى الأمر أتى به بلفظ الخبر مبالغة في الحث على تحقيقه، كما مر نظيره في قوله: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾.

﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾: فيه لطيفة، وهو: أنه لما كلف بمؤن المرضعة لولده من الرزق والكسوة.. ناسب أن يسلي بأن ذلك الولد هو ولد لك لا لأمه، وأنك الذي تنتفع به في التناصر وتكثير العشيرة، وأن لك عليه الطواعية كما كان عليك لأجله كلفة الرزق والكسوة لمرضعته.

﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ وإنما أتى بالجملتين فعليتين، وأدخل عليهما حرف النفي الذي هو ﴿لا﴾ للموضوع للاستقبال غالباً؛ لأن تكليف النفس فوق الطاقة، ومضارة أحد الزوجين الآخر مما يتجدد كل وقت.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيه مبالغة في المحافظة على ما شرع في أمر الأطفال والمراضع.

وفي هذه الآية ضروب من البيان والبديع[1]:

منها: تلوين[2] الخطاب ومعدوله في قوله: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ﴾ فإنه خبر معناه الأمر على قول الأكثر والتأكيد بـ﴿كَامِلَيْنِ﴾، والعدل عن رزق الأولاد إلى رزق أمهاتهم؛ لأنهن سبب توصل ذلك، والإيجار في قوله: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾، وتلوين الخطاب في قوله: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ فإنه خطاب للآباء

---

(١) البحر المحيط.

(٢) **التلوين**: تغيير أسلوب الكلام إلى أسلوب آخر.

والأمهات، ثم قال: ﴿إِذَا سَلَّمْتُم﴾ وهو خطاب للآباء خاصة.

ومنها: الحذف في قوله: ﴿أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟﴾ التقدير: مراضع للأولاد، وفي قوله: ﴿إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.

﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ ذكر العزم للمبالغة في النهي عن مباشرة النكاح، فإذا نهى عنه كان النهي عن الفعل من باب أولى.

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا...﴾ الآية، تضمنت هذه الآية ضروباً من البديع(١):

منها: معدول الخطاب: وهو أن الخطاب بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ عام، والمعنى على الخصوص.

ومنها: النسخ: إذ هي ناسخة للحول على قول الأكثرين.

ومنها: الاختصاص: وهو أن يخص عدداً، فلا يكون ذلك إلا لمعنى، وذلك في قوله: ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾.

ومنها: الكناية في قوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ كنى بالسر عن النكاح؛ وهي من أبلغ الكنايات.

ومنها: التعريض في قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾.

ومنها: التهديد بقوله: ﴿فَٱحْذَرُوهُ﴾.

ومنها: الزيادة في الوصف بقوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

---

(١) البحر المحيط.

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا
أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ
يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا وَصِيَّةٗ لِّأَزۡوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ غَيۡرَ إِخۡرَاجٖۚ فَإِنۡ خَرَجۡنَ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِي مَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعۡرُوفٖۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٤٠﴾
وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ
تَعۡقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ
ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾
وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا
فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ...﴾ الآية، والذي[1] يظهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه تعالى لمّا ذكر جملة كثيرة من أحوال الأزواج والزوجات، وأحكامهم في النكاح والوطء والإيلاء، والطلاق والرجعة والإرضاع، والنفقة والكسوة والعدد، والخطبة والمتعة والصداق والتشطير، وغير ذلك، وكانت تكاليف عظيمة تشغل من كلفها أعظم شغل بحيث لا يكاد يسع معها شيء من الأعمال، وكان كل من الزوجين قد أوجب عليه للآخر ما يستفرغ فيه الوقت، ويبلغ منه الجهد، وأمر كلاً منهما بالإحسان إلى الآخر حتى في حالة الفراق، وكانت مدعاة إلى التكاسل عن الاشتغال بالعبادة إلا لمن وفقه الله تعالى.. أمر تعالى بالمحافظة على الصلوات التي هي الوسيلة العظمى بين الله وبين عبده، وإذا كان قد أمر بالمحافظة على أداء حقوق الآدميين.. فلأن يؤمر بأداء حقوق الله تعالى أولى وأحق، ولذلك جاء: فدين الله أحق أن يقضى، فكأنه قيل: لا يشغلنكم التعلق بالنساء وأحوالهن عن أداء ما فرض الله عليكم، فمع

(١) البحر المحيط.

تلك الأشغال العظيمة لا بد من المحافظة على الصلاة حتى في حالة الخوف، فلا بد من أدائها رجالاً أو ركباناً، وإن كانت حالة الخوف أشد من حالة الاشتغال بالنساء، فإذا كانت هذه الحالة الشاقة جداً لا بد معها من الصلاة.. فأحرى ما هو دونها من الأشغال المتعلقة بالنساء.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ ...﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه تعالى متى ذكر شيئاً من الأحكام التكليفية.. أعقب ذلك بشيء من القصص على سبيل الاعتبار للسامع، فيحمله ذلك على الانقياد، وترك العناد، وكان تعالى قد ذكر أشياء من أحكام الموتى ومن خلفوا، فأعقب ذلك بذكر هذه القصة العجيبة، وكيف أمات الله هؤلاء الخارجين من ديارهم، ثم أحياهم في الدنيا.

وقيل: مناسبة هذه الآية لما قبلها: هو أنه تعالى لمّا ذكر ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾.. ذكر هذه القصة، لأنها من عظيم آياته وبدائع قدرته.

قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ مناسبتها لما قبلها: أنه تعالى لمّا ذكر في الآية السابقة قصة الأمم الماضية وفرارهم من الموت.. ذكر هذه الآية مخاطباً لهذه الأمة بالجهاد في سبيل الله، ومنبهاً لهم على أن لا يفروا من الموت كفرار أولئك، وتشجيعاً لهم وتثبيتا.

قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه تعالى لمّا أمر بالقتال في سبيل الله، وكان ذلك مما يفضي إلى بذل النفوس والأموال في إعزاز دين الله.. أثنى على من بذل شيئاً من ماله في طاعة الله، وكان هذا أقل حرجاً على المؤمنين؛ إذ ليس فيه إلا بَذْلُ المال دون النفس، فأتى بهذه الجملة الاستفهامية المتضمنة معنى الطلب.

قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ...﴾ الآية، أخرج[1] أحمد والبخاري في «تاريخه» وأبو داود والبيهقي وابن جرير عن زيد بن ثابت رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي الظهر بالهاجرة، وكانت أثقل الصلاة على أصحابه، فنزلت: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ...﴾.

وأخرج أحمد والنسائي، وابن جرير عن زيد بن ثابت رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي الظهر بالهجير، فلا يكون وراءه إلا الصف والصفان، والناس في قائلتهم وتجارتهم، فأنزل الله: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ...﴾.

وأخرج الأئمة الستة وغيرهم عن زيد بن أرقم قال: كنا نتكلم على عهد رسول الله ﷺ في الصلاة، يكلم الرجل منا صاحبه، وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام. وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: كانوا يتكلمون في الصلاة، وكان الرجل يأمر أخاه بالحاجة، فأنزل الله: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ...﴾.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا...﴾ الآية، أخرج إسحاق بن راهويه في «تفسيره» عن مقاتل بن حبان: أن رجلاً من أهل الطائف قدم المدينة، وله أولاد رجال ونساء، ومعه أبواه وامرأته، فمات بالمدينة، فرفع ذلك إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأعطى أولاده بالمعروف، ولم يعط امرأته شيئاً غير أنهم أمروا أن ينفقوا عليها من تركة زوجها إلى الحول، وفيه نزلت: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا...﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ...﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: لما نزلت: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قال رجل: إن أحسنت فعلت، وإن لم أرد ذلك لم أفعل، فأنزل

(١) لباب النقول.

الله: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا..﴾ الآية، روى ابن حبان في «صحيحه»، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عمر قال: لما نزلت: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ...﴾ إلى آخرها.. قال رسول الله ﷺ: رب زد أمتي فنزلت: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾.

التفسير وأوجه القراءة

﴿حَٰفِظُوا۟﴾؛ أي: واظبوا وداوموا أيها المؤمنون ﴿عَلَى﴾ أداء ﴿ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ الخمس في أوقاتها بأركانها وشروطها وسننها وآدابها، وهذه المحافظة التي هي المفاعلة تكون بين العبد والرب، كأنه قيل له: احفظ الصلاة ليحفظك الإله الذي أمرك بالصلاة، وتكون أيضاً بين المصلي والصلاة، فكأنه قيل: احفظ الصلاة حتى تحفظك ﴿و﴾ حافظوا على ﴿الصلاة الوسطى﴾؛ أي: الفضلى، تأنيث الأوسط بمعنى الأفضل، وهي من الوسط الذي بمعنى الخيار، وليست من الوسط الذي معناه المتوسط، وأفردها بالذكر اهتماماً بشأنها، لفضلها على غيرها كليلة القدر، فهي أفضل الليالي. وإنما أتى بهذه الآية في خلال ما يتعلق بالأزواج والأولاد تنبيهاً على أنه لا ينبغي للعبد أن يشتغل عن حقوق سيده بأمر الأزواج والأولاد. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾.

وقد اختلف العلماء من الصحابة فمن بعدهم في الصلاة الوسطى على مذاهب:

الأول: أن الصلاة الوسطى هي صلاة الفجر؛ وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس ومعاذ وجابر وعطاء وعكرمة ومجاهد وغيرهم، وبه قال مالك والشافعي رضي الله عنهم أجمعين.

المذهب الثاني: أنها صلاة الظهر؛ وهو قول زيد بن ثابت وأسامة بن زيد وأبي سعيد الخدري، ورواية عن عائشة، وبه قال عبد الله بن شداد، وهو رواية عن أبي حنيفة.

والمذهب الثالث: أنها صلاة العصر وهو قول علي وابن مسعود وأبي أيوب وأبي هريرة وابن عمر وابن عباس وأبي سعيد الخدري، وعائشة رضي الله عنهم، وهو قول أبي عبيدة السلماني والحسن البصري وإبراهيم النخعي وقتادة والضحاك، وبه قال أبو حنيفة وأحمد وداود وابن المنذر، وقال الترمذي: هو قول أكثر الصحابة فمن بعدهم، وقال الماوردي ـ من أصحاب الشافعية ـ: هذا مذهب الشافعي؛ لصحة الأحاديث فيه قال: وإنما نص الشافعي على أنها الصبح؛ لأنه لم تبلغه الأحاديث الصحيحة في العصر، ومذهبه اتباع الحديث.

ويدل على صحة هذا المذهب: ما روي عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال يوم الأحزاب: ـ وفي رواية يوم الخندق ـ «ملأ الله قلوبهم وبيوتهم ناراً كما شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر» و ذكر نحوه، وزاد في أخرى «ثم صلاها بين المغرب والعشاء». أخرجاه في «الصحيحين» وفي مصحف عائشة وحفصة في قراءة تفسيرية شاذة: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر﴾ وهذا هو المذهب الحق الراجح.

والمذهب الرابع: أنها صلاة المغرب قاله قبيصة بن ذؤيب.

والمذهب الخامس: أنها صلاة العشاء ولم ينقل عن أحد من السلف فيها شيء، وإنما ذكرها بعض المتأخرين.

والمذهب السادس: أنها إحدى الصلوات الخمس لا بعينها، فأبهمها الله تعالى تحريضاً للعباد في المحافظة على أداء جميعها، كما أخفى ليلة القدر في شهر رمضان، وأخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة.

وإذا تقرر لك هذا[1]، وعرفت ما سقناه.. تبين لك أنه لم يرد ما يعارض أن الصلاة الوسطى صلاة العصر، وأما حجج بقية الأقوال: فليس فيها شيء مما ينبغي الاشتغال به؛ لأنه لم يثبت عن النبي ﷺ في ذلك شيء، وبعض القائلين

---

(١) الشوكاني.

بها عول على أمر لا يعول عليه، فقال: إنها صلاة كذا؛ لأنها وسطى بالنسبة إلى أن ما قبلها كذا من الصلوات، وبعدها كذا من الصلوات، وهذا الرأي المحض والتخمين البحت لا ينبغي أن تسند إليه الأحكام الشرعية على فرض عدم وجود ما يعارضه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فكيف مع وجود ما هو في أعلى درجات الصحة والقوة والثبوت عن رسول الله ﷺ، وبالله العجب من قوم لم يكتفوا بتقصيرهم في علم السنة وإعراضهم عن خير العلوم وأنفعها حتى كلفوا أنفسهم التكلم على أحكام الله، والتجري على تفسير كتاب الله بغير علم ولا هدى، فجاؤوا بما يضحك منه تارة، ويبكي منه أخرى.

﴿وَقُومُواْ﴾ في الصلاة مخلصين ﴿لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾؛ أي: ساكنين فيها، ويدل لهذا المعنى حديث زيد بن أرقم في «الصحيحين» وغيرهما قال: كان الرجل يكلم صاحبه في عهد رسول الله ﷺ في الحاجة في الصلاة حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ فأمرنا بالسكوت، وقيل: مطيعين لقوله ﷺ: «كل قنوت في القرآن فهو طاعة». رواه أحمد وغيره، وقيل: ذاكرين، وقيل: داعين مواظبين على خدمة الله تعالى، وقد ذكر أهل العلم للقنوت ثلاثة عشر معنى، والمتعين هنا حمله على السكوت؛ للحديث المذكور.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ من عدو أو سبع مثلاً، ولم يمكنكم أن تصلوا قانتين موفين حقوق الصلاة من إتمام الركوع والسجود، والخضوع والخشوع؛ لخوف عدو أو غيره ﴿فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾؛ أي: فصلّوا حالة كونكم رجالاً؛ أي: ماشين على أرجلكم، أو حالة كونكم ركباناً؛ أي: راكبين على دوابكم حيثما توجهتم مستقبلي القبلة وغير مستقبليها، وهذا في حال المقاتلة والمسايفة في وقت الحرب.

وصلاة الخوف قسمان:

أحدهما: أن يكون في حال القتال؛ وهو المراد في هذه الآية.

وقسم في غير حال القتال، وهو المذكور في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وسيأتي الكلام عليها إن شاء الله تعالى في موضعه، وقرأ عكرمة وأبو مجلز ﴿فرجالاً﴾ بضم الراء وتشديد الجيم، وروي

عن عكرمة التخفيف مع ضم الراء، وقرىء ﴿فرُجَّلا﴾ بضم الراء وفتح الجيم مشددة بغير ألف وقرىء: ﴿فرَجْلا﴾ بفتح الراء وسكون الجيم ـ وقرأ بديل بن ميسرة: ﴿فرجالا فركبا﴾ بالفاء جمع راكب وما عدا قراءة الجمهور شاذة: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾؛ أي: فإذا زال عنكم الخوف ورجاء الأمن، أو لم يكن أصلاً ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: فصلّوا الصلوات الخمس تامة بأركانها وشروطها وسننها، وعبر عن الصلاة بالذكر لاشتمالها ﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: لأجل تعليمه إياكم ما لم تكونوا تعلمون قبل بعثة محمد ﷺ من الشرائع. وكيفية الصلاة في حالتي الأمن والخوف، ففيه إشارة إلى إنعام الله تعالى علينا بالعلم، ولولا هدايته وتعليمه إيانا.. لم نعلم شيئاً، ولم نصل إلى معرفة شيء، فله الحمد على ذلك. فالأظهر جعل الكاف في الآية تعليلية، و﴿ما﴾ مصدرية كما أشرنا إليه في الحل.

ثم قال تعالى مبينا أحكام العدة: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ قرأ: ﴿وَصِيَّةً﴾ ـ بالنصب ـ أبو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم، والمعنى على هذا: والذين قاربوا الموت من رجالكم، ويتركون أزواجاً.. فليوصوا وصية لأزواجهم أن يمتعن بالنفقة والكسوة والسكنى إلى تمام الحول من موت الزوج حالة كونهن غير مخرجات من سكنهن، وقرأ: ﴿وصيّة﴾ بالرفع، وابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر والكسائي على أنه مبتدأ محذوف الخبر، والمعنى على هذا: والذين يقربون الوفاة من رجالكم، ويتركون أزواجاً.. فعليهم وصية لأزواجهم ما يمتعن به من النفقة والكسوة والسكنى إلى تمام الحول حالة كونهن غير مخرجات من سكنهن، وقرأ أبّي شذوذاً ﴿متاع لأزواجهم متاعاً إلى الحول﴾. ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ عن منزل الأزواج باختيارهن قبل الحوف ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾؛ أي: فلا حرج ولا إثم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ يا أولياء الميت ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ﴾؛ أي: بسبب ما فعلن في أنفسهن من التعرض للخطاب والتزين لهم ﴿مِن مَّعْرُوفٍ﴾؛ أي: مما هو معروف في الشرع غير منكر، وفي هذا دليل على أن النساء كن مخيرات في سكنى الحول، وليس ذلك بحتم عليهن.

ولرفع الحرج عن الورثة وجهان[1]:

أحدهما: أنه لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهن إذا خرجن قبل انقضاء الحول.

والوجه الثاني: لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج؛ لأن مقامها في بيت زوجها حولاً غير واجب عليها، خيرها الله تعالى بين أن تقيم في بيت زوجها حولاً، ولها النفقة والسكنى، وبين أن تخرج ولا نفقة لها ولا سكنى، ثم نسخ الله ذلك بأربعة أشهر وعشر.

واعلم: أنه دلت هذه الآية على مجموع أمرين:

أحدهما: أن لها النفقة والسكنى من مال زوجها سنة.

والثاني: أن عليها عدة سنة، ثم إن الله تعالى نسخ هذين الحكمين، أما الوصية بالنفقة والكسوة والسكنى: فنسخ بآية الميراث، فجعل لها الربع أو الثمن عوضاً عن النفقة والسكنى، ونسخ عدة الحول بأربعة أشهر وعشر.

فإن قلت: كيف نسخت الآية المتقدمة المتأخرة؟

قلتُ: قد تكون الآية المتقدمة متقدمة في التلاوة متأخرة في النزول، كقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ مع قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾.

فإن قلت[2]: لِمَ نكَّر ﴿مَّعْرُوفٍ﴾ هنا، وعرَّفه فيما سبق ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾؟

قلتُ: لأن ما هنا سابق في النزول، فلم يسبق له عهد حتى يعرف، وما سبق متأخر عن هذا، فسبق له عهد، فعرف فما سبق هو عين ما هنا على القاعدة المشهورة عند البلغاء. ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾؛ أي: غالب قوي في انتقامه ممن خالف أمره ونهيه، وتعدى حدوده.

﴿حَكِيمٌ﴾ فيما شرع وبين لعباده من الشرائع والأحكام، يراعي مصالحهم في أحكامه.

---

(١) الخازن. (٢) الجمل.

﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ﴾ اللواتي لم يجب لهن نصف المهر فقط بأن وجب لها كل المهر؛ وهي المدخول بها، ولم يجب لها شيء أصلاً، وهي المزوجة تفويضاً إذا طلقت قبل فرض مهر لها، وقبل الدخول، وهذه هي المذكورة سابقاً بقوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ﴾. ﴿مَتَٰعٌۢ﴾؛ أي: متعة مقدرة ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ﴾ شرعاً؛ أي: مقدرة بقدر حال الزوجين وما يليق بهما، وضابطها أن الواجب فيها ما اتفق عليه الزوجان، ولا حد لقدرها، لكن يسن أن لا تنقص عن ثلاثين درهما، فإن اختلفا في قَدْرها، قَدَّرَها القاضي مراعياً في تقديرها حال الزوجين، وإنما كرر قوله: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ﴾ وأعاد حكم المتعة هنا؛ ليعم هنا الموطوءة وغيرها؛ لأن ما سبق في غير الموطوءة فقط، فهو من ذكر العام بعد الخاص ﴿حَقًّا﴾؛ أي: حق ذلك المتاع حقاً؛ أي: وجب وجوباً. ﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: على المؤمنين الذين يتقون الشرك، أو عقاب الله بمخالفة أمره؛ أي: واجب عليهم إمتاع المطلقات بقدر استطاعتهم جبراً لوحشة الفراق، فأثبت تعالى بهذه الآية المتعة للمطلقات جميعاً بعد ما أوجبها لواحدة منهن.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما بين لكم ما ذكر من أحكام المطلقات والعدد ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾؛ أي: يبين الله لكم ما تحتاجون إليه معاشاً ومعاداً من معالم دينه ودلائل أحكامه ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ أي: لكي تعقلوا وتفهموا ما بينت لكم من الفرائض والأحكام، وما فيه صلاحكم وصلاح دينكم، وتعملوا بموجبها، ثم ذكر سبحانه وتعالى قصة غزاة بني إسرائيل، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟﴾ وقرأ السلمي: ﴿ألم ترْ﴾ بسكون الراء، قالوا: على توهم أن الراء آخر الكلمة، ويجوز أن يكون من إجراء الوصل مجرى الوقف، وقد جاء في القرآن كإثبات ألف ﴿الظنونا﴾ و﴿السبيلا﴾ و﴿الرسولا﴾؛ أي: ألم ينته ويصل علمك يا محمد، أو أيها المخاطب إلى حال القوم الذين خرجوا ﴿مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ وأوطانهم ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ كثيرة: أربعة أو ثمانية أو عشرة أو ثلاثون أو أربعون أو سبعون ألفاً ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾؛ أي: خوفاً من الموت وفراراً منه، والغرض من هذا الاستفهام: التعجيب والتشويق إلى سماع قصتهم ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟﴾ فماتوا ﴿ثُمَّ﴾ بعد

ثمانية أيام ﴿أَحْيَاهُمْ﴾ الله تعالى بدعاء نبيهم حزقيل، فعاشوا دهراً عليهم أثر الموت لا يلبسون ثوباً إلا عاد كالكفن، وبقي ذلك في أولادهم إلى اليوم، وهم قوم من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد، فهربوا خوفاً من الموت، فأماتهم الله ثمانية أيام، ثم أحياهم بدعوة نبيهم حزقيل، فعاشوا بعد ذلك دهراً، وقيل: هم قوم من بني إسرائيل هربوا من الطاعون، فأماتهم الله تعالى وكان[1] في إحيائهم عبرة ودليل قاطع على وقوع المعاد الجسماني يوم القيامة، وفي هذه القصة: عبرة على أنه لا يغني حذر من قدر، وأنه لا ملجأ من الله إلا إليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ﴾ وإحسان عظيم ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ جميعاً، أما[2] هؤلاء الذين خرجوا من ديارهم فلكونه أحياهم ليعتبروا، وأما المخاطبون فلكونه قد أرشدهم إلى الاعتبار والاستبصار بقصة هؤلاء ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ هم الكفار ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ استدراك على ما تضمنه قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ تقديره: إن الله لذو فضل كثير على الناس بالإيجاد والرزق، فيجب عليهم أن يشكروا تفضله وإحسانه، ولكن أكثرهم غير شاكرين فضله تعالى كما ينبغي، أما الكفار فلم يشكروا أصلاً، وأما المؤمنون فلم يبلغوا غاية شكره، وهذه القصة تدل على أن الحذر من الموت لا يفيد، فهذه القصة تشجع الإنسان على الإقدام على طاعة الله تعالى كيف كان، وتزيل عن قلبه الخوف من الموت، فكان ذكر هذه القصة فضلاً وإحساناً من الله تعالى على عبيده؛ لأن ذكر هذه القصة سبب لبعد العبد عن المعصية وقربه من الطاعة.

﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قيل: هو خطاب للذين أحياهم، فعلى هذا القول في الكلام محذوف تقديره: ثم أحياهم الله، فقال لهم: قاتلوا في سبيل الله، وقيل: هو خطاب لأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ومعناه: لا تهربوا من الموت كما هرب هؤلاء، فلم ينفعهم ذلك؛ أي: قاتلوا في طاعة الله مع عدوكم؛ أي: لإعلاء دينه لا لغنيمة ولإظهار شجاعة، وسميت[3] العبادات سبيلاً إلى الله

---

(١) ابن كثير.
(٢) الشوكاني.
(٣) المراح.

تعالى من حيث أن الإنسان يسلكها، ويتوصل إلى الله بها، ومعلوم أن الجهاد تقوية للدين، فكان طاعة، فلا شك أن المجاهد مقاتل في سبيل الله.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لكلامكم في ترغيب الغير في الجهاد، وفي تنفير الغير عنه. ﴿عَلِيمٌ﴾ بما في صدوركم من البواعث والأغراض، وأن ذلك الجهاد لغرض الدين، أو لغرض الدنيا.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ﴾ ويسلفه ﴿قَرۡضًا حَسَنًا﴾؛ أي: إقراضاً حسناً طيباً مقروناً بالإخلاص لا لرياء وسمعة، أو مقرضاً حلالاً طيباً ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ﴾؛ أي: فيضاعف الله جزاءه وأجره له؛ أي: لذلك المنفق ﴿أَضۡعَافًا كَثِيرَةً﴾ كثرة لا يعلم قدرها إلا الله سبحانه وتعالى. قرأ أبو عمرو ونافع وحمزة والكسائي ﴿فيضاعفُه﴾ بالألف والرفع، وقرأ عاصم: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ بالألف والنصب، وقرأ ابن كثير: ﴿فيضعِّفُه﴾ بالتشديد والرفع بلا ألف، وقرأ ابن عامر: ﴿فيضعِّفَه﴾ بالتشديد والنصب، والمعنى: من الذي يبذل ماله وينفقه في سبيل الخير ابتغاء وجه الله ولإعلاء كلمة الله في الجهاد وسائر طرق الخير، فيكون جزاؤه أن يضاعف الله تعالى له ذلك القرض أضعافاً كثيرة؛ لأنه قرض لأغنى الأغنياء رب العالمين جل جلاله، وهذا من تنزلات المولى لعباده حيث خاطبهم مخاطبة المحتاج المضطر مع أنه غني عنهم رحمة بهم على حد: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ وسماه هنا قرضاً، وفي آية براءة بيعاً، وفي الحقيقة لا بيع ولا قرض؛ لأن الملك كله له سبحانه، وحينئذ فليست مضاعفته على ذلك رباً؛ لأنه لا تجري أحكام الربابين السيد وعبده الحادثين لملكه له صورة، فأولى بين السيد المالك القديم وعبده الذليل الضعيف الذي لا يملك شيئاً أصلاً، فمن إحسانه عليه خلق ونسب إليه، بل هذا[1] تأنيس وتقريب للناس بما يفهمونه، والله هو الغني الحميد، شبه عطاء المؤمن ما يرجو ثوابه في الآخرة بالقرض كما شبه إعطاء النفوس والأموال في أخذ الجنة بالبيع والشراء ﴿وَٱللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿يَقۡبِضُ﴾؛ أي: يمسك الرزق عمن يشاء، ويضيق عليه ابتلاء هل يصبر أم لا؟ ﴿وَيَبۡصُۜطُ﴾ يقرأ بالسين، وهو الأصل،

(١) الشوكاني.

وبالصاد على إبدالها من السين؛ لتجانس الطاء في الاستعلاء؛ أي: يوسع لمن يشاء امتحاناً هل يشكر أم لا؛ أي: أن الإنفاق لا يقبض الرزق، وعدمه لا يبسطه، بل القابض والباسط هو الله سبحانه وتعالى، أو المعنى: والله يقبض بعض القلوب حتى لا تقدم على هذه الطاعة، ويبسط بعضها حتى يقدم على هذه الطاعة ﴿وَإِلَيْهِ﴾ سبحانه وتعالى لا إلى غيره ﴿تُرْجَعُونَ﴾ يوم القيامة، فيجازيكم على أعمالكم، فيثيب المنفق ويعذب الممسك.

الإعراب

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾.

﴿حَٰفِظُواْ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة ﴿عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿حافظوا﴾. ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ معطوف على الصلوات. ﴿ٱلْوُسْطَىٰ﴾: صفة لـ﴿لصلاة﴾، ﴿وَقُومُواْ﴾: الواو: عاطفة. ﴿قوموا﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿حَٰفِظُواْ﴾. ﴿لِلَّهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿قوموا﴾. ﴿قَٰنِتِينَ﴾: حال من فاعل ﴿قوموا﴾.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾:

﴿فَإِنْ﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر؛ تقديره: إذا عرفتم وجوب المحافظة على الصلوات، وأردتم بيان كيفية فعلها في حالة الخوف.. فأقول لكم: ﴿إن خفتم﴾ ﴿إن﴾: حرف شرط جازم. ﴿خِفْتُمْ﴾: فعل وفاعل في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونها فعل شرط لها. ﴿فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب الشرط المحذوف تقديره: فصلوا رجالاً، ﴿صلوا﴾: فعل وفاعل في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية ﴿رجالاً﴾: حال من فاعل ﴿صلوا﴾. ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾: معطوف عليه، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة.

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَإِذَآ﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر

تقديره: إذا عرفتم كيفية صلاة الخوف، وأردتم بيان حكم ما إذا زال الخوف.. فأقول لكم: ﴿إذا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿أَمِنتُمْ﴾: فعل وفاعل في محل الخفض بإضافة ﴿إذا﴾ إليها على كونها فعل شرط لها. ﴿فَاذْكُرُوا﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إذا﴾ وجوباً. ﴿اذكروا الله﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة جواب ﴿إذا﴾ لا محل لها من الإعراب، والظرف متعلق به، وجملة ﴿إذا﴾ في محل النصب مقول لجواب ﴿إذا﴾ المقدرة. ﴿كَمَا عَلَّمَكُم﴾: ﴿الكاف﴾: حرف جر وتعليل. ﴿ما﴾: مصدرية. ﴿عَلَّمَكُم﴾: فعل ومفعول أول، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهَ﴾، ﴿مَّا لَمْ تَكُونُوا﴾. ﴿ما﴾ موصولة، أو موصوفة في محل النصب مفعول ثان. ﴿لَمْ﴾: حرف نفي وجزم، ﴿تَكُونُوا﴾: فعل ناقص واسمه مجزوم بـ﴿لم﴾، وجملة ﴿تَعْلَمُونَ﴾ في محل النصب خبر ﴿تَكُونُوا﴾ تقديره: ما لم تكونوا عالمين، وجملة ﴿تَكُونُوا﴾ صلة لـ﴿ما﴾ أو صفة لها، والعائد أو الرابط الضمير المحذوف من ﴿تَعْلَمُونَ﴾ وجملة ﴿عَلَّمَكُم﴾ صلة ﴿مَا﴾ المصدرية ﴿مَا﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بالكاف التعليلية المتعلقة باذكروا تقديره: فاذكروا الله لتعليمه إياكم ما لم تكونوا تعلمونه قبل بعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وقبل نزول القرآن.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِم﴾.

﴿وَالَّذِينَ﴾ الواو: استئنافية. ﴿الذين﴾: مبتدأ، ﴿يُتَوَفَّوْنَ﴾: فعل مغيَّر ونائب فاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الغائب. ﴿مِنكُمْ﴾: جار ومجرور حال من ضمير الغائب. ﴿وَيَذَرُونَ﴾: معطوف على جملة الصلة. ﴿أَزْوَاجًا﴾: مفعول به. ﴿وَصِيَّةً﴾ بالنصب مفعول مطلق لفعل محذوف هو خبر المبتدأ تقديره: فليوصوا وصية، وعلى قراءة الرفع ﴿وصية﴾: مبتدأ خبره محذوف تقديره: فعليهم وصية، والجملة الاسمية خبر المبتدأ الذي هو الموصول أيضاً، والجملة من المبتدأ والخبر مستأنفة استئنافاً نحوياً. ﴿لِأَزْوَاجِهِم﴾: جار ومجرور ومضاف إليه صفة لـ﴿وصية﴾ تقديره: وصية كائنة لأزواجهم.

﴿مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾.

﴿مَتَـٰعًا﴾: منصوب إما على إضمار فعل من لفظه؛ أي: متعوهن متاعاً، أو من غير لفظه؛ أي: جعل الله لهن متاعاً، وجوزوا أن يكون ﴿مَتَـٰعًا﴾ صفة لـ﴿وصية﴾، أو بدلاً منها، أو حالاً من الموصين؛ أي: ممتعين أو ذوي متاع. ﴿إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿متاعا﴾. ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾: حال من الأزواج ومضاف إليه؛ أي: غير مخرجات، أو حال من الموصين؛ أي: غير مخرجين، وجوزوا أن يكون صفة لـ﴿متاعاً﴾ أو بدلاً منه.

﴿فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿فَإِنْ﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفتم أنها غير مخرجات، وأردتم حكم ما إذا خرجن بأنفسهن.. فأقول لكم: ﴿إن﴾: حرف شرط جازم. ﴿خَرَجْنَ﴾: فعل وفاعل في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية. ﴿فَلَا﴾ ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب إن الشرطية وجوباً، ﴿لا﴾: نافية تعمل عمل إن، ﴿جُنَاحَ﴾: في محل النصب اسمها. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: جار ومجرور خبرها، وجملة ﴿لا﴾ في محل الجزم بـ﴿إن﴾ على كونها جواباً لها، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿فيما﴾: جار ومجرور متعلق بالاستقرار الذي تعلق به خبر ﴿لا﴾. ﴿فَعَلْنَ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة لـ﴿ما﴾ أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: فيما فعلنه. ﴿فِىٓ أَنفُسِهِنَّ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿فعلن﴾، ﴿مِن مَّعْرُوفٍ﴾: جار ومجرور حال من الضمير المحذوف من ﴿معلن﴾ أو من ﴿ما﴾ الموصولة. ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: استئنافية. ﴿اللَّه﴾: مبتدأ. ﴿عَزِيزٌ﴾: خبر أول. ﴿حَكِيمٌ﴾: خبر ثان، والجملة مستأنفة.

﴿وَلِلْمُطَلَّقَـٰتِ مَتَـٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾.

﴿وَلِلْمُطَلَّقَـٰتِ﴾ الواو: استئنافية. ﴿للمطلقات﴾: جار ومجرور خبر مقدم، ﴿مَتَـٰعٌۢ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة مستأنفة، ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿مَتَـٰعٌۢ﴾. ﴿حَقًّا﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره: حق ذلك حقاً. ﴿عَلَى

﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾: جار ومجرور متعلق بعامل المصدر المحذوف.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور صفة لمصدر محذوف تقديره: تبييناً كائناً كالتبيين الذي ذكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يبين﴾، ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: ﴿لعل﴾: حرف تعليل ونصب بمعنى كي، والكاف اسمها، وجملة ﴿تَعْقِلُونَ﴾ خبرها، وجملة ﴿لعل﴾ في محل الجر بلام التعليل المقدرة تقديره: يبين الله لكم آياته تبييناً كائناً كذلك لتدبركم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾.

﴿أَلَمْ﴾ ﴿الهمزة﴾ للإستفهام التعجبي، أو الإقراري، والاستفهام التعجبي: هو إيقاع المخاطب في أمر عجيب غريب. ﴿لم﴾: حرف نفي وجزم. ﴿تَرَ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لم﴾، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، وهي الألف، والفتحة قبلها دليل عليها، وفاعله ضمير مستتر فيه تقديره: أنت يعود على محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أو إلى أي مخاطب، وإنما عداه هنا بإلى؛ لأن معناه: ألم ينته علمك إلى كذا، والرؤية هنا بمعنى العلم، والجملة مستأنفة ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تر﴾، ﴿خَرَجُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الفاعل. ﴿مِن دِيَٰرِهِمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿خرجوا﴾. ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة حال من فاعل ﴿خَرَجُوا۟﴾، ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾: مفعول لأجله ومضاف إليه، والعامل فيه ﴿خَرَجُوا۟﴾.

﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿فَقَالَ﴾ ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتعقيب، ﴿قال﴾: فعل ماض$. ﴿لَهُمُ﴾: متعلق به. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿خَرَجُوا۟﴾. ﴿مُوتُوا۟﴾: مقول محكي، أو فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿ثُمَّ

أَحْيَاهُمْ﴾: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وترتيب ومهلة. ﴿أَحْيَاهُمْ﴾: فعل ومفعول، والفاعل ضمير يعود على ﴿اللَّهَ﴾، والجملة معطوفة على محذوف تقديره: فقال لهم الله موتوا، فماتوا ثم أحياهم. ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب، ﴿اللَّهَ﴾: اسمها، ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿ذو﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾، ﴿فَضْلٍ﴾: مضاف إليه وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة. ﴿عَلَى النَّاسِ﴾: متعلق بمحذوف صفة لـ﴿فضل﴾، أو متعلق بـ﴿فضل﴾، ﴿وَلَكِنَّ﴾: الواو: عاطفة، ﴿لكن﴾: حرف نصب واستدراك. ﴿أَكْثَرَ﴾ اسمها. ﴿النَّاسِ﴾: مضاف إليه. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَشْكُرُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الرفع خبر ﴿لكن﴾ تقديره: ولكن أكثر الناس غير شاكرين، والجملة جملة استدراكية لا محل لها من الإعراب، استدرك بها عن محذوف تقديره: فيجب عليهم شكره.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٤٤)﴾.

﴿وَقَاتِلُوا﴾ الواو: استئنافية. ﴿قاتلوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿قاتلوا﴾. ﴿وَاعْلَمُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿قاتلوا﴾. ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾: ﴿أَنَّ﴾: حرف نصب. ﴿اللَّهَ﴾: اسمها. ﴿سَمِيعٌ﴾: خبر أول، ﴿عَلِيمٌ﴾: خبر ثان، وجملة ﴿أَنَّ﴾ في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي ﴿اعلموا﴾ تقديره: واعلموا كون الله سميعاً عليماً.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾.

﴿مَنْ ذَا﴾: اسم استفهام مركب في محل الرفع مبتدأ. ﴿الَّذِي﴾: خبره، أو ﴿مَنْ﴾: اسم استفهام مبتدأ، ﴿ذَا﴾: اسم إشارة خبر المبتدأ ﴿الَّذِي﴾: بدل من اسم الإشارة، أو نعت له، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿يُقْرِضُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الموصول. ﴿اللَّهَ﴾: مفعول به، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الفاعل. ﴿قَرْضًا﴾: منصوب على المفعولية المطلقة. ﴿حَسَنًا﴾: صفته. ﴿فَيُضَاعِفَهُ﴾ بالنصب: ﴿الفاء﴾: عاطفة سببية ﴿يضاعف﴾: منصوب بأن مضمرة بعد الفاء السببية، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهَ﴾، والهاء مفعول به.

﴿لَهُۥٓ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يضاعف﴾. ﴿أَضْعَافًا﴾: حال من ضمير المفعول، أو منصوب على المفعولية المطلقة. ﴿كَثِيرَةً﴾: صفة له، وجملة ﴿يضاعف﴾ من الفعل والفاعل صلة أن المصدرية، أن مع صلتها في تأويل مصدر معطوف على مصدر متصيد من الجملة التي قبلها من غير سابك تقديره: من ذا الذي يكون منه قرض حسن فمضاعفة من الله له، وبالرفع فهو معطوف على جملة الصلة.

﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿وَٱللَّهُ﴾ الواو: استئنافية. ﴿اللَّه﴾: مبتدأ، وجملة ﴿يَقْبِضُ﴾ خبره، والجملة مستأنفة، وجملة ﴿وَيَبْصُۜطُ﴾ في محل الرفع معطوف على جملة ﴿يَقْبِضُ﴾، ﴿وَإِلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿ترجعون﴾، وجملة ﴿تُرْجَعُونَ﴾ من الفعل المغيّر ونائبه معطوفة على جملة قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ﴾ على كونها مستأنفة، أو معطوفة على جملة ﴿يَقْبِضُ﴾ على كونها خبر المبتدأ.

التصريف ومفردات اللغة

﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ الوسطى: مؤنث الأوسط بمعنى الفضلى مؤنث الأفضل، كما قال أعرابي يمدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

يَا أَوْسَطَ ٱلنَّاسِ طُرّاً فِيْ مَفَاخِرِهِمْ ... وَأَكْرَمَ ٱلنَّاسِ أُمّاً بَرَّةً وأَبَا

لا من الأوسط بمعنى المتوسط بين شيئين، وذلك لأن أفعل التفضيل لا يبنى إلا مما يقبل الزيادة والنقص، وكذلك فعل التعجب، فكل ما لا يقبل الزيادة والنقص.. لا يبنيان منه.

﴿فَرِجَالًا﴾ جمع راجل، يقال منه: رجل يرجل رجلاً إذا عُدم المركوب ومشى على قدميه، فهو راجل ورجل، ورجل على وزن رجل مقابل امرأة، ويجمع على رجُل ورجْل ورجال وأراجل وأرجيل.

﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾: جمع راكب، قيل: لا يطلق الراكب إلا على راكب الإبل، فأما راكب الفرس: ففارس، وراكب البغل والحمار: فبغّال وحمّار، الأجود صاحب بغل وحمار، وهذا بحسب اللغة، والمراد بهم هنا ما يعم الكل.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ﴾ الأصل[1] في ترى ترأى مثل يرعى إلا أن العرب اتفقوا على حذف الهمزة في المستقبل تخفيفاً، ولا يقاس عليه، وربما جاء في ضرورة الشعر على أصله، ولما حذف الهمزة.. بقي آخر الفعل ألفاً، فحذفت في الجزم والألف منقلبة عن ياء، وأما في الماضي: فلا تحذف الهمزة.

﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾: جمع ألف، والألف عدد معروف، وجمعه في القلة آلاف، وفي الكثرة ألوف، ويقال آلفت الدراهم، وآلفت هي، وقيل: ألوف جمع آلف كشاهد وشهود.

﴿قَرْضًا﴾ القرض: القطع بالسكين، ومنه سمي المقراض؛ لأنه يقطع به، وقال ابن كيسان: القرض أن تعطي شيئاً ليرجع إليه مثله، ومنه يقال: أقرضت فلاناً؛ أي: قطعت له قطعة من المال، والقرض: اسم مصدر لأقرض، والمصدر الإقراض، ويجوز أن يكون القرض هنا بمعنى: المقروض كالخلق بمعنى المخلوق، فيكون مفعولاً به.

﴿أَضْعَافًا﴾ جمع[2] ضعف، والضعف هو العين، وليس بالمصدر، والمصدر الأضعاف أو المضاعفة، فعلى هذا: يجوز أن يكون حالاً من الهاء في يضاعفه، ويجوز أن يكون مفعولاً ثانياً على المعنى؛ لأن معنى يضاعفه يصيره أضعافاً، ويجوز أن يكون جمع ضعف، والضعف اسم وقع موقع المصدر كالعطاء، فإنه اسم للمعطي، وقد استعمل بمعنى العطاء، فيكون انتصاب أضعافاً على المصدر.

البلاغة

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا﴾ وفي إيراد هذه[3] الشرطية بكلمة ﴿إن﴾ المنبئة عن عدم تحقق وقوع الخوف وقلته، وفي إيراد الشرطية الثانية بكلمة ﴿إذا﴾ المنبئة عن تحقق وقوع الأمن وكثرته مع الإيجاز في جواب الأولى، والإطناب في جواب الثانية من الجزالة ولطف الاعتبار ما فيه عبرة لأولي الأبصار.

---

(١) العكبري.

(٢) العكبري.

(٣) أبو السعود.

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: قال أبو حيان[1]: وفي هذه الآيات من بدائع البديع وصنوف الفصاحة:

منها: النقل من صيغة افعلوا إلى فاعلوا؛ للمبالغة، وذلك في قوله: ﴿حَٰفِظُواْ﴾.

ومنها: الاختصاص بالذكر في قوله: ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾.

ومنها: الطباق المعنوي في ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾؛ لأن التقدير في ﴿حَٰفِظُواْ﴾، وهو مراعاة أوقاتها وهيأتها إذا كنتم آمنين.

ومنها: الحذف في قوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ العدو، أو ما جرى مجراه، و في قوله: ﴿فَرِجَالًا﴾؛ أي: فصلوا رجالا، وفي قوله: ﴿وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم﴾ سواء رفع، أو نصب وفي قوله: ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾؛ أي: لهن من مكانهن الذي يعتددن فيه، وفي قوله: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ من بيوتهن من غير رضا منهن، وفي قوله: ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ﴾؛ أي: من ميلهن إلى التزويج أو الزينة بعد انقضاء المدة، وفي قوله: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: عادة أو شرعاً، وفي قوله: ﴿عَزِيزٌ﴾؛ أي: انتقامه، وفي قوله: ﴿حَكِيمٌ﴾؛ أي: في أحكامه، وفي قوله: ﴿حَقًّا﴾؛ أي: حق ذلك حقاً، وفي قوله: ﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: عذاب الله.

ومنها: التشبيه في قوله ﴿كَمَا عَلَّمَكُم﴾.

ومنها: التجنيس المماثل؛ وهو أن يكون بفعلين أو باسمين، وذلك في قوله: ﴿عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾.

ومنها: التجنيس المغاير في قوله: ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾، و﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾.

ومنها: المجاز في قوله: ﴿يُتَوَفَّوْنَ﴾؛ أي: يقاربون الوفاة.

ومنها: التكرار في قوله: ﴿مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ ثم قال: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ﴾ فيكون للتأكيد أن كان إياه، ولاختلاف المعنيين إن كان غيره.

---

(١) البحر المحيط.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وقد تضمنت هذه الآيات الكريمة من ضروب علم البيان، وصنوف البلاغة:

منها: الاستفهام الذي أجري مجرى التعجب في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ﴾.

ومنها: الحذف بين ﴿مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾؛ أي: فماتوا ثم أحياهم، وفي قوله: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: ملك اللّه بإذنه، وفي قوله: ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾؛ أي: لا يشكرونه، وفي قوله: ﴿سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأعمالكم، وفي قوله: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ فيجازي كلاً بما عمل.

ومنها: الطباق في قوله: ﴿مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾، وفي ﴿يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾.

ومنها: التكرار في قوله: ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾.

ومنها: الالتفات في قوله: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

ومنها: التشبيه بغير أداته في قوله: ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ شبه قبوله تعالى إنفاق العبد في سبيله ومجازاته عليه بالقرض الحقيقي، فأطلق اسم القرض عليه.

ومنها: الاختصاص بوصفه بقوله: ﴿حَسَنًا﴾.

ومنها: التجنيس المغاير في قوله: ﴿فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا﴾، وجمعه لاختلاف جهات التضعيف بحسب اختلاف الإخلاص، ومقدار القرض واختلاف أنواع الجزاء.

﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ وفي تأخير البسط[1] عن القبض في الذكر إيماء إلى أنه يعقبه في الوجود تسلية للفقراء.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

(١) الجمل.

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾.

المناسبة

مناسبة(١) هذه الآيات لما قبلها ظاهرة؛ وذلك أنه لما أمر المؤمنين بالقتال في سبيل الله، وكان قد قدم قبل ذلك قصة الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت إما بالقتال أو بالطاعون على سبيل التشجيع والتثبيت للمؤمنين، والإعلام بأنه لا يُنجي حذرٌ من قدر.. أردف ذلك بأن القتال كان مطلوباً مشروعاً في الأمم

---

(١) البحر المحيط.

السابقة، فليس من الأحكام التي خصصتم بها؛ لأن ما وقع فيه الاشتراك كانت النفس أميل لقبوله من التكليف الذي يكون يقع به الانفراد.

التفسير وأوجه القراءة

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ والاستفهام استفهام تعجيب وتشويق للسامع، والملأ من القوم وجوههم وأشرافهم، وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والنفر، ويجمع على أملاء كسبب وأسباب سمّوا بذلك؛ لأنهم يملؤون القلوب مهابة، والعيون حسناً وبهاء؛ أي: ألم ينته علمك يا محمد إلى قصة القوم الذين كانوا من بني إسرائيل حالة كونهم كائنين ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾ وفاة ﴿مُوسَىٰٓ﴾ عليه السلام ﴿إِذْ قَالُوا۟﴾؛ أي: حين قال أولئك الملأ ﴿لِنَبِىٍّ لَّهُمُ﴾ شمويل كما قاله وهب بن منبه، أو شمعون، أو يوشع بن نون كما قاله قتادة، وهذا القول ضعيف، أو حزقيل كما حكاه الكرماني، أو غيرهم كما قاله غيرهم، ولكن[1] معرفة حقيقة هذا النبي بعينه ليست مرادة من القصة، إنما المراد منها الترغيب في الجهاد، وذلك حاصل بلا معرفة عينه ﴿ٱبْعَثْ لَنَا﴾؛ أي: أقم وعين لنا ﴿مَلِكًا﴾؛ أي: أمير نرجع إليه ونعمل برأيه، ووله وأمره علينا ﴿نُّقَٰتِلْ﴾؛ أي: ننهض معه للقتال ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وطاعته ونقاتل بأمره عدونا ﴿نُّقَٰتِلْ﴾ بالنون والجزم على جواب الأمر، وبه قرأ الجمهور، وقرأ الضحاك وابن أبي عبلة شذوذاً ﴿يقاتل﴾ بالياء ورفع الفعل على أنه صفة للملك، وقرىء شذوذاً أيضاً ﴿نقاتلُ﴾ بالنون والرفع على أنه حال، أو كلام مستأنف.

وسبب سؤال بني إسرائيل نبيهم ذلك: أنه لما مات موسى وعظمت الخطايا. سلط الله عليهم قوم جالوت، وكانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين، وغلبوا على كثير من أرضهم، وسبوا كثيراً من ذراريهم، وأسروا من أبناء ملوكهم أربع مئة وأربعين غلاماً، وضربوا عليهم الجزية، وأخذوا توراتهم، ولم يكن لهم حينئذ نبي يدبر أمرهم، وكان سبط النبوة قد هلكوا، فلم

---

(١) الخازن.

يبق منهم إلا امرأة حبلى، فحبسوها في بيت، فولدت غلاماً، فلما كبر كفله شيخ من علمائهم في بيت المقدس، فلما بلغ الغلام أتاه جبريل، فقال له: اذهب إلى قومك، فبلغهم رسالة ربك، فإن الله قد بعثك فيهم نبياً، فلما أتاهم كذبوه، وقالوا استعجلت بالنبوة، فإن كنت صادقاً.. فبين لنا ملك الجيش.

وكان صلاح أمر بني إسرائيل بالإجماع على الملوك وبطاعة الملوك أنبياءهم، فكان الملك هو الذي يسير بالجموع، والنبي هو الذي يقيم أمره ويشير عليه برشده، ويأتيه بالخبر من ربه فـ﴿قال﴾ لهم ذلك النبي ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ بفتح السين وكسرها لغتان، وبالثانية قرأ نافع، وبالأولى قرأ الباقون، وهذا الكلام استئناف بياني كأنه قيل: فماذا قال لهم النبي حينئذ؟ فقيل: قال لهم النبي: هل عسيتم وحسبتم وظننتم ﴿إِن كُتِبَ﴾ وفرض ﴿عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾؛ أي: قال لهم نبيهم: هل ظننتم أن لا تقاتلوا عدوكم إن فرض عليكم القتال مع ذلك الملك؟ فصل بين عسى وخبره بالشرط والاستفهام؛ لتقرير المتوقع به، وإثباته، والمعنى: أتوقع وأخشى جبنكم عن القتال إن كتب عليكم القتال ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا﴾؛ أي: وأي شيء ثبت لنا في ﴿أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وطاعته ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا﴾ وأبعدنا ﴿مِن دِيَارِنَا﴾ وأوطاننا ﴿وَأَبْنَائِنَا﴾ وأولادنا، وأفرد الأولاد بالذكر؛ لأنهم الذين وقع عليهم السبي، أو لأنهم بمكان فوق مكان سائر القرابة، ولأجل[1] قولهم هذا لم يتم قصدهم؛ لأنه لم يخلص لحق الله عزمهم، ولو أنهم قالوا: وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله؛ لأنه قد أمرنا وأوجب علينا، لعلهم وفقوا لإتمام ما قصدوا، والمعنى: وأي شيء ثبت لنا في ترك القتال في سبيل الله، والحال أنه قد أخرج وأبعد بعضنا من المنازل والأولاد، والقائلون لنبيهم بما ذكر كانوا في ديارهم، فسأل الله تعالى ذلك النبي، فبعث لهم ملكاً يقاتلون معه، وكتب عليهم القتال مع ذلك الملك ﴿فَلَمَّا كُتِبَ﴾ وأوجب ﴿عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ في سبيل الله ﴿تَوَلَّوْا﴾؛ أي: أعرضوا عن قتال عدوهم لما شاهدوا كثرة العدو وشوكته ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ ثلاث مئة وثلاثة عشر على عدد أهل بدر، وهم الذين عبروا النهر

---

(١) البحر المحيط.

مع طالوت، واقتصروا على الغرفة على ما سيأتي، وهذا القليل ثبتوا على نياتهم في قتال أعدائهم، وقرأ أُبي[1]: ﴿تولوا إلا أن يكون قليل منهم﴾ وهو استثناء منقطع؛ لأن الكون معنى من المعاني، والمستثنى ﴿مِّنۡهُمۡۚ﴾ جيث ﴿وَٱللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: عالم من ظلم نفسه حين خالف ربه، ولم يف بما قبل من ربه، وهذا وعيد لهم على ظلمهم بترك الجهاد مخالفة لأمره تعالى، فالمراد بالظالمين بقية السبعين ألفاً، وهم من عدا القليل المذكور.

﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ﴾؛ أي: أخبرهم نبيهم بأن الله تعالى قد بعث لأجل سؤالكم وأمر عليكم طالوت؛ لتكونوا تحت أمرته في تدبير أمر الحرب، واختاره ليكون أميراً عليكم، واسم طالوت بالعبرانية: ساول بن قيس، من سبط بنيامين بن يعقوب، وإنما سمي طالوت لطوله، وكان أطول من جميع الناس برأسه ومنكبيه، وكان طالوت رجلاً دباغاً يدبغ الأديم. قاله وهب ﴿قَالُوٓاْ﴾ لنبيهم معترضين عليه ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ﴾؛ أي: كيف يكون ﴿ٱلۡمُلۡكُ﴾ والأمرة لطالوت ﴿عَلَيۡنَا﴾ ولم يكن هو من بيت الملك حتى نتبعه لشرفه ﴿وَنَحۡنُ أَحَقُّ﴾ وأولى ﴿بِٱلۡمُلۡكِ﴾ والأمرة ﴿مِنۡهُ﴾؛ أي: من طالوت ﴿وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ﴾؛ أي: لم يعط غنى من المال يستعين به على إقامة الملك.

والمعنى[2]: كيف يتملك علينا، والحال إنه لا يستحق التملك؛ لوجود من هو أحق بالملك منه، وأنه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به، وإنما قالوا ذلك؛ لأن النبوة كانت في سبط لآوى بن يعقوب عليه السلام، والملك في سبط يهوذا، وهو كان من سبط بنيامين، ولم يكن فيهم النبوة والملك، وكان رجلاً سقاء يستقي الماء على حمار له، أو دباغا فقيراً، وروي أن نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكاً، فأتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم، فلم يساوها إلا طالوت ﴿قَالَ﴾ نبيهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿ٱصۡطَفَىٰهُ﴾ واختاره للملك ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾؛ أي: أجابهم نبيهم على ذلك الاعتراض، فقال: إن الله اختاره عليكم، وهو أعلم بالمصالح منكم ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾؛ أي: سعة في علوم السياسة والديانة والحروب

---

(١) البحر المحيط.

(٢) النسفي.

﴿وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾ بالقوة على مبارزة العدو، وبالجمال وبطول القامة، فإنه كان أطول من غيره برأسه ومنكبيه حتى إن الرجل القائم كان يمد يده، فينال رأسه، فكان أعلم بني إسرائيل يومئذ، وأجملهم وأتمهم خلقاً، والعمدة في الاختيار أمران: العلم؛ ليتمكن به من معرفة أمور السياسة، والأمر الثاني: قوة البدن؛ ليعظم خطره في القلوب ويقدر على مقاومة الأعداء، ومكابدة الشدائد، وقد خصه الله منهما بحظ وافر. قال ابن كثير: ومن هٰهنا ينبغي أن يكون الملك ذا علم، وشكل حسن، وقوة شديدة في بدنه ونفسه ﴿وَٱللَّهُ يُؤۡتِي﴾؛ أي: يعطي ﴿مُلۡكَهُۥ﴾ وسلطنته في الدنيا ﴿مَن يَشَآءُۚ﴾، ايتاءه من عباده، وإن لم يكن من سبط الملك، فلا اعتراض عليه ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ الفضل والعطاء ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو أهل للملك، ويليق به، ولما قال القوم لنبيهم: ليس ملكه من الله بل أنت ملكته علينا، وطلبوا منه آية تدل على اصطفاء الله تعالى إياه للملك.. أجابهم إلى ذلك ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ﴾؛ أي: إن علامة ملكه واصطفائه من الله عليكم ﴿أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾؛ أي: يرد الله إليكم الصندوق الذي أخذ منكم، وهو صندوق التوراة، وكانوا يعرفونه، وكان قد رفعه الله تعالى بعد وفاة موسى عليه السلام لسخطه على بني إسرائيل لما عصوا وأفسدوا، فلما طلب القوم من نبيهم آية تدل على ملك طالوت.. قال نبي ذلك القوم: إن آية ملك طالوت أن يأتيكم التابوت من السماء إلى الأرض، والملائكة يحفظونه، فأتاهم، والقوم ينظرون إليه حتى نزل عند طالوت، وقرأ الجمهور: ﴿ٱلتَّابُوتُ﴾ بالتاء، وقرأ أبي وزيد بالهاء وهي لغة الأنصار ﴿فِيهِ﴾؛ أي: في ذلك التابوت ﴿سَكِينَةٌ﴾ وقرأ أبو السماك: ﴿سكّينة﴾ بتشديد الكاف؛ أي: طمأنينة لقلوبكم؛ أي: مودع فيه ما تسكنون إليه؛ وهو التوراة، وكان موسى عليه السلام إذا قاتل قدَّمه فسكن نفوسَ بني إسرائيل ولا يفرون، أو الضمير في الإتيان؛ أي: في إتيان ذلك التابوت سكون لكم وطمأنية وبشارات ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾؛ أي: من كتب ربكم المنزلة على موسى وهارون، ومن بعدهما من الأنبياء عليهم السلام بأن الله ينصر طالوت وجنوده، ويزيل عنهم الخوف من العدو ﴿وَبَقِيَّةٌ﴾؛ أي: تركة ﴿مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾؛ أي: مما ترك موسى وهارون أنفسهما، والآل مقحم؛ لتفخيم شأنهما

كما في قوله ﷺ لأبي موسى الأشعري - رضي الله عنه -: «لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود» فالمراد به داود نفسه، وهي رضاض الألواح؛ أي: كسرها، وعصا موسى، وثيابه ونعلاه، وشيء من التوراة ورداء هارون وعمامته، حال كون ذلك التابوت ﴿تَحْمِلُهُ﴾ وقرأ مجاهد شذوذاً: ﴿يحمله﴾ بالياء من أسفل؛ أي: تسوقه ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ إليكم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾؛ أي: إن في إتيان التابوت ورجوعه إليكم ﴿لَءَايَةً لَّكُمْ﴾؛ أي: لعلامة لكم دالة على أن ملكه من الله تعالى، أو لآية[1] لكم على صدقي فيما جئتكم به من النبوة، وفيما أمر لكم به من طاعة طالوت ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ أي: مصدقين بتمليكه عليكم، أو بالله واليوم الآخر.

أو المعنى: أن في هذه الآية من نقل القصة معجزة باهرة دالة على نبوة محمد ﷺ حيث أخبر بهذه التفاصيل من غير سماع من البشر إن كنتم ممن يؤمن بدلالة المعجزة على صدق مدعي النبوة والرسالة، فلما رد الله عليهم التابوت.. قبلوا وأقروا بملكه، وتسارعوا إلى الجهاد، واختار من الشبان الفارغين من الأشغال ثمانين ألفاً، وقيل: مئة وعشرين ألفاً، وخرجوا معه.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ﴾ بين هذه الجملة والتي قبلها محذوف؛ تقديره: فجاءهم التابوت، وأقروا له بالملك، وتأهبوا للخروج، فلما فصل طالوت؛ أي: خرج من بيت المقدس وتوجه ﴿بِٱلْجُنُودِ﴾؛ أي: بالجيش التي اختارها إلى جهة العدو، وكان من جملتهم داود عليه السلام كما سيأتي، وكان الوقت قيظاً، وسلك بهم في أرض قفرة، فأصابهم حر وعطش شديد، فطلبوا منه الماء ﴿قَالَ﴾ طالوت ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ تعالى ﴿مُبْتَلِيكُم﴾؛ أي: مختبركم ﴿بِنَهَرٍ﴾ جارٍ ليظهر منكم المطيع والعاصي؛ وهو بين الأردن وفلسطين، وقرأ الجمهور: ﴿بِنَهَرٍ﴾ بفتح الهاء، وقرأ حميد ومجاهد والأعرج شذوذاً بسكون الهاء، والغرض من هذا الابتلاء: أن يميز الصديق من الزنديق، والموافق من المخالف ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾؛ أي: كرع من ماء النهر، قليلاً كان أو كثيراً ﴿فَلَيْسَ مِنِّى﴾؛ أي: من أهل ديني، أو من أتباعي المؤمنين، فلا يكون مأذوناً له في هذا القتال ﴿وَمَن لَّمْ

---

(١) ابن كثير.

﴿يَطْعَمْهُ﴾؛ أي: ومن لم يذقه أصلاً، لا كثيراً ولا قليلاً ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾؛ أي: من أتباعي ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾؛ أي: إلا من أخذ شيئاً قليلاً من الماء بيده؛ فإنه مني ويكون أهلاً لهذا القتال. قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: ﴿غَرفة﴾ بفتح الغين، وكذلك يعقوب وخلف، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي بالضم، فالغُرفة بالضم الشيء القليل الذي يحصل في الكف، والغَرفة بالفتح الفعل؛ وهو الاغتراف مرة واحدة، فكانت تكفيهم هذه الغرفة لشربهم ودوابهم وحملهم؛ أي: قال لهم طالوت: من شرب من النهر وأكثر.. فقد عصى الله، ومن اغترف غرفة بيده.. أقنعته بعد عطش شديد، فوقع أكثرهم في النهر وأكثروا الشرب، فهؤلاء جبنوا عن لقاء العدو، وأطاع قوم قليل عددهم، فلم يزيدوا على الإغتراف، فقويت قلوبهم، وعبروا النهر، فذلك قوله: ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ﴾؛ أي: فلما وصلوا إلى النهر.. وقفوا فيه وشربوا منه بالكرع بالفم كيف شاؤوا ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ ثلاث مئةٍ وثلاثة عشر رجلاً، فلم يشربوا إلا قليلاً، وهو الغرفة. روي[1] أن من اغترف غرفة كما أمر الله.. قوي قلبه، وصح إيمانه، وعبر النهر سالماً، وكفته تلك الغرفة لشربه ودوابه وخدمه، وحمله مع نفسه؛ إما لأنه كان مأذوناً في أخذ ذلك المقدار، وإما لأن الله تعالى يجعل البركة في ذلك الماء حتى يكفي لكل هؤلاء، وذلك معجزة لنبي ذلك الزمان، وأما الذين شربوا منه، وخالفوا أمر الله تعالى فقد اسودت شفاههم، وغلبهم العطش، فلم يرووا، وبقوا على شط النهر وجبنوا عن لقاء العدو، وقرىء شذوذاً: ﴿إلا قليل﴾ بالرفع حملاً على المعنى، فإن قوله: ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ﴾ في معنى: فلم يطيعوه، وفيه تعسف ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ﴾؛ أي: النهر ﴿هُوَ﴾؛ أي: طالوت ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ والظرف متعلق بـ﴿جاوز﴾ من حيث عمله في المعطوف، وهو الموصول؛ أي: فلما جاوزه وجاز معه الذين آمنوا؛ وهم أولئك القليل الذين اقتصروا على الغرفة، وقال القرطبي: هم الذين لم يذوقوا الماء أصلاً. ﴿قَالُوا۟﴾؛ أي: قال الذين شربوا وخالفوا أمر الله ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا﴾؛ أي: لا قوة لنا ﴿ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ﴾ هو

---

(١) المراح.

جبار من العمالقة من أولاد عمليق بن عاد، وكان في بيضته ثلاث مئة رطل من الحديد؛ أي: لا قدرة لنا اليوم بمحاربة جالوت ﴿وَجُنُودِهِۦ﴾ وكانوا مئة ألف رجل شاكي السلاح. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾؛ أي: يوقنون ويعلمون ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ملاقوا ثواب الله ورضوانه في الدار الآخرة؛ وهم القليل الذين اقتصروا على الغرفة ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ﴾ وقرأ أبي شذوذاً: ﴿وكأين﴾ وهي مرادفة لـ﴿كم﴾ في التكثير؛ أي: كم من جماعة قليلة من المؤمنين ﴿غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ﴾؛ أي: غلبت جماعة كثيرة من الكافرين ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ﴾؛ أي: بنصر الله تعالى إياهم، أو بقضاء الله وإرادته ﴿وَٱللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بالنصر والعون؛ أي: معين الصابرين على الحرب بالنصرة على أعدائهم

﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ﴾؛ أي: ولما برزوا طالوت وجنوده المؤمنون، وظهروا ﴿لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ الكافرين، ودنوا منهم وصافوا لهم ﴿قَالُواْ﴾؛ أي: قال طالوت وجنوده جميعاً متضرعين إلى الله تعالى مستعينين به تعالى؛ أي: قالوا ملتجئين إلى الله بثلاث دعوات ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ﴾؛ أي: أصبب ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ على القتال والمخاوف والأمور الهائلة؛ أي: أفض علينا صبرا يعمنا في جمعنا، وفي خاصة أنفسنا لنقوى على قتال أعدائك، وهذه هي الدعوة الأولى. ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾؛ أي: أرسخها حتى لا تفر، أو قو قلوبنا لتثبت أقدامنا على مداحض القتال بكمال القوة عند المقارعة، وعدم التزلزل وقت المقاومة، وهذه هي الدعوة الثانية. ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ جالوت وجنوده؛ أي: أعنا وأظفرنا بقهرهم وهزمهم، وذلك لأن جالوت وقومه كانوا يعبدون الأصنام، وهذه هي الدعوة الثالثة، وفيها[1] ترتيب بليغ إذ سألوا أولاً إفراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الأمر، ثم ثبات القدم في مداحض الحرب السبب عنه، ثم النصر على العدو والمترتب عليهما غالباً. ﴿فَهَزَمُوهُم﴾؛ أي: هزم طالوت وجنوده جالوت وجنوده؛ أي: كسروهم وغلبوهم وقهروهم وردوهم ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بنصره أو بقضائه وإرادته، أو بتمكين الله منهم إجابة لدعائهم ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ﴾

---

(١) البيضاوي.

ابن إيشا عليه السلام كان من سبط يهودا بن يعقوب، وكان في عسكر بني إسرائيل ﴿جَالُوتَ﴾ الكافر، ولم يبين تعالى كيفية القتل ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: وأعطى الله سبحانه وتعالى لداود ﴿ٱلْمُلْكَ﴾ الكامل سبع سنين بعد موت طالوت؛ أي: ملك بني إسرائيل في مشارق الأرض المقدسة ومغاربها ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾؛ أي: النبوة بعد موت شمويل، وكان موته قبل طالوت، ولم يجتمع في بني إسرائيل الملك والنبوة لأحد قبله إلا له، بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط آخر، ومع ذلك جمع الله له ولابنه سليمان بين الملك والنبوة، وقيل: الحكمة العلم النافع ﴿وَعَلَّمَهُۥ﴾؛ أي: وعلم الله داود ﴿مِمَّا يَشَآءُ﴾؛ أي: ما يشاء تعليمه من معلوماته كصنعة الدروع من الحديد، وكان يلين في يده وينسجه، وفهم كلام الطير والنمل، وكيفية القضاء، وما يتعلق بمصالح الدنيا، ومعرفة الألحان الطيبة، ولم يعط الله تعالى أحداً من خلقه مثل صوته، كان إذا قرأ الزبور.. تدنو الوحوش حتى يؤخذ بأعناقها، وتظله الطير ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ﴾ قرأ نافع هنا وفي الحج: ﴿دفاع الله﴾؛ أي: ولولا أن يدفع الله ﴿ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم﴾ بدل بعض من الناس، ويكف شرهم، وهم أهل الكفر والمعاصي ﴿بِبَعْضٍ﴾ منهم؛ وهم أهل الإيمان والطاعة ﴿لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ وخربت بغلبة المشركين، وقتل المسلمين، وتخريب المساجد، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: ولولا دفع الله بجنود المسلمين.. لغلب المشركون على الأرض، فقتلوا المؤمنين وخربوا المساجد والبلاد، كما دفع الله جالوت وجنوده بطالوت وجنوده، ومن المعلومات أن لولا حرف امتناع لوجود، والمعنى: امتنع فساد الأرض لأجل دفع الناس بعضهم لبعض، وهذه الآية كالدليل لما ذكر في القصة من مشروعية القتال، ونصر داود على جالوت. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿ذُو فَضْلٍ﴾؛ أي: ذو تفضل وإنعام عظيم ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ كافة بسبب دفع ذلك الفساد؛ يعني: أن دفع الفساد بهذا الطريق إنعام وإفضال عم الناس كلهم، وجه[1] الاستدراك هو أنه لما

---

(١) البحر المحيط.

قسم الناس إلى مدفوع به ومدفوع، وأنه بدنعه بعضهم ببعض امتنع فساد الأرض، فيهجس في نفس من غلب وقهر عن ما يريد من الفساد في الأرض أن الله تعالى غير متفضل عليه إذا لم يبلغه مقاصده ومآربه، فاستدرك أنه وإن لم يبلغ مقاصده هذا الطالب للفساد أن الله لذو فضل عليه ويحسن إليه.

﴿تِلْكَ﴾؛ أي: هذه الآيات التي قصصناها عليك يا محمد من حديث الألوف وموتهم وإحيائهم تمليك طالوت، وإظهاره الآية؛ وهي التابوت وإهلاك الجبابرة على يد صبي ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ المنزلة من عنده تعالى: ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾؛ أي: نقرأ تلك الآيات عليك يا محمد بواسطة جبريل حالة كونها ملتبسة ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بالصدق واليقين الذي لا يشك فيه أحد من أهل الكتاب لما يجدونها موافقة لما في كتبهم ﴿وَإِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ إلى الإنس والجن كافة بشهادة إخبارك عن الأمم الماضية من غير مطالعة كتاب ولا اجتماع على أحد يخبرك بذلك، فدل ذلك على رسالتك، وأن الذي تخبر به وحي من الله تعالى؛ أي: وإنك يا محمد لمن جملة الرسل الذين أرسلهم الله تعالى لتبليغ دعوة الله عز وجل.

فائدة: قال ابن عباس رضي الله عنهما[1]: إن داود عليه السلام كان صغيراً لم يبلغ الحنث راعياً للغنم، وله سبعة إخوة مع طالوت، فلما أبطأ خبر إخوته على أبيهم إيشا ـ بوزن كسرى ـ أرسل ابنه داود إليهم ليأتيه بخبرهم، فأتاهم وهم في المطاف، وبادر جالوت الجبار، وهم من قوم عاد إلى البراز، فلم يخرج إليه أحد، فقال: يا بني إسرائيل، لو كنتم على حق.. لبارزني بعضكم، فقال داود لإخوته: أما فيكم من يخرج إلى هذا الأقلف؟ فسكتوا، فذهب إلى ناحية من الصف ليس فيها إخوته، فمر به طالوت وهو يحرض الناس، فقال له داود: ما تصنعون بمن يقتل هذا الأقلف؟ فقال طالوت: أنكحه ابنتي وأعطيه نصف ملكي، فقال داود: فأنا خارج إليه، وكان عادته أن يقاتل بالمقلاع الذئب والأسد في المرعى، وكان طالوت عارفاً بجلادته، فلما هم داود بأن يخرج إلى جالوت.. مر بثلاثة أحجار، فقلن يا داود: خذنا معك

---

(١) المراح.

ففينا ميتة جالوت، فلما خرج إلى جالوت الكافر رماه فأصابه في صدره ونفذ الحجر فيه، وقتل بعده ثلاثين رجلاً فهزم الله تعالى جنود جالوت، وخر جالوت قتيلاً، فأخذه داود يجره حتى ألقاه بين يدي طالوت، ففرح بنو إسرائيل وانصرفوا إلى البلاد سالمين غانمين، فجاء داود إلى طالوت، وقال أنجزني ما وعدتني، فزوجه ابنته وأعطاه نصف الملك كما وعده، فمكث معه كذلك أربعين سنة، فمات طالوت، وأتى بنو إسرائيل بداود، وأعطوه خزائن طالوت، واستقل داود بالملك سبع سنين، ثم انتقل إلى رحمة الله تعالى، فسبحان من لا ينقضي ملكه.

الإعراب

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

﴿أَلَمْ﴾ ﴿الهمزة﴾: للاستفهام التعجبي التقريري، ﴿لم﴾: حرف نفي وجزم. ﴿تَرَ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لم﴾، وفاعله ضمير يعود على محمد، أو على كل مخاطب، والجملة مستأنفة. ﴿إِلَى ٱلْمَلَإِ﴾: جار ومجرور متعلق به ﴿مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بمحذوف حال من ﴿ٱلْمَلَإِ﴾ تقديره: حال كونهم كائنين من بني إسرائيل. ﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بما تعلق به الجار والمجرور قبله، ولا يضر تعلق حرفي جر متحدي اللفظ بعامل واحد؛ لاختلاف معناهما، فـ﴿مِّن﴾ الأولى تبعيضية، والثانية لابتداء الغاية. ﴿إِذْ قَالُوا۟﴾ ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان، والظرف متعلق بـ﴿تر﴾ أو بمحذوف؛ تقديره: ألم تر إلى قصتهم إذ قالوا: ﴿قَالُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إذ﴾. ﴿لِنَبِىٍّ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿قالوا﴾. ﴿لَّهُمُ﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لـ﴿نبي﴾. ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ مقول محكي لقالوا، وإن شئت قلت: ﴿ٱبْعَثْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على ﴿نبي﴾، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوا۟﴾، ﴿لَنَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿ابعث﴾. ﴿مَلِكًا﴾: مفعول به. ﴿نُّقَٰتِلْ﴾: فعل مضارع مجزوم بالطلب السابق، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱلْمَلَإِ﴾، والجملة الفعلية جواب الطلب لا محل لها من الإعراب. ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿نُّقَٰتِلْ﴾.

﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على ﴿نَبِيّ﴾، والجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً، ﴿هَلْ﴾ حرف استفهام ﴿عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ إلى آخره مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿عَسَيْتُمْ﴾ ﴿عسى﴾: من أفعال المقاربة ترفع الاسم وتنصب الخبر، والتاء ضمير المخاطبين في محل الرفع اسمها. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُتِبَ﴾: فعل ماض مغيَّر الصيغة في محل الجزم بـ﴿إن﴾. ﴿عَلَيْكُمُ﴾: جار ومجرور متعلق به. ﴿الْقِتَالُ﴾: نائب فاعل، وجواب ﴿إن﴾ الشرطية محذوف تقديره: إن كتب عليكم القتال فلا تقاتلوا، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية مع جوابها جملة معترضة لا محل لها من الإعراب؛ لاعتراضها بين عسى وخبرها. ﴿أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾: ﴿أن﴾: حرف نصب ومصدر ﴿لا﴾: نافية ﴿تُقَاتِلُوا﴾: فعل وفاعل منصوب بـ﴿أن﴾، وجملة ﴿أن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر منصوب على كونه خبر ﴿عسى﴾، ولكن لا بد من تقدير وتأويل؛ لأن المصدر معنى من المعاني، فلا يخبر به عن الجنة، والتقدير: هل عسيتم كون حالكم عدم المقاتلة، وجملة ﴿عسى﴾ من اسمها وخبرها في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾.

﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿وَمَا لَنَا﴾ إلى قوله: ﴿وَأَبْنَائِنَا﴾ مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿وَمَا لَنَا﴾ الواو: رابطة[1] هذا الكلام بما قبله. ﴿ما﴾: استفهامية في محل الرفع مبتدأ. ﴿لَنَا﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾ ﴿أَلَّا نُقَاتِلَ﴾: ﴿أن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿لا﴾: نافية. ﴿نُقَاتِلَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ﴿أن﴾، وفاعله ضمير يعود إلى ﴿الْمَلَإِ﴾. ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿نُقَاتِلَ﴾، والجملة الفعلية صلة ﴿إن﴾ المصدرية، ﴿إن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بحرف جر محذوف تقديره: وما لنا في عدم قتالنا، الجار والمجرور متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الخبر. ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا﴾ الواو: حالية.

(١) الجمل.

﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿أُخْرِجْنَا﴾: فعل ونائب فاعل. ﴿مِن دِيَـٰرِنَا﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿أخرجنا﴾، ﴿وَأَبْنَآئِنَا﴾: معطوف على ﴿دِيَـٰرِنَا﴾، وجملة ﴿أُخْرِجْنَا﴾ في محل النصب حال من الضمير المستتر في ﴿نُقَـٰتِلَ﴾ تقديره: حالة كوننا مخرجين من ديارنا وأبنائنا.

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت ما قالوا لنبيهم، وما قال النبي لهم، وأردت بيان حالهم بعد ما كتب عليهم القتال.. فأقول لك ﴿لما﴾: حرف شرط غير جازم، ﴿كُتِبَ﴾: فعل ماضٍ مغيَّر الصيغة. ﴿عَلَيْهِمُ﴾: متعلق به. ﴿ٱلْقِتَالُ﴾: نائب فاعل، والجملة من الفعل المغير ونائبه فعل شرط لـ﴿ما﴾ لا محل لها من الإعراب، ﴿تَوَلَّوْا۟﴾: فعل وفاعل والجملة جواب لـ﴿لما﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لما﴾ من فعل شرطها وجوابها في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿قَلِيلًا﴾: منصوب على الاستثناء. ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: استئنافية. ﴿اللَّه﴾: مبتدأ ﴿عَلِيمٌۢ﴾ خبر ﴿بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: متعلق بـ﴿عليم﴾، والجملة مستأنفة.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ﴾.

﴿وَقَالَ﴾ الواو: عاطفة. ﴿قال﴾: فعل ماض، ﴿لَهُمْ﴾: متعلق به. ﴿نَبِيُّهُمْ﴾: فاعل ومضاف إليه، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ﴾. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ﴾ إلى قوله: ﴿قَالُوٓا۟﴾ مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب وتوكيد. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها، ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق. ﴿بَعَثَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿لَكُمْ﴾: متعلق به، ﴿طَالُوتَ﴾: مفعول به. ﴿مَلِكًا ۚ﴾: حال من ﴿طَالُوتَ﴾، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ من اسمها وخبرها في محل النصب مقول ﴿قال﴾.

﴿قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ﴾.

﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل وفاعل والجملة مستأنفة. ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ إلى قوله: ﴿قال﴾ مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿أَنَّىٰ﴾: اسم استفهام بمعنى كيف في محل النصب حال من ﴿ٱلْمُلْكُ﴾، والعامل[1] فيه ﴿يَكُونُ﴾، ولا يعمل فيه واحد من الظرفين؛ لأنه عامل معنوي، فلا يتقدم الحال عليه. ﴿يَكُونُ﴾: مضارع ناقص، ﴿لَهُ﴾: جار ومجرور خبر مقدم لـ﴿يكون﴾. ﴿ٱلْمُلْكُ﴾: اسمها مؤخر، وجملة ﴿يَكُونُ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾، ﴿عَلَيْنَا﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من[2] ﴿ٱلْمُلْكُ﴾، والعامل فيه ﴿يَكُونُ﴾ أو الخبر، ويجوز أن يكون الخبر ﴿عَلَيْنَا﴾ و﴿له﴾ حال، ويجوز أن تكون تامة، فيكون ﴿لَهُ﴾ متعلقاً بـ﴿يكون﴾ و﴿عَلَيْنَا﴾ حال، والعامل فيه ﴿يَكُونُ﴾؛ أي: كيف يقع أو يحدث له الملك علينا، وفي «السمين»: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ﴾[3] إما تامة أو ناقصة، و﴿عَلَيْنَا﴾ متعلق بـ﴿ٱلْمُلْكُ﴾؛ لأن مادته تتعدى بعلى، تقول: ملك فلان على بني فلان أمرهم اهـ. ﴿وَنَحْنُ﴾: الواو: حالية. ﴿نحن﴾: مبتدأ. ﴿أَحَقُّ﴾: خبر ﴿بِٱلْمُلْكِ﴾: متعلق بـ﴿أحق﴾ ﴿مِنْهُ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أَحَقُّ﴾ أيضاً، والجملة الاسمية في محل النصب حال من ضمير ﴿عَلَيْنَا﴾. ﴿وَلَمْ يُؤْتَ﴾: الواو: عاطفة. ﴿لم﴾: حرف نفي وجزم ﴿يُؤْتَ﴾: فعل مضارع مغيّر الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على ﴿طَالُوتَ﴾. ﴿سَعَةً﴾: مفعول ثان. ﴿مِّنَ ٱلْمَالِ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لـ﴿سعة﴾ تقديره: سعة كائنة من المال، والجملة من الفعل المغيّر ونائبه في محل النصب معطوف على جملة قوله: ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ﴾ على كونها حالاً من ضمير ﴿عَلَيْنَا﴾.

﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿قَالَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير يعود على نبيهم والجملة مستأنفة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿إِنَّ﴾ حرف نصب. ﴿ٱللَّهَ﴾ اسمها. ﴿ٱصْطَفَىٰهُ﴾: فعل ومفعول به، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهَ﴾،

---

(١) العكبري. (٢) العكبري. (٣) الجمل.

والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿ٱصْطَفَىٰ﴾ ﴿وَزَادَهُۥ﴾ الواو: عاطفة. ﴿زاده﴾: فعل ومفعول أول، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهَ﴾، والجملة في محل الرفع معطوفة على جملة قوله: ﴿ٱصْطَفَىٰهُ﴾ على كونها خبراً لـ﴿إن﴾، ﴿بَسْطَةً﴾: مفعول ثان. ﴿فِى ٱلْعِلْمِ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿بَسْطَةً﴾، أو متعلق بـ﴿بسطة﴾، ﴿وَٱلْجِسْمِ﴾: معطوف على ﴿ٱلْعِلْمِ﴾، ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: عاطفة، أو اعتراضية ﴿اللَّه﴾ مبتدأ. ﴿يُؤْتِى﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّه﴾، والجملة في محل الرفع خبر المبتدأ تقديره: واللَّه مؤت ملكه والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿إِنَّ﴾ على كونها مقولاً لـ﴿قال﴾، أو جملة معترضة لا محل لها من الإعراب إن قلنا: إنها من كلام الله لمحمد ﷺ. ﴿مُلْكَهُۥ﴾: مفعول أول ومضاف إليه. ﴿مَن﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول ثان لـ﴿يُؤْتِى﴾ لأنه بمعنى يعطي. ﴿يَشَآءُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّه﴾، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره يشاءه. ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: عاطفة. ﴿اللَّه﴾: مبتدأ، ﴿وَٰسِعٌ﴾: خبر أول. ﴿عَلِيمٌ﴾: خبر ثان، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى﴾.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

﴿وَقَالَ﴾ الواو: عاطفة. ﴿قال﴾ فعل ماض. ﴿لَهُمْ﴾: متعلق به. ﴿نَبِيُّهُمْ﴾ فاعل ومضاف إليه، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ﴾. ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿إِنَّ﴾ حرف نصب. ﴿ءَايَةَ﴾: اسمها. ﴿مُلْكِهِۦٓ﴾: مضاف إليه. ﴿إن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾: فعل ومفعول به وفاعل، والجملة صلة ﴿أن﴾ المصدرية، ﴿إن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مرفوع على كونه خبراً لـ﴿إن﴾ تقديره: إن آية ملكه إتيان التابوت إياكم، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل النصب مقول ﴿قال﴾ ﴿فِيهِ﴾: خبر مقدم. ﴿سَكِينَةٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه صفة لـ﴿سكينة﴾ تقديره: سكينة كائنة من ربكم،

والجملة الاسمية في محل النصب حال من ﴿ٱلتَّابُوتُ﴾، ولكنها حالة سببية تقديره: حال كون التابوت موصوفاً بكون السكينة فيه.

﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾.

﴿وَبَقِيَّةٌ﴾ الواو: عاطفة. ﴿بقية﴾. معطوف على ﴿سَكِينَةٌ﴾، ﴿مما﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿بقية﴾. ﴿تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ﴾: فعل وفاعل ومضاف إليه. ﴿وَءَالُ هَٰرُونَ﴾: معطوف على ﴿ءَالُ مُوسَىٰ﴾، والجملة الفعلية صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: مما تركه آل موسى. ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: فعل ومفعول وفاعل: والجملة في محل النصب حال من ﴿ٱلتَّابُوتُ﴾ تقديره: حالة كونه محمولاً للملائكة، أو الجملة مستأنفة.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿فِى ذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور خبر مقدم لـ﴿إن﴾. ﴿لَءَايَةً﴾ ﴿اللام﴾: حرف ابتداء ﴿آية﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر. ﴿لَّكُمْ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿آية﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول قال ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: ﴿إن﴾: حرف شرط. ﴿كُنتُم﴾: فعل ناقص، واسمه في محل الجزم بـ﴿إن﴾، ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾: خبر ﴿كان﴾، وجواب ﴿إن﴾ محذوف تقديره: إن كنتم مؤمنين؛ أي: مصدقين بأن الله جعل لكم طالوت ملكاً.. فالآية على ملكه حاصلة، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب بمقول قال.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾.

﴿فَلَمَّا﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر تقديره: إذا عرفت ما قال لهم نبيهم، وما قالوا، وأردت بيان عاقبة أمرهم.. فأقول لك: ﴿لما فصل﴾، ﴿لما﴾: حرف شرط غير جازم، ﴿فَصَلَ طَالُوتُ﴾: فعل وفاعل ﴿بِٱلْجُنُودِ﴾: متعلق بـ﴿فصل﴾، أو حال من ﴿طَالُوتُ﴾، والجملة الفعلية لا محل لها من الإعراب؛ لأنها فعل شرط لـ﴿لما﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير

يعود على ﴿طَالُوتُ﴾، والجملة جواب ﴿لما﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لما﴾ في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم﴾ إلى قوله: ﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ﴾ مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها: ﴿مُبْتَلِيكُم﴾: خبر ﴿إن﴾ ومضاف إليه، وجملة ﴿أن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿بِنَهَرٍ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿مُبْتَلِيكُم﴾. ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾ ﴿الفاء﴾: تفصيلية. ﴿من﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط. ﴿شَرِبَ﴾: فعل ماضٍ في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونه فعل شرط لها، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾، ﴿مِنْهُ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿شَرِبَ﴾. ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿من﴾ الشرطية وجوباً، لكون الجواب جملة جامدية؛ لأنه من المواضع السبعة المجموعة في قول بعضهم:

إِسْمِيَّةٌ طَلَبِيَّةٌ وَبِجَامِدِ ... وَبِمَا وَلَنْ وَقَدْ وَبِالتَّنْفِيسِ

﴿ليس﴾: فعل ماضٍ ناقص في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونها جواباً لها، واسمها ضمير يعود على ﴿من﴾، ﴿مِنِّي﴾: جار ومجرور خبر ﴿ليس﴾، وجملة ﴿من﴾ الشرطية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ الواو: عاطفة ﴿من﴾، اسم شرط في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، ﴿لم﴾: حرف نفي وجزم ﴿يَطْعَمْهُ﴾: فعل ومفعول مجزوم بـ﴿لَمْ﴾، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾، والجملة الفعلية في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونها فعل شرط لها. ﴿فَإِنَّهُ مِنِّيٓ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة الجواب وجوباً، ﴿إن﴾: حرف نصب، ﴿الهاء﴾: اسمها. ﴿مِنِّيٓ﴾: جار ومجرور خبرها، وجملة إن في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونها جواباً لها، وجملة ﴿مَن﴾ الشرطية في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿فَمَن شَرِبَ﴾ على كونها مقولاً لـ﴿قال﴾، ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ﴾: ﴿إلا﴾: أداة استثناء، ﴿مَنِ﴾: اسم موصول في محل النصب على الاستثناء، وأنت[1] بالخيار إن شئت جعلته استثناء من ﴿من﴾ الأولى، وإن شئت من ﴿مَنِ﴾ الثانية.

---

(١) العكبري.

﴿اَغْتَرَفَ﴾: فعل ماضٍ وفاعله ضمير يعود على ﴿مَنِ﴾، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الفاعل. ﴿غُرْفَةًۢ﴾ إما مفعول مطلق، أو مفعول به. ﴿بِيَدِهِۦ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿أغترف﴾، أو بمحذوف صفة لـ﴿غرفة﴾، ﴿فَشَرِبُواْ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة ﴿شربوا﴾: فعل وفاعل. ﴿مِنْهُ﴾: جار ومجرور متعلق به. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿قَلِيلًا﴾: منصوب على الاستثناء. ﴿مِّنْهُمْۚ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿قليلاً﴾، وجملة ﴿شربوا﴾ معطوفة على محذوف تقديره: فابتلوا بذلك النهر فشربوا منه إلا قليلاً منهم على كونها مستأنفة.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ﴾.

﴿فَلَمَّا﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت أنهم شربوا منه، وأردت بيان عاقبة أمرهم.. فأقول لك. ﴿لما﴾: حرف شرط غير جازم. ﴿جَاوَزَهُۥ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير مستتر يعود على ﴿طَالُوتُ﴾، والجملة الفعلية فعل شرط لـ﴿لما﴾ لا محل لها من الإعراب، ﴿هُوَ﴾: ضمير مؤكد لضمير الفاعل المستتر، ليعطف عليه. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: معطوف على ضمير الفاعل المستتر. ﴿ءَامَنُواْ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الفاعل. ﴿مَعَهُۥ﴾: ظرف ومضاف إليه، والظرف متعلق[1] بـ﴿جاوز﴾ من حيث عمله في المعطوف وهو الموصول؛ أي: فلما جاوزه وجاوز معه الذين آمنوا. ﴿قَالُواْ﴾: فعل وفاعل، والجملة جواب ﴿لما﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لما﴾ في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة. ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ﴾ إلى قوله: ﴿قال﴾ مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿لَا﴾: نافية. ﴿طَاقَةَ﴾: اسمها. ﴿لَنَا﴾ خبرها، وجملة ﴿لَا﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالُواْ﴾. ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: منصوب على الظرفية متعلق بالإستقرار الذي تعلق به الخبر، وكذا الجار والمجرور في قوله: ﴿بِجَالُوتَ﴾ متعلق بالإستقرار

(١) الجمل.

المذكور، وجالوت كطالوت ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة ﴿وَجُنُودِهِۦ﴾: معطوف على ﴿جالوت﴾ ومضاف إليه.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿يَظُنُّونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿يَظُنُّونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد ضمير الفاعل ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ ﴿أن﴾: حرف نصب، ﴿الهاء﴾: اسمها. ﴿مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾: خبر ﴿أن﴾ ومضاف إليه، وجملة ﴿أن﴾ من اسمها وخبرها في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي ﴿يَظُنُّونَ﴾ تقديره: لقاء الله. ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿كَم﴾: خبرية بمعنى عدد كثير في محل الرفع مبتدأ مبني على السكون؛ لشبهه بالحرف شبهاً معنوياً؛ لتضمنه معنى رب التكثيرية، ﴿مِّن﴾: زائدة. ﴿فِئَةٖ﴾: تمييز لكم منصوب بفتحة مقدرة، وقد تحذف ﴿مِّن﴾؛ فيجر تمييزها بالإضافة، لا بمن مقدرة على الصحيح. ﴿قَلِيلَةٍ﴾: صفة لـ﴿فئة﴾. ﴿غَلَبَتۡ﴾ غلب فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على ﴿فِئَةٗ﴾، والجملة من الفعل والفاعل في محل الرفع خبر ﴿كَم﴾، كثير من فئة قليلة غالبة فئة كثيرة، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿فِئَةٗ﴾: مفعول ﴿غَلَبَتۡ﴾. ﴿كَثِيرَةَۢ﴾: صفة لـ﴿فئة﴾، ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بمحذوف حال من ﴿فئة﴾؛ لتخصصها بالصفة وإن كانت نكرة، أو متعلق بـ﴿غلبت﴾ ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: عاطفة، أو استئنافية. ﴿اللَّه﴾ مبتدأ. ﴿مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: ظرف ومضاف إليه، والظرف متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿كم من فئة﴾ على كونها من مقولهم، ويحتمل أنها من كلام الله تعالى، أخبر الله تعالى بها عن حال الصابرين، فتكون مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠﴾.

﴿وَلَمَّا﴾ الواو: استئنافية. ﴿لما﴾: حرف شرط غير جازم. ﴿بَرَزُواْ﴾: فعل وفاعل، والجملة فعل شرط لـ﴿لما﴾ لا محل لها من الإعراب. ﴿لِجَالُوتَ﴾: متعلق بـ﴿بَرَزُواْ﴾. ﴿وَجُنُودِهِۦ﴾ معطوف على ﴿جالوت﴾ ومضاف إليه. ﴿قَالُواْ﴾: فعل وفاعل، والجملة جواب ﴿لما﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لما﴾ مستأنفة. ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرًا﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿رَبَّنَآ﴾ منادى مضاف، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قال﴾ ﴿أَفۡرِغۡ﴾: فعل دعاء سلوكاً مسلك الأدب مع الباري سبحانه، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة جواب النداء في محل النصب مقول ﴿قَالُواْ﴾. ﴿عَلَيۡنَا﴾: متعلق بـ﴿أفرغ﴾. ﴿صَبۡرًا﴾ مفعول ﴿أَفۡرِغۡ﴾. ﴿وَثَبِّتۡ﴾: الواو: عاطفة. ﴿ثبت﴾: فعل دعاء، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿أَفۡرِغۡ﴾، ﴿أَقۡدَامَنَا﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿وَٱنصُرۡنَا﴾ فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة معطوفة على جملة ﴿أَفۡرِغۡ﴾، ﴿عَلَى ٱلۡقَوۡمِ﴾: متعلق بـ﴿انصرنا﴾، ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ صفة لـ﴿لقوم﴾.

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ﴾.

﴿فَهَزَمُوهُم﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿هزموهم﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ﴾. ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿هزموا﴾، أو حال من ضمير الفاعل. ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على ﴿هزموهم﴾ ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾: فعل ومفعول أول وفاعل. ﴿ٱلۡمُلۡكَ﴾: مفعول ثان. ﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾: معطوف على ﴿ٱلۡمُلۡكَ﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿قتل داود﴾. ﴿وَعَلَّمَهُۥ﴾: فعل ومفعول أول، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة معطوفة على جملة ﴿قتل﴾. ﴿مِمَّا﴾: جار ومجرور في محل النصب مفعول ثانٍ. ﴿يَشَآءُۗ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهُ﴾، والجملة صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف؛ تقديره: مما يشاءه.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَلَوْلَا﴾ الواو: استئنافية، ﴿لولا﴾: حرف امتناع لوجود. ﴿دَفْعُ ٱللَّهِ﴾: مبتدأ ومضاف إليه وهو من إضافة المصدر إلى فاعله. ﴿ٱلنَّاسَ﴾: مفعول المصدر، ﴿بَعْضَهُم﴾ بدل من ﴿ٱلنَّاسَ﴾، بدل بعض من كل ﴿بِبَعْضٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿دفع﴾، وهو في محل المفعول الثاني، وخبر المبتدأ محذوف وجوباً؛ لقيام جواب ﴿لولا﴾ مقامه تقديره: موجود. ﴿لَّفَسَدَتِ﴾: ﴿اللام﴾: رابطة لجواب ﴿لولا﴾، ﴿فسدت الأرض﴾: فعل وفاعل، والجملة جواب ﴿لولا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لولا﴾ مع جوابها مستأنفة. ﴿وَلَٰكِنَّ﴾: الواو: عاطفة. ﴿لكن﴾: حرف استدراك ونصب. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿ذُو﴾: خبر ﴿لكن﴾. ﴿فَضْلٍ﴾: مضاف إليه، وجملة ﴿لكن﴾ معطوفة على جملة ﴿لولا﴾ على كونها مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾.

﴿تِلْكَ﴾: ﴿تِ﴾ اسم إشارة يشار به إلى المفردة المؤنثة البعيدة في محل الرفع مبتدأ مبني بسكون على الياء المحذوفة؛ للتخلص من التقاء الساكنين، ﴿اللام﴾: لبعد المشار إليه، أو لمبالغة البعد حرف لا محل له من الإعراب مبني على السكون، ﴿الكاف﴾: حرف دال على الخطاب. ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾: خبر ومضاف إليه، والجملة مستأنفة. ﴿نَتْلُوهَا﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهِ﴾ ﴿عَلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿نتلوا﴾، وجملة ﴿نتلوا﴾ يجوز[١] أن تكون حالاً من الآيات، والعامل فيها معنى الإشارة، ويجوز أن تكون مستأنفة، ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: جار ومجرور يجوز أن يكون متعلقاً بـ﴿نتلوا﴾، وأن يكون حالاً من ضمير الآيات المنصوب؛ أي: متلبسة بالحق، ويجوز أن يكون حالاً من الفاعل؛ أي: ومعنا الحق، ويجوز أن يكون حالاً من الكاف؛ أي: ومعك الحق، وجملة ﴿تِلْكَ﴾ من المبتدأ والخبر مستأنفة استئنافاً نحوياً لا محل لها من

(١) العكبري.

الإعراب. ﴿وَإِنَّكَ﴾: الواو: عاطفة، ﴿إن﴾: حرف نصب وتوكيد، والكاف اسمها. ﴿لَمِنَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿من المرسلين﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر ﴿إن﴾ تقديره: وإنك لكائن من المرسلين، وجملة ﴿إن﴾ معطوفة على جملة ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ على كونها مستأنفة.

التصريف ومفردات اللغة

﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً﴾ سعة وزنها عَلَةً، أصله وسع حذفت فاء الكلمة، وهي الواو وعوض عنها تاء التأنيث كما في عدة وزنة، وإنما حذفت الفاء في المصدر حملاً له على المضارع، وإنما حذفت في المضارع لوقوعها بين عدوتيها الياء وهي حرف المضارعة والكسرة المقدرة؛ لأن أصله يوسع، وذلك أن وسع مثل وثق، فحق مضارعه أن يجيء على يفعل بكسر العين، وإنما منع ذلك في يسع كون لامه حرف حلق، ففتح عين مضارعه لذلك وإن كان أصلها الكسرة، ولذلك قلنا بين ياء وكسرة مقدرة، فالفتحة عارضة، فأجرى عليها حكم الكسرة، ثم جعلت في المصدر مفتوحة؛ لتوافق الفعل، ويدلك على ذلك أن قولك وعد يعد مصدره عدة بالكسر لما خرج على أصله.

﴿وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ واسع قيل: هو على معنى النسب؛ أي: هو ذو سعة، وقيل: جاء على حذف الزائد، والأصل أوسع فهو موسع، وقيل: اسم فاعل من وسع الثلاثي؛ لأنك تقول: وسع علمه وحلمه.

﴿ٱلتَّابُوتُ﴾: وزنه فاعول مشتق[1] من التوب الذي هو الرجوع، لما أنه لا يزال يرجع إليه ما يخرج منه وتاؤه مزيدة لغير التأنيث كملكوت وجبروت، والمشهور أن يوقف على تائه من غير أن تقلب هاء، ومنهم من يقلبها.

﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ السكينة: فعيلة من السكون، وهو الوقار، تقول: في فلان سكينة؛ أي: وقار وثبات.

﴿وَبَقِيَّةٌ﴾[2] وأصل بقية بقيية، ولام الكلمة ياء ولا حجة في بقي لانكسار

---

(١) أبو السعود. (٢) العكبري.

ما قبلها، ألا ترى أن شقي أصلها واو.

﴿وَجُنُودِهِۦ﴾ الجنود جمع جند، وهو معروف واشتقاقه من الجند، وهو الغليظ من الأرض إذ بعضهم يعتصم ببعض، وفي «المصباح» الجند الأنصار والأعوان، والجمع أجناد وجنود، الواحد جندي، فالياء للوحدة مثل روم ورميّ اهـ، والياء في ﴿مُبْتَلِيكُم﴾ بدل من واو؛ لأنه من بلاه يبلوه.

﴿بِنَهَرٍ﴾ فتح الهاء وإسكانها لغتان، والمشهور في القراءة فتحها، وقرأ حميد بن قيس شذوذاً بإسكانها، وأصل النهر والنهار الاتساع، ومنه ما أنهر الدم. ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾ الغُرفة ـ بضم الغين ـ اسم للقدر المغترف من الماء كالأكلة للقدر الذي يؤكل، وبفتح الغين مصدر للمرة الواحدة، نحو ضربت ضربة، والاغتراف الأخذ من الشيء باليد أو بآلته، والغرف مثل الاغتراف، فمعناهما واحد، والغرفة البناء العالي المشرف. ﴿لَا طَاقَةَ﴾ وعين الطاقة واو؛ لأنه من الطوق، وهو القدرة تقول: طوقته الأمر.

﴿كَم مِّن فِئَةٍ﴾ الفئة القطعة من الناس، وأصل فئة فيئة؛ لأنه من فاء يفيء إذا رجع، فالمحذوف عينها، وقيل: أصلها فيوءة لأنها من فأوت رأسه إذا كسرته، فيكون المحذوف لام الكلمة.

﴿أَقْدَامَنَا﴾ جمع قدم، والقدم الرجل، وهي مؤنثة تقول في تصغيرها قديمة، والاشتقاق في هذه الكلمة يرجع لمعنى التقدم.

البلاغة

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: فيه مجاز بالحذف إذ الأصل إلى قصة الملأ، وهذا المحذوف هو متعلق الظرف في قوله: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ﴾.

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ﴾: في الكلام إيجاز وحذف تقديره: فسأل الله ذلك النبي، فكتب عليهم القتال وبعث لهم ملكاً؛ أي: عينه لهم ليقاتل بهم، فلما كتب عليهم القتال.. إلخ.

﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ والظاهر أن هذا من كلام ذلك النبي، قال ذلك لهم لما علم من تعنتهم وجدالهم في الحجج، فأراد

أن يتم كلامه بالقطعي الذي لا اعتراض فيه، وهو أظهر التأويلين، الثاني: أنه من كلام الله تعالى لمحمد ﷺ، وتكون الجملتان معترضتين في هذه القصة للتشديد والتقوية لمن يؤتيه الله الملك؛ أي: فإذا كان الله تعالى هو المتصرف في ملكه.. فلا اعتراض عليه لا يسئل عما يفعل.

﴿ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾: فيه مجاز بالزيادة؛ لأن المراد أنفسهما، فلفظ آل مقحم وفائدة هذه الزيادة تفخيم شأنهما.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ﴾ وإفراد[1] حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين بتأويل الفريق أو غيره كما سلف في قوله: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾.

﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ فيه استعارة تمثيلية، فقد شبه حالهم ـ والله تعالى يفيض عليهم الصبر ـ بحال الماء يصب ويفرغ على الجسم، فيعمه كله ظاهره وباطنه، فيلقي في القلب برداً وسلاماً وهدوءاً واطمئناناً.

﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ وهو كناية[2] عن تشجيع قلوبهم وتقويتها، ولما سألوا ما يكون مستعلياً عليهم من الصبر.. سألوا تثبيت أقدامهم وإرساخها.

﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ فيه ثلاث تأكيدات.. التأكيد بإن، وباللام، وباسمية الجملة.

اللهم كما وفقتني بابتدائه، فأكرمني بانتهائه، وصلى الله وسلَّم على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين. آمين[3].

والله سبحانه وتعالى أعلم

---

(١) أبو السعود. (٢) البحر المحيط.

(٣) تم تصحيح هذه النسخة بيد مؤلفه في تاريخ ١١/٤/١٤٠٨ هـ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

إلى هنا انتهى المجلد الثالث في تاريخ ٩/١/١٤٠٧ هـ.

الفهرس